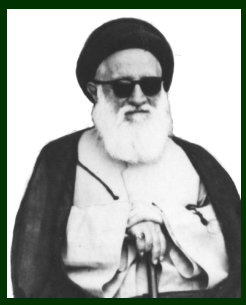

-٢٠-

# السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني

(ت١٣٨٦هـ/١٩٦٧م)

# وجهوده في علوم القرآن الكريم

- جمع ودراسة وتحقيق -

صيانة القرآن .. الناسخ والمنسوخ

المحكم والمتشابه .. البلاغة القرآنية

الدكتور الشيخ

عماد الكاظمي

الكتاب: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني وجهوده
في علوم القرآن الكريم –جمع ودراسة وتحقيق–.
المؤلف: الدكتور الشيخ عماد الكاظمي.
الناشر: مؤسسة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني للطباعة والنشر.
الطبعة: الأولى.
السنة: ١٤٣٧هـ٢٠١٦م

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد (٧٣٠) لسنة ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ
تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلمُسْلِمِينَ﴾

(سورة النحل: الآية ٨٩)

**الكتاب هو أطروحة دكتوراه نوقشت في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية / لندن (فرع العراق) بتأريخ ٢٠١٦/٣/٢٦م ونالت درجة (الامتيـــاز) في علـــوم القـــرآن الكريم.**

## الإهداء

– إلى أستاذي العلّامة المرحوم السيد جواد هبة الدين الحسيني الشهرستاني ..

– إلى من تعلمت منه العزيمة والتفاني في خدمة العلم والتراث ..

– أهدي هذا الجهد المتواضع راجيًا من الله تعالى أنْ يتقبله بقبولٍ حسنٍ ..

## بسم الله الرحمن الرحيم

**المقدمة:**

الحَمْدُ للهِ الذي عَلَّمَ بالقَلَم، عَلَّمَ الإنسانَ ما لَمْ يَعْلَم، والصلاةُ على نبيِّهِ المُصْطَفى الأَكْرَم، وعلى آلهِ المعصومينَ سادَةِ الأُمَم.

إنَّ القرآنَ الكريمِ هو المعجزةُ الخالدةُ، ومصدرُ التشريعِ الإسلاميِّ، والنظامُ الأكملُ لصلاحِ البشريةِ وسعادتِها، لو أَنَّها تَمَسَّكَتْ به، وعَمِلَتْ بما تَضَمَّنَهُ من تعاليمَ إلهيةٍ معصومةٍ من الزلَلِ؛ للحفاظِ على فطرتِها الإنسانيةِ، والوصولِ إلى كمالِها، كما قالَ تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (١)، ولأجلِ ذلكَ فقد اعتنى المسلمونَ به اعتناءً كبيرًا، تلاوةً وحفظًا، ودراسةً وتدريسًا، وتأليفًا وتفسيرًا؛ لما فيه من علومٍ متعددةٍ لها أثرٌ كبيرٌ في المعارفِ الإنسانيةِ بصورةٍ عامةٍ، والإسلاميةِ خاصةً، وتَكْمُنُ أهميةُ هذا الاعتناءِ لأنَّهُ مصدرُ المعرفَةِ الإسلاميّة الأولِ من الناحيتينِ العقائديةِ والفقهيةِ وغيرِهما، لذلك نرى تلكَ الأحاديثَ المتعددةَ في فضلِ القرآنِ وتَعَلُّمِهِ وتعليمِهِ، فقد روي عن النبيِّ الأكرمِ (صلى الله عليه وآله وسلم) أَنَّهُ قالَ: ((فَعَلَيْكُمْ بالقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ شافِعٌ مُشَفَّعٌ، وماحِلٌ مُصَدَّقٌ، ومَنْ جَعَلَهُ أمامَهُ قادَهُ إلى الجنةِ، ومَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ ساقَهُ إلى النارِ، وهو الدليلُ يَدُلُّ على خيرِ سبيلٍ، وهو كتابٌ فيهِ تفصيلٌ، وبيانٌ، وتحصيلٌ، فيهِ مصابيحُ الهُدى، ومنارُ الحكمةِ، ودليلٌ على المعرفةِ)). (٢)

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٩

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، تص و تع: علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ) ٢/٩٥ كتاب (فضل القرآن) الحديث ٢

لقد كانَ المسلمونَ يَتَعَرَّفونَ على تعاليمِ القرآنِ وما يتعلقُ بتشريعاتهِ وأحكامهِ عندَ نزولهِ عن طريقِ رسولِ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابهِ، فكانت هذه البذرةُ الأولى لتعلُّمِ علومِ القرآنِ الكريمِ، ثم توالتْ حلقاتُ التعليمِ وٱنتشرتْ، فتَمَّ بعدَ ذلكَ الكتابةُ في عددٍ من موضوعاتهِ، فانتشرتِ المؤلفاتُ التي تناولَتْ علومَ القرآنِ في مجالاتهِ المتعددةِ، إيجازًا وتفصيلاً.

والسيدُ "هبة الدين الحسيني الشهرستاني" أَحَدُ روادِ التأليفِ المتأخرينَ في علومِ القرآنِ الكريمِ، ولكن مما يؤسَفُ لَهُ أنَّ أغلبَ مؤلفاتِهِ هي مخطوطةٌ ومتناثرةٌ في طَيَّاتِ آلافِ الصفحاتِ، التي مضى على كتابتِها عقودٌ متعددةٌ، فآثَرْتُ في هذهِ الدراسةِ لمرحلةِ الدكتوراه جمعَ كُلَّ ما كَتَبَهُ في علومِ القرآنِ، ودراستَهُ، وتحقيقَهُ؛ لنحييَ آثارَ علمائِنا الأعلامِ، ونرفدَ المكتبةَ الإسلاميةَ بعلومِهِم، فضلاً عن خدمةِ كتابِ اللهِ تعالى، وجعلَ ذلكَ بين أيدي الباحثينَ والدارسينَ في علومِ القرآنِ الكريمِ، وإحياءَها من غياهِبِ الخُزاناتِ القديمةِ، حفاظًا عليها من الضياعِ والاندراسِ، كما كانَ حالُ كثيرٍ من تراثِنا الإسلاميِّ العظيمِ الذي تعرَّضَ لعاديةِ الزمانِ تارةً، وصولاتِ الحاقدينَ تارة أخرى، وقد تناولَتِ الأطروحةُ موضوعاتٍ مهمةٍ أربعةٍ، فشملت (صيانة القرآن من التحريف، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والإعجاز البلاغي للقرآن)، وكانت موضوعات الإعجاز البلاغي أكثر مادة من غيرها، فحاولت التركيز عليها في باب الدراسة بما يلائم ما سيتم تحقيقه في الباب الثاني، وجاءَتْ هذهِ الموضوعاتُ بعدَ أنْ وَفَّقَنا اللهُ تعالى في مرحلةِ الماجستيرِ لدراسةِ آثارِ السيدِ "الشهرستاني" في القراءاتِ القرآنيةِ دراسةً وتحقيقًا، فإنَّ كُلَّ ما سيتم توثيقَهُ في الأطروحَةِ هو ما ٱستقصاهُ الباحثُ لمخطوطاتِهِ كُلِّها كلمةً كلمةً؛ لاختيارِ ما لَهُ علاقةٌ بعلومِ القرآنِ، وقد ٱمتازتْ موضوعاتُها بالمادةِ

العلميةِ الغزيرةِ علمًا وٱستدلالاً، فضلاً عن مناقشةِ الآراءِ المتقدمةِ للعلماءِ، وتقديمِ أفكارٍ ورؤىً متعددةٍ لفهمِ النصِّ القرآنيِّ، من خلالِ النصِّ نفسِهِ من جهةٍ، أو من خلالِ علومٍ أخرى يُسْتَعانُ بها لفهمِهِ من جهةٍ أخرى، والوصولِ إلى نتائجَ مهمةٍ تليقُ بالقرآنِ الكريمِ وقدسيتِهِ.

وإنَّ جميع المخطوطات التي ٱعتمدتها الأطروحة في التحقيق هي من مؤلفات السيد "هبة الدين الحسيني الشهرستاني" المحفوظة في خزانات (مركز إحياء تراث السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني) في (مكتبة الجوادين العامة) في الصحن الكاظمي الشريف، والموثقة على وفق الفهارس المُعَدَّة لها.

وقد ٱقتضَتِ الأطروحَةُ تقسيمُها على بابَيْنِ، تناولَ الأولُ الدراسَةَ، والثاني التحقيقَ؛ ليتمَّ توثيقَ المادةِ المخطوطَةِ توثيقًا علميًا ومنهجيًا.

- في باب الدراسة تناولت:

١- تقديم نبذة موجزة عن سيرة السيد "الشهرستاني"، والتعريف بعلوم القرآن الكريم ونشأتها، وذلك من خلال صفحات التمهيد؛ لأنني تناولت سيرته بالتفصيل في دراسة سابقة فٱقتضى عدم التكرار.

٢- تقسيم الباب على فصول أربعة على وفق علوم القرآن التي تقدمت، وما جمعته وحققته في الأطروحة؛ لما له علاقة وثيقة بما سأتناوله في باب التحقيق، وبيان ما يتعلق بكُلِّ علم إجمالاً من دون تفصيل فيه.

- وفي باب التحقيق فتناولت:

١- نسخُ المخطوطات التي تضمنت علوم القرآن الأربعة، ومقابلة تلك النصوص مع النسخ الأخرى عند تكرارها والإشارة إلى الاختلاف.

٢- جمعُ الموضوعات المختصة تحت عنواناتها التي وردت في أصل المخطوط، ووضع عنوانٍ للموضوعاتِ التي لم يَرِدْ فيها عنوان.

٣- ضبطُ النص وما أُشكل من كلمات، ووضع علامات الترقيم، وزيادة بعضِ الكلماتِ التي يحتاجها النص ليكون مستقيمًا، وقد وضع ذلك بين قوسين معقوفين [ ] إشارة إلى الزيادة من الباحث، ووضع نقاط ثلاث بين هلالين (...) إشارة إلى سقوط كلمة أو أكثر.

٤- ٱقتباسُ النصوص الخاصة بالدراسة من بعض الموضوعات المخطوطة التي ليست لها علاقة مباشرة بالدراسة، ومقابلة النص مع مصادره الأساسية التي ٱعتمدها المؤلف، والإشارة إليه في الهامش.

٥- تصحيحُ الكلمة التي وردت خطأ في المتن مع الإشارة إليها في الهامش، وعدم تكرار ذلك في الكلمات التي ورد إملاؤها بشكلٍ مخطوءٍ كثيرًا.

٦- كتابةُ الآيات القرآنية مُشَكَّلة، وبالرسم القرآني، داخل قوسين مزهرين على شكل ﴿ ﴾، وتخريجها بذكر ٱسم السورة ورقم الآية في الهامش.

٧- تخريجُ الأحاديث الشريفة من مصادرها، مع توثيق ذلك من الموسوعات الحديثية، وكذلك الأبيات الشعرية، مع الإشارة إلى المصدر في الهامش.

٨- ترجمةُ بعض الأعلام الذين بهم حاجة إلى تعريف، دون الإسهاب في تعريف كل الأعلام الذين ذكرهم السيد أثناء كلامه.

٩- ضبطُ الكلمات الغريبة وبيان معانيها بالرجوع إلى المصادر المختصة.

١٠- التعليقُ على الموضوعات المهمة التي تحتاج إلى تعليق، أو توضيح وبيان، ومناقشة بعض ذلك، والاستشهاد بكلام العلماء موافقة، أو معارضة في

بعض الموارد؛ لتأكيد الموضوع، وحل مشكله، وزيادة في البيـــان والاســـتدلال والتوضيح.

- أهم المصادر التي أعتمدتها الدراسة:

أعتمدت الدراسة على مصادر متنوعة لعلوم مختلفة بحسب طبيعة البحث من المصادر اللغوية والتفسيرية والإعجاز البلاغي للقرآن وغيرهـــا، فمـــن أهـــم المصادر اللغوية: كتاب العين للفراهيدي (ت١٧٠هـ/٧٨٦م)، ولسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ/١٣١١م) وغيرهما.

أما ما يتعلق بتفسير القرآن الكريم فمن أهمها: التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م)، وتفسير الكشاف للزمخشري (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، ومجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ الطـــبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، والتفـــسير الكبير للفخر الرازي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٧م)؛ لأننا نرى أنَّ السيد "الشهرستاني" قـــد تأثَّر بهذه التفاسير في كتاباته ومناقشاته.

وفي علوم القرآن أعتمدت كتبًا من أهمها: البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت٧٩٤هـ/١٣٩٢م)، والإتقان في علوم القـــرآن للـــسيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) وغيرهما.

وأما ما يتعلق بالعلوم الخاصة بالقرآن فقد أعتمدت مصادر متعددة لها أهمية في أبوابها مثل: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ت٣٣٨هـ/٩٤٩م)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي بن أبي طالـــب القيـــسي (ت٤٣٧هـ/١٠٤٥م)، والناســـخ والمنسوخ لأبي منصور البغدادي (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، وحقائق التأويل في متشابه التنزيل، وتلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الـــرضي (٤٠٦هـ/١٠١٥م)، وأسرار البلاغة للجرجاني (ت٤٧١هـ/١٠٧٨م)، والإيـــضاح في علـــوم القـــرآن

للخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، وغيرها من المصادر العامة التي أغنت الدراسة كمؤلفات الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م)، والشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م).

فهذه أهم المصادر التي ٱعتمدها الباحث في دراسته فضلاً عن مصادر أخرى، وقد تم توثيق المصدر كاملاً عند ذكره أول مرة بذكر اللقب للمؤلف، فٱسمه، فمعلومات الكتاب على وفق التسلسل الزمني لوفياتهم، والاكتفاء بذكر اللقب وٱسم الكتاب والجزء والصفحة إنْ ذكر بعد ذلك.

- **أهم المشكلات التي واجهت الباحث:**

هناك مشكلات متعددة قد واجهت الباحث في دراسته كان من أهمها:

١- إنَّ المادة المتعلقة بالدراسة لم تُجمع في مخطوط مُعَيَّن؛ ليتم تحقيقه ودراسته، بل كانت متفرقة في طَيَّات صفحات مخطوطات السيد "الشهرستاني"، وأوراقه، مما توجَّب على الباحث مراجعة جميع مخطوطاته؛ وتصويرها، ليقتبس منها ما يحتاجه، فيؤلِّف بين ذلك المتفرق في مباحث خاصة، وهذا ما لا تخفى صعوبته، فضلاً عن الوقت الذي يحتاجه.

٢- إنَّ السيد "الشهرستاني" كان قد فقد بصره في منتصف عمره مما ٱضطرَّه إلى الاعتماد على الكَتَبَة له، وهم يختلفون في جودة الخطِّ وصحة الإملاء وعدمه، مما ٱستدعى الخطأ في موارد متعددة، من حيث الحركة الإعرابية، أو الإملاء، أو صعوبة قراءة عدد من الكلمات.

٣- إنَّ السيد "الشهرستاني" لم يُكْمِلِ الموضوع، أو الباب المُعَيَّن في موارد متعددة فقد يترك الموضوع ناقصًا، أو قد يُحيل إليه في مكان آخرٍ غير محدد مما يستدعي

البحث الطويل، والدقيق؛ للوصول إلى تتمة الموضوع، وهذا ما سنراه في أثناء الأطروحة، ولعله لا يتم الحصول عليه.

٥- إنَّ عددًا من المخطوطات قد تعرَّضت صفحاتها للتلف والتشويه بسبب طريقة حفظها طيلة هذه المدة من الزمن، والتي قد يصل بعضها إلى مئة عام أو أكثر، بل إنَّ منها عبارة عن أوراق متناثرة في أكياس قد أُعِدَّت للتأليف، فضاعت أغلب تلك الصفحات المتعلقة بتفسيره خصوصًا.

٦- إنَّ أغلب الأحاديث والنصوص التي يذكرها لم توثَّق من مصادرها، وعند البحث عنها قد لا يكون من اليسير معرفتها، فبعضها مجهولة المصدر ، كما سنراه في بعض الموارد.

إنَّ أغلب هذه المشكلات –في الواقع– ظهرت واضحة بعد تعرُّض السيد لفقده بصره التي حالت من دون الاعتماد على نفسه دائمًا في البحث والتصنيف؛ لأننا وجدنا أنَّ ما كتبه بنفسه لا توجد فيه مثل تلك المشكلات، فضلاً عن الرصانة في البحث والأسلوب، وجمع مادته في أماكن واضحة، ووضوح الخط، وتناسق العبارات وسبكها، وبلاغتها العالية.

إنَّ طبيعة الدراسة ٱقتضت أنْ تُقَسَّم الأطروحة على مقدمة، وتمهيد، وبابين، قُسِّمَ كُلُّ بابٍ منهما على فصول أربعة، فخاتمة ثم ملحق.

– المقدمة: تتناول بيان أهمية الموضوع، وبيان منهجية الباحث في الدراسة والتحقيق، وأهم المصادر التي ٱعتمد عليها، والمشكلات التي واجهته.

– التمهيد: تناول تسليط الضوء بإيجاز على سيرة العلامة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، وعلوم القرآن ونشأتها.

- الباب الأول / الدراسة
- الفصل الأول: صيانة القرآن من التحريف.

وقسم على مباحث ثلاثة:

- المبحث الأول: تعريف التحريف والأقوال الواردة فيه.
- المبحث الثاني: الأدلة النقلية والعقلية في إثبات عدم تحريف القرآن.
- المبحث الثالث: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في صيانة القرآن من التحريف.

- الفصل الثاني: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم.

وقسم على مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: تعريف النسخ وشروطه.

المبحث الثاني: العلاقة بين النسخ والبداء.

المبحث الثالث: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في النسخ.

- الفصل الثالث: المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.

وقسم على مباحث ثلاثة:

- المبحث الأول: تعريف المحكم والمتشابه وحكمة تقسيم آيات القرآن عليهما.
- المبحث الثاني: العلاقة بين الراسخين في العلم وتأويل القرآن.
- المبحث الثالث: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في المحكم والمتشابه.

- الفصل الرابع: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

وقسم على مباحث ثلاثة:

- المبحث الأول: تعريف الإعجاز القرآني ومراحل تحديه.
- المبحث الثاني: موضوعات في البلاغة القرآنية.
- المبحث الثالث: رأي السيد الشهرستاني في الإعجاز القرآني.

- الباب الثاني / التحقيق
- الفصل الأول: صيانة القرآن من التحريف.

وقسم على مبحثين:

- المبحث الأول: معنى التحريف.
- المبحث الثاني: أدلة صيانة القرآن من التحريف.

- الفصل الثاني: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم.

وقسم على مباحث ستة:

- الأول: تعريف النسخ.
- الثاني: شروط النسخ.
- الثالث: الآيات التي يُستدل بها على النسخ وتفسيرها.
- الرابع: أدلة القائلين بالنسخ.
- الخامس: أدلة نفي النسخ.
- السادس: العلاقة بين النسخ والبداء.

- الفصل الثالث: المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.

وقسم على مباحث ستة:

- المبحث الأول: تعريف المحكم والمتشابه وترجيح السيد الشهرستاني.
- المبحث الثاني: تفسير آية المحكم والمتشابه.
- المبحث الثالث: الوجوه المعتبرة لاشتمال القرآن على المحكم والمتشابه.
- المبحث الرابع: حكمة المتشابه في القرآن الكريم وأهميته.
- المبحث الخامس: الآيات المتشابهة التي ذكرها السيد الشهرستاني.
- المبحث السادس: آيات التجسيم وأثرها في العقيدة الإسلامية.

• الفصل الرابع: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

وقسم على مباحث أربعة:

-المبحث الأول: تحدي القرآن الكريم وإعجازه.

- المبحث الثاني: علم المعاني.

- المبحث الثالث: علم البيان.

- المبحث الرابع: علم البديع.

- الخاتمة. وقد تضمنت نتائج البحث.

- الملحق: وصف لنماذج مختارة من المخطوطات التي ٱعتُمِدَتْ في الأطروحة، مع ملخص للرسالة باللغة الإنجليزية.

يرى الباحث أنه من خلال التقسيم المتقدم للأطروحة في بابَيْها وفصولها تعطي صورة إجمالية لبعض موضوعات علوم القرآن من جهة، وما تضمنته مخطوطات السيد "الشهرستاني" من جهة أخرى، وبذلك نكون قد شاركنا الباحثين الآخرين في الدراسات القرآنية في هذه المحاولة بخدمة كتاب الله تعالى، وبيان علومه، وآثار علمائنا وجهودهم العلمية فيه.

ختامًا يطيب لي أنْ أتقدم بخالص شكري وٱمتناني إلى الأستاذة الدكتورة "عهود عبد الواحد العكيلي" التي أشرفت على الأطروحة، وقدمتْ دُرَرَ نصائحها مدة الدراسة، وشكري إلى الأستاذين الفاضلين الدكتور "إحسان الشهرستاني" رئيس الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، والدكتور "إبراهيم العاتي" عميد الدراسات العليا فيها؛ لرعايتهما المتواصلة ودعمها وتشجيعهما للطلبة، وإلى أسرة أستاذي ومعلمي المرحوم السيد "جواد هبة الدين"، وأخصُّ منهم السيدين

الكريمين "محمد إياد، ومصطفى"، لما قدموه من مساعدة وعون في الحصول على المخطوطات الخاصة بالأطروحة، وكل مَنْ تقدم بنصيحة ومشورة من أجل إتمـــام الدراسة، فجزاهم الله تعالى خير الجزاء.

أسألُهُ تعالى أنْ يتقبلَ عملي بأحسنِ قبولهِ، وأنْ يعفوَ عَنْ كُلِّ زلـــلٍ صـــدرَ مِنِّي، بعفوهِ وكرمهِ وجودهِ، إنَّهُ عفوٌّ كريمٌ، وصلى اللهُ على محمـــدٍ وآلـــهِ الطيبـــينَ الطاهرين.

# التمهيد

## نبذة موجزة عن سيرة السيد
## هبة الدين الحسيني الشهرستاني
## وعلوم القرآن ونشأتها

**التمهيد: نبذة موجزة عن سيرة السيد الشهرستاني وعلوم القرآن ونشأتها.**

إنَّ للمسلمين أثرًا كبيرًا في الاعتناء بالقرآن الكريم منذ الساعات الأولى لنزوله، من حيث تلاوته ومعرفة مراده وتفسيره، فضلاً عن أحكام الشريعة المقدسة التي تضمَّنها، وقد ألَّف العلماء في جميع معارف القرآن الكريم مؤلفات متعددة؛ لعظمة هذه المعجزة الخالدة في الشريعة الإسلامية، ونسلط الضوء بإيجاز أولاً عن سيرة عَلَمٍ من أعلام المسلمين؛ للإحاطة بشخصيته العلمية، وبيان أثرها وآثارها في علوم القرآن الكريم، ثم نبين ما يتعلق بمصطلح (علوم القرآن) تعريفًا، ونشأة، وما يتعلق بهما؛ لنكون –إنْ شاء الله تعالى– على بينة مما تضمنته هذه الأطروحة المباركة.

*** أولاً: نبذة موجزة عن سيرة السيد الشهرستاني.**

نسلط الضوء في هذا التمهيد على سيرة العلامة السيد "هبة الدين الحسيني الشهرستاني" (قدس سره)؛ لنكون على بَيِّنة من مكانته، ومنزلته، وأهمية آختيار دراسة جهوده في علوم القرآن الكريم، وسوف نبيِّنُ ذلك بإيجاز. [1]

---

(١) للتفصيل ينظر: العلوي، محمد مهدي: نابغة العراق أو هبة الدين الشهرستاني، تص: حسين هاشم، (مط الآداب، بغداد، ١٩٢٩م، د.ط) ، الطهراني، محمد محسن "أغابزرك": الذريعة إلى تصانيف الشيعة، تح: علي نقي منزوي، (مط الآداب، النجف، ١٩٦٨م، د.ط) ج١ ق٤ ص١٤١٣ ، المرعشي، محمود: المسلسلات في إجازات السيد شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي، (مط حافظ، قم، ١٤١٦هـ، د.ط) ٣٢٩/٢ ، البهادلي، محمد باقر: السيد هبة الدين الحسيني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية، (مط شركة الحسام، بغداد، ط١، ١٤٢٢هـ٢٠٠١م) ، الحسني، عبد الستار: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني حياته ونشاطه العلمي والاجتماعي، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤٢٩هـ) ، العاتي، إبراهيم: آفاق التجديد الإسلامي "أعلام وتيارات"،

**١ – ٱسمه ولقبه:**

**محمد علي بن الحسين العابد، بن السيد محسن الصرَّاف، بن السيد مرتضى الفقيه، بن السيد محمد العالم، بن السيد علي الكبير ...** [١]

**ويلقب بـ"هبة الدين"، ولُقِّب بذلك إثر رؤية كريمة رآها السيد "علي الشهرستاني المرعشي" في منامه للإمام "علي بن الحسين زين العابدين" (عليه السلام) يقول له: إنَّ السيد "حسين" قد رُزِق بولدٍ، فَقُلْ له فليسمه "هبة الدين"، فإنه ٱسم لم يتسمَّ به أحد من قبل، وقد جاء لأبيه ليبلغه فقال: جئت لأبلغك بالرؤيا. فقال أبوه متعجبًا: يا سبحان الله! قبل نصف ساعة رُزِقت بولد وأسميته "محمد علي". فقال له: أردفه بـ"هبة الدين" كما أسماه الإمام (عليه السلام) فاشتهر بهذا الاسم –هبة الدين– فيما بعد.** [٢]

---

(دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م): ١١١ ، عماد موسى محمود: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني وجهوده في علوم القرآن –القراءات القرآنية دراسة وتحقيق–، (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، لندن/ فرع العراق، ٢٠١٢م)، وغيرها من المؤلفات.

(١) ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، للتفصيل في سلسلة نسبه ينظر: الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط الحائريات (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ١٦٣ ، البهادلي: السيد هبة الدين الحسيني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية: ٢٥

(٢) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط مهمات، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة) ١٢٤/٤، وقد ذكر ذلك السيد "عبد الستار الحسني" باختلاف بسيط من دون ذكر الإمام زين العابدين (عليه السلام) ٱعتمادًا على مقدمة كتاب (إسلام وهيئت) ينظر: الحسني: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني حياته ونشاطه العلمي والاجتماعي: ٢٣

**٢– أسرته:**

والده السيد "حسين العابد" (ت١٣١٩هـ/١٩٠٢م) من علماء كربلاء، ذو علم وخلق ودين، يصفه السيد "الشهرستاني" فيقول: ((كان والدي رحمه الله بَـرًّا، تقيًّا، ثقةً، صدوقًا، عدلاً، نقيًّا، ورعًا، لطيفَ العِشْرَةِ، حَسَنَ الصُحْبَةِ، وَفِيًّا، كـامِلاً، أديبًا، عارِفًا)).[١]

أمه السيدة "مريم" (ت١٣٤٠هـ/١٩٢٢م) كانت من أَجَلِّ نساء عـصرها، ومن الصالحات الفاضـلات، ومن أكملهِنَّ علمًـا وأدبًا، يصفها الـسيد بقولـه: ((المرأةُ العفيفةُ، النجيبةُ، الصالحةُ، التي لم أرَ مثلَها في النـساءِ زهـدًا، وعبـادةً، وفراسةً، وكيـاسةً، وخُلُقًا، ومنطقًا، وكُنْتُ أرى من زُهْدِها وتُقاها وفَراسَتِها غرائِبَ وعجائِبَ)).[٢]

اشتهر السيد بـ"الشهرستاني" لمصاهرة والده الأسرة الشهرستانية بزواجـه من العلوية فاطمة بنت السيد كاظم الشهرستاني، ثم تزوج بعد وفاتها بالسيدة مريم ابنة الشيخ صالح بن الشيخ مهدي الحائري، وأمها من الأسرة الشهرستانية أيضًا.[٣]

والشهرستانية أسرة جليلة، وبيت من أشهر بيـوت كـربلاء في الرياسـة والعلم، ومن الأسر العراقية التي أنجبت في عصور مختلفة رجالاً علماء وأجـلاء،

(١) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط صدف اللآلىء في نسب آل أبي المعـالي (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٤١

(٢) الشهرستاني: هبة الدين: مخطوط صدف اللآلىء: ٤٥

(٣) البهادلي: السيد هبة الدين الحسيني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية: ٢٨

ولها فروع في كُلٍّ من كربلاء والنجف والكاظمية، ومهنة هذه الأسرة على سبيل العموم هي تدريس العلوم الدينية. (١)

**٣- ولادته:**

ولد السيد "هبة الدين" في سامراء ظهر الثلاثاء (٢٤ رجب ١٣٠١هـ/٢٠ أيار ١٨٨٤م) (٢)، وكان والده قد هاجر إليها من كربلاء؛ للاستفادة من دروس السيد "محمد حسن الشيرازي" عندما كان يتصدى للمرجعية الدينية في سامراء، وقد رافقت ولادته أحداث تدل على منزلته وفضله وكرامته، منها ٱختيار ٱسم له من قِبَلِ الإمام "زين العابدين" (عليه السلام) كما تقدم، وغيرها من الوقائع، وقد كتبها في مذكراته الشخصية. (٣)

**٤- دراساته وإجازاته العلمية:**

ٱبتدأت دراسته على يدي والده أول أمره، ثم تتلمذ على أساتذة آخرين في سامراء وكربلاء والنجف (٤)، حتى عُدَّ عَلَمًا من الأعلام، وقد أُجيز من أساتذته إجازات متعددة بعضها ٱجتهادية، وأخرى روائية للحديث الشريف من كبار علماء

---

(١) ينظر: الخليلي، جعفر: موسوعة العتبات المقدسة / قسم الكاظمين "بيوتات الكاظمية للدكتور حسين علي محفوظ"، (دار التعارف، بيروت، ط١، ١٩٦٧م) ١٠١/٣

(٢) ينظر: الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط مهمات ٣١/٤

(٣) ينظر: الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط مهمات، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ١٠٤

(٤) ينظر: الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط مهمات ١٠/٤ ، البهادلي: السيد هبة الدين الحسيني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية: ٤٥ ، الحسني: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني حياته ونشاطه العلمي والاجتماعي: ٦٤

عصره، فضلاً عن إجازات الرواية التي منحها لعدد من العلماء والفضلاء في البلاد الإسلامية، وبعض هذه الإجازات قد وُثِّقَتْ بخط يده. (١)

٥– صفاته ومنزلته:

إنَّ كُلَّ مَنْ تحدث عن السيد قد ذكر تلك الصفات العظيمة والمنزلة الكبرى التي يتمتع بها، فضلاً عن نشاطاته الجمة التي قام بها، قال الشيخ "أغا بزرك الطهراني" زميله في حلقة الدراسة والبحث واصفًا إياه: ((وقد تميَّزَ منذ شبابهِ بيقظةٍ ووعيٍ، وطموحٍ وهَمَّةٍ، ونزعةٍ إصلاحيةٍ، وقد كانَ مخلصًا لدينهِ وقومهِ في كُلِّ ما قالَ وفعلَ، نقيَ السريرةِ، يقدِّسُ الإيمانَ الصادقَ، والعقلَ النيِّرَ، ويذودُ عنهما بلسانهِ وقلمهِ، فقد عرفتُهُ يومذاكَ وزاملتُهُ في حلقاتِ دروسِ مشايخِنا "رحمهم الله"، فرأيتُ الإخلاصَ، والغيرةَ على الدينِ والإسلامِ، والعلمِ وأهلِهِ، دافعهُ الأولُ والأخيرُ)) (٢)، وقال السيد "المرعشي": ((وبالجملةِ هذا الشريفُ الجليلُ من أعيانِ العصرِ، ومفاخرِ الزمانِ في جامعيَّتِهِ للعلومِ المتنوعةِ، مع جودةِ التحريرِ، وسلامةِ التقريرِ، سيدُ فلاسفةِ الإسلامِ، وأميرُ المتكلمينَ، فخرُ الشيعةِ، وناصرُ الشريعةِ)). (٣)

٦– جهاده ومشاريعه:

للسيد "الشهرستاني" مواقف كبيرة في الجهاد ضد مستعمري البلاد الإسلامية، ومنهم الإنكليز عند أحتلالهم العراق، وفي ثورة العشرين، وغيرها من

(١) ينظر: الشهرستاني، هبة الدين: صدف اللآلىء: ٤٩ ، الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط الإجازة السادسة، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة) ، الحسني: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني حياته ونشاطه العلمي والاجتماعي: ٧٧

(٢) الذريعة ج١ ق٤ ص١٤١٤

(٣) المرعشي: المسلسلات في إجازات ٣٣١/٢

المواقف الكثيرة [١]، وأما مشاريعه الكبيرة في وزارة المعارف، ومجلس التمييز الجعفري، وتأسيس الجمعيات والمجلات فهي كبيرة وعظيمة [٢]، فقد كان مشروعًا إصلاحيًّا متكاملاً في كُلِّ جوانبه، وداعيًا إليه في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ، فلم يتأثر ذلك النشاط بما أصابه من فقده لبصره، وهي داهية عظمى كما يصفها. [٣]

٧- مؤلفاته:

للسيد مؤلفات كثيرة تربو على ثلاثمئة وخمسين مؤلَّفًا، طُبِعَ بعضها في حياته، وكثير منها مخطوط، وقد أصدرت مؤسسته (مكتبة الجوادين العامة) كراسًا لمؤلفاته المخطوطة [٤]، وسوف أذكر في الملحق مؤلفاته المخطوطة التي اعتمدتها في هذه الدراسة مع بيانات التوثيق.

(١) ينظر: العلوي: نابغة العراق: ١٢ ، الشهرستاني، هبة الدين: معركة الشعيبة "أسرار الخيبة من فتح الشعيبة ١٩١٤-١٩١٥"، تح: الأستاذ الدكتور علاء حسين الرهيمي والدكتور إسماعيل الجابري، (الناشر: مؤسسة السيد الشهرستاني للطباعة والنشر، قم، ط٢، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م، د.مط): ١٩-٢٥

(٢) ينظر: البهادلي: السيد هبة الدين الحسيني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية: ١٨٥ ، الرهيمي، علاء حسين: مجلة العلم النجفية، (مط الاعتماد، قم، ط١، ٢٠٠٧م): ١٣

(٣) للتفصيل في نشاطه على مستويات متعددة على الرغم من فقده بصره ينظر: الحسني: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني حياته ونشاطه العلمي والاجتماعي: ٥١

(٤) الكاظمي، عماد: فهرس مخطوطات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، (مكتبة الجوادين العامة، الكاظمية، ط١، ٢٠١٠م).

**٨- الدراسات الجامعية في السيد الشهرستاني:**

لقد كُتِبَ عن السيد "الشهرستاني" في مؤلفات خاصة بسيرته وقد تقدمت الإشارة إلى بعضها، وأما الرسائل الجامعية التي كُتِبَت عن جهوده العلمية فهي رسائل ماجستير أربع، في علوم مختلفة:

أ- السيد هبة الدين الشهرستاني –آثاره الفكرية ومواقفه السياسية–، محمد باقر أحمد البهادلي، معهد التأريخ العربي، بغداد، ٢٠٠٠م.

ب- هبة الدين الشهرستاني، منهجه في الإصلاح والتجديد وكتابة التأريخ – دراسة تحليلية–، إسماعيل طه الجابري، جامعة الكوفة، ٢٠٠٢م.

ج- السيد هبة الدين ودوره في الصحافة، وسام غالي، جامعة بغداد، ٢٠١٠م.

د- السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني وجهوده في علوم القرآن –القراءات القرآنية دراسة وتحقيق–، عماد موسى محمود، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، لندن فرع العراق، ٢٠١٢م. (١)

**٩- عنايته بدراسة القرآن الكريم:**

كانت للسيد عناية فائقة بالقرآن الكريم وعلومه، تأليفًا وتدريسًا، ويظهر ذلك من خلال مؤلفاته وكلماته التي نراها ظاهرة في سيرته العلمية، ونذكر بعضًا منها في هذه الصفحات كمثال لعنايته بالمباحث القرآنية.

فمن كلماته البليغة في أهمية دراسة القرآن الكريم، وإظهار علومه أنه قال: ((فإنِّي درستُ كتابَ اللهِ زهاءَ أربعينَ سنةٍ دَرْسَ تَفَقُّهٍ وتَبَصُّرٍ، ودرستُ علومَ آياتِهِ، وأسرارَ تبيانِهِ عن عقلٍ وتدبُّرٍ، بفكرٍ حُرٍّ، ومحاكمةٍ نزيهةٍ، ومنطقٍ بعيدٍ عن الجدالِ

(١) وما تزال جهوده الفكرية الأخرى تحتاج إلى دراسات علمية كالفقهية والعقائدية والأصولية والاجتماعية وغيرها.

والخيالِ، وتَحَرٍّ واسعٍ في ضوءِ العلمِ المُعَزَّزِ بالدليلِ، فأسفرتْ جهودي عن نتائج منها: إنَّ القرآنَ قوةٌ قاهرةٌ لا مثيلَ لها في دفعِ الضلالِ، وإزاحةِ الجاهليةِ، حَرِيَّةٌ لأنْ تُستخدمَ في سبيلِ إصلاحِ الأممِ، وتمهيدِ السلامِ في العالَمِ)). (١)

إنَّ هذه الكلمات تؤكِّدُ حرصه على كتاب الله تعالى، ووجوب دراسته دراسة علمية، وإظهار علومه؛ لأنه المعجزة الإلهية الخالدة، وقد تجلَّت هذه الكلمات في كتاباته عما يتعلق بكتاب الله تعالى.

وقال في بيان أهمية القرآن وعلومه، وأهم العلوم التي يجب بيانها من خلال تفسير القرآن الكريم: ((ينبغي أنْ أكتبَ كتاباً في التفسيرِ بهذا الاسم "تفسير حجة الإسلام لكلام الملك العلام"؛ لأنَّ القرآنَ هو أكبرُ براهينِ الدينِ، وأقوى حُجَجِ المسلمينَ، يُرَتَّبُ القرآنُ أولاً على أقسام، وفصول، وكتب، وأجزاء، مثلاً يُقَسَّمُ القرآنُ، أولاً على جزء مفردات لغات القرآن فيفرده، ثم تقسيم القرآن على جزء في تراكيب لغات القرآن فيفرده، ككتاب في علم المعاني والبيان، ثم تقسيم القرآن على جزء في قراءات القرآن، وتجويد حروفها، وقراءة آياتها عند القُرَّاء السبعة، وغير السبعة، وقراءات أهل البيت، ويفرده ككتاب في علم القراءات والتجويد ....)). (٢)

(١) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط جمهرة العلوم القرآنية، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ١٣

(٢) الشهرستاني، هبة الدين: أوراق مخطوطة، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ١٣

ومما ذكره في أهمية التدبُّر في بلاغته لفهم القرآن قوله: ((والبلاغةُ من أهمِّ نواحي القرآنِ الكريمِ، بالنظرِ إلى الصلةِ القويَّةِ بينَ البلاغةِ وبينَ التدبُّرِ في فهمِ مرامي القرآن، وقد أُمِرنا بالتدبُّرِ فيهِ وفي مراميهِ، أمرًا بالغًا حَدَّهُ وأشُدَّهُ)). (١)

وله فيما يتعلق ببحور الشعر وموافقتها لبعض الآيات القرآنية فقال: ((توجدُ آياتٌ قرآنيةٌ تتزنُ على بحورِ الشعرِ المشهورةِ عندَ العربِ، بينما آي الذكرِ الحكيمِ لا ولن توصفَ بالشعرِ من قبلُ، ومن بعدُ)) (٢)، ثم ذكر بحور الشعر ومثال عليه من الآيات القرآنية.

وقال في حكمة عدم نزول القرآن بصيغة الشعر عندما سُئِلَ عن ذلك: ((إنَّ في ذلكَ لَحِكَمًا لا تُحصى، وفوائد لا تُستقصى، والذي أنزلَهُ أعلمُ بحكمِهِ، فمنها أنَّهُ لو كانَ شعرًا لم يكن معجزًا في أُسلوبِهِ وسبكِهِ، والآن هو معجزٌ من جميعِ جهاتِهِ، حتى من جهةِ سبكِهِ، وأُسلوبِهِ، وترتيبِهِ، وتركيبِهِ ....)). (٣)

ومن توجيهاته في بيان أسلوب الخطاب بين الله تعالى وأنبيائه كما في خطابه لـ"موسى بن عمران" (عليه السلام): ((اعلم أنَّ الشخصَ الجليلَ المهذَّبَ إذا حضرَ عندَهُ حقيرٌ لا بُدَّ أنْ تأخذَهُ هيبةُ الجليلِ، بحيث لم يتمكَّنْ من الكلامِ معهُ، لا بُدَّ وأنْ يعطفَ عليهِ، ويبتدأهُ بالسؤالِ، حتى يرفعَ الخجلَ والوجلَ .... وهذا هو السرُّ في سؤالِ ربِّ العزةِ نبيَّهُ "موسى" عن ما في يدهِ، مع أنَّهُ أعلمُ بما في ضميرِهِ فضلاً

(١) الشهرستاني، هبة الدين:مخطوط السبع المثاني، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ١٩٨

(٢) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط القرآن إمام الكل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٧٥

(٣) الشهرستاني، هبة الدين: مخزن الدلائل في أجوبة المسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ١٨

عمَّا في يدهِ، حيث قال: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [١] إذ كانَ ذلكَ أولَ حضورِ "موسى" أولَ زمنِ نبوتِهِ حضرةَ ربِّهِ، وأولَ مكالمتِهِ مع ملكِ الملوكِ، فمقتضى العادةِ والعقلِ أنْ تأخذَ هيبةُ ربِّهِ مجامِعَ قلبِهِ، خصوصًا مع ما شاهدَ من التجلياتِ والإشراقاتِ)). [٢]

وأما كلماته فيما يتعلق بعلوم القرآن فسوف يظهر ذلك من خلال الدراسة مما يدل على عمق التفكير والمناقشة والاستدلال، فضلاً عن الشجاعة العلمية في طرح الرأي والتفسير.

إنَّ للسيد "الشهرستاني" منهجًا واضحًا في جميع مؤلفاته الخاصة بعلوم القرآن وغيره هو المنهج القائم على التحليل ومناقشة الآخرين، والحجة والاستدلال في إثبات ما يراه موافقًا، أو منافيًا، فلا ترى في كتاباته المتابعة المحضة للأقوال التي سبقته في موضوع معيَّنٍ، بل يجتهد في الوصول إلى الحقيقة التي يؤمن بها، وهذا ما سنراه جليًّا في صفحات هذه الأطروحة.

**١٠ – وفاته:**

توفي فجر الإثنين (٢٦ شوال ١٣٨٦هـ/ ٦ شباط ١٩٦٧م) عن عمر بلغ خمسة وثمانين عامًا، ودفن في الروضة الكاظمية المقدسة وسط مؤسسته الثقافية (مكتبة الجوادين العامة).

فهذه نبذة موجزة عن سيرته (قدس سره) حاول الباحث بيانها في هذه الصفحات.

---

(١) سورة طه: الآية ١٧

(٢) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط نتائج الحلوم، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٣٣٠

*** ثانيًا: علوم القرآن ونشأتها.**

إنَّ من منهجية البحث أنْ بيِّنَ ما يتعلق بعلوم القرآن بإيجاز في موضوعين مهمين؛ لنكون على إحاطة بموضوعات هذه الإطروحة، وأول هذين الموضوعين: تعريف مصطلح علوم القرآن، وآخرهما: نشأة هذا العلم.

إنَّ علوم القرآن هي : ((العلومُ المتعلقَةُ بالمباحثِ القرآنيةِ من ناحيةِ مبدأِ نزولِهِ، ومكانِهِ، ومُدَّتِهِ، ومن ناحيةِ إعجازِهِ، وناسخِهِ ومنسوخِهِ، ومُحكمِهِ ومُتشابهِهِ، ومن ناحيةِ ترتيبِ سورِ آياتِهِ، وترتيلِهِ، إلى غيرِ ذلكَ من النواحي)) [(١)]، فهذه العلوم كلها تتضمن ما يتعلق بمعرفة كتاب الله تعالى من خلالها، وأغلب الذين عَرَّفوا "علم القرآن" قد أكَّدوا على هذه النواحي فيه [(٢)]، قال "الزرقاني" (ت١٣٦٧هـ/١٩٤٨م) بعد تعريفه للعلم، والقرآن [(٣)]: ((الآنَ وقد ٱنتهينا من الكلامِ على المتضايفينِ في لفظِ "علوم القرآن" ننتقلُ بِكَ إلى أنَّ الإضافَةَ بينهما تشيرُ إلى طوائِفِ المعارِفِ المتصلةِ بالقرآنِ، وإنَّما جُمِعَتْ هذهِ العلومُ ولم تُفْرَدْ لأنَّهُ لم يُقْصَدْ إلى

(١) محمد أبو سليمان، صابر حسن: مورد الضمآن في علوم القرآن، (الدار السلفية، الهند، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م): ٧

(٢) للتفصيل فيما يتعلق بتعاريف العلماء ينظر: العطار، داود: موجز علوم القرآن، (مط الزهراء، بغداد، ط١، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م): ٨ ، محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن، (مط ستاره، الناشر: مؤسسة التمهيد، قم، ط٢، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٩م) ١/١٥ ، الحكيم، محمد باقر: علوم القرآن، (دار التعارف، بيروت، ط٥، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م): ٢٢ وغيرها

(٣) لم أذكر ما يتعلق بتعريف العلم لغةً وٱصطلاحًا، وكذلك القرآن، وما يتعلق بأسمائه؛ لإنه من المسائل الواضحة ولا تحتاج إلى بيان في الدراسات التخصصية للباحثين.

علمٍ واحدٍ يتصلُ بالقرآنِ)) [١]، إذًا فكُلُّ علمٍ له علاقة ببيان القرآن الكريم يمكن أنْ يشتمل عليه مصطلح "علوم القرآن".

فهناك مَنْ يرى ٱشتراك تعريف علوم القرآن مع أصول التفسير، فقال في تعريفه بأنه: ((العلمُ الذي يتناولُ الأبحاثَ المتعلقةَ بالقرآنِ، من حيثُ معرفةِ أسبابِ النـزولِ، وجمعِ القرآنِ وترتيبِهِ، ومعرفةِ المكيِّ والمدنيِّ، والناسخِ والمنسوخِ، والمحكمِ والمتشابهِ، إلى غيرِ ذلكَ مما له صلةٌ بالقرآنِ، وقد يُسَمَّى هذا العلمُ بأصولِ التفسيرِ)) [٢]، وفي هذا التعريف نرى التوسُّعَ في العلوم المتعددة لكُلِّ ما له صلة بالقرآن الكريم، أما من ناحية إطلاقه على أصول التفسير؛ لأنَّ المفسِّرِ لا بد له من معرفة تلك العلوم.

وهناك من فصَّل القول في علوم القرآن بما يشمل التوسع، مع توجيه مهم نرى فيه دِقَّةً وعُمْقًا، فقال: ((تشملُ علومُ القرآنِ بمعناها الواسعِ –لا المعنى الاصطلاحي– كُلَّ علمٍ بالقرآنِ، بأيِّ نحوٍ كانَ)) [٣]، وهذا واضح من كَوْنِ التوسع يظهر في ٱشتماله على علوم متعددة غير التي تقدمت، لها أثر في فهم النصوص القرآنية من جوانب متعددة، ثم يقسم هذا التوسع في العلوم على تقسيمات ثلاثة فيقول: ((ويمكنُ تقسيمُ هذهِ العلومِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ: ١– علوم للقرآن. ٢– علوم في القرآن. ٣– علوم حول القرآن)). [٤]

---

(١) محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زمرلي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م) ١/ ٢٣

(٢) القطَّان، منَّاع: مباحث في علوم القرآن، (الناشر: مكتبة وهبة، مصر، ط١١، ٢٠٠٠م): ١١

(٣) الدرابي، علي الموسوي: نصوص في علوم القرآن، (مؤسسة الطباعة للأستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ط١، ١٤٢٢هـ) ١/ ٩

(٤) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسهما.

إنَّ هذا التقسيم الثلاثي لطيف جدًّا وفيه ٱلتفاتة مهمة في تمييز العلوم المتعددة في القرآن الكريم؛ ليتميَّز الخاص منها عن العام، ثم بيَّن بعد ذلك العلوم التي هي من النوع الأول كالنحو والأدب والبلاغة وغيرها، ومن النوع الثاني كالفقه والأخلاق والتفسير وغيرها، ومن النوع الثالث كعلم الطب وغيره. (١)

من خلال ما تقدم في بيان التعريف قد أصبحت الحاجة إلى معرفة هذا العلم جلية ومهمة جدًّا، فهو يساعد على فهم القرآن إجمالاً، وٱستنباط الأحكام الشرعية منه، كونه مصدر التشريع الإسلامي الأول، ومعرفة العقيدة الإسلامية ودحض مفتريات أعداء الإسلام، والدفاع عن القرآن الكريم أمام أعدائه، فضلاً عن الثقافة العامة، والأدب.

فهذا مجمل ما أردت بيانه حول تعريف مصطلح علوم القرآن وأهميته في هذه السطور.

أما من حيث نشأته فلا يخفى أنه يرتبط ٱرتباطًا وثيقًا بعصر نزول القرآن على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكان المسلمون يتعلمون تلاوته وتفسيره من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومعرفة أحكام الشريعة المقدسة، وكُلَّ ما له علاقة بذلك، وهذه من مهمات النبي في بعثته كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢)، فكان المسلمون يَتَلَقَّوْنَ علومَ القرآن كلها من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة، وكذلك عن طريق الصحابة الذين تميَّزوا في معارف القرآن الكريم، والذي كان يجمعها موضوع التفسير، ثم توالت التأليفات منذ عصرهم إلى هذا اليوم فأغنت المكتبة الإسلامية بالعلوم والمعارف القرآنية،

(١) الدرابي: نصوص في علوم القرآن ١/١٠-١٥

(٢) سورة الجمعة: الآية ٢

وقد ذكر العلماء أكثر تلك المؤلفات، فذكر "ابن النديم" (ت٤٣٨هـ/١٠٤٦م) قائمة بما أُلِّف في الموضوعات المختلفة مثل: تفسير القرآن، ومعاني القرآن ومشكله، وغريب القرآن، ولغات القرآن، وقراءاته، ومتشابهه، وفضائله وغيرها [١] إلى حين عصره، وأما فيما يتعلق بالمؤلفات الأخرى إلى يومنا فهي كثيرة [٢]، وممن أحصى تلك المؤلفات بإنصاف وموضوعية العلامة الشيخ "محمد هادي معرفة" (ت١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) فقد ذكر مؤلفات علماء وأعلام العامة والإمامية منذ القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجريين. [٣]

ولا يخفى أثر تلك العلوم القرآنية وكثرة التأليف فيها في العلوم الأخرى وتطويرها؛ لذلك كانت البيئة التي نشأت فيها هذه العلوم وأنتشرت مصدر كثير من العلوم الأخرى. [٤]

(١) محمد بن إسحاق: الفهرست، (دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ١٩٧٨م، د.ط): ٥١-٥٨

(٢) للتفصيل في الاطلاع على أسماء تلك المؤلفات في علوم القرآن ينظر: الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ١/٣٣-٣٦ ، القطان: مباحث في علوم القرآن: ٨-١١ ، الصالح، صبحي: مباحث في علوم القرآن، (دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٧٧م): ١١٩-١٢٦ ، العطار: الموجز في علوم القرآن: ١٩-٢٤ ، الحمد، غانم قدوري: محاضرات في علوم القرآن، (دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢٣هـ٢٠٠٣م): ٨-١١

(٣) التمهيد في علوم القرآن ١/١٦-٣٨ (تأريخ علوم القرآن)، وقد ذكر أوَّلهم "يحيى بن يعمر" (ت٨٩هـ)، وآخرهم المؤلف "محمد هادي معرفة" (ت١٤٢٧هـ).

(٤) للتفصيل ينظر مثلاً ما ذكره الدكتور "عدنان محمد زرزور" في علاقة القرآن الكريم بعلوم العربية والثقافة الإسلامية المتنوعة: علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ١٩٨١م): ١٣-٤٢

# الباب الأول

## الدراسة

## (الفصل الأول)

## صيانة القرآن من التحريف

- **المبحث الأول**: تعريف التحريف والأقوال الواردة فيه.
- **المبحث الثاني**: الأدلة النقلية والعقلية في إثبات عدم تحريف القرآن.
- **المبحث الثالث**: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في صيانة القرآن من التحريف.

# الفصل الأول

## صيانة القرآن الكريم من التحريف

إنَّ موضوع صيانة القرآن الكريم من التحريف من الموضوعات المهمة التي تُبحث في الدراسات القرآنية، وقد ٱعتنى الباحثون به ٱعتناءً كبيرًا؛ لأنهُ يتعلق بكلام الله تعالى وتنزيهه عن كُلِّ ما لا يليق به من زيادةٍ، أو نقصانٍ، أو تغييرٍ أو غير ذلك، مما يؤثِّرُ على قدسيته بوصفهِ وحيًا إلهيًّا لا يمكن لأحدٍ أنْ ينال منه، والقرآن الكريم كان وما يزال نصًّا إلهيًّا تتعاهده الأجيال منذ خمسة عشر قرنًا، تلاوةً، وحفظًا، وتفسيرًا، ودراسةً، تنهل من معينه الذي لا ينضب في علاج ما تعانيه الإنسانية من مشكلات ٱجتماعية وتربوية وتشريعية وغيرها، حتى عُدَّ مصدرًا أساسيًّا لعلوم متعددة، وموضوع صيانته من التحريف من المسائل البديهية التي يجب الاعتقاد بها، إذ تكفَّل الله به فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، فحفظهُ عز وجل كما أخبر من كُلِّ محاولات التلاعب فيه، كالتي تعرَّضت له الكتب السماوية السابقة، فالقرآن الموجود اليوم هو نفسه الذي أنزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنصه الكامل، من دون أي تغييرٍ في كلماته أو حروفه، وما نُسِبَ إليه من تحريف هو مجرَّدُ ٱدِّعاءاتٍ، وروايات مكذوبة، أو تأويلات مذهبية معينة، وإنَّ الذين ينسبون التحريف إلى القرآن إما أنهم يبتغون التعصَّب لرؤية معينة وإنْ كانت على أساس الإساءة لكتاب الله تعالى، وهذا ما نراه عند بعض المسلمين[2]، وإما أنهم يبتغون إلصاق التهم الباطلة للنيل من قدسية الإسلام وهذا ما قام به بعض

(١) سورة الحجر: الآية ٩

(٢) وسوف يتم بيان ما يتعلق بتلك الأقوال ضمن صفحات هذه الأطروحة وبطلانها.

المستشرقين في دراساتهم عن القرآن الكريم [١]، وكُلُّ ما كُتِبَ في ذلك فإنَّ فيه من التهافت، والضعف، والخلل بما لا يُثبت التحريف، فتكمن أهمية هذا المبحث في أنها تصبُّ ضمن دراسة تنزيه مصدر التشريع الأول للمسلمين، ومعجزته الخالدة إلى يوم القيامة، وإثبات أنَّ نسبة ذلك للقرآن إنما هي نسبة كاذبة ظالمة، وقد حاول الباحث في هذا الفصل من صفحات دراسته أنْ يسلط الضوء على أهمية البحث في صيانة كتاب الله تعالى من كُلِّ ما تقدَّم، وتم تقسيم الفصل على مباحث ثلاثة:

- المبحث الأول: تعريف التحريف والأقوال الواردة فيه.
- المبحث الثاني: الأدلة النقلية والعقلية في إثبات عدم تحريف القرآن.
- المبحث الثالث: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في صيانة القرآن من التحريف.

(١) ينظر مثلاً: الصغير، محمد حسين: المستشرقون والدراسات القرآنية، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ١٩٩٩م): ١٤-١٥

**المبحث الأول: تعريف التحريف والأقوال الواردة فيه.**

نحاول في هذا المبحث التعرف على المراد من التحريف، وأقوال العلماء والمفسرين في بيان ذلك؛ لنكون على بينة عند دراسة الآيات والروايات التي ورد فيها مصطلح التحريف.

- قال "الراغب الأصفهاني" (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م): ((تحريفُ الكلامِ أنْ تجعلهُ على حرفٍ من الاحتمالِ يمكنُ حملهُ على الوجهينِ، قال عز وجل: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾[١])). [٢]

- قال "الطريحي" (ت١٠٨٥هـ/١٦٧٤م): ((حرفُ كُلِّ شيءٍ طرفُهُ وشفيرُهُ وحدُّهُ، وتحريفُ الكلامِ تغييرُهُ عن مواضعهِ، ومنه التجاوزُ على كلامِ اللهِ تعالى ورسولهِ فيحرفونَهُ عن المعنى المرادِ له)). [٣]

يرى الباحث من خلال ما تقدم ٱتِّضاح أمرين مهمين ينبغي بيانهما:

١- إنَّه مما لا خلاف في وضوح معناه عند العرب، فهو –إجمالاً– تبديل المعنى إلى غير مراد المتكلم، من دون تغييرِ اللفظ، وقد ٱستشهد أغلب اللغويين بقوله تعالى في بيان صفة اليهود وتعاملهم مع كتابهم التوراة: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾، وهذا يدل على الانطباق أو التقارب التام بين اللغة والاصطلاح، فقد قال "الفراهيدي"

---

(١) سورة البقرة: الآية ٧٥

(٢) الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م): ١١٩ (حرف).

(٣) فخر الدين بن محمد علي: مجمع البحرين ومطلع النيرين، تح: السيد أحمد الحسيني (الناشر: مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ط٢، ١٤٠٨هـ) ١/٤٩٠ (حرف).

(ت١٧٠هـ/٧٨٦م) عند بيانه لمعنى الحرف: ((والتحريفُ في القرآنِ تغييرُ الكلمةِ عن معناها، وهي قريبةُ الشَّبه، كما كانت اليهودُ تُغَيِّرُ معاني التَّوْراةِ بالأشباهِ، فوصَفَهَمُ اللهُ بفعلِهم فقال: ﴿يُحَرِّفونَ الكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ﴾[1])). [2]

٢- إنَّ الزيادة والنقصان في كلمات وحروف وحركات القرآن الكريم لا علاقة له بالتحريف بعد بيان تعريفه المتقدم، وإنما ذكره العلماء من جهة التأكيد على صيانة القرآن من كُلِّ ذلك، لا من جهة أنَّ التحريف يطلق على الزيادة والنقصان [3]؛ لأنَّهما متعلقان باللفظ وليس بالمعنى، وإنْ كانت للزيادة والنقيصة أثر واضح في تبديل المعنى وتغييره، فلو أطلقنا التحريف بأنه متعلق باللفظ من حيث الزيادة والنقيصة لاشتمل ذلك القراءات القرآنية المختلفة، وعُدَّت تحريفًا لكتاب الله تعالى، وهذا غير صحيح مطلقًا، وسوف نبينه في صفحات هذا الفصل.

ولكن بعد تتبع ما ورد من أقوال العلماء في بيان حقيقة "التحريف" وٱستقرائه نرى أنهم على مذاهب ثلاثة:

- الأول: إطلاقه على تحريف المعنى وتغييره من دون تغيير اللفظ وقد تقدم.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٣

(٢) الخليل بن أحمد: العين، تح: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، تص: أسعد الطيّب (مط أسوة، قم، ط٢، ١٤٢٥هـ) مادة (حرف).

(٣) وقد قال الشيخ "محمد هادي معرفة": ((أما التحريف بمعنى الزيادة أو النقصان أو تبديل الكلم إلى كلمات غيرها –الذي هو معنى ٱصطلاحي– فلم يعهد ٱستعماله في القرآن حسبما عرفت)). التمهيد في علوم القرآن ٢٤/٨ ، ولكننا لا نعلم كيف تم إطلاق التحريف بالمعنى الاصطلاحي على الزيادة والنقصان وقد رأينا كلمات الأعلام تتناول إما المعنى، أو اللفظ، أو كلاهما على ٱختلاف بينهم.

– الثاني: إطلاقه على تحريف اللفظ دون المعنى، وهذا ما ذهب إليه "الشريف الجرجاني" إذ قال: ((فالتحريف هو تغييرُ اللفظِ دونَ المعنى)). [١]

– الثالث: إطلاقه على تحريف اللفظ والمعنى [٢]، وهذا ما ذكره عدد من المفسرين في تفاسيرهم، قال الشيخ "الطوسي" (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م): ((فالتحريفُ يكونُ بأمرين: بسوءِ التأويلِ، وبالتغييرِ والتبديلِ، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ﴾[٣])) [٤]، فسوء التأويل إشارة إلى تحريف المعنى عن مراد الله تعالى، والتغيير والتبديل إشارة إلى تحريف اللفظ وتبديله عما أُنزل.

وأما أهم الأقوال الواردة في التحريف فيمكن جمعها في ستة، كما فصل فيها السيد "الخوئي" (ت١٤١٣هـ/١٩٩٢م) في كتابه "البيان في تفسير القرآن" ، إذ

(١) علي بن محمد: التعريفات، (الخيرية، مصر، ط١، ١٣٠٦هـ): ٢٤

(٢) لأجل هذا الإطلاق على اللفظ والمعنى نرى أنَّ الباحثين المتأخرين عند بيانهم لمعنى التحريف يقسمونه على قسمين: التحريف اللفظي والتحريف المعنوي، ثم يذكرون مصاديق كُلِّ قسم منهما. ينظر: جعفريان، رسول: أكذوبة تحريف القرآن بين السنة والشيعة، (مط سبهر، طهران، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م): ٨ ، الكعبي، علي موسى: سلامة القرآن من التحريف، (ستارة، قم، الناشر: مركز الرسالة، ط٢، ١٤٢٦هـ): ٩

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧٨

(٤) محمد بن الحسن: التبيان في تفسير القرآن، تح و تص: أحمد حبيب قصير العاملي، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ) ٣/٤٧٠، وينظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، تح: لجنة من العلماء والمحققين، تق: السيد محسن الأمين العاملي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م) ٣/٢٩٨

يقول: ((يطلقُ لفظُ التحريفِ ويرادُ منه عدةُ معانٍ على سبيلِ الاشتراك... وإليك تفصيل ذلك:

– الأول: نقلُ الشيءِ عن موضعهِ وتحويلُهُ إلى غيرهِ، ومنه قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَواضِعِه﴾.

– الثاني: النقصُ أو الزيادةُ في الحروفِ أو في الحركاتِ مع حفظِ القرآنِ وعدمِ ضياعهِ، وإنْ لم يكنْ متميزًا في الخارجِ عن غيرهِ.

– الثالث: النقصُ أو الزيادةُ بكلمةٍ أو كلمتينِ، مع التحفُّظِ على نفسِ القرآنِ المنزلِ.

– الرابع: التحريفُ بالزيادةِ والنقيصةِ في الآيةِ والسورةِ مع التحفُّظِ على القرآنِ المنزلِ، والتسالمِ على قراءةِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إياها.

– الخامس: التحريفُ بالزيادةِ، بمعنى أنَّ بعضَ المصحفِ الذي بأيدينا ليسَ من الكلامِ المنزل.

– السادس: التحريف بالنقيصة، بمعنى أنَّ المصحفَ الذي بأيدينا لا يشتملُ على جميعِ القرآنِ الذي نزلَ من السماءِ، فقد ضاعَ بعضُهُ على الناسِ)). [1]

إنَّ هذه الموارد الستة التي ذكرها السيد "الخوئي" هي خلاصة جميع الأقول الواردة في المسألة وعصارتها، وقد نفى ورود جميع ذلك في المصحف الموجود بين أيدينا بأدلة عقلية ونقلية سوف نذكر بعضها في مبحثٍ لاحقٍ [2]، ولكننا لو تأملنا فيما ذكره لرأينا أنَّ ما ورد في الفقرة الأولى هو ما يتعلق بالتحريف

(١) البيان في تفسير القرآن، (مط العمال المركزية، بغداد، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م، د.ط): ٢١٣–٢١٦ ، وينظر: محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن ٨/١٩–٢٢

(٢) ينظر: المبحث الثاني ص٥٣–٦٢

من جهة المعنى فقط من دون سواه، وأما الفقرات الخمسة اللاحقة فكلها تتعلق بالتحريف من جهة اللفظ.

بناءً على ما تقدم من الأقوال فإننا نرى أنَّ ما يتعلق بالقول الأول فإنَّ هذا النوع من التحريف يشمل على حمل اللفظ على غير معناه المراد من الله تعالى، وتفسيره بما يلائمه وقد ذكره المفسرون في تفاسيرهم، وأما ما يتعلق بالقول الثاني وعلاقته بالقراءات القرآنية وٱختلافها فبناءً على أنَّ التحريف يشمل تغيير اللفظ وليس المعنى، أو أنه يطلق عليهما معًا فيمكن القول بأنَّ القراءات هي أحد أنواع التحريف؛ لأنَّ تلك القراءات غير متواترة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنما هي ٱجتهادات القُرَّاء أنفسهم، ولا علاقة لها بالأحرف السبعة كما ٱدُّعي [1]، وأما ما يتعلق بالقول الثالث فإنه يشمل أيضًا القائلين بأنَّ التحريف له علاقة باللفظ، أو بهما معًا، وهذا النوع قد حصل عند المسلمين وٱختلافهم في نقل بعض الكلمات التي ٱشتبهوا بأنها من القرآن وهي ليست منه [2]؛ لذا قام "عثمان بن عفان"

(١) للتفصيل ينظر: عماد موسى محمود، السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني وجهوده في علوم القرآن –القراءات القرآنية دراسة وتحقيق–: ٤٤–٤٨

(٢) للتفصيل ينظر: الزركشي، محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٠هـ٢٠٠٩م، د.ط) ٢/٢٤–٢٦ ، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مط العصرية، بيروت، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، د.ط) ٣/٧٢–٧٧ ، محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن ٨/١٣٧–١٥٥ ، الطباطبائي: محمد حسين بن محمد: الميزان في تفسير القرآن، تص: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ١٩٩٧م) ١٤/١١١–١١٣ ، الخوئي، أبو القاسم بن علي أكبر: البيان في تفسير القرآن، (مط العمال المركزية، بغداد، ١٤١٠هـ١٩٨٩م، د.ط): ٢١٨–٢٢٣ ،

بتوجيه المسلمين كما روي على مصحف واحدٍ وأرسله إلى الأمصار ليقرؤوا عليه –وهو الموجود بين أيدينا اليوم– وقام بحرق المصاحف الأخرى التي تخالف المصحف الإمام، وأظن أنَّ هذا ما دعا "آبن أبي داود السجستاني" (ت٣١٦هـ/٩٢٨م) إلى تأليف كتابه "المصاحف" [١]، وأما القول الرابع الذي يشمل التحريف باللفظ أيضًا، وقد وقع الخلاف فيه بين المسلمين في آية واحدة على الرغم من آتفاقهم على القرآن كُلِّه، وهذا الاختلاف قد حصل في البسملة، وقد فصَّل العلماء الحديث في ذلك، وأنَّ مذهب أهل البيت (عليهم السلام) على أنها جزء من القرآن الكريم [٢]، فالاختلاف حقيقة هو فقهي، وليس قرآنيًا، وأما القول الخامس الذي يشمل التحريف باللفظ أيضًا، فإننا من خلال آستقراء كلمات

---

العسكري، مرتضى بن محمد إسماعيل: القرآن الكريم وروايات المدرستين، (إيران، ط٣، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م، د.مط) ٢/٩٧-١١٢ ، العاملي، جعفر مرتضى: حقائق هامة عن القرآن الكريم، (مط مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، د.ت): ص٣٢٥-٣٦٧ وغيرها من المصادر التي ذكرت الروايات الواردة في ذلك في كتب الحديث والمسانيد، وما ورد تحت عنوان (نسخ التلاوة).

(١) فقد ذكر مصاحف عشرة من مصاحف الصحابة وما ورد من الاختلاف في بعض قراءاتها، وأحد عشر مصحفًا من مصاحف التابعين كذلك. للتفصيل ينظر: السجستاني، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث، دراسة وتحقيق: الدكتور محب الدين عبد السبحان واعظ، (دار البشائر، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م) ٢/٢٢٩

(٢) للتفصيل ينظر: العلامة الحلي، الحسن بن يوسف: تذكرة الفقهاء، تح: مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث، (مهر، قم، ط١، ١٤١٤هـ) ٣/١٥٢-١٥٣ ، النراقي، أحمد بن محمد مهدي: مستند الشيعة في أحكام الشريعة، تح: مؤسسة آل البيت "عليهم السلام"، (مط ستارة، قم، ط١، ١٤١٥هـ) ٥/٨٠ ، الغروي، محمد: فقه السنة وفقه الشيعة، (دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م) ١/١٨٦-١٨٧

القائلين بالتحريف كلهم لم نَرَ أحدًا منهم يقول بزيادة أي كلمةٍ أو حرفٍ في القرآن الموجود بين الدفتين، وأما القول السادس فهو الذي وقع الاختلاف فيه، بين قائلٍ به، ونافٍ له، وما هو إلا مزاعم، أو أهواء، أو سوء تفسير للروايات، وهو ما يجب علينا تنزيه الكتاب منه، من خلال الأدلة القائمة على ذلك.

إنَّ العلماء المحققين على الرغم من ٱختلافهم في بيان حقيقة ٱنطباق التحريف على اللفظ، أو المعنى، أو كليهما، فقد ٱتفقوا على صيانة كتاب الله تعالى من تلاعب المُندسِّين وتحريفهم له، كما فعلته الأمم السالفة بكتب أنبيائهم، بل عُدَّ ذلك من وجوه الإعجاز القرآني [(١)]، وتلك الأقوال قد ملأت بطون الكتب منذ أكثر من قرن وليومنا هذا، إلا مَنْ شَذَّ من الأمة بأقوال لا ٱعتبار لها سوى التشكيك بنزاهة الكتاب وقدسيته، أو الانحياز لمذهب أو فكرة يؤمن بها فينتصر لأجلها وإنْ كان على حساب الإساءة للقرآن، أو الرجوع إلى روايات غير صحيحة وغير ذلك، ولأهمية كتاب الله تعالى وعظمته عند المسلمين لكونه كلام الخالق ووحيه ومصدر التشريع الإسلامي ومعجزته الخالدة نحاول بصفحات ذكر كلمات أعلام المسلمين ومحققيهم في صيانة القرآن بإيجاز؛ لئلا يبقى عذر لأحدٍ بالقول: إنَّ المسلمين مختلفون في تنزيه كلام ربهم، ولاسيما المستشرقين منهم [(٢)]، بعد تثبيت كلمات أعلامهم ومحققيهم.

---

(١) ينظر: القاضي عياض، أبو الفضل: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ١٩٨٨م، د.ط) ١/٢٧٥

(٢) للتفصيل ينظر: الشمري، رباح صعصع عنان: جمع القرآن الكريم عند المستشرقين –جون جلكريست إنموذجًا–، (جامعة الكوفة / كلية الفقه، رسالة ماجستير غير منشورة، ٢٠١٤): ١١٦ ، وما قال المستشرق "نولدكه": ((إنه مما لا شكَّ فيه أنَّ فقراتٍ من القرآنِ

١- قال الشيخ "الصدوق" (ت٣٨١هـ/٩٩٠م): ((اعتقادنا في القرآنِ أنَّهُ كلامُ اللهِ، ووحيُهُ، وتنزيلُهُ، وقولُهُ، وكتابُهُ، وأنَّهُ لا يأتيهِ الباطِلُ من بينِ يديهِ ولا من خلفِهِ، وهو الذي أنزلهُ على نبيِّهِ محمدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) هو ما بين الدفَّتينِ، وهو ما في أيدي الناسِ، ليس بأكثرَ من ذلكَ، ومبلغُ سورهِ عندَ الناسِ مئةٌ وأربعَ عشرةَ سورةً، ومَنْ نسبَ إلينا أنَّا نقولُ إنه أكثرُ من ذلكَ فهو كاذبٌ)).[١]

٢- روي عن "الشريف المرتضى" (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م) قوله: ((إنَّ العلمَ بصحةِ نقلِ القرآنِ كالعلمِ بالبلدانِ، والحوادثِ الكبارِ، فإنَّ العنايةَ اشتدتْ، والدواعي توفرتْ على نقلهِ وحراستهِ، وبلغتْ إلى حدٍّ لم يبلغْهُ في ما ذكرناه .... حتى عرفوا كُلَّ شيءٍ اختُلِفَ فيه من إعرابهِ وقراءتهِ وحروفهِ وآياتهِ، فكيف يجوز أنْ يكون مغيَّرًا أو منقوصًا مع العنايةِ الصادقةِ والضبطِ الشديدِ)).[٢]

٣- قال الشيخ "الطوسي" (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م): ((إنَّ العلمَ بتفصيلِ القرآنِ وأبعاضهِ في صحةِ نقلهِ كالعلمِ بجملتهِ، وجرى ذلك مجرى ما عُلِمَ ضرورةً من الكتبِ المصنَّفةِ ككتابَي سيبويه والمزني[٣]، فإنَّ أهلَ العنايةِ بهذا الشأنِ يعلمونَ من

---

ضاعتْ .... إنَّ القرآنَ غيرُ كاملِ الأجزاءِ)). الصغير: المستشرقون والدراسات القرآنية: ٢٤ وغيرهما من المستشرقين، على الرغم من وجود بعض المنصفين منهم.

(١) محمد بن علي: الاعتقادات، تح: عصام عبد السيد، (دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ): ٨٣-٨٤

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن ١/٤٣

(٣) وهما "كتاب سيبويه" لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي (ت١٨٠هـ/٧٩٦م) في النحو، وكتاب "الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي" لأبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المصري المزني (ت٢٦٤هـ/٨٧٨م).

تفصيلِها ما يعلمونهُ من جملتِها .... إنَّ القرآنَ كانَ على عهدِ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) مجموعًا مؤلَّفًا على ما هو عليهِ الآن)). (١)

٤- قال الشيخ "محمد حسين آل كاشف الغطاء" (ت١٣٧٣هـ/١٩٥٤م): ((وإنَّ الكتابَ الموجودَ في أيدي المسلمينَ هو الكتابُ الذي أنزلَهُ اللهُ إليهِ للإعجازِ والتحدي، ولتعليمِ الأحكامِ، وتمييزِ الحلالِ من الحرامِ، وإنه لا نقصٌ فيهِ، ولا تحريفٌ، ولا زيادةٌ، وعلى هذا إجماعُهم .... والأخبارُ الواردةُ من طرقِنا أو طرقِهم الظاهرةُ في نقصهِ، أو تحريفهِ، ضعيفةٌ شاذةٌ، وأخبارُ آحادٍ لا تفيدُ علمًا ولا عملاً، فإما أنْ تؤوَّلَ بنحوٍ من الاعتبارِ، أو يُضْرَبَ بها الجدارُ)). (٢)

٥- قال السيد "الخوئي" (ت١٤١٣هـ/١٩٩٢م): ((المعروفُ بينَ المسلمينَ عدمُ وقوعِ التحريفِ في القرآنِ، وأنَّ الموجودَ بأيدينا هو جميعُ القرآنِ المنزلِ على النبيِّ الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد صَرَّحَ بذلكَ كثيرٌ من الأعلام، منهم رئيسُ المحدثينَ الصدوقُ محمدُ بن بابويه، وقد عَدَّ القولَ بعدمِ التحريفِ من معتقداتِ الإماميةِ ... وجملةُ القولِ: إنَّ المشهورَ بينَ علماءِ الشيعةِ ومحققيهِم، بل المتسالمُ عليهِ بينهم هو القولُ بعدمِ التحريفِ)). (٣)

هذه مجموعة موجزة من أقوال علماء أتباع أهل البيت (عليهم السلام) تتعلق بصيانة القرآن من التحريف والزيادة والنقصان (٤)، وقد ذكر السيد هبة الدين

---

(١) التبيان في تفسير القرآن ٣/١

(٢) أصل الشيعة وأصولها، تح: علاء آل جعفر، (ستاره، قم، ط١، ١٤١٥هـ): ٢٢٠

(٣) البيان في تفسير القرآن: ٢١٧

(٤) لقد ذكر الباحث أقوال خمسة من كبار علماء الطائفة ومحققيها، فكان الرأي واحدًا لا آختلاف فيه، آبتداء من القرن الرابع الهجري منذ زمن الغيبة للإمام المعصوم (عليه السلام)

الشهرستاني (قده) أقوال بعض الأعلام الأصوليين المتأخرين الذين ناقشوا ذلك في بحث حجية الكتاب. [١]

وأما ما ورد من كلمات جمهور المسلمين في ذلك فنذكر منها:

١- قال "الباقلاني" (ت٤٠٣هـ/١٠١٢م): ((والذي نذهب إليه في ذلك، القولُ بأنَّ جميعَ القرآنِ الذي أنزلَهُ اللهُ عز وجل وأَمرنا بإثباتِ رسمِهِ، ولم ينسخْهُ ويرفَعْ تلاوتَهُ بعد نزولِهِ، هو هذا الذي بينَ الدفتينِ، الذي حواهُ مصحفُ "عثمانَ" رضي اللّه عنه، وأنَّهُ لم يُنْقَصْ منهُ شيءٌ، ولا زِيدَ فيهِ)). [٢]

٢- قال "الزمخشري" (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م): ((وهو حافظُهُ [للقرآن] في كُلِّ وقتٍ من كُلِّ زيادةٍ، ونقصانٍ، وتحريفٍ، وتبديلٍ)). [٣]

---

إلى القرن الخامس عشر الهجري؛ لنؤكِّدَ من خلال هذا التنوع الزمني على وحدة المنهج والقول تجاه كتاب الله تعالى من محققي الإمامية، ويكون في ذلك رَدٌّ على مَنْ يرميهم بتحريف القرآن ظلمًا وافتراءً.

وقد فصل القول الشيخ "محمد هادي معرفة" في ذكر علماء الطائفة الذين وثَّق التأريخ كلماتهم بصيانة القرآن من التحريف، فذكر كلمات اثنين وعشرين عالماً من أعلام الطائفة. ينظر: ٨/٥٥-٧٢ ، وينظر: الميلاني، علي الحسيني: التحقيق في نفي التحريف، (مط ظهور، قم، ط٣، ١٤٢٦هـ): ١٦-٣٠ وغيرهما

(١) ينظر: مخطوط رؤوس الدروس ٢/١٤٧-١٤٨

(٢) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب: الانتصار للقرآن، تح: د. محمد عصام القضاة، (الناشر: دار الفتح، عمان، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م) ١/٥٩ ، وينظر: الباقلاني: إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، (دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت): ١٨

(٣) تفسير الكشاف ٢/٥٣٦

٣- قال "الفخر الرازي" (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م): ((قالَ أصحابُنا: وفي هذهِ الآيةِ [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] دلالةٌ قويةٌ على كونِ التسميةِ آيةً من أولِ كُلِّ سورةٍ؛ لأنَّ اللهَ تعالى قد وعدَ بحفظِ القرآنِ، والحفظُ لا معنًى له إلا أنْ يبقى مصونًا من الزيادةِ والنقصانِ)). (١)

٤- قال "أبو حيان الأندلسي" (ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م): ((في كُلِّ وقتٍ تكفَّلَ تعالى بحفظه [القرآن]، فلا يعتريهِ زيادةٌ ولا نقصانٌ، ولا تحريفٌ ولا تبديلٌ)). (٢)

٥- قال "الآلوسي" (ت١٢٧٠هـ/١٧٩٢م): ((﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي من كُلِّ ما يقدحُ فيهِ كالتحريفِ والزيادةِ والنقصانِ وغيرِ ذلكَ، حتى أنَّ الشيخَ المهيبَ لو غيَّرَ نقطةً يردُّ عليهِ الصبيانُ ويقولُ لَهُ مَنْ كانَ: الصوابُ كذا)). (٣)

إنَّ هذه الكلمات وما تقدم تدلُّ صراحة على عظمة كتاب الله تعالى من أنْ تناله أيدي التحريف والتلاعب فيه، فصارت الأجيال تتناقله جيلاً بعد جيلٍ، بل أحصوا كلماته وحروفه فضلاً عن سوره وآياته وتفصيل ما يتعلق به (٤)، فجميع الدراسات القرآنية تثبت هذه الحقيقة الإلهية الإعجازية في حفظ كتابه السماوي، الذي هو خاتم الرسالات من تحريفه، وذلك من خلال عنايته تعالى ورعايته لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتهيئة حفظة إليه، لأننا نعتقد وفقًا لواقع نزول القرآن

(١) التفسير الكبير ١٩/١٢٣

(٢) البحر المحيط ٥/٤٣٥

(٣) الآلوسي، محمود شكري: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت) ١٤/١٦

(٤) للتفصيل ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن ١/١٧٧ ، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ١/١٨٤

وعناية النبي بتدوينه وترتيب آياته وسوره والأحاديث الـواردة في فـضل تلاوتـه وحفظه والرجوع إليه تدل على سلامته من التحريف، وفي دراسة حديثة ورد القول: ((فالظروفُ التي أحاطتْ بنزولِ القرآنِ الكريمِ تقتضي سلامتَهُ من مزعومةِ التحريفِ؛ لأنَّ الرسولَ الأعظمَ (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يأمرُ بتدوينِ النصِّ القرآنيِّ أوَّلاً بأوَّلٍ، وقد اتَّخذَ كُتَّابًا يكتبونَ الوحيَ حينَ نزولهِ، وكانَ (صلى الله عليه وآله وسلم) يشرفُ بنفسهِ علىٰ وضعِ كُلِّ آيةٍ في موضعِها من السورةِ، ولم يكتفِ بذلكَ، بل كانَ يأمرُ باستظهارِ القرآنِ الكريمِ وتعلُّمِهِ لينضمَّ الاستظهارُ إلىٰ التدوينِ في حفظِ القرآنِ الكريمِ وسلامتهِ)). [1]

(١) الكعبي: سلامة القرآن من التحريف: ٥

**المبحث الثاني: الأدلة النقلية والعقلية في إثبات عدم تحريف القرآن.**

إنَّ قول محققي الإمامية وغيرهم بصيانة القرآن من التحريف ليس مجرد كلام للدفاع عن كتاب الله تعالى مجردًا عن العقيدة الثابتة، بل المستندة إلى الأدلة التي تثبت ذلك، فقد ذكروا أدلة نقلية وعقلية متعددة تمنع التحريف للقرآن، ونحاول في هذا المبحث ذكرها إجمالاً لتتم الحجة البالغة في الدفاع عن المعجزة الخالدة للإسلام، ويتم الرد بذلك على تلك الأقاويل والشبهات التي حاول بعض التشبث بها من أجل تحقيق دعواهم، وإنَّ المتتبع لكلمات الأعلام القدامى والمحدثين ليرى قوة تلك الاستدلالات على أقوالهم، سواء كانت النقلية أم العقلية.

**– الأدلة النقلية:**

*** أولاً: القرآن الكريم.**

إنَّ الاستدلال بالقرآن الكريم من أهم الأدلة في إثبات صيانة كتاب الله تعالى من التحريف، ونذكر في ذلك آيتين عظيمتين من الآيات المباركة التي تدل على تعاهد الله عزوجل بحفظه.

**١ – قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.** (١)

إنَّ هذه الآية المباركة من الآيات الصريحة بأنَّ الله تعالى قد تعهد بحفظ القرآن وصيانته من أيدي التحريف، وحفظه من الزيادة والنقصان، وقد ذكر المفسرون هذا المعنى في تفاسيرهم.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩

قال الشيخ "الطبرسي": ((ثم زادَ سبحانَهُ في البيانِ فقال: ﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ أي القرآن، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ عن الزيادةِ والنقصانِ، والتحريفِ والتغييرِ عن قتادةَ وٱبنِ عباس، ومثلُهُ ﴿لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [1]، وقيل: معناهُ متكفِّلٌ بحفظِهِ إلى آخرِ الدهرِ على ما هو عليهِ، فتنقلهُ الأمةُ وتحفظهُ عصرًا بعدَ عصرٍ إلى يومِ القيامةِ، لقيامِ الحجةِ به على الجماعةِ من كُلِّ مَنْ لزمتهُ دعوةُ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الحسن)). [2]

إنَّ كلامه يوضَّح جليًّا تواتر نقل القرآن الكريم بين المسلمين يدًا عن يد، وهذا ما فيه من التواتر مما لا يوجد في أي مسألة غيره.

قال "الفيض الكاشاني" (ت١٠٩١هـ/١٦٨٠م): ((﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ ردٌّ لأنكارِهم وٱستهزائِهم؛ ولذلكَ أكَّدَهُ من وجوهٍ، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من التحريفِ، والزيادةِ، والنقصانِ)). [3]

وقال السيد "الطباطبائي": ((فالآيةُ تدلُّ على كونِ كتابِ الله محفوظًا من التحريفِ بجميعِ أقسامِهِ، من جهةِ كونهِ ذكرًا لله سبحانَهُ، فهو ذِكْرٌ حيٌّ خالدٌ، ونظيرُ

(١) سورة فصلت: الآية ٤٢

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠٥/٦

(٣) محمد محسن: تفسير الصافي، تص و تع و تق: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢) ١٠٢/٣ ، إنَّ الشيخ قد ذكر ذلك في تفسير الآية المباركة، وفي مقدمة تفسيره أقوال العلماء المحققين من الأصوليين في نفي التحريف، وأقوال الأخباريين في وقوع التحريف أو ٱحتمال وقوعه. للتفصيل ينظر: ٤٠/١-٥٥

الآيةِ في الدلالةِ على كونِ الكتابِ العزيزِ محفوظًا بحفظِ اللهِ مصونًا من التحريفِ والتصرُّفِ بأيِّ وجهٍ كانَ)). [١]

فهذه مجمل كلمات المفسرين من أتباع أهل البيت (عليهم السلام) في الاستدلال بالآية المباركة على صيانة كتاب الله تعالى من التحريف، وكذلك قول غير المفسرين كالفقهاء والأصوليين والنحويين وغيرهم [٢]، وأما في تفاسير العامة فقد تقدمت كلماتهم في ذلك.

وفي الآية كذلك دلالات بلاغية تؤكد حفظ الله تعالى لكتابه المجيد فقد ورد في ذلك: ((فأكَّدَ تنزيلَ القرآنِ من لدنهُ بـ(إنَّ) في أولِ الأمرِ، ثم بالضميرِ (نحن) بعد ذلك، ليقررَ أنه هو المنزِّلُ لهذا الكتابِ المبينِ، والموحي به إلى عبدهِ الأمينِ، ثم أكدَ حفظَهُ من التحريفِ والتبديلِ بقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، فأكَّدَ الكلام هنا بـ(إنَّ) و(اللام) ليقررَ هذا المعنى، ويؤكِّدهُ في الأذهانِ)). [٣]

٢- قال تعالى: ﴿لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. [٤]

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ١٤/٩٩-١٠٠

(٢) للتفصيل ينظر: مير محمدي: بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، (دار التعارف، بيروت، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، د.ط): ٣١٦ ، الميلاني، علي: التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف: ٣٨ ، السبحاني، جعفر: المناهج التفسيرية في علوم القرآن، (دار الولاء، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ٢٠٠٥م): ٢١٢-٢١٥ وغيرها من المصادر.

(٣) الزيدي: گاصد ياسر و آبتهال گاصد: علوم القرآن والتفسير، (النماء، بغداد، ط١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م): ١٥

(٤) سورة فصلت: الآية ٤٢

قال "الطبري" (ت٣١٠هـ/٩٩٢م): ((حَدَّثنا بشر، قال: حَدَّثنا يزيد، قال: حَدَّثنا سعيد، عن قتادة ﴿لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ الباطل: إبليس لا يستطيعُ أنْ ينقصَ منه حقًّا، ولا يزيدُ فيهِ باطلاً. وقالَ آخرون: معناه أنَّ الباطلَ لا يطيقُ أنْ يزيدَ فيهِ شيئًا من الحروفِ ولا ينقصَ منهُ شيئًا منها. وحدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ قال: الباطلُ هو الشيطانُ لا يستطيعُ أنْ يزيدَ فيهِ حرفًا، ولا ينقصَ.

وأَوْلَى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أنْ يقال: معناهُ لا يستطيعُ ذو باطلٍ بكيدهِ تغييرَهُ بكيدهِ، وتبديلَ شيءٍ من معانيهِ عما هو به، وذلكَ هو الإتيانُ من بين يديه، ولا إلحاقَ ما ليسَ منه فيه، وذلك إتيانهُ من خلفهِ)). [١]

إنَّ هذا القول من "الطبري" صريح في حفظ القرآن من قبل الله تعالى من أي تحريف يمكن أنْ يلحق به سواء من الشيطان أم من غيره، وقوله: ((ولا إلحاق ما ليس منه فيه)) كلام دقيق، وفي دلالة ظاهرة على صيانة كتاب الله تعالى.

ذكر الشيخ "الطوسي" في تفسير الآية أقوالاً خمسة تشابه ما ورد من الروايات التي ذكرها الطبري في صيانة القرآن من الباطل والتغيير والتبديل. [٢]

قال "الزمخشري": ((مثلٌ كأنَّ الباطلَ لا يتطرَّقُ إليهِ، ولا يجدُ إليهِ سبيلاً من جهةٍ من الجهاتِ، حتى يصلَ إليه ويتعلقَ به)). [٣]

---

(١) الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، تح وتع: محمود محمد شاكر، (دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م) ٢٣/٤٩٦-٤٩٧

(٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٦/٣٢٠

(٣) تفسير الكشاف ٤/٢٠٧

من خلال ما تقدم من أقوال المفسرين لهاتين الآيتين نرى بوضوح إجماع المفسرين الذين تقدَّمَت أقوالهم على صيانة كتاب الله تعالى من التحريف والتغيير والتبديل، وأنَّ الله تعالى قد تكفَّل بحفظه، وقد أقتصرنا على هاتين الآيتين لدلالتهما الصريحة على صيانة الكتاب من التحريف بإيجاز، وقد أستعرض الباحثون فضلاً عن المفسرين آيات أخرى تدل على ذلك. (١)

* ثانيًا: السنة الشريفة.

تناولت السنة الشريفة صيانة كتاب الله تعالى باعتناء بالغٍ من خلال الروايات الشريفة الواردة عن النبي والأئمة (عليهم السلام)، والتي تدلُّ بألفاظها، أو بمضمونها على صيانة كتاب الله تعالى من التحريف، ووجوب رجوع الأمة إليه في أحكامها وتشريعاتها، وقد أشتملت الموسوعات الحديثية على تلك الروايات المباركة، نحاول بإيجاز ذكر حديثين منها؛ لنكون على بينة من مَصْدَرَي التشريع الإسلامي في بيان ذلك.

(١) للتفصيل ينظر: محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن ٣٩/٨-٤٩ ، الميلاني: التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف: ٣٧-٣٨ ، الشريفي، محمود: أسطورة التحريف دراسة في مسألة التحريف عند الشيعة والسنة، إشراف: الشيخ محمد هادي معرفة، (د.مط، د.م، د.ط، د.ت): ٢٩-٤٠ ، الكعبي: سلامة القرآن من التحريف: ١٤-١٥

١ – روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إنِّي تاركٌ فيكُمُ الثقلينِ كتابَ اللهِ وعترتي أهلَ بيتي، ما إنْ تمسَّكتُمْ بهما لن تضلوا بعديَ أبدًا)). [١]

فالحديث ظاهر بدلالة ألفاظه على أنَّ الهداية وعدم الضلالة مشترط بأمرين وهما: القرآن والعترة، فلو لم يكن القرآن منزَّهًا من كُلِّ تحريف بما أتى به من عند الله تعالى لما جُعِلَ أول أسباب الهداية والفلاح، ولو قيل أنه حُرِّفَ بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) وليس في حياته، فهذا غير معقول أنَّ يكون النبي يعلم بأنَّ أمته سوف يكون بإمكانها تحريف القرآن والزيادة والنقيصة فيه ويأمرهم بعد ذلك إلى التمسك به مطلقًا وهو الحامي الأول عن الوحي المبين. [٢]

وذكر السيد "الخوئي" في بيان ما يتعلق بذلك: والاستدلال بها [أخبار الثقلين] على عدم التحريف في الكتاب يكون من ناحتين: ((إنَّ القولَ بالتحريفِ يستلزمُ عدمَ وجوبِ التمسكِ بالكتابِ لاحتمالِ تحريفهِ، وإنَّ التحريفَ يقتضي سقوطَ الكتابِ عن الحجيةِ)). [٣]

وقال السيد "الميلاني": ((وهذا يقتضي أنْ يكونَ القرآنُ الكريمُ مدوَّنًا في عهدهِ "صلى الله عليه وآله وسلم" بجميعِ آياتهِ وسورهِ حتى يصحَّ إطلاقُ اسمِ الكتابِ عليهِ، كما أنَّهُ يقتضي بقاءَ القرآنِ كما كانَ عليهِ على عهدهِ إلى يومِ القيامةِ؛

(١) الكليني: الكافي ٤١٥/٢ باب (أدنى ما يكون به العبد مؤمنًا أو كافرًا أو ضالاً) الحديث ٢ ، الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين، (دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت) ١١٠/٣

(٢) للسيد "هبة الدين الشهرستاني" كلام حول الاستدلال بحديث الثقلين على صيانة القرآن من التحريف سوف نذكره في باب التحقيق، الفصل الأول، المبحث الثاني: ٢٠٧

(٣) للتفصيل ينظر: البيان في تفسير القرآن: ٢٢٧–٢٣١

لتتمَّ به الهدايةُ الأبويةُ للأمةِ الإسلاميةِ والبشريةِ جمعاءَ، ما داموا متمسكينَ بهما)).[١]

٢- روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ما جاءكُمْ عنِّي يوافقُ كتابَ اللهِ فأنا قلتهُ، وما جاءَكُمْ يخالفُ كتابَ الله فلم أَقُلْهُ)). [٢]

إنَّ هذا الحديث الشريف يؤكِّدُ وحدة المنهج وتماسكه بين القرآن والسنة، وعدم مخالفة أحدهما في الدعوة للآخر، فلا يمكن أنْ تكون الأحاديث الشريفة الواردة عنهم تخالف مبدأ قرآنيًّا مطلقًا؛ لأنهما مصدرا التشريع الإسلامي إلى يوم القيامة، وهذا يدلُّ على عدم تعرضه للتحريف ليبقى خالدًا في تشريعاته، وفي هذا الصدد ما يروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) في وحدة التشريع وخلوده قوله: ((إذا وردَ عليكُمْ حديثانِ مختلفانِ، فاعرضوهُما على كتابِ اللهِ، فما وافقَ كتابَ اللهِ فخذوهُ، وما خالفَ كتابَ اللهِ فردُّوهُ)). [٣]

قال "الكعبي": ((وهذهِ القاعدةُ تتنافى تمامًا مع ٱحتمالِ التحريفِ في كتابِ اللهِ؛ لأنَّ المعروضَ عليهِ يجب أنْ يكونَ مقطوعًا به؛ لأنَّهُ المقياسُ الفارِقُ بين الحقِّ والباطلِ، فلا موضعَ للشكِّ في نفسِ المقياسِ، ولولا أنَّ سورَ القرآنِ وآياتِهِ مصونةٌ

(١) التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف: ٤٣-٤٤

(٢) الكليني: الكافي ٦٩/١ باب (الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب) الحديث ٥ وهذا الحديث قد رواه الإمام الصادق (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما خطبه بـ(منى).

(٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن: تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تح: مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث، (مط مهر، الناشر: مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٤هـ) ١١٨/٢٧ باب (وجوه الجمع بين الأحاديث المختلفة وكيفية العمل بها) الحديث ٢٩

من التحريفِ، ومحفوظةٌ من النقصانِ منذُ عصرِ الرسالةِ الأولِ وإلى الأبدِ لما كانت هذهِ القاعدةُ، ولا أمكنَ الركونُ إليها، والوثوقُ بها)). [١]

فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما يدعو إلى ذلك فهو يرسخ بين أبناء المجتمع أنَّ هذا القرآن هو كتاب الله تعالى الذي يجب علينا الرجوع إليه وتعاهده، وأنه من الله تعالى، وليس هناك أي شك في حفظه وتعاهده بين الأجيال منذ زمن نزوله إلى آخر الدهر.

- الأدلة العقلية:

إنَّ المتتبع لفلسفة الشريعة الإسلامية المقدسة الخاتمة للشرائع السابقة يرى أنَّ الاعتقاد بحفظ القرآن وصيانته من يد التلاعب والتغيير من البديهيات التي يجب القول بها، ٱستنادًا إلى أدلة متعددة منها:

- أولاً: إنَّ ٱحتمال الشك والريب في عدم وصول القرآن إلينا كما أنزله الله تعالى سيؤدي بالأولوية إلى التشكيك في معجزات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الأخرى التي ثبتت بالتواتر، وفي ذلك ورد عن العلامة "الحلي": ((الحقُّ إنَّهُ لا تبديلَ، ولا تأخيرَ، ولا تقديمَ فيه، وأنَّهُ لم يزدْ ولم ينقصْ، ونعوذُ باللهِ تعالى من أنْ يُعتقدَ مثلُ ذلكَ وأمثالَ ذلكَ، فإنَّهُ يوجبُ التطرقَ إلى معجزةِ الرسولِ "عليه وآله السلام" المنقولةِ بالتواترِ)). [٢]

(١) سلامة القرآن من التحريف: ١٦

(٢) الميلاني، علي بن نور الدين: التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف، (مط ظهور، قم، ط٣، ١٤٢٦هـ): ١٢١ عن أجوبة المسائل المهناوية للعلامة الحلي.

– ثانيًا: إنَّ الشريعة الخاتمة يجب أنْ تكون خالدةً، وخلودها يستوجب خلود معجزاتها، وخلود المعجزات يستلزم أنْ تكون محفوظةً متواترة، فلما كان القرآن معجزة الإسلام الخالدة فيجب أنْ يكون مُصانًا من كُلِّ تغييرٍ، وتبديلٍ، وتحريفٍ؛ ليبقى حجة على الخلقِ أجمعين.

– ثالثًا: إنَّ لكُلِّ شريعة أحكامها الخاصة بها، وإنْ كانت تتفق مع الشرائع الأخرى في أحكامها العامة، ولما كان القرآن الكريم المصدر الأساس للأحكام الشرعية فيجب أنْ يكون محفوظًا مُصانًا؛ ليمكن معرفة الأحكام الشرعية وٱستنباطها من مداركها المقررة بالنسبة للفقهاء المسلمين، والرجوع إليه عند الاختلاف، وهذه المسألة قد أكَّدت عليها الروايات كذلك. (١)

– رابعًا: إنَّ القرآن الكريم أصبح أحد أهم مصادر اللغة عند العرب وٱستدلالهم في آياته، ومعينًا للبلغاء والأدباء (٢)، وقد تضمن ذلك شعرهم ونثرهم وكتاباتهم، فلم نسمع أنَّ أحدًا ٱستشهد بآية واحدة من آيات الله لا توجد في كتابه المجيد، أو ٱدَّعى على كلام أنه من القرآن بغير الموجود، على الرغم من ٱختلاف معتقداتهم

(١) وهذه مسألة بديهية ومهمة جدًّا يؤيدها العقل والنقل، قال السيد "الطباطبائي": ((ويدلُّ على عدمِ وقوعِ التحريفِ الأخبارُ الكثيرةُ المرويةُ عن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" من طُرقِ الفريقينِ الآمرةُ بالرجوعِ إلى القرآنِ عندَ الفتنِ، وفي حلِّ عقدِ المشكلاتِ)). الميزان في تفسير القرآن ١٤/١٠٥

(٢) يقول الدكتور "محمد حسين الصغير": ((وهكذا ظهرَ لنا التأريخُ الحضاريُّ المشتركُ بين اللغةِ العربيةِ والقرآنِ الكريمِ مما شَكَّلَ مظهرًا ٱجتماعيًّا متلازمًا، فالحفاظُ على اللغةِ يعني الحفاظَ على القرآنِ، وصيانَةُ لغةِ القرآنِ يقتضي صيانَةَ لغةِ العربِ؛ لارتباطِ وجودِها التأريخيِّ بوجودِهِ التشريعيِّ، وٱستمرارِ رُقِيِّها بلمحٍ من ٱستمرارِهِ)). نظرات معاصرة في القرآن الكريم، (دار المؤرخ العربي، بيروت، د.ط، د.ت): ٦٩

ومذاهبهم، وعدم إيمان بعض منهم بالإسلام، ولكن ظل النص القرآني محافظًا على وجوده كما أُنزل، وهذا يدلُّ على قدسيته وعدم إمكان تحريفه بسهولة سواء بزيادة أم نقصان منه.

إنَّ هذه الأدلة العقلية وغيرها يراها الباحث وجوهًا عقلية رصينة يمكن الاستدلال بها على مكانة ومنزلة المعجزة الخالدة للمسلمين في سلامة القرآن وحفظه من التلاعب والتغيير.

وأما فيما يخص الأسباب والدوافع التي أدت إلى القول بالتحريف فسوف يترك الباحث التفصيل في ذلك؛ لكثرة ما كُتِب فيها، والردود الواردة من كبار العلماء في ذلك، فضلاً عن الابتعاد عن التكرار والإطالة. [1]

(١) للتفصيل ينظر: الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ص٢٣٧-٢٥٢ تحت عنوان: (شبهات القائلين بالتحريف) ، محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن ١٩٠/٨ ، مير محمدي: بحوث في تاريخ القرآن وعلومه: ٣١٠-٣١٦ تحت عنوان: (أدلة التحريف ومناقشتها) ، المرعشي النجفي، شهاب الدين: القول الفاصل في الرد على مدعي التحريف، تح: محمد رضا جديدي نزاد، (مط ستاره، قم، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٤م): ٣٩-٥١ تحت عنوان: (دلائل مدعي التحريف والجواب عنها) ، الحلو، محمد علي: التحريف والمحرفون، (مط برهان، قم، ط١، ١٤٢٦هـ): ٣٢-٨٠ تحت عنوان: (الأسباب والدوافع)

## المبحث الثالث: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في صيانة القرآن من التحريف.

إنَّ السيد "هبة الدين الشهرستاني" من الأعلام الذين دافعوا عن صيانة القرآن الكريم بكُلِّ الأدلة العقلية والنقلية، وردَّ على القائلين في القرآن مما لا يصونه من خلال تحليل الروايات التي تروى في ذلك، فقال: ((الروايات الواردة في نسبة التحريف إلى الكتاب هي ضعيفة السند ورجالها مطعون في وثاقتهم ومجاهيل، فضلاً عن الاضطراب في متنها)). [١]

وإنَّ التتبع لما كتبه في هذا المجال يؤكد ذلك، ولأجل الإحاطة بالموضوع عَرَّفَ التحريف أولاً ليكون على بينة من تشخيص الأمر فقال: ((التحريفُ الذي موضِعُ الخلافِ تغييرُ القرآنِ بالزيادةِ، أو النقصانِ)) [٢]، وهو في ذلك يرى أنَّ هناك تعريفات ليست هي المقصود منها في دراسة صيانة القرآن من التحريف، كما تقدم في المبحث الأول من تفصيل السيد "الخوئي" إليها، وهذا ظاهر من قوله في التعريف: ((التحريف الذي موضع الخلاف)).

وأما قوله الصريح في صيانة القرآن فنراه يؤكد ذلك في موارد متعددة، فيقول: ((والذي عليه إجماعُ المسلمينَ عَدَمُ زيادتِهما في القرآنِ، لا زيادةَ سورةٍ، ولا زيادةَ آيةٍ)) [٣]، وهذا الإجماع الذي يقصده هو ما تقدم من كلمات أعلام

---

(١) حلال مشكلات، (مط النجاح، بغداد، ١٣٧٣هـ، د.ط) ١/١٤-١٧

(٢) الشهرستاني: هبة الدين: مخطوط رؤوس الدروس، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة) ٢/١٤٢

(٣) المصدر نفسه، الجزء والصفحة نفسهما.

المسلمين وغيرها كما في مصادرها، إلا مَنْ شَذَّ منهم ممن لا يعتدُّ بقولهم بعد قول المحققين الأعلام، فضلاً عن الروايات التي لا يمكن أنْ يعتمد عليها.

ومن أهم الأدلة التي قال بها هو الدليل العقلي، فيقول: ((ودَلَّ على ذلكَ العقلُ أيضًا؛ إذ لو جازَ سقطَ الإعجازُ، وأمكنَ للبشرِ أنْ يأتيَ بأيِّ سورةٍ، وقد نَصَّ القرآنُ على ٱمتناعِهِ)) [1]، وهذا الدليل قائم بذاته، وبغيره، أما بذاته فالعقل يمنع أنْ يكون المعجز الخالد مما يمكن تحريفه؛ إذ لو جاز تحريفه وأمكن ذلك، لسقط إعجاز تحديه للآخرين بأنْ يأتوا بمثله، ولم يستطع أحدٌ القيام بذلك، وأما بغيره من حيث أنَّ العقل قد ٱستند للقرآن الكريم من وعده بأنهم لا يستطيعوا أنْ يأتوا بمثله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَٱدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَٱتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾. [2]

وفي ٱستدلال عقلي مهم جدًّا يحاول السيد بيان صيانة القرآن من أي شائبة، ويدعو إلى التأمل والتفكر فيما يذكره من أدلة وجيهة في ذلك، فيرى بوجوب تحصين القرآن من شكوك أربعة لها أثر في المسألة، وهذه الشكوك: ((أولاً الشكُّ في مصدرِ الوحيِ الإلهيِّ، ثانيًا والشكُّ في سلامَةِ التبليغِ، ثالثًا والشكُّ في تمامِ اللفظِ، رابعًا والشكُّ في تمامِ المَعنى. فإنْ تَمَّتْ وسَلَمَتْ هذه الأمورُ، تَمَّ ٱعتبارُ القرآنِ حَجَّةً عامَّةً، وإمامًا مبينًا، وبما أنَّهُ كتابٌ لا ريبَ فيه، يجبُ القولُ بعصمتِهِ من

(١) الشهرستاني: هبة الدين: مخطوط رؤوس الدروس ١٤٢/٢

(٢) سورة البقرة: الآيتان ٢٣–٢٤

جميعِ هاتيكَ النواحي الأربعِ)) [١]، وهذه مسألة مهمة تحتاج إلى تأمُّلٍ وتفكُّرٍ فيما عرضه من الشكوك وأنواعها، ثم يبيِّن السيد ما يتعلق بكُلِّ نوع من هذه الشكوك، وسوف نستعرض ذلك في باب التحقيق.

إنَّ خلاصة رأي السيد في القرآن أنه محفوظ من الله تعالى، وأنه هو هذا المحفوظ بين الدفتين، والعقل والشرع يؤيد ذلك، ويجب رَدُّ كُلِّ رواية تخالفه، وسوف يُفَصَّلُ القول في باب التحقيق من الأطروحة إنْ شاء الله تعالى.

(١) الشهرستاني، هبة الدين: أوراق مخطوطة مع مجموعة رسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ١٣–٢٣ وسيتم بيان ما يتعلق بهذه الأدلة بالتفصيل في باب التحقيق، الفصل الأول، المبحث الثاني: ٢٠٧–٢٠٨

## (الفصل الثاني)

## الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم

- **المبحث الأول**: تعريف النسخ وشروطه.
- **المبحث الثاني**: العلاقة بين النسخ والبداء.
- **المبحث الثالث**: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في النسخ.

# الفصل الثاني

## الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم

يُعَدُّ مبحثُ الناسخِ والمنسوخِ من أهمِّ مباحثِ علومِ القرآنِ الكريمِ؛ لأنهُ يعتني بدراسةِ الآيات القرآنية التي ورد أنها نزلت من أجل حكمٍ معيَّنٍ في وقتٍ معينٍ، ثم نزلت أخرى بعدها فنسخت ذلك الحكم من أجل مصلحةٍ تستوجب ذلك، وقد أكَّد ذلك قول تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، وهذه الأهمية للدراسة متأتية من كَوْنِها تصبُّ في مصدر التشريع الأول للمسلمين، ومعجزته الخالدة إلى يوم القيامة، وفي هذا المبحث نحاول بيان ما يتعلق بمصطلح (الناسخ والمنسوخ)، وبيان أهم آراء أعلام المسلمين في الناسخ والمنسوخ، ورأي السيد "الشهرستاني" في حقيقة وجود ناسخ أو منسوخ في كتاب الله تعالى، وسوف أُبيِّن ما تقدم بٱختصار ضمن مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: تعريف النسخ وشروطه.

المبحث الثاني: العلاقة بين النسخ والبداء.

المبحث الثالث: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في النسخ.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٦

**المبحث الأول: تعريف النسخ وشروطه.**

**قال "أبو جعفر النحاس" (ت٣٣٨هـ/٩٤٩م): ((تحويلُ العبادِ من شيءٍ قد كانَ حلالاً فحُرِّمَ، أو كانَ حرامًا فيُحَلَّل، أو كانَ مطلقًا فيُحْظَرُ، أو كانَ محظورًا فيُطْلَق، أو كانَ ممنوعًا فَيُباح، إرادةَ الإصلاحِ للعبادِ)).** (١)

**قال "مكي بن أبي طالب" (ت٤٣٧هـ/١٠٤٥م): ((إزالةُ الحكمِ وإبقاءُ اللفظِ، أو إزالةُ الحكمِ واللفظِ))** (٢)**، أو: ((تبيينُ ٱنقضاءِ مُدَّةِ التعبُّدِ الأولِ وٱبتداءِ التعبُّدِ الثاني مع علمِ اللهِ –جل ذكره– لذلكَ كُلِّه قبلَ كُلِّ شيءٍ)).** (٣)

**وذكر مثل ما تقدم كُلُّ مَنِ ٱستعرض ما يتعلق بهذا المصطلح في مؤلفاته، فضلاً عن التفصيل فيه، وكذلك ما ورد عن المفسرين لكتاب الله تعالى.** (٤)

**أما الأصوليون فقد أكَّدوا على أهمية تعريف النسخ وٱختيار ما يتطابق بين اللغة والاصطلاح في الشريعة؛ لعلاقته باستنباط الحكم الشرعي، فذكروا كُلَّ ما**

---

(١) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، (المكتبة العلامية، مصر، د.ط، ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م): ١٠

(٢) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، تح: الدكتور أحمد حسن فرحات، (دار المنارة، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م): ٤٨

(٣) المصدر نفسه: ١١٢ ، وللتفصيل ينظر: البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد: الناسخ والمنسوخ، تح: الدكتور حلمي كامل أسعد، (دار العدوي، عمان، د.ط، د.ت): ٩

(٤) للتفصيل ينظر: الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الكشاف)، تح: عبد الرزاق المهدي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٢١هـ٢٠٠١م) ٢٠١/١ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٣٨/١

يتعلق به من حيث حدوده ووقوعه وغيرهما، قال "الشريف المرتضى" (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م): ((والدليلُ الموصوفُ بأنه ناسخٌ هو ما دلَّ على مثلِ الحكمِ الثابتِ بالنصِّ الأولِ غيرِ ثابتٍ في المستقبلِ، على وجهٍ لولاهُ لكانَ ثابتًا بالنصِّ الأولِ مع تراخيهِ عنه، أما المنسوخُ فهو الدليلُ الذي تغيَّرَ حكمهُ بالدليلِ الناسخِ)) [١]، وقال "المحقق الحلي" (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م): ((الإعلامُ بزوالِ مثلِ الحكمِ الثابتِ بالدليلِ الشرعيِّ بدليلٍ شرعيٍّ متراخٍ عنه، على وجهٍ لولاهُ لكانَ الحكمُ الأولُ ثابتًا)). [٢]

إنَّ جميع التعريفات التي تقدمت تشترك في معنى الإزالة والرفع للحكم عامة وتؤكده، فيكون (الناسخ) هو الحُكْمُ الرافِعُ للموضوعِ، و(المنسوخ) هو الحُكْمُ المرفوعُ، وهذه العملية من رفع الحكم يطلق عليها (النسخ).

إذاً فالنسخ: ((عبارةٌ عن رفعِ اللهِ للحكمِ السابقِ بإعلانِ حكمٍ لاحقٍ يَخْلفُ ذلك الحكمَ المنسوخَ، على حسبِ ما تقتضيهِ مصلحةُ المُشَرِّعِ لتلكَ الأحكامِ المؤقتةِ، ولا يكونُ إلا في الأحكامِ التكليفيةِ التعبديةِ كالأوامرِ والنواهي)). [٣]

وقد أعتنى المسلمون أعتناءً كبيرًا بمبحث الناسخ والمنسوخ في الدراسات القرآنية؛ وذلك لعلاقته بأحكام الشريعة المقدسة من حيث أستنباط الحكم الشرعي، وبيان

(١) الذريعة في أصول الشيعة، (دانشكاه، طهران، ١٣٤٦ش، د.ط) ١/٤١٤ ، الطوسي، محمد بن الحسن: العدة في أصول الفقه، تح: محمد رضا الأنصاري القمي، (ستارة، قم، ط١، ١٤١٧هـ) ٢/ ٤٨٦

(٢) معارج الأصول، تح: محمد حسين الرضوي، (مط سيد الشهداء "عليه السلام"، الناشر: مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" للطباعة والنشر، قم، ط١، ١٤٠٣هـ): ١٦١

(٣) السعيدي النجفي، محمد جواد: بحوث حول علوم القرآن الكريم، تق: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، (مط الآداب، النجف، د.ط، د.ت): ١١٣

إعجازه الخالد الذي يؤكد عدم الخلل في آياته، وٱضطراب معانيه ومفاهيمه، وصيانته من العبث والتحريف والزيادة والنقيصة، إذ تؤدي معرفة الحكم الناسخ من منسوخه إلى إتقان وإحكام مقاصد الشريعة المقدسة سواء عن طريق القرآن الكريم أم السنة الشريفة، فقد وردت روايات متعددة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) والصحابة ما تؤكِّد أهمية معرفة هذا الموضوع، بل عُدَّ في بعض الروايات من أهم العلوم التي يجب معرفتها تفصيلاً لمَنْ يبتغي معرفة أسرار القرآن وتفسيره؛ لأنَّ القرآن يفسِّرُ بعضه بعضًا، ومن تلك الروايات التي وردت في ذلك نذكر منها:

– عن عطاء بن السائب عن أبي البختري قال: ((دخل علي بن أبي طالب "رضي الله عنه" المسجد فإذا رجل يخوِّفَ الناسَ، فقال: ما هذا. فقالوا: رجل يذكِّرُ الناسَ. فقال: ليسَ برجلٍ يذكِّرُ الناسَ، ولكنه يقول: أنا فلانٌ بن فلان فٱعرفوني. فأرسل إليه أتعرفُ الناسخَ من المنسوخِ. فقال: لا. قال: فٱخرجْ من مسجدنا ولا تذكرْ فيه)). [١]

– عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: ((مَرَّ عليٌّ بن أبي طالب "رضي الله عنه" برجلٍ يقصُّ فقال: أعرفتَ الناسخَ والمنسوخَ. قال: لا. قال: هلكتَ وأهلكتَ)). [٢]

– عن ٱبن شبرمة قال: ((ما ذكرتُ حديثًا سمعته عن جعفر بن محمد "عليه السلام" إلا كاد أنْ يتصدع قلبي، قال: حدثني أبي عن جدي عن رسول الله "صلى الله عليه وآله" وأُقسم بالله ما كذب أبوه على جده، ولا جده على رسول الله "صلى الله عليه وآله" قال: قال رسول الله "صلى الله عليه وآله": مَنْ عملَ بالمقاييسِ فقد هلكَ

(١) ٱبن شهاب الزهري، محمد بن مسلم: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تح: مصطفى محمود الأزهري، (دار ٱبن القيم، السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ): ٤٩

(٢) المصدر نفسه: ٥١

وأهلكَ، ومَنْ أفتى الناسَ بغيرِ علمٍ وهو لا يعلمُ الناسخَ من المنسوخِ، والمُحكم من المتشابه فقد هلكَ وأهلكَ)). (١)

– عن شبيب بن أنس، عن بعض أصحاب أبي عبد الله (عليه السلام): ((إنَّ أبا عبد الله "عليه السلام" قال لأبي حنيفة: أنتَ فقيهُ العراقِ ؟ قال: نعم. قال: فَبِمَ تفتيهم ؟ قال: بكتاب الله وسنة نبيه "صلى الله عليه وآله". قال: يا أبا حنيفة! تعرفُ كتابَ الله حقَّ معرفته ؟ وتعرفَ الناسخَ والمنسوخَ ؟ قال: نعم. قال: يا أبا حنيفة! لقد ٱدَّعيتَ علمًا، ويلكَ ما جعلَ اللهُ ذلكَ إلا عندَ أهلِ الكتابِ الذينَ أُنزل عليهم)). (٢)

إنَّ هذه الأحاديث الشريفة وغيرها تؤكِّد أهمية الموضوع، ووجوب معرفته، ومعرفة حدوده، والآيات المباركة الناسخة والمنسوخة للوصول إلى تفسيرٍ واضحٍ لقضية معينةٍ، أو حكم شرعيٍّ معينٍ؛ لأنَّ الشريعة الإسلامية هي الخاتمة للديانات السماوية ويجب أنْ تكون كاملة من جميع جوانبها، لذا نرى ذلك الاعتناء من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) لكونهم يمثلون السنة الشريفة، وهي المصدر التشريعي المقارن لكتاب الله تعالى، وقد ٱنتقل هذا الاعتناء الشديد إلى علماء المسلمين فألَّفوا في هذا الباب مؤلفات كثيرة تناولت الموضوع من كُلِّ جوانبه، وناقشت الآراء والأحاديث التي وردت، وكذلك الآيات القرآنية التي قيل بنسخها أو عدمها. (٣)

---

(١) الكليني: الكافي ١/٤٣ باب (النهي عن القول بغير العلم) الحديث ٩

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٢٧/٤٧

(٣) للتفصيل ينظر: ٱبن شهاب الزهري: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ٩–١٣ ، حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح و تع: محمد شرف الدين، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، ط.مط) ٢/١٩٢ ، آغا بزرك الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٤/١٠–١٤ ، محمد هادي معرفة:

ولكي يتحقق النسخ فلا بد من توفر شروط فيه، وقد بين العلماء أهم شروط النسخ ومنها:

١- أَنْ يكون الناسخُ منفصلاً من المنسوخ منقطعًا منه، فإنْ كان متصلاً به غير منقطعٍ عنه لم يكن ناسخًا لما قبله مما هو متصل به.

٢- أَلَّا يكون المنسوخ متعلِّقًا بوقت معلوم لا يُعلم ٱنتهاء وقت فرضه إلا بنص ثانٍ يبيِّن فرض الأول إلى الوقت الذي فُرِض فيه الثاني.

٣- أَنْ يكون الناسخ موجبًا للعلمِ والعمل كالمنسوخ، ولذا مُنِع نسخ القرآن بخبر الآحاد؛ لأنها توجب العمل ولا توجب العلم، والقرآن يوجبهما جميعًا. (١)

وذكر "الزرقاني" أربعة شروط إذا توافرت تحقق النسخ عند العلماء، وشروطًا أخرى ٱختلفوا فيما يعد شرطًا من غيره. (٢)

والأصوليون قد ناقشوا النسخ بتفصيل مع بيان كُلِّ ما يتعلق به من حيث تحقيقه وعدمه، مع وجود تفاوت في عدد تلك الشروط، وقد فصَّل الشيخ

---

التمهيد في علوم القرآن ٢/٢٦٤-٢٦٥ ، الغفاري، عبد الرسول: النسخ بين المفسرين والأصوليين، (مط الزلال كوثر، الناشر: مركز المصطفى "ص" العالمي للترجمة والنشر، قم، ط١، ١٤٣١هـ): ٩٣-١٠١ وقد أعد الشيخ الغفاري قائمة بالمؤلفات في الناسخ والمنسوخ منذ القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجريين.

(١) مكي بن أبي طالب: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: ١٠٧ ، البغدادي، عبد القاهر: الناسخ والمنسوخ: ٤٥

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/١٤١ ، إنَّ قوله: ((تلك أربعةٌ لابد منها لتحقيقِ النسخِ بٱتفاقِ جمهرةِ الباحثينَ)) ليس دقيقًا؛ لأننا لو ٱطلعنا على تلك المؤلفات في هذا الباب لرأينا الاختلاف الواضح في بيان شروط النسخ من عدمها، ولم يتحقق الاتفاق إلا في بعضها.

"الطوسي" "قدس سره" القول فيما يُعد من شروط النسخ، وما هو خارج عنها، فذكر ستةً منها، فضلاً عن مناقشته لبعض الشروط التي قيل بوجوب توافرها ليتم تحقق النسخ[١]، وذكر "أبو حامد الغزالي" (ت٥٠٥هـ/١١١١م) شروطًا أربعةً يجب تحققها في النسخ [٢]، وذكر "ٱبن الجوزي" (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) شروطًا خمسةً في ذلك. [٣]

ومن المتأخرين فإنَّ السيد "عبد الأعلى السبزواري" "قدس سره" (ت١٤١٤هـ/١٩٩٣م) قد حصر شروط النسخ بثلاثة فقط، وهي:

١- أنْ يكون النسخ في الأحكام الشرعية، فلا يقع في غيرها إلا بالعناية والمجاز.

٢- أنْ يكون النسخ بدليل شرعي سواء كان من القرآن أو السنة أو الإجماع القطعي، فلا يكون من النسخ موارد ٱرتفاع الموضوع أو ٱنتفاء الشرط.

٣- أنْ يكون دليل النسخ ناظرًا إلى الحكم المنسوخ ومعارضًا له معارضة حقيقية لا يمكن الجمع بينهما، فيكون كاشفًا عن رفع، فليس كُلُّ تنافٍ بين الدليلين أو الحكمين من النسخ، ولذا وقع الخلاف في كثير من الآيات المباركة التي ٱدُّعِي النسخ فيها، وهي ليست كذلك، بل من التقييد أو التخصيص. [٤]

---

(١) الطوسي: العدة في أصول الفقه ٢/٤٨٧-٤٩١

(٢) المستصفى في علم الأصول، تص: محمد عبد السلام عبد الشافي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ١٩٩٦م، د.ط) ١/٩٨

(٣) عبد الرحمن بن علي: نواسخ القرآن، تح ودراسة: د. محمد أشرف علي، (ط٢، ١٤٢٣هـ٢٠٠٣م، د.مط، د.م) ١/١٣٥-١٣٧

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، (مط الديواني، بغداد، ط٣، ١٤٠٨هـ١٩٨٩م) ١/٣٨٣

فهذه أهم الشروط التي ذُكِرت ليتحقق النسخ في الشريعة المقدسة، وقد نوقِشت بالتفصيل في الدراسات الحديثة فيما يتعلق بأصل هذه الشروط، وفيما يتعلق بموارد تطبيقها. (١)

وأما الآيات المنسوخة فإنَّ العلماء قد ٱختلفوا كثيرًا في تعيين تلك الآيات في القرآن الكريم، وكذلك الناسخة منها، ويمكن القول: بعدم الاتفاق مطلقًا بين ٱثنين من العلماء على عدد معينٍ من الآيات القرآنية المنسوخة؛ وذلك يعود إلى أسباب متعددة منها: عدم الاتفاق على تعريف خاص للنسخ، وعدم التفريق بين النسخ والتقييد والتخصيص، وعدم الالتزام بشروط النسخ التي وضعوها؛ لذلك نرى آية تُعَدُّ منسوخة عند أحدهم، ولكن في الوقت نفسه هي ليست كذلك عند غيره، ولو ٱستقرأنا المؤلفات الخاصة في هذا الباب وكذلك التفاسير القرآنية للمفسرين لرأينا حقيقة ما تقدم، وأكَّد ذلك الشيخ "مكي بن أبي طالب القيسي" إذ يقول في مقدمة الكتاب: ((ووجدتُ في كُتُبِ الناسخِ والمنسوخِ أَشياءَ دخلَ فيها وَهْمٌ، ونُقِلَتْ على حالِها، وأشياءَ لا يلزمُ ذِكْرُها في الناسخِ والمنسوخِ، وأشياءَ لا يجوزُ فيها النسخُ، فذكرتُ جميعَ ذلكَ من قولِهم، وبَيَّنْتُ الصوابَ من ذلكَ حسبَ مقدرتي، وما بلَغني من العلمِ)). (٢)

(١) محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن ٢/٢٧٢-٢٧٤ ، الغفاري: النسخ بين الأصوليين والمفسرين: ٣٣٤-٣٣٦ ، الجُدَيْع، عبد الله بن يوسف: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، (الناشر: مركز البحوث الإسلامية، بريطانيا، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م): ٢٣٤-٢٥٩

(٢ ) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: ٤٦

فعلى أساس ذلك نرى الاختلافات واضحة عند العلماء في مناقشة بعض الآيات المباركة التي قيل بنسخها، ما بين متفقٍ عليها في موردٍ، ومختلفٍ في مواردَ أخرى، وما بين مختلفٍ تمامًا في جميع الموارد، حتى آل الأمر إلى القول بعدم وجود أي آية منسوخة في القرآن الكريم على وفق مصطلح النسخ. (١)

إنَّ هذا الاختلاف بين العلماء في الفهم الحقيقي للنسخ كان من أهم الأسباب التي دَعَتْ إلى كثرة التأليف فيه، فضلاً عن أهميته، يقول الدكتور "صبحي الصالح": ((وقد صَرَّحَ المحققونَ من العلماءِ بأنَّ كثيرًا مما ظنَّهُ المفسرونَ نسخًا ليسَ به، وإنما هو نَسْءٌ وتأخيرٌ، أو مجملٌ أُخِّرَ بيانَهُ لوقتِ الحاجةِ، أو خطابٌ قد حالَ بينهُ وبينَ أَوَّلهِ خطابٌ غيرُهُ، أو مخصوصٌ من عمومٍ، أو حكمٌ عامٌّ لخاصٍّ، أو لمداخلةِ معنًى في معنًى، وأنواعُ الخطابِ كثيرةٌ، فظنُّوا ذلكَ نسخًا وليسَ به)). (٢)

وعلى أساس ما تقدم فقد قسم العلماء سور القرآن الكريم من حيث ورود الناسخ والمنسوخ على تقسيمات أربعة، قال الزركشي (ت٧٩٤هـ/١٣٩٢م): ((ٱعلم أنَّ سورَ القرآنِ العظيمِ تنقسمُ بحسبِ ما دخلَهُ النسخُ وما لم يدخلْ إلى

(١) فهذا هو رأي السيد "الشهرستاني" كما سيأتي بيانه في باب التحقيق من الأطروحة، ولعله هذا ما يذهب إليه السيد "الخوئي"، فيقول عند مناقشة الآيات المنسوخة: ((وقد عقدنا هذا البحثَ لنستعرضَ جملةً من تلكَ الآياتِ المدَّعى نسخها، ولنتبيَّنَ فيها أنه ليست –في واقع الأمر– واحدةٌ منها منسوخةً، فضلاً عن جميعها)). البيان في تفسير القرآن: ٢٩٣، ولكنه يقول تحت عنوان (حكمة تشريع صدقة النجوى): ((وفي نسخِ هذا الحكمِ بعد وضعِهِ ظَهَرَتْ حكمةُ التشريعِ، وٱنْكَشَفَتْ مِنَّةُ الله على عبادِهِ)). المصدر نفسه: ٣٩٧، ولعل ما تقدم هو الذي جعل الدكتور "الغفاري" ينسب إلى السيد "الخوئي" القول بعدم النسخ. ينظر: النسخ بين المفسرين والأصوليين: ٣٣٧

(٢) مباحث في علوم القرآن، (دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٧٧م): ٢٧٣

أقسامٍ: أحدها: ما ليسَ فيهِ ناسخٌ ولا منسوخٌ، وهي ثلاثٌ وأربعونَ سورة، وهي الفاتحة، ثم يوسف ....، الثاني: ما فيهِ ناسخٌ وليسَ فيهِ منسوخٌ، وهي سِتُّ سورٍ: الفتح، والحشر، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والأعلى. الثالث: ما فيهِ منسوخٌ وليسَ فيهِ ناسخٌ، وهو أربعونَ: الأنعام، والأعراف ....، الرابع: ما ٱجتمعَ فيهِ الناسخُ والمنسوخُ، وهي إحدى وثلاثونَ سورة: البقرة، وآل عمران....)). [١]

إنَّ هذا التقسيم لم يخلُ من ٱعتراض وٱختلاف بين العلماء [٢]، وكذلك

(١) البرهان في علوم القرآن ٢/٢٣- ٢٤ ، وقد أجاد العلامة الشيخ "محمد هادي معرفة" بعمل جدولٍ للآيات المنسوخة والآيات الناسخة لها كما ورد عند العلماء في مؤلفاتهم مع بيان ملاحظاته في كُلِّ آيات تبين الغرض الجامع بين الآيتين المدَّعى النسخ فيها، فذكر مئتين وثمانية موردًا من القرآن الكريم. ينظر: التمهيد في علوم القرآن ٢/٣٧٧-٣٩٠

(٢) ذهب "ٱبن حزم الأندلسي" إلى أنَّ عدد السور التي لم يدخلها ناسخ ولا منسوخ ثلاث وأربعون سورة، والسور التي فيها ناسخ وليس فيها منسوخ فهي أربعون سورة، وعدد السور التي فيها ناسخ ومنسوخ خمس وعشرون سورة. ينظر: الناسخ والمنسوخ، تحقيق: الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م): ١٠

وأما "ٱبن العتائقي" فقد ذهب إلى موافقة "ٱبن حزم" في بعض ومخالفته في بعض آخر، فالسور التي لم يدخلها ناسخ ولا منسوخ ثلاث وأربعون سورة، والسور التي فيها ناسخ وليس فيها منسوخ فهي ستة سور، والسور التي فيها منسوخ وليس فيها ناسخ ٱثنتان وأربعون سورة، والسور التي فيها ناسخ ومنسوخ خمس وعشرون سورة. الناسخ والمنسوخ، دراسة وتح: الدكتور ثامر كاظم الخفاجي، (مط ستاره، قم، ط١، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م): ٧٤-٧٦

عدد الآيـــات المنسوخة بالنسبـــة للمؤيدين لوجود النسخ في القرآن الكريم [١]، أو النافين له. [٢]

(١) عند تتبع الباحث لبعض المؤلفات في الناسخ والمنسوخ وجد أنَّ "قتادة السدوسي" يذكر ثلاثة وثلاثين آية منسوخة. ينظر: الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى، تـــح: د. حـــاتم صالح الضامن، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ١٩٨٨م): ٣٢-٥١

و"ابن حزم الأندلسي" يذكر مئة وسبعة وسبعين آية. ينظر: الناسخ والمنسوخ ١٩-٦٧

و"أبو جعفر النحاس" يذكر مئة وثمانية وثلاثين آية. ينظر: الناسخ والمنسوخ في القـــرآن الكريم: ١٤-٢٥٦

و"السيوطي" يذكر عشرين آية وقد جمعها في أبيات شعرية. ينظـــر: الإتقـــان في علـــوم القرآن ٦٨/٣

وقد ناقش الزرقاني الآيات المنسوخة التي ذكرها السيوطي فرجَّحَ ســـبع آيـــات. ينظـــر: مناهل العرفان في علوم القرآن ١٩٩/٢-٢١٢ ، ويقول السيد "عبد الأعلى السبزواري" في ذلك: ((وقد حصر بعض المفسرين جميع الآيات المنسوخة في عشرين آيـــة، ومـــع ذلك فيه بحث)). مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٣٨٨/١

(٢) وممن ذهب إلى نفي النسخ في القرآن الكريم من القدماء "أبو مسلم محمـــد بـــن بحـــر الأصفهاني" (ت٣٢٢هـ/٩٣٤م) كما اشتهر عنه. ينظر: الفخر الرازي: محمد بـــن عمـــر: التفسير الكبير، تص: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، (دار إحياء التراث العـــربي، بـــيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ٢٠٠١م) ٦٣٩/٣ ، الغفـــاري: النـــسخ بـــين المفـــسرين والأصوليين: ٩٣ ، ويظهر أنَّ هذا ما يراه أيضًا "أحمد بن الجنيد" (ت٣٨١هـ/٩٩١) كما ورد في بيان مؤلفاته عنوان كتاب "الفسخ على مَنْ أجاز النسخ". الغفاري: النـــسخ بـــين المفسرين والأصوليين: ٩٣

**المبحث الثاني: العلاقة بين النسخ والبداء.**

نبين في هذا المبحث العلاقة القائمة بين موضوعين مهمين في الشريعة المقدسة وهما النسخ والبداء، فنحاول أنْ نتعرف على نقاط الالتقاء والافتراق بينهما، وذلك من خلال بيان مصطلح البداء لمعرفة علاقته بالنسخ، وأقول علماء المسلمين في مشروعيتهما.

إنَّ مصطلح النسخ قد تقدم بيانه في كلمات العلماء التي تقدمت، وأما البداء فنحاول بيانه؛ لنكون على بينةٍ من المعاني الواردة فيه. (١)

قال "مكي بن أبي طالب": ((البداءُ ظهورُ رأيٍ مُحْدَثٍ لم يظهرْ قبلُ)).(٢)

قال الشيخ "الطوسي": ((العلمُ بالشيءِ بعد أنْ لم يكنْ حاصلاً، وكذلكَ في الظنِّ)). (٣)

ومن المتأخرين يقول السيد "الخوئي" "قدس سره" بعد بيانه حقيقة البداء ودليله وثمرته: ((وعلى الجملة: فإنَّ البداءَ بالمعنى الذي تقولُ بهِ الشيعةُ الإماميةُ هو من الإبداءِ "الإظهار" حقيقةً، وإطلاقُ لفظِ البداءِ عليهِ مبنيٌّ على التنزيلِ والإطلاقِ بعلاقةِ المشاكلةِ، وقد أُطْلِقَ بهذا المعنى في بعضِ الرواياتِ من طرقِ أهلِ السنةِ)).(٤)

---

(١) إنَّ ذِكر الباحث لهذا المطلب عند الحديث عن النسخ تكمن أهميته في أَنَّ السيد هبة الدين قد أستعرض العلاقة بين النسخ والبداء في مخطوطاته التي سنذكرها في باب التحقيق؛ لذا يُعَدُّ الحديث عن البداء في هذه الدراسة الموجزة مقدمة لتلك المباحث، فضلاً عن بحثه مع النسخ في مباحث علوم القرآن.

(٢) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: ١١٢-١١٣

(٣) العدة في أصول الفقه ٢/٤٩٥

(٤) البيان في تفسير القرآن: ٤١٤

فعلى أساس ما تقدم يمكن القول: إنَّ البداء هو ظهورُ أمرٍ أو حكمٍ من الله تعالى للناس بعد خفائه عليهم، وليس ظهور أمرٍ لله تعالى كان خافيًا عليه فاستلزم تغييره بأمر جديدٍ، فلا يقول بذلك أحد من المسلمين؛ لأنه يستلزم جهله، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، أو أنْ نعبِّر عنه بقولٍ آخرَ وهو: إظهارٌ بعد إخفاءٍ، أي أظهر الله تعالى أمره بعد أنْ أخفاه عن عباده.

ومن خلال ما ورد من تعريفات للنسخ والبداء تظهر للباحثين العلاقة بين المصطلحين، وهو آشتراكهما في تبديل الحكم الإلهي على وفق ما تقتضيه الحكمة الإلهية، فالتبديل والتغيير هو العامل المشترك بينهما؛ لأجل ذلك نرى أنَّ عددًا من الأعلام قد بحثوا في مؤلفاتهم مسألة البداء بعد الناسخ والمنسوخ أو معهما، ومن هؤلاء "النحاس" فقد عَدَّ لذلك بابًا عنوانه "الفرق بين النسخ والبداء" [١]، و"مكي بن أبي طالب" فإنه بعد أنْ فصَّل القول في الناسخ والمنسوخ وشروط النسخ وما له علاقة بالنسخ ذكر عنوان "معرفة الفرق بين النسخ والبداء وجواز الأول دون الثاني" فذكر ما تقدم مما يتعلق بالبداء [٢]، و"الغزالي" في مبحث النسخ[٣]، و"الشريف المرتضى" [٤]، والشيخ الطوسي [٥] ، ومن المتأخرين السيد "الخوئي" إذ يقول في بيان العلاقة بينهما: ((يجبُ أنْ نذكرَ شيئًا في توضيحِ معنى

(١) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: ١٠

(٢) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: ١١٢-١١٣

(٣) المستصفى في أصول الفقه ٨٨/١

(٤) الذريعة إلى أصول الفقه ٤٢١/١

(٥) العدة في أصول الفقه ٤٩٥/٢

البداءِ، وإنْ لم تكنْ لَهُ صلةٌ بمدخلِ التفسيرِ؛ وذلكَ لخفاءِ معناهُ على كثيرٍ من المسلمينَ، فالبداءُ كالنسخِ في أُفُقِ التكوينِ)). [١]

إذًا فتغيير الحكم من حيث التشريع هو (نسخ)، وتغييره من حيث التكوين هو (بداء)، والمتتبع لذلك يرى وجود هذه العلاقة الوثيقة بين الموضوعين من جهة، فضلاً عن مناقشة الجواز وعدمه وعقيدة المسلمين فيهما، وإلا فإنَّ المصلحة التي أجازت النسخ هي ذاتها التي أجازت البداء. [٢]

وما يتعلق بأقوال المسلمين فيه، فقد آختلف العلماء في ذلك على قولين:

– أحدها: الجواز وهو ما عليه أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

– الآخر: عدم الجواز وهو ما عليه العامة.

فذهب الإمامية بجوازه من خلال الاستدلال بالقرآن والسنة الشريفة، ومما قاله الشيخ "الطوسي" فيه: ((إذا أُضيفتْ هذه اللفظةُ [البداء] إلى الله تعالى فمنهُ ما يجوزُ إطلاقُهُ عليهِ، ومنهُ ما لا يجوزُ: فأما ما يجوزُ من ذلكَ، فهو ما أَفادَ النسخَ بعينِهِ، ويكونُ إطلاقُ ذلكَ عليهِ على ضربٍ من التوسُّعِ، وعلى هذا الوجهِ يُحْمَلُ جميعُ ما ورد عن الصادقين "عليهما السلام" من الأخبارِ المتضمنةِ لإضافةِ البداءِ إلى آللهِ تعالى، دونَ ما لا يجوزُ عليهِ من حصولِ العلمِ بعد أنْ لم يكنْ، ويكونُ وجهُ إطلاقِ ذلكَ فيهِ تعالى والتشبيهُ هو أنهُ إذا كانَ ما يدلُّ على النسخِ يظهرُ بهِ للمكلفينَ ما لم

---

(١) البيان في تفسير القرآن: ٤٠٦

(٢) إنَّ من أعظم ثمرات الاعتقاد بالبداء هو الاعتراف الصريح بأنَّ العالم كله تحت سلطان الله وقدرته في بقائه وحدوثه، مما يوجب آنقطاع العبد إلى الله تعالى، وطلبه إجابة دعائه، وتوفيقه للطاعة وغيرها، ولولا الاعتقاد بذلك لاستلزم لغوية وعبث الدعاء والتوسل والتضرع، وهذا يبيِّن حقيقة قول الإمام الصادق (عليه السلام): ((ما عُظِّمَ اللهُ عز وجل بمثلِ البِداءِ)). الكليني: الكافي ١٤٦/١ باب (البداء) الحديث ١

يكنْ ظاهرًا لهم، ويحصلُ لهم العلمُ بهِ بعد أنْ لم يكنْ حاصلاً لهم)) [١]، فكلامه "قدس سره" فيه من الدقة والتحقيق ما لا يخفى على الباحث اللبيب المُنصف، المُطَّلِع على حقيقة توحيد الله تعالى وما يتعلق بأفعاله.

ومن المتأخرين الشيخ "جعفر السبحاني" فيقول بعد ذكره للمعنى اللغوي للبداء: ((والبداءُ بهذا المعنى لا يُطْلَقُ على اللهِ سبحانَهُ بتاتًا؛ لاستلزامِهِ حدوثَ علمِهِ بشيءٍ بعد جهلِهِ به، ولا يُظَنُّ بمسلمٍ عارفٍ بالكتابِ والسنةِ أنْ يطلقَ البداءَ بهذا المعنى على اللهِ سبحانَهُ، فالشيعةُ الإماميةُ الذين يسعونَ إلى تنزيهِهِ سبحانَهُ من كُلِّ نقصٍ وعيبٍ بحماسٍ أكبرَ من سائرِ الفرقِ الإسلاميةِ، يستحيلُ عليهم أنْ يطلقوا البداءَ على اللهِ بهذا المعنى، بل لهم في ذلكَ تفسيرٌ آخرَ)). [٢]

إنَّ العامة قالوا بعدم جوازه مطلقًا، فقد أشار "مكي بن أبي طالب" بعد تعريفه للبداء بقوله: ((وهذا [البداء] شيءٌ يلحقُ البشرَ لجهلِهم بعواقبِ الأمورِ وعلمِ الغيوبِ، واللهُ يتعالى عن ذلكَ علوًّا كبيرًا؛ لأنه يعلمُ عواقبَ الأمورِ، ولا يغيبُ عنهُ شيءٌ من علمِ الغيوبِ، فمحالٌ أنْ يبدوَ له رأيٌ لم يكنْ يبدو له قبلَ ذلكَ، هذا من صفاتِ المخلوقينَ المربوبينَ)). [٣]

ومما قاله "الفخر الرازي" –للأسف– في رده على الإمامية القائلين بالبداء عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [٤]: ((قالتِ الرافضةُ: البداءُ جائزٌ على اللهِ تعالى، وهو أنْ يعتقدَ شيئًا ثم يظهرَ له أنَّ الأمرَ بخلافِ

(١) العدة في أصول الفقه ٢/٢٩٥

(٢) العاملي، حسن محمد مكي: الإلهيات (محاضرات الشيخ جعفر السبحاني)، (مؤسسة الإمام الصادق "عليه السلام"، قم، ط٦، ١٤٢٦هـ) ٢/٢٢٢

(٣) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: ١١٢

(٤) سورة الرعد: الآية ٣٩

ما ٱعتقدَهُ، وتمسَّكوا فيه بقوله: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾، وٱعلمْ أنَّ هذا باطلٌ؛ لأنَّ علمَ الله من لوازمِ ذاتِهِ المخصوصةِ، وما كانَ كذلكَ كانَ دخولُ التغيُّرِ والتبـدُّلِ فيهِ محالاً)). [١]

بل أفرط "الزرقاني" في رده وتهجمه بقوله: ((ٱجتمعتِ اليهودُ والرافضةُ على هذهِ الضلالةِ، ضلالةِ ٱستلزامِ النسخِ للبداءِ، لكنهم ٱفترقـوا بعـدَ ذلـكَ إلى نـاحيتينِ خطيرتينِ، فاليهودُ أنكروا النسخَ وأسرفوا في الإنكارِ؛ لاستلزامِهِ في زعمهمُ البداءَ وهو محالٌ، أما الرافضةُ فأثبتوا النسخَ ثم أسرفوا في إثباتِ هذا البداءِ اللازمِ لـه في زعمِهِمْ، ونسبوهُ إلى اللهِ في صراحةٍ ووقاحةٍ [٢]، سبحانَهُ وتعالى عما يقولون علـوًّا كبيرًا)). [٣]

إنَّ هذه الأقوال تؤكِّد ما يذهب إليه العامة في مسألة البداء وقد نوقشت في محلها نقاشًا علميًّا قائمًا على الدليل العقلي والنقلي، مـا لا يحتـاج إلى الـسَّبِّ، والشتمِ، والاتهامِ، والابتعادِ عن خُلُقِ العلمِ والعلماءِ، فضلاً عن عدم قول الـشيعة بمثل ما تقدم من قول.

أما السيد "الشهرستاني" "قدس سره" فقد ناقش ما يتعلق بالبداء وعلاقته بالنسخ، وأدلة العلماء فيه، فضلاً عن رأيه الخاص بالنسخ. [٤]

---

(١) التفسير الكبير ٥٢/١٩

(٢) ينبغي أنْ يكون للعلماء لغة علمية مهذبة مع مَنْ يخالفهم الرأي، فالباحث يستغرب مـن هذه الألفاظ التي تطلق جزافًا، ولكننا نخاطبهم بأدب القرآن الكريم: ﴿سلامًا﴾.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن ١٤٣/٢-١٤٤

(٤) سيتم بيانه بالتفصيل في باب التحقيق، الفصل الثاني، المبحث السادس:٢٦٥-٢٦٨

**المبحث الثالث: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في النسخ.**

إنَّ السيد "الشهرستاني" قد ناقش موضوع النسخ من جوانبه المتعددة التي تقدمت؛ لما له أهمية كبيرة في فهم النص القرآني فهمًا تامًّا من جهة، ولما له علاقة بحجية ظواهر القرآن كما مقرر في علم الأصول من جهة ثانية، ولعلاقته بآستنباط الحكم الشرعي بالنسبة للفقيه من جهة ثالثة، فحاول في كتاباته تعريف النسخ أولاً ليتم بحثه عن الموضوع بالتفصيل بعد ذلك، فقال في تعريف النسخ أنه: ((رفعُ الحكمِ السابقِ بدليلٍ لاحقٍ لولاهُ لثبتَ الأولُ)). [١]

وناقش العلماء فيما يتعلق بشروط النسخ التي يجب توافرها ليتحقق النسخ، فقال في بيان شروط النسخ: ((أنْ يكونَ المنسوخُ أمرًا شرعيًّا لا من جملةِ الأمورِ الأخلاقيةِ والفنيةِ وأمثالِهما مما لا يستندُ تبديلُهُ أو تسجيلُهُ إلى الشرعِ، وأنْ يكونَ الناسخُ في ضِدَّينِ لا يجتمعانِ في زمانٍ ومكانٍ، أما إذا جازَ آجتماعَهُما فلا يُسمى نسخًا كالمطلقِ والمقيدِ، والدائمِ والموقتِ، والحكمِ الاختياريِّ أو الاضطراريِّ)). [٢]

وأما فيما يتعلق بأصل النسخ، فإنه يذهب إلى القول بعدم وجود نسخ في القرآن الكريم، فبعد ذكره لما ورد من أقوال في تعريف النسخ، وشروطه، وبيان

---

(١) مخطوط القرآن إمام الكل: ٦٣ وهذا هو تعريف الأصوليين له كما تقدم في أقوالهم. وهناك تعريفات أخرى يذكرها، سوف يتم بيانها في باب التحقيق، الفصل الثاني، المبحث الأول:٢٢٩-٢٣٠

(٢) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط معجم الفقيه، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٣٢٢-٣٢٦ وسوف نبين ما يتعلق بشروط النسخ في باب التحقيق، الفصل الثاني، المبحث الثاني:٢٣٢-٢٣٦

بعض الآيات التي قيل بنسخها، يناقش الموضوع مناقشة كبيرة، ثم يخرج بالنتيجة إلى القول بعدم النسخ في القرآن، إذ يقول: ((النسخُ في القرآنِ ممنوعٌ عندي؛ لأنَّ الشريعةَ جعلتْهُ ميزانَ الجرحِ والتعديلِ في الحديثِ المتواترِ عنه "صلى الله عليه وآله وسلم": "ما وافقَ كتابَ الله فخذوهُ، وما خالفَهُ فاتركوه"، فلو كانَ في القرآنِ منسوخٌ لاختلَّ هذا الميزانُ، وأيضًا إنه المعجزُ الخالدُ فلا يتمُّ لو كانَ بعضهُ منسوخًا، وأيضًا إننا مكلفونَ بالتمسكِ والاهتداءِ به فلا يجوزُ عليه نسخٌ)) [١]، وهذا القول منه يخالف فيه جملة كبيرة من علماء المسلمين الذين أكَّدوا على النسخ في القرآن الكريم وذكروا ذلك في مؤلفات كثيرة جدًّا، ثم يذكر أحد عشر دليلاً في تأييد رأيه على امتناع وقوع النسخ في القرآن الكريم. [٢]

ولقد ناقش بعض الآيات الشريفة التي قال العلماء بنسخها نقاشًا يراه دقيقًا في تنزيه القرآن من النسخ، ومنها (آية القبلة) فيقول: ((وأوضحُ ما استدلَّ بهِ النسخيُّونَ آيةَ القبلةِ وتحويلها عن بيتِ المقدسِ إلى الكعبةِ والمسجدِ الحرامِ.... ولكنَّ القرآنَ لم يُشَرِّعِ استقبالَ بيتِ المقدسِ حتى ينسخَها بالأُخرى، وإنَّما القرآنُ شَرَّعَ استقبالَ الكعبةِ والمسجدِ الحرامِ، فإذا سَمَّينا هذا ناسخًا قرآنيًّا كانَ من قسمِ الناسخِ الذي لا منسوخَ بإزائِهِ في القرآنِ)). [٣]

---

(١) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط الحواصل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة) ١٨٢/٢

(٢) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط تنزيه التنزيل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٩٧ وسوف نذكر تلك الأدلة بالتفصيل في باب التحقيق، الفصل الثاني، المبحث الخامس:٢٥٢-٢٥٦

(٣) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط معجم الفقيه، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٣٢٢-٣٢٦ ، إنَّ آية القبلة ونسخها من الآيات التي يقول بها أغلب المفسرين،

فهذه أهم الموضوعات التي حاولنا عرضها إجمالاً في هـذا المبحـث؛ لنكون على بينة فيما يتعلق بهذا الباب المهم من أبواب علوم القرآن الكريم، وتكون هذه المطالب تمهيدًا لما سيتناوله السيد "الشهرستاني" في مخطوطاته عند مبحث النسخ في القرآن الكريم.

---

والعلماء في مؤلفاتهم، وممن ٱختلف في تحديد ناسخها "النحاس" حيث يذهب إلى أنَّ التوجه إلى بيت المقدس قد نُسِخَ من غير أنْ يحدِّدَ الناسخ له، إذ يقول: ((فأول ذلك [أي النسخ] السورة التي يذكر فيها البقرة، حدثنا "بكر بن سهل"، قال: حدثنا "أبـو صـالح"، قال: حدثنا "معاوية بن صالح"، عن "علي بن أبي طلحة"، عن "ٱبن عباس"، فكان أول ما نسخ الله عز وجل من القرآن القبلة، وذلك أنَّ رسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم" لما هاجر إلى المدينة وكان أكثرها اليهود أمره الله تعالى أنْ يستقبل بيت المقـدس ففرحـت اليهود بذلك فاستقبلها رسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم" بضعة عشر شهرًا))، ثـم يذكر روايات متعددة في بيان مدة الصلاة إلى بيت المقدس ويقول: ((فعلى قـول "ٱبـن عباس" إنَّ الله عزوجل كان أَمَرَهُ بالصلاة إلى بيت المقدس ثم نسخه، قال غيره بل نـسخ فعله.... وقال قوم: بل نسخ قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَـثَمَّ وَجْـهُ الله﴾ بـالأمر بالـصلاة إلى الكعبة، قال "أبو جعفر": أَوْلَى الأقوالِ بالصواب الأول [قول ٱبن عباس] وهو صـحيح، والذي يطعن في إسناده ...)). للتفصيل ينظر: ١٣-١٤ باب (السور التـي يـذكر فيهـا الناسخ والمنسوخ).

## (الفصل الثالث)

## المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

- **المبحث الأول**: تعريف المحكم والمتشابه وحكمة تقسيم آيات القرآن عليهما.
- **المبحث الثاني**: العلاقة بين الراسخين في العلم وتأويل القرآن.
- **المبحث الثالث**: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني فى المحكم والمتشابه.

# الفصل الثالث

## المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

إنَّ مبحثَ المحكمِ والمتشابهِ من المباحثِ المهمة في علومِ القرآنِ الكريمِ وقد ٱعتنى المسلمون به ٱعتناءً كبيرًا؛ لأنهُ يتعلق بفهم كلام الله تعالى الذي ٱشتمل على موضوعات متعددة لها علاقة بتنظيم حياة الفرد والمجتمع، وبيان الأحكام التكليفية التي أوجبها الله تعالى على عباده، وقد ذكر الله تعالى في كتابه المجيد بأنَّ القرآن قد ٱشتمل على قسمين من الآيات: المحكمات والمتشابهات، وبيَّن ما يتعلق بكل قسم منهما، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[1]، وقد ذكر المفسرون آراء متعددة لبيان ما يتعلق بهذين القسمين والآيات الشريفة التي ينطبق عليها الإحكام والتشابه والجمع بينهما، وتكمن أهمية الدراسة –كما تقدم– في كَوْنِها تصبُّ في مصدر التشريع الأول للمسلمين، ومعجزته الخالدة إلى يوم القيامة؛ لذلك نرى أنَّ الروايات المباركة قد حذرت من تفسير القرآن الكريم من دون الإحاطة بما يتعلق بعلومه الخاصة ومنها المحكم والمتشابه، ففي الحديث عن رسول (صلى الله عليه وآله وسلم): ((مَنْ عملَ بالمقاييسِ فقد هَلَكَ وأَهْلَكَ، ومَنْ أَفتى الناسَ بغيرِ علمٍ وهو لا يعلمُ الناسخَ من المنسوخِ، والمحكمَ من المتشابهِ فقد هَلَكَ وأَهْلَكَ)).[2]

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧

(٢) الكليني: الكافي ١/٤٣ باب (النهي عن القول بغير علم) الحديث ٩

وفي هذا الفصل نحاول بيان ما يتعلق بمصطلح المحكم والمتشابه، وبيان أهم آراء أعلام المسلمين فيه، ورأي السيد "هبة الدين الحسيني الـــشهرستاني" في حقيقة المحكم والمتشابه في كتاب الله تعالى، ضمن مباحث ثلاثة:

- المبحث الأول: تعريف المحكم والمتشابه وحكمة تقسيم آيات القرآن عليهما.
- المبحث الثاني: العلاقة بين الراسخين في العلم وتأويل القرآن.
- المبحث الثالث: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في المحكم والمتشابه.

**المبحث الأول: تعريف المحكم والمتشابه وحكمة تقسيم آيات القرآن عليهما.**

قال الشيخ "الطوسي" في تعريف المحكم: ((فالمُحْكَمُ هو ما عُلِمَ المرادُ بظاهرِهِ من غيرِ قرينةٍ تقترنُ إليهِ، ولا دلالةٌ تدلُّ على المرادِ به لوضوحِهِ، نحو قوله: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ (١)، وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾(٢)؛ لأنه لا يحتاجُ في معرفةِ المرادِ به إلى دليلٍ)). (٣)

وقال "الراغب الأصفهاني": ((فالمُحْكَمُ ما لا يُعْرَضُ فيهِ شُبْهَةٌ من حيثِ اللفظِ، ولا من حيثِ المَعنى)).(٤)

مما تقدم يمكن القول: بأنَّ الآية المحكمة هي التي تُفهم بأدنى تأملٍ لكلام الله تعالى من دون الاستعانة بقرائن حاليةٍ، أو مقاليةٍ لبيان مراده تعالى، مقابل الآيات المتشابهة التي تحتاج إلى ذلك، وسيتضح جليًّا معناه عند بيان مصطلح المتشابه.

قال الشيخ "الطوسي" في تعريف المتشابه: ((والمُتَشابِهُ ما لا يُعْلَمُ المُرادُ بظاهِرِهِ حَتَّى يَقْتَرِنَ بِهِ ما يَدُلُّ على المُرادِ مِنْهُ، نحو قوله: ﴿وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾(٥)،

(١) سورة يونس: الآية ٤٤

(٢) سورة النساء: الآية ٤٠

(٣) التبيان في تفسير القرآن ٤٣/١

(٤) المفردات في غريب القرآن: ١٣٢ (حكم).

(٥) سورة الجاثية: الآية ٢٣

فإنَّهُ يُفَارِقُ قوله: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (١)؛ لأنَّ إضلالَ السَّامِرِيِّ قبيحٌ، وإضْلالُ اللهِ بمعنى حُكْمَهُ بأنَّ العبدَ ضالٌّ ليسَ قبيحٌ، بَلْ هو حَسَنٌ)). (٢)

وقال "الزركشي": ((وأما المُتَشابهُ فَأَصْلُهُ أَنْ يَشْتَبِهَ اللفظُ في الظاهرِ مع اختلافِ المعاني، كما قال تعالى: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ (٣) أي مُتَّفِقُ المناظرِ، مختلفُ الطعومِ)). (٤)

إذًا فيمكن القول إجمالاً: ((إنَّ المحكماتِ هي الآياتُ التي تدلُّ على معانيها على وجهٍ واحدٍ، بلا مانعٍ يمنعُ من إرادةِ مثلِ تلكَ المعاني، ويعبَّرُ عن هذا المعنى بالظهورِ الذي يجبُ العملُ على طِبقه، وأما المتشابهاتُ فهي الآياتُ التي على خلافِ المحكماتِ، فهي إمَّا لا تدلُّ على معنًى ظاهرٍ أصلاً كفواتحِ السورِ، وإما تدلُّ على معنًى غيرِ مرادٍ قطعًا بحكمِ العقلِ، مثلُ الآياتِ التي تُجَسِّدُ الخالقَ تعالى، وإمَّا أنْ تدلَّ على معانٍ متعددةٍ، ولا توجدُ قرينةٌ على إحداها، وقد نهى اللهُ تعالى العملَ بها إلا بعدَ معرفةِ المرادِ الحقيقيِّ منها)). (٥)

فالمحكماتُ هي الآياتُ التي لا تحتاجُ إلى التأويلِ؛ لأنَّ المقصودَ منها واضحٌ وجليٌّ لكُلِّ عارفٍ باللغةِ العربيةِ، والمتشابهاتُ هي الآياتُ التي تحتاجُ إلى توضيحِ المقصودِ منها؛ لأنها تقبلُ وجهينِ أو وجوهٍ متعددة، مما يجعلُ المكلفَ مترددًا في المعنى المرادِ من اللفظِ، فيستعينُ بالقرائنِ التي توضِّحُ المرادَ.

---

(١) سورة طه: الآية ٨٥

(٢) التبيان في تفسير القرآن ٢/٣٩٤

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥

(٤) البرهان في علوم القرآن ٣/٤٦

(٥) مير محمدي: بحوث في تأريخ القرآن وعلومه: ٢٩٢-٢٩٣

إنَّ هذه التعريفاتِ المتقدمة لمصطلحي المحكمِ والمتشابِهِ قد ذكرتها أغلبُ المصادرِ التي تناولتها الدراساتُ القرآنيةُ، فضلاً عن المفسرينَ [١]، وهناك آراء متعددة للصحابة في بيان ذلك. [٢]

وإنَّ الروايات الشريفة قد أكدت على بيان معرفة المحكم والمتشابه لأهميته وهي كثيرة، منها ما روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: إنَّ أُناسًا تَكَلَّمُوا في القُرآنِ بَغَيْرِ عِلْمٍ، وذلِكَ إنَّ اللهَ يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ فَالمَنْسُوخَاتُ مِنَ المُتَشَابِهاتِ، والنَّاسِخَاتُ مِنَ المُحْكَمَاتِ [٣]، وما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: المُحْكُمُ ما يُعْمَلُ بِهِ، والمُتَشَابِهُ ما ٱشْتَبَهَ على جَاهلِهِ [٤]، وقوله (عليه السلام): إنَّ

(١) ينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٣٩/٢ ، الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ٢١٣/٢ ، محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن ١١/٣-١٢ ، الجرمي، إبراهيم محمد: معجم علوم القرآن، (دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م): ٢٤٥-٢٤٦ ، الحكيم: علوم القرآن: ١٨٥-١٨٦

(٢) ينظر: الفرطوسي، سعد وحيد عيسى: متشابه القرآن الكريم في كتاب حقائق التأويل للشريف الرضي دراسة لغوية دلالية، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة/ كلية الآداب، ٢٠١٠م): ٣-٢٣ فقد ذكر ثلاثة وعشرين رأيًا، وفي كثير منها لا ينطبق مصطلح المحكم والمتشابه عليه، وإنما من باب ذكر المصاديق.

(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة ١٨٢/٢٧ الباب نفسه، الحديث ١٨

(٤) العياشي، محمد بن مسعود: تفسير العياشي، تص و تع: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، (المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، د.ط، د.ت) ١٦٢/١ ، البحراني: البرهان في تفسير القرآن ١٠/٣

القُرْآنَ مُحْكَمٌ ومُتَشابِهٌ، فأمَّا المُحْكَمُ فَنُؤمِنُ بِهِ، ونَعْمَلُ بِهِ، ونَـدينُ اللهَ بِـهِ، وأَمَّـا المُتَشابِهُ فَنُؤمِنُ بِهِ، ولا نَعْمَلُ بِهِ، هو قول الله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُـونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، والراسخون في العلم فهم آل محمـد (علـيهم السلام). [1]

وقد ٱعتنى العلماء المسلمون بموضوع المحكم والمتشابه ٱعتنـاء كبـيرًا وذكروا أقوالاً متعددة وردت فيهما، لأهمية ذلك في التعامل مع النصوص القرآنيـة من ناحية ٱستنباط الأحكام الفقهية، والمسائل العقائدية وغيرهما مما لـه أثـر في تفسير القرآن الكريم. [2]

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٩٨/٢٧ بسند آخر باب (عدم جواز ٱسـتنباط الأحكـام النظرية من ظواهر القرآن إلا بعد معرفة تفسيرها من الأئمة "عليهم الـسلام")، الحـديث ٥٢، العياشي: تفسير العياشي ١٦٢/١ ، البحراني: البرهان في تفسير القرآن ١٠/٣

(٢) للتفصيل في أقوالهم ينظر: الشريف الرضي، محمد بن الحـسين: حقـائق التأويـل في متشابه التنزيل، تح: الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء، (دار الأضواء، بـيروت، ط١، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م): ٢ ، الطـوسي: التبيـان في تفـسير القـرآن ٣٩٥/٢ ، الراغـب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٢٦٣ (شبه) ، الغزالي: المستصفى في علـم الأصول ٨٥/١ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٣٨/١ ، ٱبن الجوزي، عبد الرحمن بن علي: زاد المسير في علم التفسير، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م) ٣٥٠/١-٣٥١ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ١٨٣/٧-١٨٤ ، أبـو حيـان الأندلسي، محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد و الشيخ علي معـوض، (دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ط١، ١٤١٣هـ١٩٩٣م) ٣٩٦/٢-٣٩٨ ، الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٤٥/٢-٤٦

وفي بيان حكمة تقسيم آيات القرآن الكريم على المحكم والمتشابه فللعلماء أقوال متعددة نقتصر على ذكر بعضها، قال الشيخ "الطوسي": ((فإنْ قيل: لِمَ أُنْزِلَ في القرآنِ المتشابِهُ؟ وهَلا أنزلَهُ كُلَّهُ محكمًا! قيل: للحَثِّ على النظرِ الذي يوجِبُ العلمَ دونَ الاتِّكالِ على الخبرِ من غيرِ نظرٍ؛ وذلكَ أَنَّهُ لو لم يعلمْ بالنظرِ أَنَّ جميعَ ما يأتي به الرسولُ حَقٌّ يجوزُ أَنْ يكونَ الخبرُ كذبًا، وبطلتْ دلالةُ السمعِ وفائدتُهُ، فلحاجةِ العبادِ إلى ذلكَ من الوجه الذي بيناه أنزلَ اللهُ متشابهًا، ولولا ذلكَ لما بانَ منزلَةُ العلماءِ وفضلَهُم على غيرِهم؛ لأَنَّهُ لو كانَ كُلُّهُ محكمًا لكانَ مَنْ يتكلمُ باللغةِ العربيةِ عالمًا بهِ، ولا كان يشتبهُ على أحدٍ المرادَ بهِ، فيتساوى الناسُ في علمِ ذلكَ على أَنَّ المصلحةَ معتبرةٌ في إنزالِ القرآنِ، فما أنزلُهُ متشابهًا لأَنَّ المصلحةَ اقتضتْ ذلكَ، وما أنزلَهُ محكمًا فلمثلِ ذلكَ)). [1]

من خلال ما تقدم يُفهم أَنَّ أساس التقسيم يكون على معرفة منزلة العالِمين بحكمه وأحكامه وأسراره وغيرها، مما هو متعلق بالقرآن الكريم، ولكن ذلك إنما يكون في الآيات المتشابهات، وإلا فالمُحكمات لا يختلف في فهمها أحد.

وقال "الزمخشري": ((فإنْ قلتَ: فَهَلّا كانَ القرآنُ كُلُّهُ محكماً؟ قلت: لو كانَ كُلُّهُ محكمًا لتعلَّقَ الناسُ بهِ لسهولَةِ مأخذَهِ، ولأعرضُوا عَمَّا يحتاجونَ فيهِ إلى الفحصِ والتأمُّلِ من النظرِ والاستدلالِ، ولو فعلوا ذلكَ لعطَّلوا الطريقَ الذي لا يتوصَّلَ إلى معرفةِ اللهِ وتوحيدِهِ إلا بِهِ، ولما في المتشابهِ من الابتلاءِ والتمييزِ بينَ الثابتِ على الحَقِّ والمتزلزِلِ فيهِ، ولما في تقادِحِ العلماءِ وإتعابِهِمُ القرائِحَ في

(١) التبيان في تفسير القرآن ٢/٣٩٦

ٱستخراجِ معانيهِ وردِّهِ إلى المحكمِ من الفوائدِ الجليلةِ، والعلـومِ الجمَّـةِ، ونيـلِ الدرجاتِ عندَ الله)). [١]

مما ذُكر يُفهم أنَّ الغاية من ذلك هو الدعوة إلى التفكر والتأمل في آيات الله تعالى؛ ليتميز بعدها ما بين العالم وغيره، وهو كلام الشيخ "الطوسي" الذي سـبق نفسه.

إنَّ ما ورد من هذه الأقوال هو مجمل أقوال المفـسرين في بيـان سـبب ٱشتمال القرآن على المحكم والمتشابِه.

يرى الباحث أَنَّ كُلَّ ما تقدم في بيان سبب تقسيم الآيات عـلى المحكـم والمتشابه يحتاج إلى تأمُّلٍ وتدقيق في قبوله، ولا يمكن الركون والاطمئنان إليه؛ لأنَّ الله عز وجل أنزل كتابه هدى للناس وبشرى لهم، كما قال تعالى: ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ القُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢]، وكتاب في آياته بينات للهداية والفلاح، بل هو كتاب رحمة للبشرية وهدايتها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٣]، وفضلاً عن كُلِّ ذلك فقـد أُنـزل القرآن الكريم بلسان قومه الذين يفهمونه ويعرفون مقاصد الكلام، فقـال تعـالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَـى قَلْبِـكَ لِتَكُـونَ مِـنَ المُنْذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [٤]، وغير هذه الآيات التي تؤكـد هـذه المعـاني، فكيف يصرِّح القرآن بأنه كتاب هداية، ورحمة، وبيان، وأنه حجـة عـلى جميـع

(١) تفسير الكشاف ١/٣٣٦

(٢) سورة النمل: الآيتان ١–٢

(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٢

(٤) سورة الشعراء: الآيات ١٩٢–١٩٥

المسلمين ولا يستطيع فهمه إلا العلماء؟ لذلك نرى بأنَّ الله تعالى لم يصرِّح بأنَّ عدم فهم القرآن خاص بجميع الناس، أو أنهم يتبعون المتشابه فلا يصلون إلى الصراط المستقيم، بل خَصَّ طائفة منهم وهم (الذين في قلوبهم زيغ)، فالآيات الشريفة المحكمة والمتشابهة هي معلومة لا لبسَ فيها، وإنما تحتاج إلى معرفة اللغة والعقيدة، وعلى أساسهما تتم الهداية، أما لو جهل أحدهما فلا يمكنه الوصول إلى الهداية لمُراد الله تعالى، فضلاً عن الذين لا يريدون الهداية فيتَّبعون المتشابه منه لأجل إضلال الآخرين.

وفي الدراسات الحديثة لعلوم القرآن الكريم فقد ذُكِرَتْ لبيان ذلك أقوال متعددة، فيها إضافات على ما تقدم [1]، وللدكتور "محمد علي الشهرستاني" رأي جديد يستحق التأمل والتدبر فيه، فإنه يرى أنَّ في التشريع أمورًا ثابتةً، وأخرى متغيرةً، فالقانون فيه من الثوابت الأساسية التي لا يمكن تبديلها أو تغييرها، ومنها ما هو يتغير بملائمة الزمان على وفق المتغيرات والمستحدثات، وهذا من الإعجاز الإلهي للقرآن الكريم، فهو القانون الأبدي الذي يغطي الثابت والمتغير، فالآيات المحكمات لتغطية الثابت، والآيات المتشابهات لتغطية المتحرك، ولأجل تحصين

(١) للتفصيل ينظر: الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/٢٢٣-٢٢٤ ، الصالح: علوم القرآن: ٢٨٦ ، الإبراهيم، موسى إبراهيم: بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، (دار عمار، عمان، ط٣، ١٤١٦هـ١٩٩٦م): ١٥٨ ، البغا و مستو، مصطفى ديب ومحيي الدين ديب: الواضح في علوم القرآن، (دار الكلم الطيب، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م): ١٣٤ ، عتر، نور الدين: علوم القرآن الكريم، (الصباح، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ١٩٩٣م): ١٣٠ ، الزيدي: علوم القرآن والتفسير: ٩٨ ، زرزور: علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه: ١٧٩ ، محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن ٣/١٩

المتشابه من التلاعب فيه على وفق الأهواء جعل معرفة حقيقته بعد الله تعالى إلى الراسخين في العلم.[١]

يتبيَّن مما ذكرنا أهم الأسباب التي وردت في سبب تقسيم آيات الكتاب العزيز على المحكم والمتشابه، وحكمة عدم الاقتصار على أحدهما، وتبقى جميع الأقوال والوجوه قابلة للنقاش؛ لعدم وجود نصٍّ صريح لبيان حكمة أو علة ذلك من القرآن الكريم أو السنة الشريفة، بل تمت الإشارة إجمالًا إلى بيان معنى المحكم والمتشابه.

(١) ينظر: الشهرستاني، محمد علي: مدخل إلى علم الفقه، (دار النصر، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ١٩٩٦م): ٩٨

**المبحث الثاني: العلاقة بين الراسخين في العلم وتأويل القرآن.**

**في هذا المبحث نحاول بيان مطلبين مهمين؛ لنكون على بينة فيما يتعلق بالمحكم والمتشابه لأهميته، فضلاً عن الاختلاف الكبير بين العلماء النحويين والمفسرين وغيرهما فيه.**

**- المطلب الأول: العلاقة بين التأويل والتفسير.**

**- المطلب الثاني: هل يعلم الراسخون في العلم تأويل القرآن، ومَنْ هم الراسخون؟**

**لقد أشارت الآية المباركة إلى هذه العلاقة الوثيقة عند تقسيمه تعالى آيات القرآن الكريم على محكمات ومتشابهات، إذ قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الأَلْبَابِ﴾، وهذان المطلبان قد ٱختلف المسلمون في بيانهما والإحاطة بهما، فٱختلفوا في تفسير ذلك بما يلائم عقائدهم، وإنْ كانت تلك العقيدة تخالف ظاهر القرآن الكريم أحيانًا؛ لأجل ذلك فقد ٱستوجب المنهج العلمي دراسة هذين المطلبين والبحث فيهما للوصول إلى حقيقة من حقائق القرآن الكريم؛ كونه المعجزة الخالدة للشريعة المقدسة.**

– المطلب الأول: العلاقة بين التأويل والتفسير.

قال "الطبرسي"في بيان التأويل: ((التأويلُ رَدُّ أَحَدِ المُحْتَمَلَيْنِ إلى ما يُطابِقُ الظَّاهِرَ)). [١]

وقال "الزركشي": ((التأويلُ صَرْفُ الآيَةِ إلى ما تَحْتَمِلُهُ مِنَ المَعاني)). [٢]

وخلاصة ما ذكر يتضحُ أَنَّ التأويل هو بيان المعنى الدقيق والعميق للفظ الذي يحتمل معاني متعددة، وهذا يحتاج إلى تأملٍ وتَعَمُّقٍ لفهم المراد من القول، وقد أكَّدَ العلماء ذلك من خلال كلماتهم في بيان المراد من التأويل على الرغم من الاختلاف الوارد فيه، ولكنه يلتقي في أمرٍ مهمٍّ يتعلق بالوجوه المحتملة للفظ، وليس للفظ الذي له وجه واحد ظاهر معناه فيه.

قال "الطبرسي" في بيان التفسير: ((كَشْفُ المُرادِ عَنِ اللَّفْظِ المُشْكِلِ)). [٣]

وقال "الزركشي": ((كَشْفُ مَعاني القُرْآنِ وَبَيانُ المُرادِ)). [٤]

فهذه الكلمات وغيرها من كلمات العلماء تشير إلى أمر واحد وهو معرفة المراد من ألفاظ القرآن الكريم، والتي تمثلت بما هو بين الدفتين من كلامه تعالى، فالوصول إلى مفهوم اللفظ وبيان معناه هو التفسير إجمالاً.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٩/١

(٢) البرهان في علوم القرآن ٩٧/٢ وذكر السيوطي ما ورد من الأقوال في المراد من التأويل. للتفصيل ينظر: الإتقان في علوم القرآن ١٦٧/٤-١٦٩

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٩/١

(٤) البرهان في علوم القرآن ٩٧/٢ لم يقيَّد الزركشي التفسير بالمشكل من اللفظ، بل بمطلق البيان لكلام الله تعالى لذا ذكر تعريف التفسير قوله: ((أَعَمُّ مِنْ أَنْ يَكونَ بِحَسَبِ اللَّفْظِ المشْكِلِ وَغَيْرِهِ، وَبِحَسَبِ المعْنَى الظَّاهِرِ وَغَيْرِهِ)).

إنَّ التأكيد على اللفظ المشكل أدى إلى حصر بعض العلماء التفسير فيه دون غير المشكل منه، إذ لا يطلق عليه تفسيرًا، ولعل هذا ما أراده "الطبرسي" في قوله المتقدم، بل إنَّ السيد "محمد باقر الصدر" (ت١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) رجَّحَ أنَّ التفسير إنما يشمل اللفظ المشكل فقط دون سواه، وإنْ كان معناه اللغوي يشمل البيان والإيضاح والكشف وغيرها، ولكنه في الاصطلاح العلمي يتعلق باللفظ المشكل خاصة، فيقول بعد مناقشة تعريف التفسير: ((فمَنْ يسمعُ كلامًا له معنًى ظاهرٌ يتبادرُ من ذلكَ الكلامِ فيعلنُ عن ذلكَ المعنى لا يكونَ مُفَسِّرًا للكلامِ؛ لأنَّهُ لم يكشفْ عن شيءٍ خفيٍّ، وإنما يصدقُ التفسيرُ على الجُهدِ الذي يبذلُهُ الشخصُ في سبيلِ ٱكتشافِ معنى الكلامِ المكتَشَفِ بشيءٍ من الغموضِ والخفاءِ، وبتعبيرٍ آخرٍ: إنَّ مَنْ أظهرَ معنى اللفظِ يكونُ قد فسَّره، وأما حيث يكونُ المعنى ظاهرًا ومتبادرًا بطبيعتِه فلا إظهارَ ولا تفسيرَ)). [1]

وفيما يتعلق بالعلاقة بين التأويل والتفسير فلعل المطَّلع على ما تقدم من التعريفات لهما يرى أنَّ هناك علاقة بينهما من جهة، وٱفتراق من جهة أخرى، أي علاقة عموم وخصوص من جهة، أما جهة العموم فتتعلق بالكشف عن كلام الله تعالى ومعرفته، وأما الخصوص فإنَّ التأويل يشمل اللفظ الذي له معانٍ ووجوه متعددة وهو يحدد أحد تلك الوجوه مع ٱشتراط عدم مخالفتها للقرآن الكريم، وأما

(١) وقد قسم السيد الصدر الظهور على نوعين: بسيطٌ ومُعَقَّدٌ، فلم يعد الظهور البسيط من التفسير لظهوره بنفسه، مقابل المعَقَّد الذي يحتاج إلى بذل جهد. للتفصيل ينظر: المدرسة القرآنية، تح: لجنة التحقيق للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، (شريعت، قم، ط٣، ١٤٢٦هـ): ١٩٢

التفسير فلا يشمل ذلك، وعند ٱستقراء كلمات الأعلام نرى أنَّ هناك مَنْ يؤكد ما تقدم مَنْ ٱفتراق المصطلحين في المعنى [١]، وهناك مَنْ يرى عدم الافتراق بينهما. [٢]

**– المطلب الثاني: هل يعلم الراسخون في العلم تأويل القرآن، ومَنْ هم الراسخون؟**

في هذا المطلب نحاول أنْ نسلط الضوء على مسألة مهمة جدًّا لها علاقة بفهم كتاب الله تعالى وتأويله قد ٱختلف العلماء والمفسرون بها، ما بين مؤيِّدٍ بأنَّ الراسخين في العلم يعلمون تأويل الكتاب أو المتشابه من آياته، ونافٍ لذلك في حصر التأويل بالله تعالى دون سواه، وهذه –بصراحة– إشكالية تحتاج إلى بيانها ودراستها دراسة مستفيضة؛ لنكون على بينة في التعامل مع الروايات التفسيرية الشريفة لكتاب الله تعالى، فلو حصل الاطمئنان بتأييد أنَّ الراسخين بالعلم يعلمون تأويل القرآن الكريم فيمكن الركون إليهم في تلك الروايات التفسيرية بعد الوثوق من صحة صدورها عنهم، وإلا فلا يمكن ذلك، ويُسلَّم الأمر لله تعالى.

إنَّ الرسوخ في الأمر هو الثبات فيه كما ذكره اللغويون، قال "ٱبن فارس": ((الراءُ والسينُ والخاءُ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الثَّباتِ، ويقال: رَسَخَ: ثَبَتَ، وكُلُّ

(١) للتفصيل ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/٩٧–٩٨ ، مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/٧–٨ ، مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٥/٧١ ، الجبوري، محمد عباس نعمان: تأويل المتشابه عند المفسرين، (أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الفقه، ٢٠٠٨م): ٩٢

(٢) ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١/١٠

راسخٍ ثابتٌ))[١]، وقال "الراغب الأصفهاني": ((رَسَخَ: رسوخُ الشيءِ ثباتُهُ ثباتًا متمكِّنًا، ورسخَ الغديرُ نَضُبَ ماؤُهُ ورسخَ تحتَ الأرضِ، والراسخُ فى العلمِ المتحقِّقُ به، الذي لا يعرضُهُ شبهةٌ، فالراسخونَ فى العلمِ هم الموصوفونَ بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾[٢] وكذا قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُمْ﴾[٣])).[٤]

وإنَّ العلماء قد ٱنقسموا على قولين رئيسين في المسألة، وهناك رأي ثالث عند بعضهم، ومنشأ ذلك هو الاختلاف في معنى حرف (الواو) الوارد في قوله تعالى ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ هل هو حرف عطف أم ٱستئناف، وسوف نذكر بعض كلمات العلماء في ذلك:

ذهب "الفراء" (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م) إلى أنَّ الراسخين لا يعلمون التأويل فقال: ((ثم قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ ثم ٱستأنفَ ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ فرفعهُم بـ﴿يَقُولُونَ﴾ لا بٱتباعِهم إعرابَ الله)).[٥]

وإنَّ "الطبري" قد فصَّل الآراء التي وردت في الآية المباركة وحجة كُلٍّ رأي في تفسيره فقال: ((وٱختلفَ أهلُ التأويلِ في تأويلِ ذلكَ [بأنَّ الله وحده يعلم التأويل دون غيره]، وهل ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ معطوفٌ على ٱسمِ ﴿اللهِ﴾، بمعنى إيجابِ

(١) معجم مقاييس اللغة مادة (رسخ).

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٥

(٣) سورة النساء: الآية ١٦٢

(٤) مفردات غريب القرآن: ٢٠٢ (رسخ).

(٥) يحيى بن زياد: معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، (مط أمير، الناشر: ناصر خسرو، ط١، قم، د.ت) ١٩١/١

العلمِ لهم بتأويلِ المتشابهِ، أَمْ هم مستأنَفٌ ذكرُهم، بمعنى الخبرِ عنهم أنهم يقولونَ: آمنَّا بالمتشابهِ وصدَّقنا أنَّ علمَ ذلكَ لا يعلمُه إلا اللهُ)) [١]، ثم ذكر أحاديث ستة وردت في نفي علم الراسخين بالتأويل، وذكر بعدها أحاديث خمسة تؤكد علمهم به [٢]، وإنَّه قد رجَّح القول بنفي علمهم بالتأويل ٱعتمادًا على ما فهمه من الآية المباركة، فضلاً عن ورود قراءة يطمئنُّ بها تدعم هذا الرأي، وإنْ كانت هذه القراءة لم ترد في القراءات السبعة أو العشرة [٣]، فقال: ((والصوابُ عندَنا في ذلكَ أنَّهم مرفوعونَ بجملةِ خبرِهم بعدَهم وهو﴿يَقُولُونَ﴾، لما قد بيَّنا قبلُ من أنَّهم لا يعلمونَ تأويلَ المتشابهِ الذي ذكرهُ اللهُ عز وجل في هذهِ الآيةِ، وهو فيما بلغني مع ذلكَ في قراءةِ أُبيٍّ: "وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ" كما ذكرناهُ عن ٱبنِ عباسٍ أنه كانَ يقرؤه، وفي قراءة عبد الله: "إِنْ تَأْوِيلُهُ إِلا عِنْدَ اللهِ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ")). [٤]

وقال "النحاس" بمعرفة الراسخين في العلم التأويل: ((﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ والرَّاسِخونَ﴾ عطفٌ على الله جَلَّ وَعَزَّ، هذا أحسنُ ما قيلَ فيه؛ لأنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ مَدَحَهُمْ بالرسوخِ في العلمِ، فكيفَ يمدحُهُمْ وَهُمْ جُهَّالٌ)). [٥]

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦/٢٠١

(٢) المصدر نفسه ٦/٢٠٢-٢٠٤

(٣) وكذلك لم يذكرها "ٱبن جني" في كتابه الشهير المختص بالقراءات الشاذة "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها". ولكنها وردت في بعض التفاسير، للتفصيل ينظر: الخطيب، عبد اللطيف: معجم القراءات، (دار سعد الدين، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م) ١/٤٤٥

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦/٢٠٤

(٥) إعراب القرآن ١/١٤٧

وذكر "مكي بن أبي طالب القيسي" بأنَّ الراسخين يعلمون التأويل إذ يقول: ((قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ عطفٌ على ﴿اللهُ﴾ جل ذكره فهم يعلمونَ المتشابهَ؛ ولذلكَ وصفَهم اللهُ تعالى بالرسوخِ في العلمِ، ولو كانوا جُهَّالًا بمعرفةِ المتشابهِ لما وُصِفوا بالرسوخِ في العلمِ، فأما ما رويَ عنِ ٱبنِ عباسٍ أنه قرأ "ويقولُ الراسخونَ في العلمِ آمنَّا بهِ" فهي قراءةٌ تُخالِفُ المصحفَ، وإنْ صَحَّتْ فتأويلُها ما يعلمُهُ إلا اللهُ والراسخونَ في العلمِ، ويقولونَ آمنَّا بهِ)). [١]

وقال "الغزالي": ((فَإِنْ قِيلَ: (الوَاوُ) لِلْعَطْفِ أَمْ الأَوْلَى الوَقْفُ عَلَى الله؟ قُلْنَا" كُلُّ وَاحِدٍ مُحْتَمَلٌ، فَإِنْ كَانَ المُرَادُ بِهِ وَقْتَ القِيَامَةِ فَالوَقْفُ أَوْلَى، وَإِلَّا فَالعَطْفُ، إِذِ الظَّاهِرُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُخَاطِبُ العَرَبَ بِمَا لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ لِأَحَدٍ مِنْ الخَلْقِ)). [٢]

وذهب "الزمخشري" إلى أنَّ الراسخين بالعلم لهم معرفة بتأويله فقال: ((﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ أي لا يهتدي إلى تأويلِه الحق الذي يجبُ أنْ يحملَ عليهِ إلا اللهُ وعبادُهُ الذينَ رسَخوا في العلمِ، أي ثبتوا فيهِ وتمكَّنُوا، وعَضُّوا فيهِ بضرسٍ قاطعٍ)) [٣]، ثم ذكر بعد ذلك القول الثاني المخالف للرأي الأول وحجة القائلين به، ولكنه صرَّح بأنَّ الراسخين يعلمون التأويل فقال: ((والأولُ هو الوجهُ)). [٤]

---

(١) القيسي: مشكل إعراب القرآن، تح: د. حاتم صالح الضامن، (مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤٠٥هـ) ١/١٥٠

(٢) المستصفى في علم الأصول ١/٨٥

(٣) تفسير الكشاف ١/٣٦٦

(٤) المصدر نفسه.

وقد رجَّح "الرازي" أنَّ الراسخين في العلم لا يعلمون التأويل وذكر القائلين بذلك إذ يقول: ((ومِنَ المعتزلةِ قولُ أبي عليٍّ الجبائيِّ وهو المختارُ عندنا))[١]، ثم ذكر حججًا ست تأييدًا لقوله[٢]، ولكننا نستغرب هذا الرأي؛ لأنه ذكر صراحة بأنَّ أكثر المتكلمين قد أيَّدوا علم الراسخين بالتأويل إذ قال: ((والقول الثاني: إنَّ الكلامَ إنَّما يتمُّ عند قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾، وعلى هذا القولِ يكونُ العلمُ بالمتشابهِ حاصلًا عندَ اللهِ تعالى وعندَ الراسخينَ في العلمِ، وهذا القولُ أيضًا مرويٌّ عن ٱبنِ عباسَ، ومجاهدَ، والربيعِ بنِ أنسٍ وأكثرِ المتكلمينَ)). [٣]

ورجَّح "العكبري" (ت٦١٦هـ/١٢١٩م) علم الراسخين بتأويل الكتاب إذ قال: ((﴿الرَّاسِخُونَ﴾ معطوفٌ على ٱسمِ اللهِ، والمعنى: إنَّهم يعلمونَ تأويلَهُ أيضًا، و﴿يَقُولُونَ﴾ في موضعِ نصبٍ على الحالِ، وقيلَ: ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ مبتدأ، و﴿يَقُولُونَ﴾ الخبر، والمعنى: إنَّ الراسخينَ لا يعلمونَ تأويلَهُ بل يؤمنونَ بهِ)).[٤] ولا يخفى على المتتبع أنَّ تعبيره بـ(قيل) عن الرأي الثاني يعزز ترجيحه للقول الأول بأدنى تأمل.

وقال الشيخ "البلاغي" (ت١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) عند تفسيره للآية الشريفة وبيانه للخلاف فيها: ((وهذا الخلافُ مما لا يكتفي فيهِ بالمصادراتِ، ولا لعلَّ وليتَ، بل لا بد فيه من إيراد الدلائلِ الرافعةِ لتشابهِ مواردِ الواوِ في عطفِ المفردِ، أو

(١) التفسير الكبير ٧/١٤٥

(٢) المصدر نفسه ٧/١٤٥-١٤٧

(٣) المصدر نفسه ٧/١٤٥

(٤) عبد الله بن الحسين: إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، (مط أمير، الناشر: مؤسسة الصادق، ط٣، د.ت) ١/١٢٢

الجملةِ، أو الاستئنافِ .... وأما القول الثاني [وهو العلم بالتأويل] فحجتُـهُ دلالـةُ العقلِ، والنقلِ الصحيحِ من الفريقينِ، وسياقِ القرآنِ الكريمِ، [ولو لم يعلموا] فيكونُ القسمُ الكبيرُ من القرآنِ الكريمِ لا فائدةَ في تنزيلهِ للبشرِ مطلقًـا، حتـى الرسـولِ الأكرمِ، إلا صدى ألفاظِهِ، وسوادِ حروفِهِ)). (١)

فهذان هما الرأيان الأساسين فيما يتعلق بعلم الراسخين بالتأويل وعدمـه، وأما الرأي الثالث فهو الذي يجمع بينهما، من حيث القول بعلم الراسخين بـذلك أيضًا، ولكن ليس العلم المطلق المختص بعضه بالله تعالى، مع الجزم بعلمهم بما يتعلق بكتاب الله تعالى وتأويله وتفسيره، وهذا ما ذهب إليـه الـسيدان الـشريفان "الرضي" (ت٤٠٦هـ/١٠١٥م)، و "المرتضى" (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م). (٢)

لقد حاول الباحث أنْ يؤكد من خلال ذكر ما تقدم من كلمات الأعلام التي سلطت الضوء على مسألة مهمة جدًا لها علاقة بعلوم القرآن الكريم ، فـضلًا عـن علاقتها بالعقيدة وٱختلاف الفِرَق الإسلامية على أقـوال، ولكننـا بعـد التحقيـق والتدقيق في الآيات المباركة والأحاديث الشريفة والتأمل في الغاية من إنزال الكتب السماوية وإرسال الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) نرى أنه لا يمكن القول مطلقًا

(١) البلاغي، محمد جواد: آلاء الرحمن في تفسير القرآن، (مط العرفـان، صـيدا، ١٣٤١هـ ١٩٣٣م) ١/٢٥٦-٢٥٧ ، لقد ذكر الشيخ أدلة القولين والروايات المؤيدة لكُلٍّ مـنهما، وبعد تأييده للثاني وبيانه للروايات يخلص إلى القول: ((ولو كانَ علمُ التأويـلِ منحـصرًا بالله، ولم يُعَلِّمْهُ رسولَهُ والراسخينَ في العلمِ، لما دعا به رسولُ الله "صلى الله عليـه وآلـه وسلم" لابنِ عباس، وما هو معنى الدعاءِ بما لا يُرْجَى وقوعُهُ)).

(٢) ينظر: حقائق التأويل في متشابه التنزيل ٧/٥ ، أمالي السيد المرتضى، تص: محمد بدر الدين النعساني الحلبي، (الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعـشي النجفـي، قـم، ط١، ١٤٠٣هـ، د.مط) ٩٤/٢

بأنَّ الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل الآيات المتشابهة ومعرفة حقيقتها، وأنَّه أمرٌ مختصٌّ بالله تعالى؛ لأنَّ ذلك –بصراحة– يخالف كثيرًا من الآيات التي تدل على علمهم ووجوب تعليمهم الناس آيات الكتاب، وإلا فكيف نفهم قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١)، فالآية الكريمة واضحة وصريحة في بيان علة بعث الأنبياء (عليهم السلام)، فكيف يتلو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليهم آيات لا يعرف تأويل المتشابه منها ؟ وكيف يعلمهم كتابًا ليست له إحاطة به –حاشاه– ؟ وإذا كان خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله وسلم) وأوصياؤه (عليهم السلام) لا يعلمون ذلك فكيف سيكونون هداة للأمة؟ وسُبُلاً إلى معرفة الله تعالى وطاعته؟

إنَّ علم الراسخين بالعلم تأويل القرآن أمر لا يمكن أن ينكره أو يشك فيه الباحث في كتاب الله تعالى، بل كُلُّ مسلم؛ لأنَّ القرآن هو المعجزة الإسلامية الخالدة، والحجة على الخلق أجمعين، ولا بد أنْ تكون المعجزة الخالدة والحجة والبينة لله تعالى ظاهرة وواضحة، أو هناك مَنْ له القدرة على بيانها وتوضيحها ليتحقق أمرين مهمين من خلاله، الأول: إتمام الحجة على الخلق في الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى، والثاني: معرفة حجج الله على العباد الذين أئتمنهم على شريعته، وأمر الناس بطاعتهم وولايتهم، بل حفظ بهم الأمة من الضلال والانحراف، كما تواتر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ الآخَرِ كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي

(١) سورة الجمعة: الآية ٢

وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْض)) [١]، فكيف يُخَلِّف النبي في أمته كتابًا لا يمكن معرفة كُلِّ آياته من قِبل الأمة؟ ولا يستطيع كذلك الأئمة تأويل آياتـه، فهـذا مخالفٌ للحكمةِ، ولقولِ الحكيم، وعلةِ البعث.

وبعد أنْ بيَّنا أنَّ الراسخين يعلمون بتأويل القرآن، فلا بد من معرفة مَنْ هـم الراسخون، ويمكن ذلك بالرجوع إلى بعض الروايات المباركة، والتـي أكـدت أغلبها على أنَّ النبي والأئمة (عليهم السلام) هم الراسخون في العلم، فمـن تلـك الروايات:

١- عن بريد بن معاوية قالَ: ((قلتُ لأبي جعفرٍ الباقر (عليه السلام) قولَ الله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ قالَ: يعني تأويـلَ القـرآنِ كُلِّـهِ، إلا اللهُ والراسخونَ في العلمِ، فرسولُ الله أفضلُ الراسخينَ، قد علَّمَهُ اللهُ جميعَ ما أُنزل عليهِ من التنزيلِ والتأويلِ، وما كانَ اللهُ منزلاً عليهِ شيئًا لم يعلمهُ تأويلَهُ وأوصياؤهُ من بعدهِ يعلمونَهُ كُلَّهُ)). [٢]

٢- عن أبي بصيرٍ عن أبي عبدِ الله الصادق (عليه السلام) يقولُ: ((إنَّ القرآنَ محكمٌ ومتشابهٌ .... والراسخونَ في العلمِ هم آلُ محمدٍ)). [٣]

---

(١) أحمد بن حنبل: مسند أحمد وبهامشه منتخب كنز العمال، (دار صادر، بـيروت، د.ط، د.ت) ١٤/٣ ، الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين ١٤٩/٣

(٢) الكليني: الكافي ٢١٣/١ باب (إنَّ الراسخين في العلم هم الأئمـة "علـيهم الـسلام") الحديث ٢ ، وينظر: العياشي: تفسير العياشي ١٦٤/١ ، القمي، عـلي بـن إبـراهيم: تفسير القمي، تص وتع وتق: السيد طيب الموسوي الجزائري، (دار الكتـاب، قـم، ط٣، ١٤٠٤هـ) ٩٦/١ ولكن عن يزيد بن معاوية

(٣) العياشي: تفسير العياشي ١٦٣/١

٣- عن أبي بصيرٍ عن أبي عبدِ الله الصادق (عليه السلام) قالَ: ((نحنُ الراسخونُ في العلمِ، فنحنُ نعلمُ تأويلَهُ)). [١]

٤- عن عبد الرحمنِ بن كثيرٍ، عن أبي عبدِ الله الصادق (عليه السلام) قالَ: ((الراسخونَ في العلمِ أميرُ المؤمنينَ والأئمةُ من بعدهِ "عليهم السلام")). [٢]

فهذه بعض تلك الروايات [٣] التي وردت عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تؤكد معرفتهم بتأويل القرآن، ومعرفة حقيقته وأسراره؛ لكونهم أوصياء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما ثبت ذلك في علم الكلام.

وأما العامة الذين قالوا بأنَّ الراسخين يعلمون التأويل فهم يؤكدون علم بعض الصحابة بذلك، وقد وردت روايات عنهم [٤]، وقد ذُكِر عن الشيخ "محمد عبده" (ت١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) في "تفسير المنار" قوله: ((ومما يحتجُّ به مَنْ قالَ الراسخونَ في العلمِ يعلمونَ التأويلَ ما ثبتَ في صحيحِ البخاري وغيره عن ٱبنِ

(١) الكليني: الكافي ٢١٣/١ باب (إنَّ الراسخين في العلم هم الأئمة "عليهم السلام") الحديث ١ ، الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٧٩/٢٧ باب (عدم جواز ٱستنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلا بعد معرفة تفسيرها من الأئمة "عليهم السلام") الحديث ٥ ، العياشي: تفسير العياشي ١٦٤/١

(٢) الكليني: الكافي ٢١٣/١ باب (إنَّ الراسخين في العلم هم الأئمة "عليهم السلام") الحديث ٣ ، الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٧٩/٢٧ باب (عدم جواز ٱستنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلا بعد معرفة تفسيرها من الأئمة "عليهم السلام") الحديث ٥

(٣) وقد ذكر الدكتور "عبد الرسول الغفاري" ٱثنين وأربعين حديثًا يستدلُّ بها على معرفة الأئمة تأويل الكتاب وأنهم الراسخون في العلم للتفصيل، وفي بعض تلك الأحاديث نظر، وفي بعضها تشابه ينظر: المحكم والمتشابه: ١٢١-١٣٣

(٤) ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧٤/٦، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧

عباس أنَّ النبيَّ "صلى الله عليه وسلم" دعا له وقال: "اللهُمَّ فَقِّهْهُ في الدينِ، وعلِّمْهُ تأويله" فقد دعا له بعلمِ التأويلِ مطلقًا، وٱبنُ عباسٍ فسَّرَ القرآنَ كُلَّهُ، قال مجاهدُ: "عرضتُ المصحفَ على ٱبنِ عباسٍ من أولهِ إلى آخرهِ أقِفُهُ عندَ كُلِّ آيةٍ وأسألهُ عنها وكانَ يقولُ: أنا من الراسخينَ في العلمِ الذينَ يعلمونَ تأويلهُ")). [١]

فالنبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) هم الراسخون في العلم الذين يعلمون تأويل الكتاب، ومن ثم العلماء الصادقون السائرون على منهجهم، الناهلون من معينهم، الواردون على مشاربهم، والذين جاهدوا في الله حق جهاده كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾. [٢]

(١) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، (دار المنار، مصر، ط٣، ١٣٦٧هـ) ١٨٣/٣

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٦٩

**المبحث الثالث: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في المحكم والمتشابه.**

نختم هذا الفصل بما يراه السيد "الشهرستاني" فيما يتعلق بالمحكم والمتشابه، وفوائد اشتمال القرآن الكريم على الآيات المتشابهات، فيذكر في مخطوطاته ما يتعلق بالمحكم والمتشابه من حيث التعريف [١]، وبعض الآيات المتشابهة وكيفية فهمها وتوجيهها [٢]، وما يتعلق بالراسخين في العلم. [٣]

وقد ناقش موضوع تقسيم الآيات على المحكم والمتشابه واختلاف المذاهب في فهم المقصود من تلك الآيات نقاشًا كبيرًا، والأسباب التي أدت إلى تفرُّق المسلمين على مذاهب متعددة في الوقت الذي يدعو الإسلام إلى الهداية وتوحيد الأمة.

وأما عن سبب اشتمال القرآن على الآيات المتشابهة فله في ذلك تفسيرات جليلة نذكر بعضها في هذا المبحث وسيتم تفصيلها في باب التحقيق، فيقول: ((يحقُّ لكم التساؤلُ عن الحكمةِ التي أدخلَتْ مثلَ هذه المتشابهاتِ في آياتِ ذكرِ الحكيمِ، بينما هدفُ القرآنِ جمعُ الكلمةِ، وجمعُ شتاتِ الأمةِ، وهدايةُ القُراءِ إلى الحقِّ الذي لا ريبَ فيهِ، وتنويرُ البصائرِ بالحقائقِ المتمحصةِ عن الشكوكِ والشبهاتِ. وجوابنا عن ذلك (أولاً) إنَّ الحكمةَ في وجودِ المتشابهاتِ لو لم تكن أجلَّ وأنفعَ من وجودِ المحكماتِ فليستْ بأقلَّ، فإنَّ القرآنَ رشفةُ هدايةٍ عامةٍ لجميعِ أجيالِ البشرِ، وينبوعُ علمٍ خالدٍ ما دامَ البشرُ "الإنسان" والأكوانُ ....)) [٤]، فالسيد

(١) ينظر: باب التحقيق، الفصل الثالث، المبحث الأول ص٢٧٢-٢٧٦

(٢) ينظر: باب التحقيق، الفصل الثالث، المبحث الثاني ص٢٨١-٢٩١

(٣) ينظر: باب التحقيق، الفصل الثالث، المبحث الثاني ص٢٨١

(٤) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط الفوائد الطوسية، (مكتبة الجوادين العامة، الكاظمية): ٦

يرى أنَّ ٱختلاف الأذهان عند الناس، وخلود القرآن إلى آخر الدهر من الأسباب الأساسية لاشتماله على المتشابهات لتكون مادة لذلك، فيقول: ((والحكمةُ في هذا أولاً: ٱختلافُ الأذواقِ والأفهامِ وتطلُّبُ كُلٍّ ما يناسبُهُ، كٱختلافِهم في طباعِهم في التذوُّقِ بالأطعمةِ والألبسةِ .... ثالثًا: إنَّ وجودَ المتشابِهِ هو مادةُ الخلودِ، فالكتابُ الخالدُ يجبُ أنْ يشتملَ على أسبابِ الخلودِ وهي أنواعُ المتشابِهِ ....)). [1]

إنَّ ما ذكره والوجوه الأخرى فيها توجيه لطيف لسبب ٱشتمال القرآن على المتشابهات [2]، وفيها قراءة تأملية مجردة عن تقليد أقوال القدماء في بيان أسباب ذلك، فضلاً عن ٱعتقاده بأنَّ الأئمة (عليهم السلام) هم الراسخون في العلم، العالمون بتأويل القرآن الكريم، وإن لم يصرح بذلك ولكن يفاد من الوجه الثامن، وكذلك إن من يتأمل أغلب هذه الوجوه يرى أنه ينطلق من قاعدة ثابتة راسخة، وهي عالمية القرآن وخلوده أبد الدهر، بل إنه يعتقد بأن ٱشتمال القرآن على المتشابهات دليل على إعجاز القرآن الكريم، وليس عجزه كما يريد أن يتصوره أعداء الإسلام، أو الذين في قوبهم زيغ.

وخلاصة القول: إنَّ وجود المتشابهات في القرآن الكريم فيها حكمة بالغة لا يعرفها إلا الراسخون في العلم، الذين يفهمون حقيقة القرآن الكريم، وإنَّ وجود تلك الآيات لا يعني عدم التأمل والتدبر في آيات الله تعالى، والتسليم لظاهر الألفاظ

---

(١) مخطوط الدلائل ٤/٥٨١

(٢) لقد ذكر عددًا من الوجوه المهمة فيما يتعلق بهذا الباب من أبواب علوم القرآن الكريم، فضلاً عن بيان منزلته وجهوده في خدمة كتاب الله تعالى، وهذه غاية عظيمة في حياته العلمية طالما كان يصرِّح بها، وسيتم بيانها تفصيلاً. ينظر: باب التحقيق، الفصل الثالث، المبحث الرابع: ٢٩٧-٣٠٧

دون التعمُّق في معانيها؛ لذلك نرى أنَّ السيد الشهرستاني كان يحاول من خلال تفسيره للآيات المتشابهات، أو لآيات القرآن عامة بذل الوسع في الاستعانة بالعلوم الأخرى، من أجل الوصول إلى معنًى معيَّن يراه مناسبًا للنص القرآني، ولم يرضَ دعوات الجمود أمام بعض النصوص القرآنية، وقد صَرَّح بذلك، وٱنتقد مَنْ يدعو إليها بشدة، كما ورد في مخطوطاته. (١)

(١) ينظر مثلاً ما ورد في التجسيم لله تعالى باب التحقيق، الفصل الثالث، المبحث السادس ص٣١٩-٣٢٥

## (الفصل الرابع)

## الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم

- **المبحث الأول**: تعريف الإعجاز القرآني ومراحل تحديه.
- **المبحث الثاني**: موضوعات في البلاغة القرآنية.
- **المبحث الثالث**: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في الإعجاز القرآني.

# الفصل الرابع

## الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم

إنَّ البحث عن الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم يعد من أهم البحوث في الدراسات القرآنية؛ لعلاقته الوثيقة بالجانب الإعجازي الخالد لكتاب الله تعالى، فالقرآن قد نزل في أمة كانت في أوج البلاغة والفصاحة وذروتها، فلم يكن هناك من يستطيع أنْ يجاريهم، فكانت العرب تعقد الندوات العلمية الأدبية لبيان فضل رجالها وسبقهم في ذلك، ولقد حفظ لنا التأريخ العربي عددًا من تلك الأندية العلمية ومنها سوق عكاظ، هذا الاجتماع الكبير والملتقى الأدبي، إذ تجتمع الشعراء لتعرض على كبارها ما تكنُّه قرائحهم من الفنون، وتفتخر بذلك. (١)

فالقرآن الكريم أتاهم عن طريق ما يُؤمنون به، ويُحسنونه ويُبدعون فيه وهو البلاغة العربية، وهذا المنهج الأمثل في دعوات الأنبياء (عليهم السلام) وتحدِّيهم؛ إذ يُعرضون على أقوامهم من المعجزات ما تلائم العلوم التي يتفوَّقون بها؛ ليتأكَّد

(١) وللشعراء فيها مواقف كثيرة ومتعددة؛ لذا سُمِّي السوق بـ(عُكاظ) من أجل ذلك، عَكَظَ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه بالمفاخرة، وتقع بين الطائف ومكة. الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م) ١٤٢/٤
وقد روى الرواة مواقف خالدة للشعراء فيها فذكروا أنَّ "النابغة الذبياني" كانت تضرب له قبة حمراء فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها فيحكم بينهم، ويصحح لهم، وله مع "حسان بن ثابت" و"الأعشى" و"الخنساء" وغيرهم مواقف في ذلك، تدل على نبوغ البلاغة عند العرب آنذاك، فضلاً عن ٱفتخارهم فيها. للتفصيل ينظر: ٱبن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، تح: أحمد محمود شاكر، (دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت)١٦٧/١ ، العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله: المصون في الأدب، تح: عبد السلام محمد هارون، (مط حكومة الكويت، الكويت، ط٢، ١٩٨٤م): ٣

لهم أنَّ ما يأتي به النبي هو خير مما يأتون به وأعظم، ولا يمكن أنْ يأتوا بمثله، وهذا الأمر كان جليًّا عند كبار قريش بأنَّ ما أتى به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن من كلام البشر، بل هو معجز من الله تعالى، فالقرآن قد أتى بأنواع فنون البلاغة العربية التي تستعملها العرب في مخاطباتهم بأقصر الكلمات، وأعذب المعاني وأرقاها، مما جعلهم يذعنون صاغرين لذلك، والأمثلة كثيرة جدًا في ذلك، نذكر منها ما ورد في آية واحدة من آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [١]، قال "السكاكي" (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م): ((والنظرُ في هذهِ الآيةِ من أربعِ جهاتٍ: من جهةِ علمِ البيانِ، ومن جهةِ علمِ المعاني وهما مرجِعا البلاغةِ، ومن جهةِ الفصاحةِ، ومن جهةِ الفصاحةِ اللفظيةِ.... ولله دَرُّ شأنِ التنزيلِ، لا يتأمَّلُ العالِمُ آيةً من آياتهِ إلا أدركَ لطائفَ لا تَسَعُ الحصرَ، ولا تظننَّ الآيةَ مقصورةٌ على ما ذكرتُ، فلعلَّ ما تركتُ أكثرَ مما ذكرتُ)) [٢]، قال "الزركشي" في الآية الشريفة: ((فيها من الأنباءِ ما لو شُرِحَ ما ٱندرجَ في هذهِ الجملةِ من بديعِ اللفظِ، والبلاغةِ، والإيجازِ، والبيان لجفَّتِ الأقلامُ وٱنحسرتِ الأيدي)) [٣]، وزاد "السيوطي" على "الكرماني" قوله: ((أجمعَ المعاندونَ على أنَّ طَوْقَ البشرِ قاصِرٌ عن الإتيانِ بمثلِ هذهِ الآيةِ، بعدَ أنْ فَتَّشوا جميعَ كلامِ العربِ والعجمِ، فلم يجدوا مثلها في فخامةِ

(١) سورة هود: الآية ٤٤

(٢) وقد فصل القول في ما يتعلق بكل جهة من هذه الجهات الأربع وما فيها من أسرار اللفظ وعظمة المعنى. ينظر: يوسف بن أبي بكر: مفتاح العلوم: تع: نعيم زرزور، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ١٩٨٧م): ٤١٦-٤٢٠

(٣) البرهان في علوم القرآن ٣/١٤٥

ألفاظِها، وحُسْنِ نظمِها، وجودةِ معانيها في تصويرِ الحالِ مع الإيجازِ من غيرِ إخلالٍ)) [١]، وفيها فنون متعددة من البلاغة، على الرغم من أنَّ كلمات الآية سبع عشرة لفظة، وقد أفردت هذه الآية بتآليف منفردة، ففيها بلاغة عظيمة أذهلت العرب عند سماعها. [٢]

وقال السيد "هبة الدين الشهرستاني": ((اشتملتِ الآيةُ على ثلاثةٍ وعشرينَ نوعًا من البديعِ، وقد أضفتُ على هذهِ الوجوهِ الوجيهةِ عدةَ وجوهٍ أُخرى لتكملةِ الثلاثينَ، ولو شئنا أنْ نضيفَ المحاسنَ البيانيةَ على البديعيةِ وسائرِ الصنائعِ الاصطلاحيةِ لتجاوزتِ الأربعينَ، وفاضَتْ، ثم فاضَتْ)). [٣]

وللمفسرين كلام في بلاغة الآية الشريفة [٤]، فضلاً عن البلاغيين. [٥]

إذًا فمعرفة البلاغة العربية أساس لفهم أسرار كتاب الله تعالى، وأسباب خلوده، ونصرته على معانديه بتحديه إياهم؛ لذلك كتب العلماء في البلاغة وفنونها من أجل

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١٦٥/٣

(٢) ذكر "الدرويش" واحدًا وعشرين من أهم فنون البلاغة التي تضمنته الآية الشريفة بما يذهل اللب. ينظر: محيي الدين: إعراب القرآن وبيانه، (سليمان زاده، قم، ط٢، ١٤٢٨هـ) ٤٢٨/٣-٤٣٧

(٣) للتفصيل ينظر: المعجزة الخالدة، (مط الميناء، بغداد، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، د.ط): ٣٥-٣٨

(٤) ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٤٩٢/٥-٤٩٣ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٣٧٦/٢ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٨٢/٥

(٥) ينظر: ابن الأثير، نصر الله بن محمد، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م، د.ط) ١٥٢/١ ، الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن: الإيضاح في علوم البلاغة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٢م): ٢٥١-٢٥٤

معرفة ما يتعلق بكتاب الله تعالى وسنته، بل عُدَّت الإحاطة بعلوم العربية من مقدمات العلوم التي يجب على المفسر أو المجتهد أنْ يكون حاصلاً عليها، قال "أبو هلال العسكري" (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م) في مقدمة كتابه: ((إنَّ أحقَّ العلومِ بالتعلُّمِ، وأولاها بالتحفُّظِ بعد المعرفةِ باللهِ جلَّ ثناؤه علمُ البلاغةِ، ومعرفةُ الفصاحةِ، الذي به يُعْرَفُ إعجازُ كتابِ اللهِ تعالى، الناطقِ بالحقِّ، الهادي إلى سبيلِ الرُّشدِ، المدلولِ به على صدقِ الرسالةِ وصحةِ النبوةِ، وقد علمنا أنَّ الإنسانَ إذا أغفلَ علمَ البلاغةِ، وأخلَّ بمعرفةِ الفصاحةِ لم يقعْ علمُهُ بإعجازِ القرآنِ من جهةِ ما خصَّهُ اللهُ به من حسنِ التأليفِ، وبراعَةِ التركيبِ، وما شحنَهُ به من الإيجازِ البديعِ، والاختصارِ اللطيفِ، وضمَّنَهُ من الحلاوةِ، وجلَّلهُ من رونقِ الطلاوةِ، مع سهولَةِ كلمِهِ وجزالتِها، وعذوبتِها وسلاستِها، إلى غيرِ ذلكَ من محاسنِهِ التي عجزَ الخلقُ عنها، وتحيَّرتْ عقولُهم فيها)) [١]، وقد أُلِّفت في علوم البلاغة مؤلفات متعددة من أجل الوصول إلى معرفة حقيقة اللفظ القرآني، وجلالة بلاغته، وسر إعجازه. [٢]

وقال "السيوطي" في بيان العلوم التي يحتاجها مفسر القرآن الكريم: ((ومنهم من قالَ يجوزُ تفسيرُهُ لمَنْ كانَ جامِعًا للعلومِ التي يحتاجُ المفسِّرُ إليها وهي خمسةَ عشرَ عِلمًا.... الخامس والسادس والسابع المعاني والبيان والبديع؛ لأنَّهُ يُعرَفُ بالأولِ خواصُّ تركيبِ الكلامِ من جهةِ إفادتِها المعنى، وبالثاني خواصُّها من

(١) الحسن بن عبد الله: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، (مط محمود بك، الأستانة، ط١، ١٣٢٠هـ): ٣

(٢) ومن أمثلة ذلك ما ألَّفه "يحيى بن حمزة العلوي" كتاب "الطراز" لأجل معرفة علوم البلاغة العربية لفهم تفسير "الكشاف"؛ لأنه اشتمل كثيرًا على علومها، وهذا ما ذكره في مقدمة الكتاب. ينظر: (مط المقتطف، مصر، ١٣٢٢هـ ١٩١٤م) ١/٧

حيثُ ٱختلافِها بحسبِ وضوحِ الدلالةِ وخفائِها، وبالثالثِ وجوهُ تحسينِ الكلامِ، وهذه العلومُ الثلاثةُ هي علومُ البلاغةِ، وهي من أعظمِ أركانِ المفسِّرِ؛ لأَنَّهُ لا بُدَّ لـه من مراعاةِ ما يقتضيهِ الإعجازُ، وإنما يدركُ بهذهِ العلومِ)).[١]

إنَّ في كلامه دلالة واضحة على أهمية علوم البلاغة وعظمتها للمفسر بصورة عامة، ومعرفة إعجاز القرآن بصورة خاصة؛ لذلك نرى عند دراسة تطور المباحث البلاغية والتأليف فيها أثر الاهتمام بالقرآن، ولقد أشار الباحثون إلى أهمية القرآن الكريم في تطور هذه الدراسات البلاغية من أجل معرفة أسراره، وضمَّنوا ذلك في مؤلفاتهم، ((كان للقرآنِ الكريمِ أعظمُ الأثرِ في علومِ اللغةِ العربيةِ، فقد صدرتْ عنه، وٱستقتْ من معينهِ، ووقفتْ تكشفُ أسرارهُ، وتُعنى بأساليبهِ، وكانتِ البلاغةُ من تلكَ العلومِ التي نشأتْ في كَنَفِ كتابِ اللهِ، وتفيَّأتْ بظلالهِ منذُ أنْ بدأتْ تدرجُ في ميدانِ الحياة، كان القرآنُ الكريمُ دافعًا إلى التأليفِ في البلاغةِ، وكانتْ إحدى آياتهِ مدعاةً إلى أنْ يؤلِّفَ "أبو عبيدة" كتابه "مجاز القرآن")).[٢]

إنَّ معرفة أسرار كلام الله تعالى لأيِّ إنسان لا يمكن ما لم يتعرف على كلام العرب؛ لما فيه من السعة، وٱحتوائها على المعاني المختلفة، فالكلام أساس التفاهم مع الآخرين، وبيان مدلول المقاصد التي يحتاج إليها المتكلم، وقد ٱعتنى العلماء بمعرفة الكلام وحقيقته وأنواعه، فقالوا في ذلك كلمات مهمة متعددة، فبناء على ما تقدم نقول: إنَّ معرفة الإعجاز القرآني من الناحية البلاغية تحتاج دراسات تخصصية مستقلة تتناول مباحثها بالتفصيل؛ لذا سيقوم الباحث بدراسة ما يحتاج

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٤/١٨٦

(٢) للتفصيل ينظر: أحمد مطلوب: بحوث بلاغية، (المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤١٧هـ١٩٩٦م، د.ط): ١٤٨-١٥٠

إليه من أبوابها وما له علاقة بما كتبه السيد "الشهرستاني" في مخطوطاتـه؛ ليـتم التوافق بين فَصْلَيِ الدراسة والتحقيق، فضلاً عن الاحتراز من الخروج عـن مـنهج الدراسة وخطة البحث، فسيتم تقسيم الفصل على مباحث ثلاثة:

- المبحث الأول: تعريف الإعجاز القرآني ومراحل تحديه.
- المبحث الثاني: موضوعات في البلاغة القرآنية.
- المبحث الثالث: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في الإعجاز القرآني.

**المبحث الأول: تعريف الإعجاز القرآني ومراحل تحديه.**

قال "الراغب" في تعريف الإعجاز: ((هو ٱسمٌ للقصورِ عن فعلِ الشيءِ، وهو ضِدُّ القدرةِ، قال تعالى: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ﴾ [١]، وأَعْجَزْتُ فُلانًا وَعَجَّزْتُهُ وعاجَزْتُهُ جعلتُهُ عاجِزًا، والعجوزُ سُمِّيَتْ لِعَجْزِها في كثيرٍ من الأمورِ)). [٢]

وقال "الطريحي": ((الإعجازُ أنْ يأتيَ الإنسانُ بشيءٍ يُعْجِزُ خَصْمَهُ ويقصرُ دونَهُ، قوله تعالى: ﴿غَيْرُ مُعْجِزِي الله﴾ [٣] أي لا يفوتونَهُ وإنْ أمهلَهُمْ، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيمِ﴾ [٤] أي يعاجزونَ الأنبياءَ وأولياءَ اللهِ، ويقاتلونَهُمْ ويمانعونَهُمْ؛ ليُصَيِّروهُمْ إلى العجزِ عن أمرِ اللهِ تعالى)). [٥]

من خلال ما تقدم من كلمات الأعلام في تعريف الإعجاز نرى أنَّ اللفظ يدور حول القصور الموجود عند المخاطب بالمعجزة عن أنْ يأتي بما يقابله، فضلاً عن أنَّ معنى الإعجاز له علاقة مباشرة بالتحدي؛ لذلك سُمِّي ما يأتي به الأنبياء في مقام تحديهم لأقوامهم بـ(المعجز أو المعجزة)، فيشترط في المعجز في مقام التحدي أمران: الأول: أنْ يكون خارقًا للقوانين الطبيعية المعتادة، وثانيًا: عجز الآخرين.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣١

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٣٣٤ (عجز).

(٣) سورة التوبة: الآية ٢

(٤) سورة الحج: الآية ٥١

(٥) مجمع البحرين ٣/١٢٤

فالأنبياء (عليهم السلام) كانت دعواهم للنبوة مقترنة بالمعجز الذي يأتونه أقوامهم؛ ليكون دليلاً على صدق دعوتهم، وهذه مسألة بديهية في بعث الأنبياء، ولقد كان لنبيِّنا (صلى الله عليه وآله وسلم) معجزات متعددة، وهي على قسمين منها ما كان آنيًّا قد وقع في زمنٍ معينٍ [١]، ومنها ما كان خالدًا أبد الدهر، كالقرآن الكريم الذي هو معجزته الخالدة، ولمَّا كانت المعجزة من الله تعالى فقد نَوَّعَ المعجزة التي تؤيد نبيه في قومه، فكانت مما يلائم الصنعة التي يشتهرون بها؛ لتكون أدعى للتصديق بين أهل العلم والمعرفة بذلك، فأتاهم بكتاب فيه من البلاغة ما يحيِّر عقول علماء العرب بالبلاغة والفصاحة، وهم يعلمون أنَّ النبي لم يكن يقول مثل ذلك قبل بعثته ،كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [٢]، لذا كان الكفار لا يعترفون بعجزهم أمام النبي عنادًا واستكبارًا، قال "الزمخشري": ((إنْ قلتَ: أَمَا ظهرَ وتبيَّنَ لهم العجزَ عن الإتيانِ بمثلِ القرآنِ حتى قالوا: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾؟ قلت: بلى، ولكنهم كانوا لا يعترفونَ بالعجزِ، وكانوا يقولون: لو نشاءُ لقُلنا مثلَ

(١) ومنها: شق القمر، وينبوع الماء من بين أصبعيه، وشق الشجرة نصفين ودعوتها بالإتيان، وتسبيح الحصى بين يديه وغير ذلك. الأصبهاني، إسماعيل بن محمد: دلائل النبوة، تح: محمد محمد الحداد، (دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ) ٤٧/١ ، المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م) ٢٤٨/٩١ وغيرهما من المصادر في سيرته الشريفة.

(٢) سورة يونس: الآيتان ١٥-١٦

هذا، ويقولون: ٱفترى على الله كذبًا، فينسبونَهُ إلى الرسولِ ويزعمونَهُ قادرًا عليهِ وعلى مثلِهِ، مع علمِهم بأنَّ العربَ مع كثرةِ فصحائِها وبلغائِها إذا عجزوا عنه، كان الواحِدُ منهم أعجز)). [١]

وفيما يتعلق بأهم وجوهه الإعجازية فقد ناقش العلماء في بحوث مستفيضة سبب إعجازه الذي جعله خالدًا لا يمكن لأحدٍ أنْ يجاريه ويتحداه فيأتي بمثله، بعد أنْ دعا القرآن أعداءه إلى ذلك، فقال تعالى في إحدى دعواته: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [٢]، ولكنه بقى معجزًا خالدًا يتحدى المعاندين، ويقهرهم على الإيمان به، ونحاول في هذا المبحث بيان أهم وجوه الإعجاز القرآني التي قال بها العلماء والباحثون وناقشوها، لنكون على إحاطة بما يتعلق بهذا المعجز الخالد.

إنَّ الوجوه التي ذكروها متعددة ومختلفة ويمكن إجمالها بما يأتي:

- الفصاحة والبلاغة.
- النظم في الكلام والتأليف والترصيف.
- التأليف الخاص به، لا مطلق التأليف.
- الإخبار عن الغيب.
- الإخبار عن قصص الأولين.
- جمعه لعلوم ومعارف متعددة.
- الصرفة.
- الفصاحة وغرابة الأسلوب، والسلامة من العيوب.

---

(١) تفسير الكشاف ٣١٩/٢

(٢) سورة الطور: الآية ٣٤

– الاستمرار في الفصاحة والبلاغة، بما لم يكن في كلام العرب.

– خروجه عن جنس كلام العرب من النظم، والنثر، والخطب، مع كون حروفه في كلامهم.

وغيرها من الأقوال الأخرى التي يمكن الجمع بينها، وقد فصَّل الأعلام القول في بيان سبب إعجاز القرآن الكريم وما ذهب إليه كُلُّ قوم في مؤلفاتهم، فجمعها "الرُّمَّاني" (ت٣٨٦هـ/٩٩٦م) في وجوه سبعة فقال: ((وجوهُ إعجازِ القرآنِ تظهرُ من سبعِ جهاتٍ)) [١]، وذكر "الخَطَّابي" (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م) قسمًا من الأقوال المتقدمة وناقشها وبيَّن ما يمكن أنْ يكون معجزًا من غيره [٢]، وذكر الشيخ "الطوسي" أقوالاً متعددة في ذلك مع بيانها [٣]، والقاضي "عَياض" (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م) كذلك، وجعل كُلَّ ذلك يعود إلى وجوه أربعة [٤]، وذكر "الزركشي" ٱثني عشر قولاً، فجعل الأخير منها ما يراه مناسبًا ويؤيده إذ قال: ((الثاني عشر: وهو قولُ أهلِ التحقيقِ: إنَّ الإعجازَ وقعَ بجميعِ ما سبقَ من الأقوالِ، لا بكُلِّ واحدٍ على ٱنفرادِهِ؛ فإنَّهُ جميعٌ كُلُّهُ، فلا معنى لنسبتِهِ إلى واحدٍ منها بمفردِهِ مع ٱشتمالِهِ على الجميعِ، بل وغيرُ ذلكَ مما لم يَسْبِقْ)) [٥]، والأقوال التي جمعها "الزركشي" قد فصَّل فيها كثيرًا "السيوطي"

(١) علي بن عيسى: النُّكت في إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح و تع: محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام، (دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م): ٧٥ والسبعة هي بعض الوجوه التي تقدمت.

(٢) ينظر: بيان إعجاز القرآن، (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح و تع: محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام، (دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م): ٢١-٧٠

(٣) ينظر: الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، (مط الخيام، قم، ١٤٠٠هـ، د.ط): ١٧٢-١٧٤

(٤) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/٢٥٨-٢٨٠ فصل (في إعجاز القرآن).

(٥) البرهان في علوم القرآن ٢/٦١-٧١

وذكر منها سبعًا وعشرين قولاً [١]، بل أَلَّفَ كتابًا خاصًّا في ذلك ذكر فيه خمسًا وثلاثين قولاً مع مناقشة هذه الأقوال وما يتعلق بها بالتفصيل [٢]، ونقل العلامة "المجلسي" (ت١١١١هـ/١٦٩٩م) ما يمكن أنْ يُعَدَّ سببًا لخلود القرآن الكريم وإعجازه [٣]، وذكر الشيخ "رحمت الله الهندي" (ت١٣٠٨هـ/١٨٩١م) اثني عشر وجهًا مفصلاً في إعجازه عند رده على النصارى الذين يتهمون القرآن في بلاغته وفصاحته [٤]، وممن ناقش ذلك من الأعلام الشيخ "محمد عبده" كما في تفسير "المنار" [٥]، والسيد "الخوئي". [٦]

وهناك مَنْ فصَّل الأقوال في إعجازه على وفق عقيدة كُلِّ قائلٍ بها كالشيعة والمعتزلة والعامة وغيرها [٧]، فضلاً عن دراسات المتأخرين في الإعجاز القرآني التي ذكرت أنَّ إعجازه لا يمكن أنْ ينحصر في بلاغته على الرغم من تحدِّيه العرب وقت

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٢/٦-١٦

(٢) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م) ١/١٢-٣٩٠

(٣) ينظر: بحار الأنوار ١٧/٢٢٤

(٤) ينظر: إظهار الحق، دراسة وتح وتع: الدكتور محمد أحمد محمد ملكاوي، (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م) ١/٧٧٥-٨٢٨

(٥) ينظر ١/١٩٨

(٦) ينظر: البيان في تفسير القرآن: ٥٤-٨٨

(٧) للتفصيل ينظر: مصطفى مسلم: مباحث في إعجاز القرآن، (دار المسلم، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ١٩٩٦م): ٤٩-٩٥ ، مؤدب، رضا: إعجاز القرآن، تعريب: قاسم البيضاني، (أميران، قم، ط١، ١٤٣٠هـ): ٤١-٩٧

نزوله[١]، وقد فصَّل الدكتور "حفني محمد شرف" تفصيلاً قيِّمًا لآراء الأعلام في الإعجاز القرآني، ومناقشتها.[٢]

يرى الباحث أنَّه لا يمكن –حقيقة– معرفة الوجهة الحقيقية لإعجاز القرآن الكريم؛ لأنَّ القرآن كلام الله تعالى المطلق، الحكيم، الخالق، وكُلُّ ما سواه فهو محدود، مخلوق، عاجز، محتاج إليه، ولا يمكن أنْ يصل إلى حقيقته، كما أشار تعالى إلى ذلك في كثير من آياته الكريمة، وكما أُثبتت هذه الحقيقة ضمن مباحث التوحيد في العقائد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً﴾[٥] وغيرها من الآيات التي تثبت علمه المطلق، وما يترتب على ذلك من الإعجاز في كُلِّ شيءٍ يصدرُ عنه.

كما يرى الباحث تعقيبًا على القائلين بأنَّ سِرَّ إعجاز القرآن إنما ينحصر في بلاغته وفصاحته، أنَّ القوة الكامنة في معاني الألفاظ هي سِرٌّ من أسرارِ التأثير في الآخرين، فلفظة (العدل) تدل على ما تتضمنه من معاني العدل وما يتعلق به من الاطمئنان والوثوق والابتعاد عن الظلم، وكذلك (الإحسان) و(المعروف) وغيرهما، وقد كانت العرب تعرف هذه الألفاظ وما تتضمنه من معانٍ سامية لتربية النفس، ورأينا أنَّ

(١) للتفصيل ينظر: البلاغي: آلاء الرحمن في تفسير القرآن ١/٥-١٦ ، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ١/٦٢-٦٥ ، محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن ٤/٣٩-٧٢، القطَّان: مباحث في علوم القرآن: ٢٥٤-٢٥٥

(٢) إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، (١٣٩٠هـ ١٩٧٠م، د.مط، د.م، د.ط): ٦-١٣

(٣) سورة فاطر: الآية ١٥

(٤) سورة يوسف: الآية ٧٦

(٥) سورة الإسراء: الآية ٨٥

شِعرهم ونثرهم قد وردت فيه هذه الألفاظ بمعانيها، ولكننا لم نرَ في كلامهم جمعًا لهذه المفردات في دعوة واحدة بما فيها من معاني السمو والتكامل، وعلى نسق بلاغي عالٍ، وفي دعوة صادقة لها أعظم المصاديق وأكمل في الواقع، فإنَّ هذه القوة تقهر النفس على الإيمان بها والإذعان إلى التصديق بمن يدعو إليها، وهذا هو الذي جعل أولئك المعاندين، وأصحاب القلوب القاسية، وأصحاب المال والجاه والسيادة أنْ يقتلوا أنفسهم لئلا يَرَوْا الناس تؤمن بالله تعالى وتتركهم وأصنامهم، أو أنْ يَتَّهموا القرآن والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع يقينهم بصدق دعوته وإعجازها، بما تحويه تلك الألفاظ من قوة روحية كامنة تؤثر في نفوسهم، فلم يتأثَّر "الوليد بن المغيرة" وهو من سادات العرب بالألفاظ القرآنية من حيث اللفظ أو المعنى فقط، فقد كان على بلاغة عالية وقد سمع بكُلِّ تلك الألفاظ، ولكن أنْ تجمع بهذا التركيب البنائي الفريد وما فيها من قوة إلهية تكمن فيها، فهذا الذي جعله يقول كلمته المشهورة في وصف القرآن: ((وإنَّهُ لَـيُحَطِّمُ مـا تَحْتَـهُ، وإنَّـهُ لَيَعْلـو ولا يُعْلى))[1]، فهو لا يحطم ما تحته بمجرَّد ألفاظه دون تلك القوة الإلهية الكامنة، فمثلاً لو ٱستمع الإنسان بفطرته السليمة الخالية من التأثيرات الخارجية على العقيدة الفطرية لرأى حقيقة ذلك، وتيقَّن به، ولا سيما إذا كان الواقع مطابقًا للدعوة، كما رأينا الإنموذج المتكامل في سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والمخلصين من أصحابه وأهل بيته والصالحين من أمته، فأيُّ قلبٍ لا يُأسر ويذوب في بحر

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٨٩/٢٦ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٦٥١/٤ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٩٠/٦

الفضيلة والتكامل والعشق للمبادىء الإنسانية [١] وهو يستمع إلى قوله تعالى من لسان "محمد" الفضيلة والكمال والصدق، من خلال آيات سورة واحدة، فيقول في الدعوة إلى التمسك بمكارم الأخلاق، والمبادىء الإنسانية: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٢]، ويقول في بيان جانب من جوانب حقوق الإنسان فضلاً عن جنسه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٣]، وغيرهما من الآيات الشريفة المتعددة.

وفي ذلك فإننا نرى تلك الحقيقة في كلمات بعض الأعلام عند حديثهم عن سِرِّ إعجازه الذي يبهر العقول، وهذا ما رأيناه في قولِ "أبي سليمان الخطَّابي" إذ يقول:

---

(١) إنَّ الشريعة الإسلامية المقدسة قد تضمنت تعاليمها كلها الدعوة الكاملة لسعادة الإنسان في الدارين، وتجسيد المثُلِ الإنسانية للفرد والمجتمع.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٠ فأيُّ دعوةٍ بأسلوبٍ عظيمٍ تدعو في آنٍ واحدٍ بألفاظٍ قصيرةٍ متعددةٍ تتضمن معانٍ كثيرةٍ مطلقةٍ للعمل بالعدل، والإحسان، والمعروف للقربى، والابتعاد عن مطلق الفحشاء، وكُلِّ ما تنكره المبادىء الإنسانية، والاعتداء على الآخرين بكُلِّ صوره.

(٣) سورة النحل: ٩٧ وفي الآية نرى التكامل الإنساني المطلق في ٱحترام الإنسان وتعظيمه على أساس العمل الصالح الذي ينفعه وينتفع به الآخرون، فالرجل والمرأة لهما تلك المكانة والنظرة والمنزلة الواحدة، فهذه دعوات إنسانية متكاملة في مجتمعات يسودها الظلم والقهر والبغي آنذاك وحتى في يومنا، فالمرأة إنسانٌ عظيمٌ في دعوةِ محمدٍ الإعجازية، ولها مقامها الذي وضعها الله تعالى فيه، وليس ذاك للرجل سواها، فأيُّ دعوةٍ عظيمةٍ تكامليةٍ في مجتمعٍ كان يفعلُ بالمرأةِ ما يَفعل من ظلمٍ وسلبٍ لحقوقها، حتى طغى عليه جهله وقسوته بأنْ يدفنَها بيده حيةً وهي تصرخ أبتاه .. أبتاه !!

((قلتُ في إعجازِ القرآنِ وجهًا آخرَ ذهبَ عنه الناسُ، فلا يكادُ يعرفُهُ إلا الشاذُّ من آحادِهِم، وهو صنيعُهُ بالقلوبِ، وتأثيرُهُ في النفوسِ، فإنَّكَ لا تسمعُ كلامًا غيرَ القرآنِ منظومًا ولا منثورًا إذا قرعَ السمعَ خلصَ له إلى القلبِ من اللذةِ والحلاوةِ في حالٍ، ومن الروعةِ والمهابَةِ في أخرى ما يخلصُ منه إليه، تستبشرُ به النفوسُ، وتنشرحُ له الصدورُ)) [١]، ثم ذكر أثر هذا الإعجاز في الدفاع عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من القتل عندما أراد المشركون ذلك فخافوا من تلك الألفاظ وما تنطوي عليه من المعاني المؤثرة فقال: ((فكَمْ من عدوٍّ للرسولِ "صلى الله عليه [وآله] وسلم" من رجالِ العربِ وفُتَّاكِها أقبلوا يريدونَ ٱغتيالَهُ وقتلَهُ، فسمِعوا آياتٍ من القرآنِ فلم يلبثوا أنْ يتحوَّلوا عن رأيهِم الأول، وأنْ يركُنوا إلى مسالَمَتِه، ويدخلوا في دينِهِ)) [٢]، ولا ريب عندي أنَّ ما أورده "الخطَّابي" مهم جدًّا، ورسالته من أهم الرسائل فيما يتعلق بالإعجاز القرآني، حيث ناقش مؤلفها أهم الأقوال في ذلك، فله الريادة في هذا الباب، وقد أُعجب به العلماء وأشاروا إليه، قال الشيخ "محمد هادي معرفة": ((والرسالةُ قيِّمَةٌ، فريدةٌ في بابِها، ولعلَّهُ لم يُعْهَدْ مِثْلُها فيما غبرَ وحضرَ، ومن ثَمَّ ٱخترناها أُولى رسالَةٍ عالجَتِ الموضوعَ بشكلِهِ الفنيِّ، ولله دَرُّ مؤلِّفِها)). [٣]

---

(١) بيان إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن): ٧٠

(٢) المصدر والصفحة نفسهما. وقد ذكر أمثلة للذين أرادوا قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والقضاء على دعوته، ولكنهم خافوا ذلك عند ٱستماعهم في إحدى صولاتهم إلى آيات القرآن الكريم وما فيه من وعيد وتهديد، فذكر منهم: "عمر بن الخطاب"، و"عتبة بن ربيعة" وما كانا يريدان القيام به من قتل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أينما يجدونه، ولكنهما لم يفلحا في ذلك.

(٣) التمهيد في علوم القرآن ٤١/٤ وقد ضمَّن العلماء في مؤلفاتهم أقوال "الخطابي" لأهميتها مع التركيز عليه، ومنهم الزركشي والسيوطي وغيرهما.

لقد اتضح لي من بيان أغلب الوجوه التي هي سبب إعجاز القرآن الكريم، أو من أسبابه، أنَّ هناك مسألة مهمة يجب الالتفات إليها، وهي ما يتعلق برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي بلَّغ أمته هذا الكتاب، وما فيه من تلك الوجوه الإعجازية، من بلاغة، وفصاحة، وإعلام بالغيب، وقصص الماضين، وتعاليمه التربوية الإنسانية وغيرها، وهو لم يكن يقرأ أو يكتب، ولم يسجِّل التأريخ أنه تعلَّم ذلك عند أحد قبل بعثته، أو شارك بلغاء العرب في أنديتهم ومجالسهم، ولكنه في ساعة من ساعات التأريخ يأتي بكتاب فيه من الكلام أفصحه وأبلغه تعجز الفحول من العرب أنْ تجاريه، وهذا ما ذكره العلماء المحققون، قال السيد "الطباطبائي": ((وقد تحدَّى بالنبيِّ الأميِّ الذي جاءَ بالقرآنِ المعجِزِ في لفظِهِ ومعناهُ، ولم يتعلَّمْ عندَ مُعَلِّمٍ، ولم يَتَرَبَّ عندَ مُرَبٍّ .... فقد كان "صلى الله عليه وآله وسلم" بينهم، وهو أحدُهُم لا يتسامى في فضلٍ، ولا ينطقُ بعلمٍ، حتى لم يأتِ بشيء من شعرٍ، أو نثرٍ، نحوًا من أربعينَ سنةٍ، وهو ثُلُثا عمرِهِ، لا يحوزُ تقدُّمًا، و لا يَرِدُ عظيمةً من عظائِمِ المعالي، ثم أتى بما أتى به دفعةً، فأتى بما عجزتْ عنهُ فحولُهُمْ، وَكَلَّتْ دونَهُ ألسنَةُ بلغائِهِم، ثم بَثَّهُ في أقطارِ الأرضِ فلم يجترِىء على معارضتِهِ مُعَارِضٌ، من عالِمٍ، أو فاضِلٍ، أو ذي لُبٍّ وفطانَةٍ)). [1]

وفيما يتعلق بمراحل ذلك التحدي فإنها لم تكن دفعة واحدة، بل بالتدرُّجِ في الإتيان بمثل ما أتى به النبي من كلام يعجز البشر عن مثله، وقد وردت في القرآن الكريم مراحل ثلاث:

(١) الميزان في تفسير القرآن ١/٦٥ لقد عقد السيد "الطباطبائي" في تفسيره فصلاً مهمًّا في الإعجاز القرآني وما يتعلق به من جوانبه المتعددة ومناقشتها. ينظر ١/٦١-٩١

– الأولى: الإتيان بمثل القرآن كله. قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ ٱجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. (١)

– الثانية: الإتيان بعشر سور. قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (٢)

– الثالثة: الإتيان بسورة واحدة. قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَٱدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (٣)

إنَّ أسلوب التدرُّج في التحدي يؤكِّد صدق الدعوة، وصدق المُدَّعى، والاعتماد والوثوق بما يُتَحدَّى به، ولكنهم في النتيجة على رغم تصديهم للدعوة بكُلِّ أساليبهم لم يستطيعوا أنْ يتحدَّوا القرآنَ، وهذا الأمر كان جليًّا عند كبار قريش بأنَّ ما أتى به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن من كلام البشر، بل هو معجز من الله تعالى، فهذه الآيات وغيرها هي دعوة القرآن لِمَنْ خوطِبَ به، والواقع يشهد بعجزهم التام عن مجاراته فقد ((توفَّرَتْ دواعي اللسانِ، وقوةُ البيانِ التي يوقِدُها حماسُ القبيلِ، ويؤجِّجُها أتونُ الحميَّةِ، ولو تسنَّى لهم معارضَةُ القرآنِ الكريمِ لأُثِرَ هذا عنهُمْ، وتطايَرَ خبَرُهُ في الأجيالِ)). (٤)

وهكذا سجَّل التأريخ نصر القرآن الكريم على خصومه، وعجزهم التام عن تحديه.

لقد بيَّنَ العلماء والمفسرون ما يتعلق بهذا التحدي وأثره في نصرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بما أتى من معجز، قال "الطبري" فيما يتعلق بإقامة

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٨

(٢) سورة هود: الآية ١٣

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٣

(٤) القطَّان: مباحث في علوم القرآن: ٢٥١

الحجة على المشركين وإعلان التحدي: ((وهذا من اللهِ عز وجل ٱحتجاجٌ لنبيهِ محمدٍ "صلى الله عليه [وآله] وسلم" على مشركي قومِهِ من العربِ ومنافقيهِم، وكفارِ أهلِ الكتابِ وضُلَّالِهِم [وكان الخطاب للكافرين] وإذا عَجزتُمْ عن ذلك – وأنتم أهلُ البراعةِ في الفصاحةِ والبلاغةِ– فقد علمتُمْ أنَّ غيرَكُمْ عَمَّا عَجزتُمْ عنهُ من ذلِكَ أعْجزُ)) [١]، إنَّ هذا يؤكِّد عظمة الحجة التي أتى بها النبي قومه، وما فيها من تأييدٍ وتسديدٍ من الله تعالى في نصره على العلماء المعاندين والكافرين.

وقال الشيخ "الطوسي": ((في الآيةِ تَحَدٍّ للخلقِ أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ، وأنَّهُم يعجزونَ عن ذلكَ، ولا يقدرونَ على معارضتِهِ، متعاونينَ متعاضدينَ على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ في فصاحتِهِ وبلاغتِهِ ونظمِهِ، على الوجهِ الذي هو عليه، من كونِهِ في الطبقةِ العُليا من البلاغةِ، ولو كانَ ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ أي معيناً، والمِثْلِيةُ التي تُحَدَّوا بالمعارضَةِ بها معتادةٌ بينهم، كمعارضَةِ علقمةَ لامرئِ القيس، ومعارضَةِ الحارثِ بن حلزةَ عمرو بن كلثوم، ومعارضَةِ جريرَ الفرزدقَ، وماكانَ ذلكَ خافيًا عليهِم)) [٢]، إنَّ الشيخ يؤكِّد على أمرين مهمين في كلامه، أحدهما: إنَّ الكلام الذي تحدَّاهم به هو من جنس الكلام الذي يعرفونه، بل قد تفوَّقوا به على غيرهم. والآخر: هو الأسلوب، فالمعارضة هو أمر مألوفٌ عندهم كما كان يجري بين شعرائهم، ويتفنَّنون فيه، ولكنهم أُخِرسوا أمام كلام الله تعالى، وهذا قمة النصر والنجاح.

بل رأينا أنَّ هناك ٱعترافًا من سادة العرب بإعجاز القرآن، ولكنهم لم يذكروا ذلك صراحة، حتى قال كبير معانديهم "الوليد بن المغيرة" عندما ٱستمع للقرآن وهو يريد

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٧٢/١

(٢) التبيان في تفسير القرآن ٥١٧/٦

الإساءة إليه: ((إنَّ لقولِهِ لحلاوةً، وإنَّ عليهِ لطلاوةً، وإنَّ أسفلَهُ لمغدقٌ، وإنَّ أعلاهُ لمثمرٌ، وإنَّهُ ليعلو ولا يُعلى)) [١]، وقال السيد "الشهرستاني" تعليقًا على هذه المقولة: ((هذا أوَّلُ تقريظٍ نالهُ القرآنُ من خبراءِ عصرهِ ومصرهِ، ولعمري إنها شهادةٌ حافلةٌ)). [٢]

لقد كانت نتيجة ذلك التحدِّي انهزام الكافرين أمام تلك الدعوات، وإثبات أنَّ القرآن معجز من الله تعالى، قد جاء به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ليدعوهم إلى توحيده عز وجل: فلم يقوموا بأيِّ محاولة جادةٍ للتحدي، لذلك اتخذوا القتال أسلوبًا لعنادهم وعاداتهم، بدل المواجهة لفصاحة القرآن وبلاغته، فقد ((فَكَّرَتِ العربُ في بلاغةِ القرآنِ فأذعنتْ لإعجازِهِ، وعلمتْ أنها مهزومَةٌ إذا أرادتِ المعارضةَ، فصدَّقَ منها قومٌ داعيَ الحقِّ، وخضعوا لدعوةِ القرآنِ، وفازوا بشرفِ الإسلام، وركبَ آخرونَ جادَّةَ العنادِ، فاختاروا المقابلةَ بالسيوفِ على المقاومةِ بالحروفِ، وآثروا المبارزةَ بالسِّنانِ على المعارضةِ في البيانِ، فكانَ هذا العجزُ والمقاومةُ أعظمَ حجةٍ على أنَّ القرآنَ وحيٌ إلهيٌّ خارجٌ عن طَوْقِ البشرِ)). [٣]

وقد ورد أنَّ قريشًا أتت "الوليد" بعد أنْ عرفت أنه استمع إلى القرآن وتأثَّر به: ((قال أبو جهل: فقل فيه قولاً يُعْلِمُ قومَكَ أنَّكَ مُنكرٌ لما قال، وأنَّكَ كارهٌ له، قال: فما أقولُ فيه، فواللهِ ما منكُمْ رجلٌ أعلمُ بالأشعارِ مِنِّي، ولا أعلمُ برجزِهِ مِنِّي، ولا بقصيدِهِ، ولا

(١) الزمخشري: تفسير الكشاف ٦٥١/٤ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٩٢/٦، الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٦٩/٢ ، المجلسي: بحار الأنوار ٢/١٧

(٢) المعجزة الخالدة: ٤٣

(٣) الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ٥٠

بأشعارِ الجنِّ، واللهِ ما يشبَهُ الذي يقولُ شيئًا من هذا)) [1]، وهكذا كان موقف الآخرين من عنادهم للدعوة القرآنية بعد عجزهم عن أنْ يأتوا بسورة واحدة من سور القرآن، التي تتألف أقصرها من آيات ثلاث.

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٨٨/٢٦ ، وينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٧٨/١٠

**المبحث الثاني: موضوعات في البلاغة القرآنية.**

**نحاول في هذا المبحث بيان بعض موضوعات البلاغة القرآنية التي تطرق إليها السيد "الشهرستاني" في صفحات مخطوطاته؛ لنكون على بينة في باب التحقيق من ذلك، وسيتم ذكرها بإيجازٍ على وفق الحاجة إليها؛ لبيان ما ٱنطوى عليها كتاب الله تعالى، في محاوراته وتشريعاته، وحِكَمه وقصصه وغير ذلك، مما له أثر في البيئة العربية المخاطبة –ٱبتداء– وقت نزول القرآن الكريم.**

**وقد تضمنت آيات القرآن الكريم علوم البلاغة العربية التي كانت العرب تناولتها في كلماتها وخطابها ومحاوراتها؛ لأنه نزل بلسانهم كما قال تعالى في وصفه: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1]، وما سيتم بيانه في هذا المبحث فإنه سيكون على وفق المطالب الآتية:**

**- المطلب الأول: علم المعاني.**

**- المطلب الثاني: علم البيان.**

**- المطلب الثالث: علم البديع.**

(١) سورة فصلت: الآية ٣

– المطلب الأول: علم المعاني.

إنَّ لهذا العلم مطالب متعددة تتعلق بـأثر التركيـب في إثـراء الدلالـة، ووجدتُ أنَّ أكثرها تناولاً لدى السيد "الشهرستاني" ما يأتي:

* أولاً: الإيجاز.

إنَّ الإيجاز مبحث مهم من مباحث علم المعاني، أعتنى به القدماء أعتنـاءً كبيرًا، وتابعهم على ذلك المحدثون، ومنهم السيد "الشهرستاني" في مخطوطاتـه، وهو من سُبُل المحاورات العامة بين العقلاء في إيصال أفكارهم بالاقتصار عـلى ألفاظٍ قليلة لأداء المعنى المراد، وقد دَرَسه البلاغيون مع الإطناب، إلا أنَّ السيد قد ذكر ما يتعلق بالإيجاز ولم يورد الإطناب [١]، وسوف أبيِّن ما يتعلق بـه بأختـصار شديد.

لقد عرَّف العلماء الإيجاز بتعريفات متعددة نحاول أنْ نقتصر عـلى مـا أشتهر منها بينهم.

قال "أبن سنان الخفاجي" (ت٤٦٦هـ/١٠٧٣م): ((هو أنْ يكونَ المعنـى زائدًا على اللفظِ)). [٢]

وقال "العلوي" (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م): ((هو أندراجُ المعـاني المتكـاثرةِ تحتَ اللفظِ القليلِ)). [٣]

(١) إنَّ الباحث قد حصل على موارد الإيجاز في مخطوطات السيد "الشهرستاني" فقط، وأنَّ فقدانه لبصره أدى إلى ضياع كثيرٍ من تراثه التفسيري للقرآن الكريم، ولعل فيها ما يتعلـق بالإطناب وغيره من الموضوعات التي لم تذكر في هذه الدراسة.

(٢) سر الفصاحة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م): ٢٠٧

(٣) الطراز ٢/٨٨

فالإيجاز بناء على ما تقدم هو تقليل الألفاظ مع عظمة المعاني التي تتضمنه هذه الألفاظ، وهو عكس الإطناب، ولكُلِّ حالةٍ مزاياها البلاغية الخاصة بها، التي يحتاج إليها المتكلم، فقد ورد عن "أبي هلال العسكري" قوله: ((إنَّ الإيجازَ والإطنابَ يحتاجُ إليهما في جميعِ الكلامِ، ولكُلِّ واحدٍ منهما موضِعٌ، فالحاجةُ إلى الإيجازِ في موضعِهِ كالحاجةِ إلى الإطنابِ في مكانِهِ، فمَنْ أزالَ التدبيرَ في ذلكَ عن جهتِهِ وٱستعملَ الإطنابَ في موضعِ الإيجازِ، وٱستعملَ الإيجازَ في موضعِ الإطنابِ أخطأَ)) [١]، وذكر "السيوطي" أنَّ هناك مَنْ قال: ((إنَّ البلاغة هي الإيجاز والإطناب)). [٢]

وكذلك فقد ٱعتنى العلماء فيما يتعلق بالإيجاز وما فيه من البلاغة دون الإطناب في الكلام بصورة عامة، بل عُدَّت البلاغة هي الإيجاز، قال "ٱبن رشيق القيرواني": ((قد قيلَ لبعضِهِم: ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز. قيل: وما الإيجاز؟ قال: حذف الفضول، وتقريب البعيد)) [٣]، وهذا الكلام يدل على رغبة العرب وميلهم في الغالب إلى الإيجاز في الألفاظ مع مراعاة عظمة المعاني فيه، وهذا ما ورد في كلمات النبي والأئمة (عليهم السلام)، وهو دليل على الفصاحة، قال "ٱبن معصوم المدني" (ت ١١٢٠هـ/١٧٠٨م): ((وسببُ حُسْنِهِ [الإيجاز] أنَّهُ يدلُّ على التمكينِ

(١) كتاب الصناعتين: ١٤٢

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٣/١٦١

(٣) الحسن بن رشيق: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تص: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، (مط السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٥هـ ١٩٠٧م): ١٣٠

في الفصاحةِ؛ ولهذا قالَ "صلى الله عليه وآله وسلم": "أُوتيتُ جوامِعَ الكَلِمِ" [١]، قال بعضهم: أي أُعطيتُ قوةَ إيجازٍ في اللفظِ، مع بسطٍ في المعاني، فأتيتُ بالكلماتِ اليسيرةِ والمعاني الكثيرةِ .... ومن بديعِ الإيجازِ قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [٢] إلى آخرِها فإنَّها نهايةُ التنزيهِ، وقد تضمَّنَتْ الردُّ على نحوِ أربعينَ فرقةٍ)). [٣]

يرى الباحث أنَّ البلاغة وإنْ كانت في الإيجاز أكمل، ولكنها لا يمكن أنْ تنحصر فيه، أو في الإطناب، بل حسب ما يقتضيه الحال من إيصال المراد المقصود، وبلوغ الغاية في الكلام، مع مراعاة المعاني الكثيرة، لأننا نرى في تراثنا الإسلامي والعربي من البلاغة والفصاحة في هذين النوعين، وكذلك في المساواة بينهما، والشواهد على ذلك كثيرة، ومَنْ يتأمل –مثلاً– في خُطَبِ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وخطب أمير المؤمنين (عليه السلام) يرى حقيقة ذلك، على الرغم من أنَّ النفس دائمًا تميل مع الإيجاز؛ لأنه أوقع أثرًا فيها، وهذا ما أكَّده العلماء، قال "السكاكي": ((وذكرتُ أيضًا للاختصارِ والتطويلِ مقاماتٌ قد أرشدتُ بها إلى مناسباتها، فما صادفَ من ذلكَ موقعهُ حُمِدَ، وإلا ذُمَّ، وسُمِّيَ إذ ذاكَ عَيًّا وتقصيرًا، والإطنابُ إكثارًا وتطويلاً)) [٤]، فيجب أنْ يراعي المتكلِّمُ أو الكاتب الأسلوب

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢/٢٥٠ ، وفي رواية: ((أُعطيتُ جوامعَ الكلم)). الصدوق: محمد بن علي بن الحسين، من لا يحضره الفقيه، تص و تع: علي أكبر الغفاري، (الناشر: جماعة المدرسين، قم، ط٢، د.مط، د.ت) ١/٢٣١

(٢) سورة الإخلاص: الآية ١

(٣) ينظر: علي صدر الدين: أنوار الربيع في أنواع البديع، تح: شاكر هادي شكر، (مط النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م) ٦/٢٣٩-٢٤١

(٤) مفتاح العلوم: ٢٧٧

المناسب في إيصال مراده، وذلك من خلال ما يناسب المقام، وليس الاقتصار على أحدهما، فلعله يستعملهما معًا في مناسبة واحدة، فمن البلاغة أنْ يجعل لكلامه ميزانًا.

وإنَّ للإيجاز قسمين رئيسين: أحدهما إيجاز القصر، والآخر إيجاز الحذف، فإيجاز القصر هو تقليل اللفظ وتكثير المعاني، أما إيجاز الحذف فهو حذف كلمة أو جملة أو أكثر. (١)

* ثانيًا: الالتفات.

إنَّ الالتفات من الأساليب البلاغية المهمة التي يتميز بها كلام العرب، بل من الفنون التي لها أثر في تنوُّع الخطاب عند المتلقي، وقد عَدَّ العلماء هذا النوع من الأنواع البلاغية في علم المعاني لما فيه من آثار بلاغية جميلة، وقد وُصِفَ بأنه: ((خلاصةُ علمِ البيانِ وإليه تستندُ البلاغةُ، وهو شجاعَةُ العربيةِ)) (٢)، والقرآن الكريم قد تضمَّن عددًا كبيرًا من صور الالتفات بأنواعها، وفي دراسة خاصة بهذا الأسلوب تم إحصاء أكثر من سبعمئة وتسعين موضعًا ورد فيه الالتفات (٣)، ونبين ما يتعلق به بإيجاز.

---

(١) للتفصيل فيما يتعلق بهذين القسمين والوجوه المتعلقة بهما ينظر: الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٤٣-١٥١ ، الزركشي البرهان في علوم القرآن ٣/١٤٦-١٤٩ ، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/١٦٢-١٧٠

(٢) ابن الأثير: المثل السائر ٢/٢

(٣) ينظر: طبل، حسن: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ١٩٩٨م، د.ط): ١٧١-٢٢٨

فلقد ذكر العلماء تعريف الالتفات في مؤلفاتهم عند بيانهم بما يتعلق بهذا الأسلوب من أساليب البلاغة العربية، نذكر من ذلك بعض الأقوال.

قال "ٱبن المعتز" (ت٢٩٦هـ/٩٠٨م): ((وهو ٱنصرافُ المتكلمِ عن المخاطبةِ إلى الإخبارِ، وعنِ الإخبارِ إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك)) [١]، وقال "العلوي": ((هو العدولُ من أُسلوبٍ إلى آخر مخالِفٍ للأولِ)). [٢]

فهذا التعريفان يجتمعان في موضوع الالتفات مطلقًا، فكما أنَّ الالتفات في اللغة يراد به نقل الوجه، أو البدن من جهة إلى أخرى، فكذلك في الكلام، هو الانتقال من صيغة معينة في الكلام إلى أخرى، وهناك بعض التعريفات تجاوزت حد التعريف إلى بيان أقسامه. [٣]

وفيما يتعلق بالفائدة التي يلجأ على أساسها المتكلم إلى هذا الأسلوب البلاغي فقد ذُكِرت فوائد متعددة، منها: قصد تعظيم شأن المخاطب، وقصد الاهتمام به، وقصد التوبيخ. [٤]

(١) كتاب البديع، تع: إغناطيوس كراتشقوفسكي، (دار المسيرة، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م): ٥٨

(٢) الطراز ١٣٢/٢

(٣) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن ١٩٧/٣ ، ٱبن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع ٣٦٢/١

(٤) البرهان في علوم القرآن ٢٠٤/٣-٢٠٦

فهذه بعض الفوائد التي حاولنا ذكرها بإيجاز وقد ذكر العلماء ذلك بتفصيل في مؤلفاتهم [١]، وأشار إليها المفسرون في تفاسيرهم للآيات التي تضمنت الالتفات [٢]، وهذه الفوائد وغيرها تعد من أهم الغايات التي يستعملها المتكلم وينتقل فيما بينها لأجل الوصول إلى أقصى غاياته فيما يريد إيصاله دون سأمٍ وضجر عند المتلقي.

وأما أقسامه فهي متعددة ذكرها العلماء في مؤلفاتهم، وقد فصَّلوا القول في كُلِّ قسمٍ مع بيان فائدته وأمثلة من الآيات الشريفة التي تضمنت ذلك، ومنها: الالتفات من التكلم إلى الخطاب، والالتفات من الخطاب إلى التكلم، والالتفات من التكلم إلى الغيبة، والالتفات من الغيبة إلى التكلم وغيرها. [٣]

إنَّ أغلب المصادر التي ذكرت أقسام الالتفات إنما ذكرتها ضمن موضوعات البلاغة العربية الأخرى، مع بيان بعض ما يتعلق بها إجمالاً من حيث ذكر الآيات الشريفة وفائدة كُلِّ قسم تارةً، وفائدة الالتفات عمومًا تارةً أخرى، ولكن في دراسة حديثة لـ"حسن طبل" تم تفصيل ذلك تفصيلاً دقيقًا فيما يتعلق بأبرز

(١) للتفصيل ينظر: ابن الأثير: المثل السائر ٢/٥-٦ ، الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٣/٢٠٤-٢٠٧ ، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/٢٥٣ ، حبنَّكة الميداني: عبد الرحمن حسن: البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، (دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ١٩٩٦م) ١/٤٨٣

(٢) ينظر مثلاً: الزمخشري: تفسير الكشاف ١/٥٦ ، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ١٩/٤١٦

(٣) للتفصيل ينظر: ابن الأثير: المثل السائر ٢/٣-١٦ ، الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٣/١٩٧-٢٠٣ ، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/٢٥٣-٢٥٧ ، حبنَّكة الميداني: البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها ١/٤٨٤-٤٨٥

مجالات الالتفات في القرآن، إذ قَسَّم ذلك على مجالات ستة وهي: الصِيَغ، والعدد، والضمائر، والأدوات، والبناء النحوي، والمعجم، ومن خلال هذا التقسيم تناول الأقسام المعهودة التي تقدمت وغيرها، فضلاً عن آراء المفسرين في ذلك بالدراسة والتحليل. (١)

(١) ينظر: طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ٥٥-١٦٧ إنَّ هذه الصفحات التي أستعرض فيها المؤلف هذه الأقسام قد يمكن أختصارها في بعض الأحايين بعدد من الأمثلة أقل مما ذكره، ولكن أراد المؤلف أنْ تكون دراسته تفصيلية تستوعب أكبر قدر من الآيات والألفاظ لتكون دراسة شاملة في بابها.

– المطلب الثاني: علم البيان.

إنَّ علم البيان من أهم علوم البلاغة، يتعلق بأثر التصوير في إثراء الدلالة، ومن أبرز مباحثه التي آعتنى بها السيد "الشهرستاني" ما يأتي:

* أولاً: التشبيه.

وهو من أهم فنون البلاغة عند العرب في تراثهم الأدبي؛ لما فيه من أثرٍ على السامع له في تقريب المعنى المراد عن طريق تشبيهه بما يراه مناسبًا، ويزيده جمالاً وكمالاً، وقد آمتدح العلماء هذا النوع من أساليب البلاغة العربية، وقد آستعمل القرآن في آياته عددًا كبيرًا ومتنوعًا من التشبيه؛ لما فيه من القدرة على إبراز الصورة التي أراد تقديمها، ولا سيما في الحالات الإنسانية والصفات ورسم المشاهد وغيرها.

وقد عرَّف العلماء التشبيه في مؤلفاتهم بتعريفات متعددة نذكر بعض ذلك، لنكون على بينة منه.

قال "الرمَّاني": ((هو العقدُ على أنَّ أحدَ الشيئينِ يَسُدُّ مَسَدَّ الآخرَ في حِسٍّ، أو عقلٍ)). (١)

قال "الخطيب القزويني": ((الدلالةُ على مشاركةِ أمرٍ لآخرٍ في معنًى)). (٢)

فالتشبيه من خلال التعريفات التي ذكرها العلماء قائم على المشابهة في أمرٍ معينٍ بين شيئين، يمكن معرفة وجه الشبه عند المُتلقي، فالمعنى فيه يكون أكثر وضوحًا وآستئناسًا للنفس في معرفة المقصود، فهو مشاركة في المعنى؛ لذا نرى ذلك الأمر جليًّا في تعريفات الأعلام، وهناك تعريفات كثيرة آستعرضها الباحثون في

(١) النكت في إعجاز القرآن: ٨٠

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ١٦٤

دراساتهم الحديثة، فذكروا أقوال البلاغيين والعلماء القدامى وتطوُّر هذا التعريف عندهم، ولكنها –حقيقة– لا تختلف كلها في المشاركة بين أمرين في صفة واحدة أو صفات.

وللتشبيه أهمية وفائدة في المحاورات وغيرها، فالبلاغيون كانت لهم كلمات مهمة في مؤلفاتهم تبيِّن عظمته، وقد فصَّل "الخطيب القزويني" في بيان أثر التشبيه في الكلام، وفائدته في بيان المعاني وتقريبها إلى الذهن، فقال: ((وإذا قد عرفتَ معنى التشبيهِ في الاصطلاحِ، فٱعلمْ أنَّهُ مما ٱتَّفقَ العقلاءُ على شرفِ قدرهِ، وفخامةِ أمرهِ في فنِّ البلاغةِ، وأنَّ تعقيبَ المعاني به يُضاعِفُ قواها في تحريكِ النفوسِ إلى المقصودِ بها، مدحًا كانت أو ذمًّا، أو ٱفتخارًا، أو غير ذلكَ)). [١]

ولأهمية التشبيه ألَّف "أبو عبيدة" (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م) كتابه "مجاز القرآن" فقد ورد في سبب تأليفه: ((إنه سُئِلَ في مجلس الفضل بن الربيع عن التشبيه في قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [٢] وإنما يقعُ الوعدُ والإيعادُ بما قد عرفَ مثلهُ، وهذا لم يعرفْ، فقال أبو عبيدة: إنما كلَّمَ اللهُ تعالى العربَ على قدرِ كلامِهم، أما سمعتَ قولَ ٱمرىء القيس:

أَيَقْتُلُني والمَشْرَفِيُّ مُضاجِعي – ومَسْنونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيابِ أَغْوالِ ؟

وهم لم يَرَوا الغولَ قط، ولكنهم لما كانَ أمرُ الغولِ يهولُهُم أُوعِدوا به)). [٣]

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة: ١٦٤ لقد فصَّل "الخطيب القزويني" بيان فائدة التشبيه وبيان المعاني العالية التي تضمنتها التشبيهات القرآنية فذكر أمثلة كثيرة.

(٢) سورة الصافات: الآية ٦٥

(٣) الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم الأدباء، (عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ط، د.ت) ١٥٨/١٩ ترجمة "أبي عبيدة معمر بن المثنى" ، لاشين، عبد الفتاح: البيان في

وإضافة للكلمات التي تقدمت للبلاغيين فإنَّ المفسرين أيضًا ذكروا أهميته في فهم المعاني العظيمة للمثل القرآني الذي يضربه الله تعالى للناس، فتراه يقرِّب المعنى الحسي أو العقلي للمُتلقي بأدنى تأمُّلٍ، قال "الزمخشري": ((ولضربِ العربِ الأمثالَ، وٱستحضارِ العلماءِ المثلَ والنظائرَ شأنٌ ليسَ بالخفيِّ في إبرازِ خبيَّات المعاني، ورفعِ الأستارِ عن الحقائقِ، حتى تُريكَ المُتَخيَّلَ في صورةِ المُحَقَّقِ، والمتوهَّمَ في معرضِ المتيقَّنِ، والغائبَ كأنَّهُ مشاهَدٌ، وفيه تبكيتٌ للخصمِ الأَلَدِّ، وقمعٌ لسورةِ الجامِحِ الأبيِّ، ولأمرٍ ما أكثرَ اللهُ في كتابِهِ المبينِ وفي سائرِ كتبِهِ الأمثالَ)) [(١)]، فكلامه ظاهر في أهمية المثل في فهم كلام الله تعالى، والتدبُّر في إبراز المعاني الراقية، فضلاً عن أثره في إبطال حجة الخصم.

لأجل ما تقدم كان التشبيه أحد الأساليب القرآنية في محاوراته البليغة، وقد ٱعترف العلماء بأنَّ التشبيهات القرآنية تعد من أعظم التشبيهات التي أُثِرت في كلام العرب، قال "آبن أبي الإصبع" (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م) في بيان وجوه حدود بلاغة التشبيه: ((ومنها إخراجُ ما تقعُ عليهِ الحاسَّةُ كقولهِ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ [(٢)] فهذا بيانُ إخراجِ ما لا تقعُ عليهِ الحاسَّةُ إلى ما

---

ضوء أساليب القرآن، (دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ١٩٨٨م): ٢٥ وغيرهما من المصادر ، وقد أشار إلى ذلك الدكتور "فؤاد سزكين" في تعليقه على كتاب "مجاز القرآن". ينظر: أبو عبيدة، معمر بن المثنى: مجاز القرآن، تع: الدكتور محمد فؤاد سزكين، (مط دار غريب، مصر، ١٩٨٨م، د.ط) ١٦/١

(١) تفسير الكشاف ١٠٩/١ ، وينظر: السبكي، عبد العزيز بن عبد السلام: مجاز القرآن، تح: د. مصطفى محمد حسين الذهبي، تق: أحمد زكي يماني، (مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤١٩هـ١٩٩٩م، د.ط): ٢١١

(٢) سورة النور: الآية ٣٩

تقعُ عليهِ الحاسَّةُ، وقوله: ﴿الظَّمْآنُ﴾ أبلَغُ من قول: (يحسبه الرائي ماء)؛ لأنَّ الضمآنَ أشَدُّ حرصًا عليهِ، وأكثرَ تَعَلُّقِ قلبٍ به، وتشبيهُ أعمالِ الكُفَّارِ بالسرابِ من أحسنِ التشبيهِ وأبلغِهِ، وقد تضمَّنَ مع ذلكَ حُسْنَ النظمِ، وعذوبَةَ الألفاظِ، وصحَّةَ الدلالةِ، وصدقَ التمثيلِ)) [(١)]، وفي هذا الحد من حدود بلاغة التشبيه نرى حقيقة وعمق اللفظ القرآني وما يحويه من معانٍ دقيقةٍ توصل إلى المراد بأقرب الطُّرُقِ، وبأدنى تأمُّلٍ، فهذا أحد الحدود المتعددة التي أشارت إليها الأمثال القرآنية. [(٢)]

إنَّ هذه شهادة بليغة في حق أبلغ كلام وأفصحه قد تضمن آية واحدة من آيات القرآن الكريم، وجميع تلك الآيات كذلك، والأمثلة كثيرة، وإنَّ جميع الآيات التي تضمنت التشبيهات وأنواعها في القرآن قد بيَّنت الغاية من التشبيه وأهميته في تقريب المعنى الحسي والعقلي إلى المتلقي [(٣)]، ولأجله اعتنى العلماء القدامى

(١) بديع القرآن، تح: حفني محمد شرف، (نهضة مصر، د.ط، د.ت، د.م) ٢/٥٨

(٢) لقد ذكر "ابن أبي الإصبع" حدودًا أخرى مهمة حريٌّ بالاطلاع عليها ودراستها، منها: إخراج ما لم تَجْرِ به العادة إلى ما جرت به العادة، وإخراج ما لا يُعلم بالبديهة إلى ما يُعلم بالبديهة، وإخراج ما لا قوة له بالصفة إلى ما له قوة في الصفة وغيرها. ينظر: بديع القرآن ٢/٥٨-٥٩

(٣) للتفصيل ينظر: ابن الأثير: المثل السائر ١/٣٨٣-٣٨٧ ، محمد هاي معرفة: التمهيد في علوم القرآن ٥/٢٦٤-٣٠٤ ، لاشين: البيان في ضوء أساليب القرآن: ٥٤-٥٩ ، الصغير: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١ ، ١٤٢٠هـ١٩٩٩م): ١٠١-١٠٨

بالتشبيه في مؤلفاتهم البلاغية وأفردوا له مؤلَّفًا خاصًّا بتشبيهات القرآن الكريم [١]، والدراسات الحديثة أيضًا. [٢]

وللتشبيه أركان أربعة: المشبَّه، والمشبَّه به، وحروف التشبيه، ووجه الشبه، والعلماء كتبوا بتفصيل فيما يتعلق بطرفي التشبيه –المشبه والمشبه به– والعلاقة بينهما؛ وذلك لأهمية العلاقة التي تربط هذين الطرفين في تقريب المعنى إلى الأذهان.

وتقسيمه من حيث المحسوس والمعقول فيهما فقد قُسِّم على أقسام أربعة، قال "الزركشي": ((ينقسمُ التشبيهُ بآعتبارِ طرفيهِ إلى أربعةِ أقسامٍ؛ لأنَّهما إما حِسِّيانِ، أو عقليَّانِ، أو تشبيهُ المعقولِ بالمحسوسِ، أو عكسُهُ)) [٣]، وتم تفصيل هذه الأقسام الأربعة في مؤلفات العلماء مع الأمثلة لكُلِّ نوعٍ. [٤]

---

(١) ينظر مثلاً: آبن ناقيا البغدادي، عبد الله بن محمد: الجمان في تشبيهات القرآن، تح: الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي، (دار الجمهورية، بغداد، ١٣٨٧هـ ١٩٦٨م، د.ط) ، آبن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب: الأمثال في القرآن الكريم، تح: إبراهيم بن محمد، (مكتبة الصحابة، طنطا، ط١، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م).

(٢) ينظر مثلاً: الأطرقجي، واجدة مجيد: التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، (منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، ١٩٧٨م، د.ط، د.مط) ، السبحاني، جعفر: الأمثال في القرآن، (مط آعتماد، قم، ط١، ١٤٢٠هـ) ، الزين، سميح عاطف: الأمثال والمثل والتمثيل والمثلات في القرآن الكريم، (دار الكتاب المصري، مصر، ط٢، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م).

(٣) البرهان في علوم القرآن ٢٥٨/٣

(٤) للتفصيل ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم: ٣٣٥ ، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ١٢٩/٣ ، لاشين: البيان في ضوء أساليب القرآن: ٤٠-٤٥ ، الصغير: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: ٨٦-٨٩ ، قلقيلة، عبده عبد العزيز: البلاغة الاصطلاحية، (دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٢هـ١٩٩٢م): ٣٩-٤١ وغيرها

وإنَّ للتشبيه أدوات متعددة معلومة تدل على معنى المشابهة كالكاف، وكأنَّ، ومثل، وشبه وغيرها. (١)

* ثانيًا: المجاز.

إنَّ المجاز من فنون البلاغة العربية التي تميَّز بها الكلام العربي، وهو ما يقابل الحقيقة في وضع اللفظ لمعناه الذي وضع له، وقد أبدعوا في آستعمالاته لما فيه من أثر بليغ في المعنى، بل هو من أهم أبوابه، قال "آبن رشيق القيرواني": ((العربُ كثيرًا ما تستعملُ المجازَ، وتعدُّهُ من مفاخِرِ كلامِها؛ فإنَّهُ دليلُ الفصاحَةِ، ورأسُ البلاغَةِ، وبه بانَتْ لغتُها عن سائرِ اللغاتِ)) (٢)، وسوف نبيِّن ذلك بإيجاز.
قال "عبد القاهر الجرجاني" في تعريفه: ((كُلُّ كلمةٍ أُريدَ بها غيرُ ما وقعتْ لـه في وضعِ واضعِها، لملاحظَةٍ بينَ الثاني والأول)). (٣)، أو هو: ((كُلُّ لفظٍ نُقِلَ عن موضوعِهِ)). (٤)

(١) ينظر للتفصيل فيما يتعلق بورود أدوات التشبيه في القرآن: المسعودي، محمد عبد حسن درويش: مَثَل ومِثْل وكاف التشبيه في القرآن الكريم دراسة لغوية، (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية/ كلية التربية، ٢٠٠٥م).
(٢) العمدة في صناعة الشعر ونقده ١/١٧٨
(٣) أسرار البلاغة: ٣٩١
(٤) الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تح: د. محمد التنجي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م): ٦٦

قال "السكاكي": ((هو الكلمةُ المستعملةُ في غيرِ ما هي موضوعةٌ لـه بـالتحقيقِ ٱستعمالاً في الغيرِ بالنسبةِ إلى نوعِ حقيقتِها مع قرينةٍ مانعةٍ عن إرادةِ معناهُ في ذلـكَ النوعِ)). [١]

إنَّ هذه التعريفات التي وردت في المجاز إنما تؤكد مسألة مهمة وهـي أنَّ اللفظ المستعمل مجازًا له في الوضع اللغوي حقيقة، وصرفـه مـن الحقيقـة إلى المجاز لمشاركة بينهما في البَيْن، وقد أطلق "الجرجاني" على هذه العلاقة العالقـة بينهما (الملاحظة)، وأطلق عليها "السكاكي" (القرينة)، وهذا النقل من الحقيقة إلى المجاز قد أشار إليه من قبل "ٱبن جني": بقوله في بيان الحقيقة والمجاز: ((الحقيقةُ ما أقرَّ في الاستعمالِ على أصلِ وضعهِ في اللغةِ، والمجازُ ما كانَ بضدِّ ذلكَ)). [٢]

إذًا فالعلاقة قائمة غير منفكة بين الحقيقة والمجاز، فالثاني هو فرع لـلأول وهو الأصل، ولا يمكن أنْ يكون اللفظ مجازًا ما لم يكن لـه حقيقـة في الوضـع والاستعمال. [٣]

وإنَّ العلماء قسموا المجاز على قسمين أساسيين وهما: المجاز المرسل، والمجاز العقلي، وذكروا لكُلِّ نوع منهما وجوهًا وعلاقات أو أسبابًا لاسـتعمالهما ٱستعمالاً مجازيًّا لا حقيقيًّا، وقد تضمَّنَ القرآن الكريم كلاهما، فالمجاز المرسل هو الذي يكون متعلقًا باللفظة المفردة، وأما العقلي فالذي علاقته قائمة على تركيـب الجملة.

---

(١) مفتاح العلوم: ٣٥٩

(٢) الخصائص، تح: محمد علي النجار، (عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت) ٤٤٢/٢

(٣) ينظر: الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة، تع: محمود محمد شاكر، (مط المـدني، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩١م): ٢٩١

وأما فيما يتعلق بأسباب ٱستعمال المجاز في الكلمة أو الكلام، أو العلاقة التي بسببها حصل المجاز فهي متعددة، وقد ذكرها الأعلام في مؤلفاتهم، فقد ذكر "البحراني" (٦٧٩هـ/١٢٨٠م) عشرة أسباب [١]، وذكر "الزركشي" ستًّا وعشرين سببًا أو علاقةً [٢]، وذكر "السيوطي" عشرين علاقة، وذكر للعلاقة الأخيرة ثمانية عشر فرعًا [٣]، وهذه الوجوه لم يفصِّلوا فيها بين ما هو مختص بالمجاز المرسل أو العقلي، وفي الدراسات الحديثة تم الفصل بين تلك الوجوه لكُلِّ نوعٍ من نَوْعَي المجاز.

وأشهر العلاقات في المجاز المفرد المرسل: الجزئية، والكلية، وٱعتبار ما سيكون عليه في المستقبل، وغيرها من العلاقات الأخرى [٤]، أما أشهر العلاقات في المجاز العقلي: المفعولية، والفاعلية، والزمانية، وغيرها من العلاقات الأخرى. [٥]

وإنَّ القرآن الكريم قد تضمن آيات متعددة لهذا الأسلوب البلاغي من المجاز، ولأهمية هذا الباب في القرآن فقد ناقش الفقهاء والأصوليون ذلك في مؤلفاتهم علاقة الألفاظ وظهورها في ٱستنباط الحكم الشرعي من القرآن، وفصَّلوا

(١) ميثم بن علي: أصول البلاغة، تح: الدكتور عبد القادر حسين، (دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، د.م): ٥٨-٥٩

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/١٦١-١٨٤

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٢/١١٢-١٢٣

(٤) للتفصيل ينظر: ٱبن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع ٦/١٠٦-١٠٨ ، لاشين: البيان في ضوء أساليب القرآن: ١٤١-١٥١ ، الصغير: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: ٦٧-٧١

(٥) ٱبن معصوم المدني: أزهار الربيع في أنواع البديع ٦/١٠٦-١٠٨ ، الصغير: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: ٦٠-٦٣

القول في ذلك بدراسات مستفيضة [١]، وفي ذلك رَدٌّ على الذين أنكروا المجاز في القرآن الكريم، وعَدُّوه من الكذب على الله تعالى، وقد ذكر "الزركشي" رأي القائلين بعدم ورود المجاز في القرآن. [٢]

* ثالثًا: الاستعارة.

إنَّ الاستعارة من أهم فنون البلاغة العربية التي ٱعتمدتها العرب في محاوراتهم، لأهميتها في إيصال المعنى البليغ للمتلقي، والقرآن قد ٱستعمل هذا الفن في كثير من خطاباته، ويمكن معرفة ذلك من خلال دراسة ما يتعلق بهذا النوع من أنواع البلاغة، وتبقى ٱستعاراته أبلغ الاستعارات، وقد تقدمت كلمات العلماء عند بيان ما يتعلق بالتشبيه، وسوف نبيِّن ما يتعلق بها إيجازًا.

قال "عبد القاهر الجرجاني" في تعريفها: ((أنْ تريدَ تشبيهَ الشيءِ بالشيءِ، فَتَدَعَ أنْ تفصحَ بالتشبيهِ وتُظْهِرَهُ)). [٣]

(١) ينظر: الشريف المرتضى: الذريعة في أصول الفقه ١/١٠-١٣ ، السرخسي: أصول السرخسي ١/١٧٠-١٧٣ ، الغزالي: المستصفى في علم الأصول: ٨٤ ، المحقق الحلي: معارج الأصول: ٥٠-٥٧

(٢) نُسِبَ هذا الرأي بعدم وجود المجاز في القرآن الكريم إلى "داود بن علي الظاهري" (ت٢٧٠هـ/٨٨٤م)، وٱبنه "محمد" من الظاهرية (ت٢٩٧هـ/٩١٠م)، و"أبي مسلم الأصفهاني" (٣٢٢هـ/٩٣٤م) من المعتزلة، و"ٱبن القاص أحمد بن أحمد الطبري" (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م) من شيوخ الشافعية، و"ٱبن خُوَيز منداد" (ت ق٤هـ) من المالكية. البرهان في علوم القرآن ٢/١٥٨-١٥٩ ، وينظر: الصالح: مباحث في علوم القرآن: ٣٢٩

(٣) دلائل الإعجاز: ٧٦

وقال "الجرجاني": ((ٱدِّعاءُ معنى الحقيقةِ في الشيءِ للمبالغةِ في التشبيهِ، مع طرحِ ذكرِ المشبَّهِ من البَيْنِ)). (١)

إنَّ التعريفات التي تذكر للاستعارة كلها تبيِّن أنَّ الاستعارة قائمة على التشبيه بين شيئين معينين لعلاقة المشابهة بينهما ووجود قرينة تصرفها عن المعنى الحقيقي إلى المجازي.

وللاستعارة أركان ثلاثة: ١- مستعار منه وهو المشبه به. ٢- مستعار له وهو المشبه. ٣- ومستعار وهو اللفظ المنقول. (٢)

إنَّ الاستعارات التي ٱستعملها القرآن الكريم كانت من أعظم الاستعارات في كلام العرب، وهذا يدلُّ على تفوُّق كلامه على كلامهم، وتتضح فيه دلائل الإعجاز للرسالة الإسلامية في معجزتها الخالدة وهو القرآن الكريم، وقد ذكر العلماء والمفسرون ما يتعلق بذلك في مؤلفاتهم. (٣)

---

(١) التعريفات: ٨ وقد وردت للأعلام تعاريف متعددة، تلتقي من جهة، وتفترق من جهة أخرى، أو قد تكون موجزة، أو مجملة، وقد تتبع تعريفها في الدراسات الحديثة الدكتور "محمد حسين الصغير" فذكر ٱثني عشر تعريفًا للعلماء، وما يتعلق بتأثر بعضهم بالآخر. للتفصيل ينظر: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: ١١١-١١٦

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢٦٧/٣ ، ٱبن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع ٢٤٥/١ ، الصغير: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: ١٢١

(٣) ينظر مثلاً: الشريف الرضي، محمد بن الحسين: تلخيص البيان في مجازات القرآن، (مط المعارف، بغداد، ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م، د.ط): ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧ وغيرها من الآيات الكثيرة التي تضمَّنها الكتاب ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٦/٣ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٩٩/٦ ، الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢٦٨/٣ – ٢٧٠ ، الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٢٤-٢٢٦

وإنَّ العلماء ذكروا أقسامًا متعددة للاستعارة في مؤلفاتهم، وأهمية كُلِّ نوع وبلاغته في التوسُّعِ لإيصال الكلام إلى المتلقِّي، وكان الشيخ "عبد القاهر الجرجاني" قد قَسَّمها على قسمين فقال: ((ثم إنها تنقسمُ أولاً قسمين: أحدهما: أنْ يكونَ لنقلهِ فائدةٌ، والثاني: أنْ لا يكونَ لنقلهِ فائدةٌ)) [١]، وأما من حيث أقسامها المتعددة قال "القزويني": ((ثم الاستعارةُ تنقسمُ بآعتبارِ الطرفينِ، وبآعتبارِ الجامعِ، وبآعتبارِ الثلاثةِ، وباعتبارِ اللفظِ، وباعتبارِ أمرٍ خارجٍ عن ذلكَ كُلِّهِ)) [٢]، ثم ذكر بعد ذلك أنواع كل قسم من أقسام الاستعارة المتعددة [٣]، وفصَّل العلماء في هذه الأقسام وغيرها وما يتعلق بكُلِّ واحد منها ومواردها. [٤]

فالاستعارة تصوِّر للمتلقي صورًا عظيمة تؤثِّر في النفس، وكأنَّ القارىء لكتاب الله تعالى يرى صورًا متعددة في صفات مختلفة لآيات الله تعالى، فيصوِّر النار وكأنه شخصٌ مغضبٌ مبالغ في الانتقام من عدوه، قال "الشريف الرضي" في بيان روعة هذا الفن عند قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ﴾[٥] ((تغيَّظَتِ القِدْرُ إذا آشتدَّ غليانُها، ثم صارتِ الصفةُ به مخصوصةً بالإنسانِ المُغْضَبِ، فكأنَّهُ سبحانَهُ وصفَ

(١) أسرار البلاغة: ٣٠

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢١٩

(٣) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢١٩-٢٢٩

(٤) للتفصيل ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم: ٣٧٣-٣٧٤ ، الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢٦٩/٣-٢٧٢ ، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ١٣٥/٣-١٤٠ ، لاشين: البيان في ضوء أساليب القرآن: ١٦١-١٨٥ ، قلقيلة: البلاغة الاصطلاحية: ٦٢-٧٥ ، الصغير: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: ١٣٠-١٣٥ ، محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن ٣٢١/٥-٣٣٠

(٥) سورة الملك: الآية ٨

النارَ –نعوذ بالله منها– بصفةِ المُغيظِ الغضبانِ، الذي من شأنِهِ إذا بلغَ ذلكَ الحدَّ أنْ يبالغَ في الانتقامِ، ويتجاوزَ الغاياتِ في الإيقاعِ والإيلامِ)) [١]، وقد أطلق المحدثون على ذلك بـ(التشخيص) وهو ((إسباغُ الحياةِ الإنسانيةِ على ما لا حياةَ له، كالأشياءِ الجامدةِ، والكائناتِ الماديةِ غيرِ الحيَّةِ)) [٢]، وبذلك تتحقق الغاية من التشخيص في عقد الصلة الروحية بين النفس الإنسانية والموجودات المنظورة وغير المنظورة [٣]، فنرى كيفية بعث الروح في الجمادات، فيكون كُلُّ شيء في الوجود حيًّا يمكننا محاكاته، والاستماع إليه، والتسلِّي به، والحذر منه، وهذه الظاهرة كانت موجودة في الكلام العربي، ولكنها تجلت بأبهى صورها في القرآن الكريم، وكذلك في كلام المعصومين (عليهم السلام)، ومنها ما ورد في كلمات الإمام علي (عليه السلام) في "نهج البلاغة". [٤]

(١) تلخيص البيان في مجازات القرآن: ٣٣٩

(٢) جَبُّور، عبد النور: المعجم الأدبي، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م): ٦٧

(٣) ينظر: العكيلي، عهود عبد الواحد: السور المدنية دراسة بلاغية وأسلوبية، (دار الفكر، عمَّان، ط١، ١٤١٩هـ١٩٩٩م): ٢٠٢

(٤) للتفصيل ينظر: الفحام، عباس علي: الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون، (مط الفجر، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠١٠م): ٢٣٥-٢٤١

*** رابعًا: الكناية.**

تعد الكناية من فنون البلاغة العربية التي لها أهمية في إيصال المعاني البليغة للمتلقي، وقد جرى ذلك في القرآن الكريم؛ لأنه يخاطب أمة لها السبق والعُلا في هذه الفنون، فبذلك تستذوق هذه المعاني وتعرف حقيقة المراد من الكلام عند الكنية إليه.

قال "عبد القاهر الجرجاني" في تعريفها: ((أنْ يريدَ المتكلِّمُ إثباتَ معنًى من المعاني، فلا يذكرهُ باللفظِ الموضوعِ له في اللغةِ، ولكن يجيء إلى معنًى هو تاليهِ وردفُهُ في الوجودِ، فيومىء به إليه، ويجعلهُ دليلاً عليهِ)) [(١)]، وقال "السكاكي": ((هي تركُ التصريحِ بذكرِ الشيءِ إلى ذكرِ ما هو ملزومُهُ؛ لينتقلَ من المذكورِ إلى المتروكِ)). [(٢)]

فالكناية تؤكِّد العلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي للفظ الذي يُراد الكناية به، مع وجود ملازمة بين المعنيين تجمعهما، من غير تصريحٍ بل عن طريق تلويحٍ للمعنى المراد، وقد تكون كناية عن صفة، أو موصوف، وللقرآن في ذلك أمثلة متعددة. [(٣)]

وقد ذكر العلماء أسبابًا متعددة تجعل المتكلم يستعمل الكناية دون التصريح، فمما ذكره "الزركشي": ((التنبيه على عظم القدرة، فِطنة المخاطب، ترك اللفظ إلى ما هو أجمل منه، وأنْ يفحش ذكره في السمع فَيُكَنَّى عنه بما لا ينبو عن الطبع، وتحسين

---

(١) دلائل الإعجاز: ٦٦

(٢) مفتاح العلوم: ٤٠٢

(٣) ينظر: حيدر هادي أحمد: البحث البلاغي في تفسير الميزان، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية / كلية التربية، ٢٠٠٧م): ١٤٣-١٥١

اللفظ)) [١]، فإنَّ هذه الأسباب وغيرها تدلُّ على مدى اعتناء القرآن الكريم في إيصال المعاني الدقيقة إلى المستمعين بألفاظ لها أبلغ الأثر في النفس مع الحفاظ على الأهداف المتقدمة، وهذه حقيقة يلمسها الإنسان عند تلاوته كتاب الله تعالى بعد معرفته بأساليب فنونه التي تضمنتها آياته الشريفة.

وقد ذكر الشيخ "محمد هادي معرفة" عددًا من الآيات القرآنية التي تضمنت هذا النوع من البلاغة وما يتعلق بها من كنايات متنوعة [٢]، وفي مجال بيان أثر الصورة الكنائية التي يصورها القرآن الكريم لآياته الشريفة فهي في غاية الإبداع والإتقان، والتي تعد من أهم أسباب تأثيره في نفس المتلقي عامة، فضلاً عن المختصِّين بعلوم البلاغة؛ لذا نرى تأثيره العظيم في نفوس المشركين عند دعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إياهم للإيمان، ومن الباحثين من فصَّل الكلام في الصورة الكلية والجزئية للتصوير القرآني كالصورة التشبيهية، والاستعارية، والكنائية وغيرها. [٣]

(١) للتفصيل ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/١٨٧-١٩٢ وقد ذكر أسبابًا عشرة من أسباب الكناية مع أمثلتها من الآيات الشريفة وكلام العرب.

(٢) التمهيد في علوم القرآن ٥/٣٣١-٣٥٧

(٣) ينظر: السلامي، عمار عبد الأمير: بنائية الصورة القرآنية، (الناشر: العتبة العلوية المقدسة –الرسائل الجامعية، د.ط، د.مط، د.ت): ١٦٧-١٨٨

**– المطلب الثالث: علم البديع / المحسنات المعنوية.**

**إنَّ علم البديع من علوم البلاغة التي لها أثر في إثراء المعنى للفظ، ومن أبرز مباحثه التي آعتنى بها السيد "الشهرستاني" ما يأتي:**

*** أولاً: المقابلة.**

**المقابلة من المحسنات البديعية التي لها أثر في بلاغة الكلام وتحسينه، وقد آعتنى بها العرب في كلامهم؛ لما فيها من تعظيم له، وقد تضمنت كثير من آيات القرآن الكريم هذا النوع من المحسنات البديعية، ومما ورد في تعريفها:**

**قال "السكاكي": ((أنْ تجمعَ بينَ شيئينِ متوافِقَيْنِ، أو أكثر، وبين ضِدَّيهما)).** (١)

**قال "الزركشي": ((ذكرُ الشيءِ مع ما يوازيهِ في بعضِ صفاتِهِ، ويخالفُهُ في بعضِها)).** (٢)

**إنَّ المقابلة قائمة على معنيين متقابلين في طرفين معينين سواء أَتوافقا أم تخالفا، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾** (٣) **فقد جعل الضحك مقابل البكاء، والقليل مقابل الكثير، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾** (٤) **فالمقابلة جلية في الآيات الشريفة مما زادتها**

---

(١) مفتاح العلوم: ٤٢٤

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣/٢٨٠

(٣) سورة التوبة: الآية ٨٢

(٤) سورة الليل: الآيات ٥–١٠

رونقًا وحُسنًا في عَرْضِها وتَلَقِّيها كذلك، وذكر "الزركشي" للمقابلة أنواعًا ثلاثةً: ((نظيريٌّ، ونقيضيٌّ، وخلافيٌّ)). (١)

والمقابلة في القرآن الكريم وردت على صور متعددة فمنها مقابلة اثنين بِاثنين، وثلاثة بثلاثة، وأربعة بأربعة، وخمسة بخمسة، وستة بستة، وقد ذكر العلماء آيات شريفة لكُلِّ صورة من هذه الصور. (٢)

* ثانيًا: المشاكلة.

إنَّ المشاكلة نوع من أنواع البديع الذي تستعمله العرب في خطاباتها لما فيه من حُسنٍ تنغيمي يُزاد على المعنى المطلوب إيصاله، وقد تضمَّن القرآن الكريم هذا النوع من المحسنات في عدد من آياته الشريفة بأسلوب بديع، وقد ورد في تعريفها عن "السكاكي": ((وهي أنْ تذكرَ الشيءَ بلفظِ غيرِهِ لوقوعِهِ في صُحْبَتِهِ)). (٣)

وقال "السيوطي": ((ذكرُ الشيءِ بلفظِ غيرِهِ لوقوعِهِ في صُحْبَتِهِ تحقيقًا وتقريرًا)). (٤)

فالمشاكلة قائمة على تشاكل اللفظين أو الألفاظ، وقد أضاف "السيوطي" قوله: (تحقيقًا وتقريرًا) تباعًا لـ"القزويني" (٥)، وفي الإضافة أكثر بيانًا للتعريف

(١) البرهان في علوم القرآن ٢٨١/٣

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢٨٤/٣ ، ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع ٣٠١/١-٣٠٤ ، لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن: ٣٤-٣٥

(٣) مفتاح العلوم: ٤٢٤

(٤) الإتقان في علوم القرآن ٢٨١/٣

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٦٣

وتوضيحًا؛ لأنَّ اللفظ قد يكون مشاكلاً تحقيقًا من خلال ٱستعمال اللفظ نفسه كما ورد في قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَقِيلَ اليَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ (٣) وغيرها من الآيات الشريفة فالمشاكلة بين الألفاظ واقعة تحقيقًا. (٤)

فالمشاكلة فيها من الجمال في اللفظ والمعنى ما لا يخفى على المطَّلِع على فنون علوم البلاغة، بعد التأمُّلِّ في الألفاظ المستعملة في الكلام، وما فيها من تقرير المعنى المطلوب.

* ثالثًا: المبالغة.

إنَّ العرب ٱستعملت المبالغة في خطاباتها لما فيه من جمال في إيصال المعنى الدقيق، فالمبالغة لأجل إطلاق الفكر في المعنى وليس مخالفة الواقع، وقد تضمَّن القرآن الكريم هذا النوع من المحسنات، وعرَّف العلماء المبالغة في مؤلفاتهم وما يتعلق بها:

(١) سورة المائدة: الآية ١١٦

(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٤

(٣) سورة الجاثية: الآية ٣٤

(٤) للتفصيل ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/٢٨١-٢٨٢ ، لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن: ٧٧-٨١ ، قلقيلة: البلاغة الاصطلاحية: ٣٧٥-٣٧٧ ، حبنَّكة الميداني: البلاغة العربية ٢ /٤٣٨

قال "القزويني": ((أنْ يُدَّعى لوصفٍ بلوغَهُ في الشدَّةِ أو الضعفِ حدًّا مستحيلاً أو مستبعدًا؛ لئلا يُظَنُّ أنَّهُ غيرُ متناهٍ في الشدةِ أو الضعفِ)). (١)

قال "السيوطي": ((أنْ يذكرَ المتكلِّمُ وصفًا فيزيدَ فيه، حتى يكونَ أبلغَ في المعنى الذي قصدَهُ)). (٢)

فالمبالغة من خلال تعريفها هي التأكيد على وصف الشيء، وبيان ما فيه من معانٍ دقيقة؛ للترغيب فيه، أو للتحذير منه، أو للإشادة فيه وغير ذلك، سواء أكانت خيرًا أم شرًّا، أو أي صفتين في ذلك، وهذا أمر طبيعي في المحاورات بين الناس.

والمبالغة ضربان كما ذكره "السيوطي": ((مبالغَةٌ بالوصفِ بأنْ يخرجَ إلى حَدِّ الاستحالَةِ، ومبالغَةٌ بالصيغَةِ، وصِيَغُ المبالغَةِ ....)). (٣)

وقد ٱختلف العلماء فيما يتعلق بهذا النوع هل يعد من أنواع الكذب والإفراط وعيوب الكلام أو لا؟

ولا يخفى أنَّ بعض أنواعه قد يكون كذلك إذا كان الموصوف مما يُمتنع عليه ذلك عادة (٤)، وإلا فهو ليس كذلك، والقرآن الكريم قد ٱستعمل ذلك، قال "ٱبن معصوم المدني": ((وقالَ بعضُ المتأخرين: الحقُّ إنَّ فضلَ المبالغةِ لا ينكرُ؛ لوقوعِها في القرآنِ الكريمِ، ومنها جميعُ أبوابِ التشبيهِ والاستعارةِ والكنايةِ)). (٥)

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٧٥

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٢٨٢/٣

(٣) المصدر نفسه، الجزء والصفحة نفسهما.

(٤) للتفصيل ينظر: لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن: ٦٣-٦٤ ، حبنَّكة الميداني: البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها ٤٥٠/٢

(٥) أنوار الربيع في أنواع البديع ٣٨٢/٤

وفيما يتعلق بالآيات الشريفة وما ورد عن الله تعالى بصيغ المبالغة فـــيرى الباحث أنَّ الله تعالى لا يمكن أنْ يصف نفسه للآخرين، فهو الكمال المطلـــق، ولا يمكن لما هو محدود أنْ يتعرَّف على المطلق، فإطلاق صفات المبالغة عليه إنـــما للتأكيد على الخروج من دائرة المحدود.

**– المحسنات اللفظية.**

*** أولاً: الجناس.**

**يعد الجناس من المحسنات اللفظية في علم البديع، والتي ٱعتُنِي بهـا في الكلام العربي؛ لما فيه من جمال وإبداع في إيصال المعنى إلى المتلقي؛ لذلك كان أحد أساليب القرآن الكريم في آياته الشريفة أنْ يتضمن هذا النوع من فنون البلاغـة العربية، ويُسَمَّى بالتجنيس أيضًا، وقد ورد في بيان مقامه عن "ٱبن الأثـير" قولـه: ((ٱعلم أنَّ التجنيسَ غُرَّةٌ شادِخَةٌ في وجهِ الكلامِ، وقد تصرَّفَ العلماءُ من أربابِ هذهِ الصناعةِ فيهِ فغرَّبوا وشرَّقوا، لا سيما المُحْدَثينَ منهم، وصنَّفَ الناسُ فيهِ كُتُبًا كثيرةً، وجعلوهُ أبوابًا متعددةً)) [١]، وقد ورد في تعريفه: قال "ٱبن الأثير": ((أنْ يكونَ اللفظُ واحدًا، والمعنى مختلفًا)) [٢]، وقال "القزويني": ((هو التشابه بين اللفظين)). [٣]**

**فالجناس هو تشابه اللفظين مع مراعاة أنْ يكون لكُلِّ لفظٍ منهما معنىً يغاير المعنى الآخر، وإلا كان تكرارًا، والعلماء قد قسموا الجناس على قسمين: لفظـي، ومعنوي، ولكُلِّ قسمٍ منهما له أقسام أخرى متعددة. [٤]**

**ولا يخفى أنَّ هذا التشابه في اللفظين وأثرهما في تطريب السمع يؤدي غرضـه في النفس ويؤثِّر بها، وقد ورد فيه قولهم في هذا الأسلوب البديعي بأنه: ((تطربُ لـه الآذانُ، وتهتزُّ له أوتارُ القلوبِ، والمجنِّسُ يقصدُ ٱختلابَ الأذهانِ، حيثُ يوهِمُ أنَّـهُ**

---

(١) المثل السائر ٢٤١/١

(٢) المصدر نفسه، الجزء والصفحة نفسهما.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٨٨

(٤) ينظر: قلقيلة: البلاغة الاصطلاحية: ٣٣٦-٣٥٠ ، لاشين: البديع في ضـوء أسـاليب القرآن: ١٦٣-١٦٥

يُعرِضُ على السامعِ معنًى مكررًا، فإذا هو معنًى مستحدَثٌ يغايرُ ما سبقَهُ كُلَّ المغايرةِ، فتأخذُ السامعَ الدهشةُ لتلكَ المفاجأةِ غيرِ المتوقعةِ)). [١]

إنَّ القرآن الكريم قد تضمَّن تلك الأنواع في أسلوب بديعي رفيع، له أثر بليغ في إيصال المعاني إلى سامعيه، قال تعالى في وصف ما تمرُّ على الإنسان من دهشته يوم القيامة بقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [٢]، فالساعة الأولى يوم القيامة، والساعة الثانية ساعة من الزمن في الدنيا، وهذا ما يسمى بـ(الجناس التام) ويكون بين لفظين تامين (الساعة، وساعة)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [٣]، وهذا ما يسمى بـ(الجناس الناقص) ويكون بين لفظين بتبديل حرف واحد (شهيد، وشديد) وغيرها من الآيات الشريفة التي ذكرها العلماء في مؤلفاتهم. [٤]

* ثانيًا: السجع.

إنَّ السجع من فنون البلاغة العربية التي تضيف حسنًا وجمالاً للفظ وما يتبعه من تأثير على المتلقي، وقد اُعتنى العرب به في كلامهم المنثور خصوصًا، وما في كلمات الوعظ والحِكَمِ والخُطَبِ، وقد تضمَّنت آيات القرآن الكريم هذا النوع من فنون البلاغة، بأنواعه المتعددة، على وفق أسلوب القرآن البديع في عرض

(١) لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن: ١٧٠

(٢) سورة الروم: الآية ٥٥

(٣) سورة العاديات: الآيتان ٧-٨

(٤) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٣/٢٧٥-٢٧٧ ، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/٢٧١-٢٧٣ ، الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٨٨-٢٩٣

الصورة، وإيصال المقصود، وقد عرف العلماء السجع في مؤلفاتهم: قال "ٱبن الأثير": ((تواطُؤُ الفواصِلِ في الكلامِ المنثورِ على حرفٍ واحدٍ)) [١]، وقال "القزويني": ((تواطؤُ الفاصلتينِ من النثرِ على حرفٍ واحدٍ)). [٢]

فالسجع قائم على نهاية الفواصل وتوافقها في الحرف الأخير، وله أقسام متعددة منها: المطرَّف، والمرصَّع، والمتوازي وغيرها من التقسيمات قد فصَّلَ العلماء فيها مع بيان أمثلتها من القرآن الكريم وكلام العرب. [٣]

وهناك خلاف بين العلماء القدامى بين تسمية هذا النوع بالسجع أو الفواصل، على ما تضمنه القرآن الكريم لهذا النوع من فنون البلاغة، فهناك مَنْ عَدَّ السجع عيبًا فنزَّهَ القرآن عنه فسمَّاه فاصلةً؛ تنزيهًا عن سجع الكهَّان، وهناك مَنْ لم يعتنِ بذلك، قال "ٱبن الأثير": ((وقد ذمَّهُ بعضُ أصحابِنا من أربابِ هذهِ الصناعَةِ، ولا أرى ذلكَ وجهًا)) [٤]، فلو كان عيبًا لما ٱشتمل كتاب الله تعالى، وكلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه، وهذا ما قرره "ٱبن الأثير" في أدلته على ذلك ودافع عنه فقال: ((فلو كانَ مذمومًا لَما وردَ في القرآنِ الكريمِ فإنَّهُ قد أتى منهُ بالكثيرِ، حتى إنَّهُ ليؤتي بالسورةِ جميعها مسجوعَةً، كسورةِ الرحمنِ وسورة القمرِ وغيرِهما، وبالجملةِ فلم تخلُ منه سورةٌ من السُّوَرِ .... وقد وردَ على هذا الأسلوبِ

(١) المثل السائر ١/١٩٥

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٩٦

(٣) للتفصيل ينظر: ٱبن الأثير: المثل السائر ١/١٩٥ ، الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٩٦-٢٩٧ ، قلقيلة: البلاغة الاصطلاحية: ٥٠٤-٥٠٧

(٤) المثل السائر ١/١٩٥

من كلامِ النبيِّ شيءٌ كثيرٌ أيضًا)) [١]، وكذلك فقد تعرَّض "ابن سنان الخفاجي" إلى رد النافين للسجع في القرآن ومنهم "الرماني" بقوله: ((السجعُ عيبٌ، والفواصلُ بلاغةٌ، وبيِّنٌ ما يتعلقُ بذلكَ من قولٍ، وأنَّ المذمومَ من السجعِ ما كانَ بتكَلُّفٍ من المتكَلِّمِ، وهذا ليس موجودًا في كتابِ اللهِ تعالى)) [٢]، وعرض الدكتور "إبراهيم السامرائي" بعض تلك الأقوال والنزاع القائم بين العلماء وناقشها، وبيَّن أهمية هذه الفواصل في السياق القرآني. [٣]

فالسجع إنْ كان من فنون البلاغة العربية فلماذا هو عيب في القرآن الكريم؟ وقد أتى القرآن بكلام معجز من كلام العرب، أما إذا لم يكن من فنون بلاغتهم بل من عيوب الكلام، ففي ذلك نقاش وكلام، وهذا غير ثابت.

فهذه أهم الموضوعات المتعلقة بعلم البديع حاولنا بيانها؛ لما لها من علاقة بباب التحقيق وما ذكره السيد "الشهرستاني" في ذلك.

---

(١) المثل السائر ١/١٩٥

(٢) سر الفصاحة: ١٧٢ ، وينظر: ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع ٦/٢٥٤

(٣) ينظر: من وحي القرآن، (مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م): ١٠٣

**المبحث الثالث: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في الإعجاز القرآني.**

إنَّ للسيد "الشهرستاني" رأيًا بالإعجاز القرآني ذكره في مناسبات متعددة، فقد ذكر بعض ذلك في مؤلفاته المخطوطة التي سيتم بيانها في باب التحقيق، ومنها ما ورد في في كتابه المطبوع (المعجزة الخالدة) فهو يذكر تلك الوجوه التي يرى أنَّها وجوهٌ تميِّزُ كتاب الله تعالى عما سواه [١]، وما ذكره هو اعتمادًا على جهود الأعلام السابقين في الدراسات القرآنية لإعجاز القرآن الكريم، ولكنه بعد عرضه لتلك الوجوه يذكر ما اتفق عليه العلماء أنها من وجوه الإعجاز القرآني لا التمييز فقط، وهذه الوجوه الإعجازية قد أطلق عليها (النظريات السبع للعلماء في وجوه الإعجاز) فقال: ((ولمَّا سبرنا مزايا القرآنِ البالغةِ نحوَ الثلاثينَ، وأخبرناها على ضوءِ هذا المحكِّ القرآنيِّ، رأينا فيها ستةً صالحةً؛ لأنْ تُعَدَّ من وجوهِ الإعجازِ، وهي: ١-صدوره من أُمي مثل محمد "صلى الله عليه وآله وسلم". ٢-بلاغته الفائقة. ٣-غرابة أسلوبه. ٤-أنباؤه الغيبية الصادقة. ٥-جذباته الروحية. ٦-جامعيته لهذه الوجوه)) [٢]، ثم يبيِّن القول بإيجاز لكُلِّ وجه من هذه الوجوه التي هي في الواقع ستة كما ذكرها، ولكنه يضيف إليها "الصرفة" اعتمادًا على القائلين بها، وقد ذكر ما يتعلق بحقيقتها بقوله: ((اشتهرَ النقلُ عن "الشريفِ المرتضى" من الشيعةِ، وعن "النَّظَّام" من المعتزلةِ أنَّهما قالا في وجهِ إعجازِ القرآنِ بالصرفَةِ والمِنعةِ، أي:

(١) ينظر: ١٨-٢٠ ، إنَّ السيد ذكر ثماني وعشرين مزية للقرآن تميِّزه عن غيره من الكلام.

(٢) ص ٢٦ ، إنَّ السيد بعد ذكره لما تقدم يقول تحت عنوان (الصرفة من النظريات السبعة): ((أفردنا القول بالصرفة عن النظريات الست، من وجوه إعجاز القرآن لتباعد بين هذي وتلك)). المصدر نفسه: ٦١

إنَّهُ معجزٌ؛ لأنَّ اللهَ يصرفُ عن القدرةِ على فعلهِ مَنْ يريدونَ الإتيانَ بمثلِهِ)) [١]، ولكنه رد هذا الرأي بصراحة؛ إذ إنه لا يليق بالله تعالى أنْ يدعوهم للمباراة والتحدي، ومع ذلك يسلبهم القوة والقدرة، وهذا يُبعد عن القرآن صفة الإعجاز. [٢]

إنَّ السيد "الشهرستاني" على الرغم من ذكره لتلك الوجوه وما يتعلق بها، لكنه يرى أنَّ وجه تحديه يكمن في جذباته الروحية، وبلاغته الجامعة [٣]، ويقول

(١) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة.

إنَّ هذا الرأي لـ"الشريف المرتضى" أشتهر عنه، وكان قد صرَّح به في مؤلفاته المتعددة، ودافع عنه بإيجاز وتفصيل، وألَّف كتابًا خاصًّا في تأييد ما يراه من صرف الله تعالى المشركين عن مجاراة وتحدي كتاب الله تعالى. للتفصيل ينظر: الشريف المرتضى، علي بن الحسين: الموضح عن جهة إعجاز القرآن (الصرفة)، تح: محمد رضا الأنصاري القمي، (مط الأستانة الرضوية، مشهد، ط٢، ١٤٣٢هـ). وينظر: الشريف المرتضى: من رسائل الشريف المرتضى (مجموعة في فنون من علم الكلام)، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، (مط دار الكفيل، كربلاء، الناشر: العتبة الكاظمية المقدسة، ط٢، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م): ٤٩

(٢) ينظر: المعجزة الخالدة: ٦١-٦٢

إنَّ هذا هو رأي العلماء المحققين في إعجاز القرآن الكريم تجاه القائلين بالصرفة، وتم عرض بعض أقوال "الشريف المرتضى" وبيان حجته في الصرفة ورأي المعارضين لذلك لفقدان المعجز به أصل التحدي، ومناقشة الأعلام له في بحث مستقل. ينظر: الكاظمي، عماد: الجهود العلمية للسيد الشريف المرتضى، (المؤتمر العلمي الدولي السادس في العتبة الكاظمية المقدسة، غير منشور، ١٤٣٥هـ ٢٠١٥م): ٢٠-٢٢

(٣) ينظر: المعجزة الخالدة: ٢٠

أيضًا في إحدى مخطوطاته: ((ذهبنا في سِرِّ إعجازِ القرآنِ إلى ٱشتمالهِ على أنبـاءٍ غيبيَّةٍ، وجذباتٍ روحيَّةٍ)). [١]

يرى الباحث أنَّ تأثُّرَ للسيد بهذا الوجه من الوجوه الإعجازية قد تابع فيـه "الخطابي" فيما سبق؛ إذ قال: ((قلتُ فى إعجازِ القرآنِ وجهًا آخرَ ذهبَ عنه الناسُ، فلا يكادُ يعرفُهُ إلا الشاذُّ مـن آحـادِهِم، وهـو صـنيعُهُ بـالقلوبِ، وتـأثيرُهُ فى النفوسِ....)) [٢]، وهذه من حقائق القرآن الناصعة التي يلمسها الإنـسان إنْ قـرأ كتاب الله تعالى بتدبُّرٍ وإقبالٍ، بعيدًا عن الهوى والعصبية، والجهل بمعانيه وأسراره، فالتعبير بلفظ (الجذبة) فيه معنىً دقيق في التأثير والتأثُّر بكلمات القـرآن الكـريم كلها.

وفيما يتعلق بتحدي القرآن الكريم للعرب فالسيد الشهرستاني قد ذكر رأيه من خلال تفسيره لإحدى الآيات الشريفة الواردة في مقام التحدي، وبـيَّن مراحـل تحديه لهم. [٣]

وأما أهم أبواب علوم البلاغة فقد ذكرها السيد من خلال تفسيره لـبعض الآيات الشريفة، فضلاً عن تعليقاته على بعض الآيات من خلال بيانها، أو الإجابـة على أسئلة تتعلق بمعانيها، والمراد منها. [٤]

لقد ٱعتنى السيد الشهرستاني في بيان فنون البلاغة العربية التـي ٱشـتمل عليها القرآن الكريم ليؤكِّد إعجازه، من خلال كلام يفهمون سِرَّه ومعناه وبلاغتـه،

(١)مخطوط رؤوس الأقلام، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٦٢

(٢) بيان إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن): ٧٠

(٣) سيتم بيانه في باب التحقيق، الفصل الرابع، المبحث الأول: ٣٣٠-٣٤٤

(٤) سيتم بيانه في باب التحقيق، الفصل الرابع: ٣٤٥-٤٨٧

وفي ذلك صورة جلية للإعجاز، وخصوصًا في وقت نزوله حيث فهم الناس لتلك الفنون، وأما اليوم فالحاجة ماسة لتوضيح وبيان ذلك لهم؛ ليتعرَّفوا على حقيقته وإعجازه، يقول (قده): ((إنَّ براعَةَ القرآنِ في تفنُّنِهِ بأساليبِ البلاغةِ مع الإيجازِ والبالغَ حَدِّ الإعجازِ جعلاهُ بمنزلةٍ يصعبُ على المتناولِ فهمِ كثيرٍ من معانيهِ ومراميهِ، فجعلَنا بحاجةٍ إلى تدقيقٍ واسعٍ في اللفظِ والمعنى، وأنْ نُكَلِّفَ أفهامَنا التحرِّي في وجوهِ البيانِ، وٱستنباطِ مقاصدِهِ من خلالِ تشبيهاتِهِ، ومجازاتِهِ، وكناياتِهِ)). [1]

وسوف نبيِّن ما يتعلق بالجوانب الأخرى المتعلقة ببلاغة القرآن الكريم في الفصل المختص بتحقيق مخطوطاته.

(١) مخطوط التفسير المحيط أوراق من دون ترقيم.

# الباب الثاني

## التحقيق

## (الفصل الأول)

## صيانة القرآن من التحريف

- **المبحث الأول**: معنى التحريف.
- **المبحث الثاني**: أدلة صيانة القرآن من التحريف.

# الفصل الأول

## صيانة القرآن من التحريف

نبين في هذا المبحث ما ذكره السيد "الشهرستاني" فيما يتعلق بصيانة القرآن الكريم من التحريف والزيادة والنقيصة، وبيان رأيه في هذا الموضوع المتعلق بمعجزة الإسلام الخالدة، وأهمية مناقشة ذلك في علوم القرآن الكريم، وسوف نذكر ذلك من خلال بيان تعريف التحريف، ومناقشته المسألة مناقشة علمية، وإثباته صيانة الكتاب والدفاع عن قدسيته بأدلة عقلية ونقلية، وٱستدلاله بأقوال الأعلام المحققين، والرد على تلك الآراء التي تخالف ذلك.

وأهم الموضوعات التي ناقشها السيد سأبينها في مبحثين:

- المبحث الأول: معنى التحريف.
- المبحث الثاني: أدلة صيانة القرآن من التحريف.

**المبحث الأول: معنى التحريف.**

لقد ذكر السيد "الشهرستاني" ما يتعلق بالمراد من التحريف في اللغة، ومدى انطباقه على موضوع التحريف للقرآن في الدراسات القرآنية، وهل يمكن أنْ ينطبق على القراءات عند تغيير اللفظ أو لا، وذكر ذلك في موردين.

– المورد الأول [١]: قال: تغييرُ حرفٍ بحرفٍ أو تَصَرُّفٍ فيه. [٢]

فعليه يشملُ حتى تبديلَ الحروفِ في الآياتِ، وحتى التَصَرُّفَ في الحركةِ والسكونِ، فضلاً عن تبديلِ سورةٍ، أو تَصَرُّفٍ في آيةٍ، ولو بتغييرِ مواضِعِها تقديمًا وتأخيرًا، كما قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [٣]، غير إنَّ اتفاقًا حاصلاً [٤] بين أهلِ العلمِ، أنَّ التحريفَ الممقوتَ [٥] لا يشملُ اختلافَ القراءاتِ، ولا اختلافَ المصاحفِ في تقديمِ سورةٍ، أو آيةٍ، أو تأخيرِها، وإنَّما ينحصرُ الخلافُ في خصوصِ نقصانِ السُّوَرِ، أو الآياتِ فحسب. [٦]

---

(١) مخطوط رؤوس الدروس ١٤٢/٢

(٢) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرَّم: لسان العرب، (مط الميرية ببولاق، مصر، ط١، ١٣٠١هـ) مادة (حرف).

(٣) سورة النساء: الآية ٤٦

(٤) في الأصل: اتفاق حاصل.

(٥) في الأصل: تحريف الممقوت.

إنَّ تعبير السيد بـ(التحريف الممقوت) ليس دقيقًا، فإنَّهُ يوحي إلى وجود تحريف غير ممقوت، ولكن التحريف غير موجود مطلقًا في القرآن الكريم كما تم بيانه، إلا إذا أُريد به من جهة اللغة، التي ينطبق فيها اللفظ على التغيير بصورة عامة.

(٦) أي التحريف من جهة الاصطلاح.

– المورد الثاني [١]: المرادُ من التحريفِ الذي موضِعُ الخلافِ تغييرُ القرآنِ بالزيادةِ، أو النقصانِ [٢]، والذي عليه إجماعُ المسلمينَ عَدَمُ زيادتهما في القرآنِ لا زيادةَ سورةٍ، ولا زيادةَ آيةٍ [٣]، ودَلَّ على ذلكَ العقلُ أيضًا [٤]؛ إذ لو جازَ سقطَ الإعجازُ، وأمكنَ للبشرِ أنْ يأتيَ بأيِّ سورةٍ [٥]، وقد نَصَّ القرآنُ على ٱمتناعِهِ، خصوصًا آيةَ التحدِّي في سورةِ يونسَ [٦]، ثم البقرةِ [٧]، ثم الإسراءِ. [٨]

(١) مخطوط رؤوس الدروس ١٤٢/٢

(٢) وقد تقدم ذلك في تعريف التحريف ٱصطلاحًا في باب الدراسة، الفصل الأول، المبحث الأول: ٤١

(٣) لقد تقدمت كلمات أعلام الطائفة في ذلك في باب الدراسة، الفصل الأول، المبحث الأول: ٤٨-٥١

(٤) لقد تقدمت بعض تلك الأدلة في باب الدراسة، الفصل الأول، المبحث الثاني: ٦٠-٦٢

(٥) في الأصل: سور.

(٦) قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. الآية ٣٨

(٧) قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَٱدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. الآية ٢٣

(٨) قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ ٱجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. الآية ٨٨

**المبحث الثاني: أدلة صيانة القرآن من التحريف.**

ذكر السيد أدلة متعددة في إثبات عدم تحريف كتاب الله تعالى وصيانته مما لا يليق به، وأنَّه الموجود ما بين الدفتين، من خلال الاستدلال بأدلة نقلية وعقلية تؤكد ذلك، فضلاً عن نقله أقوال المحققين الأعلام، وقد بذل السيد جهودًا كبيرةً من أجل رفع أي شبهة يمكن إثارتها في هذا الباب؛ حفاظًا على قدسية القرآن وإعجازه الخالد، وسأذكر ذلك من خلال موارد خمسة.

- المورد الأول:

قال تحت عنوان: (العصمة المطلقة للقرآن الكريم). [١]

يُصَرِّحُ القرآنُ بأَنَّهُ كتابٌ لا ريبَ فيهِ [٢]، وجديرٌ بمثلِهِ أنْ يكونَ كذلكَ؛ بما أَنَّهُ حُجَّةٌ تامَّةٌ، ووسيلَةُ الهدايةِ العامةِ، والمرجِعُ الأَعْلى، والإمامُ المبينُ، فيجب أنْ يكونَ كما وصفَ نفسَهُ بنفسِهِ لا يأتيهِ الباطِلُ من بينِ يديهِ ولا من خلفِهِ [٣]، وهُدًى ونورٌ ورحمةٌ [٤]، وذكرى للعالمينَ [٥]، وكُلُّ الدلائِلِ من معقولَةٍ ومنقولَةٍ مِمَّا ذُكِرَ، ومِمَّا

(١) الشهرستاني، هبة الدين: أوراق مخطوطة مع مجموعة رسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ١٣-٢٣

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ألم * ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾. [سورة البقرة: الآيتان ١-٢] وغيرها من الآيات المباركة التي تؤكد ذلك.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. [سورة فصلت: الآية ٤٢] وغيرها من الآيات المباركة.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. [سورة النحل: الآية ٦٤] وغيرها من الآيات المباركة.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾. [سورة الأنعام: الآية ٩٠] وغيرها من الآيات المباركة.

لم يُذْكَرْ تعاضدتْ على تسديدِ القرآنِ من ناحيتينِ مُهِمَّتينِ فيهِ، ناحيةِ نسبتِهِ إلى اللهِ سبحانَهُ، وناحيةِ هدايتِهِ الناسَ إلى ما فيهِ صلاحِهِم وإصلاحِهِم [١]، أو بعبارةٍ أُخرى وتقريرٍ آخرٍ [٢] ناحيةِ الصدورِ، وناحيةِ الظهورِ. [٣]

وٱتَّفَقَتْ أدلَّةُ العلمِ والدينِ على عصمةِ القرآنِ من تأثيرِ عوامِلِ الرَّيْبِ والشكِّ، التي تهاجِمُ هذا الحصنَ المنيعَ من جهاتِهِ الأربعِ، تلكَ هِيَ طُرُقُ الريبةِ في القرآنِ، والمعاوِلُ الهَدَّامَةُ لبُنْيانِهِ، والماحيةُ لأثرِ بيانهِ وكيانهِ، وهذهِ الأربعُ هي:

[أولاً]: الشكُّ في مصدرِ الوحيِ الإلهيِّ.

[ثانيًا]: والشكُّ في سلامَةِ التبليغِ.

[ثالثًا]: والشكُّ في تمامِ [٤] اللفظِ.

[رابعًا]: والشكُّ في تمامِ المَعنى.

فإنْ تَمَّتْ وسَلَمَتْ هذه الأمورُ، تَمَّ ٱعتبارُ القرآنِ حَجَّةً عامَّةً، وإمامًا مبينًا، وبما أنَّهُ كتابٌ لا ريبَ فيه، يجبُ القولُ بعصمتِهِ من جميعِ هاتيكَ النواحي الأربعِ، ولكنه بعد وضعِ القضيَّةِ تحتَ الدرسِ في ضوءِ العلمِ دراسةً كافيةً. [٥]

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾. [سورة البقرة: الآية: ١٨٥]

(٢) في الأصل: أخرى.

(٣) أي الوثوق من حيث الاتفاق على صدوره من قبل الله تعالى، وليس في القرآن ما ليس منه، وكذلك الوثوق من ناحية الظهور في ألفاظ القرآن، وكونه حجة.

(٤) في الأصل: تمامية.

(٥) لقد بيَّن السيد "الشهرستاني" هذه الوجوه الأربعة المهمة التي يجب أنْ تُدرس في البحث عن صيانة كتاب الله تعالى، ويرى الدارس بحثًا لطيفًا، وٱستدلالاً مهمًّا في هذا المورد، فهو يستنطق النص القرآني ويصل إلى النتيجة بإسلوب دلالي، ويضيف بذلك

وإذا قَرَّرْنا –ومن الواجبِ أنْ نقررَ– درسَ هذهِ النواحي الأربعَ في ضوءِ العلمِ، والقيامَ بحقِّها من التدقيقِ والتحقيقِ، دخلَتْ تَبَدُّلاتٌ جَمَّةٌ، وتطوراتٌ مهمَّةٌ على أربعِ مسائلَ متولداتٍ، كالنظرياتِ من الحقائقِ السالفَةِ، وهي المقدماتُ الأصوليَّةُ لعلومِ القرآنِ وتفسيرِهِ، أي بمسألةِ النسخِ والنسيانِ [١]، وعصمةِ القرآنِ من الزيادةِ والنقصانِ، ومسألةِ حُجِّيَّةِ ظواهرِ الكتابِ، وٱستقلالِها في الدلالةِ على معانيها [٢]، ثم مسألةِ المُحْكَماتِ والمُتَشابِهاتِ من الآياتِ، وحَلِّ ما تراكَمَ فيها من المُشكلاتِ [٣]، فهذه –جملة– أربعةٌ لا بُدَّ من تعدِّي أُسُسِها على ضوءِ العلمِ، ودرسِها من ناحيةِ الفنِّ والدينِ، بٱهتمامٍ بليغٍ غيرِ مسبوقٍ بنظيرٍ.

والأساسُ الذي نُمَهِّدُ عليهِ صَرْحَ هذهِ المسائلَ الأربعَ، أو بالأحرى عصمةَ القرآنِ من جميعِ الجهاتِ، هو قوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [٤] فإنَّ إدخالَ لا النافيةَ للجنسِ على كلمةِ (الرَّيْبِ) يَدُلُّ بوجهِ الاستغراقِ على نفيِ الرَّيْبِ من القرآنِ

---

رأيًا كبيرًا للمدرسة التفسيرية الإسلامية، وهذه –بصراحة– إحدى إبداعات السيد في علوم القرآن الكريم.

(١) سيتم بيان ما يتعلق به في الفصل الثاني، المبحث الرابع: ٢٤٦–٢٦٤

(٢) إنَّ مسألة حجية ظواهر الكتاب من المسائل الأصولية المهمة التي تبحث في علم أصول الفقه، وقد ناقش الأصوليون ذلك بتفصيل وقرروا بأنَّ ظواهر ألفاظ القرآن الكريم حجة في الاستدلال بها. للتفصيل ينظر: الأنصاري، مرتضى: فرائد الأصول، تح: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأنصاري، (شريعت، قم، ط٢، ١٤٢٤هـ) ١٤٤/١ ، المظفر، محمد رضا: أصول الفقه، (دار النعمان، النجف، ط٢، ١٣٨٦هـ١٩٦٦م) ١٤٧/٣ وغيرهما

(٣) سيتم بيان ما يتعلق به في الفصل الثالث، المبحث الخامس: ٣٠٨–٣١٨

(٤) سورة البقرة: الآية ٢

على الإطلاقِ [١]، فلا رَيْبَ في صدورِهِ، كما لا رَيْبَ في ظهورِهِ، ولا رَيْبَ في نواحي التبليغِ وناقلِهِ، كما لا رَيْبَ في نواحي مصدرِ الوحيِ وقائِلِهِ، ولا رَيْبَ في نواحي لفظِهِ، كما لا رَيْبَ في نواحي معناه [٢] سواءً أرادَ من الجملةِ المنفيةِ الحكايةَ والخبرَ، أو أرادَ الإنشاءَ في صورةِ الخبرِ، وسواءً أرادَ بالكتابِ خصوصَ البقرةِ، أو أرادَ مجموعَةَ السُّوَرِ [٣] ، فعلى أيِّ تقديرٍ، وعلى أيِّ حالٍ، تَنُصُّ الآيةُ على عصمةِ القرآنِ مِنْ تَدَخُّلِ الشكِّ فيه، وفي نواحيهِ الأربعِ.

(١) ينظر: آبن هشام الأنصاري، عبد الله جمال الدين بن يوسف: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، (منشورات مكتبة المرعشي، قم، ١٤٠٤هـ، د.ط، د.مط) ٢٣٨/١ ، وقد أكد المفسرون رفع الريب عن القرآن عن أفراده بالكلية للتفصيل ينظر: الزمخشري ٧٦/١

(٢) إنَّه آستدلال مهم ودقيق أراد السيد فيه أنْ يستدلَّ على عصمة القرآن من النص القرآني نفسه، والاستعانة بعلوم أخرى فيه كَعِلْمَي النحو والأصول.

ويرى الباحث أنَّ ذلك –على أهميته– لا يكون حجة ودليلاً إلا بالنسبة للذين يؤمنون بأنَّ القرآن لا تحريف فيه، وأما الذين يحتملون التحريف أو يقولون به، فإنَّ هذا الاستدلال لا يمكن آعتماده لاحتمالِ أنْ تكون الآية التي يُستدلُّ بها أنها محرَّفَةٌ، وهذا دَوْرٌ باطلٌ كما ثبت في المباحث المنطقية، وهذا ما دعى الأخباريين إلا عدم القول بحجية ظواهر القرآن.

(٣) يرى الباحث أنَّ الريب الذي تنفيه الآية الشريفة يشمل الكتاب كله، ولا يمكن أنْ يكون لسورة البقرة خاصة، وهذا يستفاد من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ﴾ فالإشارة إلى الكتاب وهو اللفظ الذي يطلق على القرآن الكريم ومن أسمائه، وإنَّ نفي الريب يشمل الكتاب المجموع بسوره وآياته وكلماته كلها، وهذا ظاهر من دلالة الآية لا لبسَ فيها، وقد أكَّد المفسرون ذلك أيضًا. ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٧٤/١ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٨١/١

والريْبُ هو الشكُّ [١]، كما في حديثِ سيدِنا [الإمام] الحَسَنِ (عليه السلام) عن جَدِّهِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم): ((دَعْ ما يُريبُكَ إلى ما لا يُريبُكَ)) [٢] حيثُ ٱستدلَّ به الأصحابُ على الاستصحابِ والأخذِ بالمُتَيَقَّنِ عند الارتيابِ [٣]، وبالجملةِ إنْ فتحنا أبوابَ النسخِ والنسيانِ دخلَ [٤] الريبُ في حُجِّيَةِ القرآنِ [٥]، وإنْ فتحنا أبوابَ التحريفِ سواءً بالزيادةِ أو النقصانِ دخلَ الريبُ في حُجِّيَةِ القرآنِ [٦]، وإنْ أغلقنا

(١) ٱبن فارس: معجم مقاييس اللغة، ٱعتنى به: الدكتور محمد عوض مرعب والآنسة فاطمة محمد أصلان، (مط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، د.ط) مادة (ريب) ، ٱبن منظور: لسان العرب مادة (ريب).

(٢) أحمد بن حنبل: مسند أحمد ١/١٩٩ في أحاديث الإمام الحسن (عليه السلام) ، ٱبن أبي جمهور الإحسائي، محمد بن علي ٱبن إبراهيم: عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، تح: آقا مجتبى العراقي، تق: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، (ط١، قم، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م، د.مط) ١/٣٩٤

(٣) إنَّ الاستصحاب من المباحث الأصولية التي بحثها الأصوليون في مباحثهم عند مزاحمة الشك لليقين، وقد فصَّلوا القول في تعريفه، وأركانه، ومقوماته وغير ذلك. للتفصيل ينظر: المحقق الحلي: معارج الأصول: ٢٠٦ ، المظفر: محمد رضا: أصول الفقه، (دار النعمان، النجف، ط٢، ١٣٨٦هـ١٩٦٦م) ٣/٢٧٥ وما بعدها.

(٤) في الأصل: تدخل.

(٥) إنَّ هذا هو رأي السيد في عدم ٱشتمال القرآن على الآيات المنسوخة في القرآن الكريم، وسيتم بيانه في الفصل الثاني، المبحث الخامس: ٢٥٢-٢٦٣

(٦) إنَّ هذا دليل منه على صيانة القرآن من التحريف، فضلاً عما سيذكره من أدلة أخرى.

أبوابَ تفسيرِ القرآنِ على الإفهامِ لاحتمالِ التشابُهِ في آياتِهِ [١]، والرمـزِ في حروفِـهِ وكلماتِهِ، وتوقَّفَ تفسيرُهُ على ورودِ النقصِ المأثورِ سقطَ الكتابُ عن كونِهِ حُجَّـةً تامَّةً، ووسيلةً للهدايةِ العامةِ، وتَسَرَّبَ الريبُ في جُلِّهِ أو كُلِّهِ، بينما القرآنُ الحكـيمُ أَحْكَمَ أمرَهُ من جميعِ النواحي [٢]، وسَدَّ أبوابَ الخللِ على نفسهِ من جميعِ الجهاتِ، كما فَصَّلناهُ في آيةِ: ﴿لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِـنْ حَكِـيمٍ حَمِيدٍ﴾ [٣]، أي: إنَّ هذا القرآنَ المُنْزَلَ لهدايةِ الخلقِ من لَدُنْ خـالقِهِم ﴿لا يَأْتِيـهِ﴾ ٱحتمال ﴿البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾، وهو كنايَةٌ عن جهةِ الظهورِ مِمَّا يتعلَّقُ بألفاظِـهِ أو معانيهِ، ﴿وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ وهو كنايَةٌ عن جهةِ الصدورِ، ومصدرُ الوحيِ الذي يؤيِّـدُ القرآنَ من ورائِهِ، إذ ليسَ للقرآنِ جهةٌ أماميَّةٌ محسوسَةٌ سوى ٱستقبالِهِ الخلقَ ببيانِ ما فيهِ صلاحَهُم وإصلاحَهُم، وٱستقبالِ الخلقَ إيَّاهُ في الاهتداءِ به، والتوجُّهِ إلى ألفاظِهِ ومعانيهِ، فَعَبَّرَ عن ذلكَ بـ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾، وأنه لا يأتيهِ ٱحتمالُ الباطـلِ مـن هـذهِ الناحيةِ، ناحيةِ البيانِ والاهتداءِ بالمعاني والألفاظِ، كما قلناهُ في آيةِ: ﴿ألـر كِتَـابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [٤]، كذلكَ ليستْ للقرآنِ جهةٌ خلفيَّةٌ

(١) إنَّ للسيد كلمات مهمة فيما يتعلق بالمحكم والمتشابه ووجوب تفسير الآيات المتشابهة بالرجوع إلى موضوعات متعددة، وسيتم بيانه في الفصل الثالث، المبحث الثاني: ٢٨١–٢٩١

(٢) إنَّ الآيات الشريفة متعددة في بيان هذه الحقيقة القاطعة ومنها قوله تعالى: ﴿ألر كِتَـابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾. [سورة هود: الآية ١] وغيرها من الآيـات الشريفة.

(٣) سورة فصلت: الآية ٤٢

(٤) سورة هود: الآية ١ ، لم يحصل الباحث على مـا ورد في تفـسير هـذه الآيـة ضـمن مخطوطات السيد "الشهرستاني".

محسوسَةٌ، فهي كنايَةٌ عن جهةِ الانتسابِ إلى الله، وتُسَمَّى جهةُ الصدورِ والتبليغِ، فلا يأتي القرآنَ ٱحتمالُ الباطلِ والسوءِ من هذهِ الناحيةِ، أي: ناحيةُ القائِلِ والناقِلِ، فالقرآنُ معصومٌ من كُلِّ نواحيهِ، وقد نَصَّ القرآنُ في آيةِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١) على أنَّ القرآنَ ثابتُ النسبةِ إلى الله سبحانَهُ نسبةً مؤكَّدَةً ،كما أنَّهُ محفوظٌ من الله بصورةٍ مؤكَّدَةٍ، ومحفوظٌ بصورةٍ مطلقةٍ، فتعهَّدَ سبحانَهُ هنا، والتعهُّدُ منه ضروريُّ الوفاءِ، سواءً تعلَّقَ هذا التعهُّدُ بجوهَرِ اللفظِ وحدَهُ فلا يَتُمُّ [حينئذٍ] النسخُ، والنسيانُ، ولا تحريفٌ بنقصانٍ، أو تعلَّقَ تعهُّدُهُ بحفظِ الثقةِ والاعتمادِ على القرآنِ فلا يَتُمُّ [حينئذٍ] ما يَمُسُّ بحجيتِهِ وإمامتِهِ، أو تَعَلَّقَ التعهُّدُ بحفظِ الأَمْرَيْنِ معًا، فَيَتُمُّ مطلوبُنا من جميعِ الوجوهِ. (٢)

وكما أنَّ القرآنَ الحكيمَ حفظَ بنفسهِ لنفسهِ منصبَ الإمامةَ، ومَنَصَّةَ الحجيَّةَ التامَّةَ، وتقلَّدَ الهدايةَ العامةَ في آياتٍ سبقتْ، ثم حفظَ نفسَهُ بنفسِهِ من عواملِ الريبِ،

(١) سورة الحجر: الآية ٩

(٢) إنَّ هذه التوجيهات للآية الشريفة مهمة جدًّا، وفيها عمقٌ فكريٌّ في التأمُّلِ والاستدلالِ، في بيان وتفسير القرآن الكريم، ولم يذكر مثل هذا غيره من المفسرين، وقد ٱطلع الباحث على كلام المفسرين فلم يتعدَّ عن القول بنفي وجود الباطل في القرآن الكريم، ومن أفضل ما ورد في تفسير آية سورة "فصلت" ما ذكره "الزمخشري" بقوله: ((مَثَلٌ كأنَّ الباطلَ لا يتطرَّقُ إليهِ، ولا يجدُ إليهِ سبيلاً من جهةٍ من الجهاتِ حتى يصلَ إليهِ، ويتعلَّقَ بهِ. فإنْ قلتَ: أَما طعنَ فيهِ الطاعنونَ، وتأوَّلَهُ المبْطِلونَ؟ قلتُ: بلى، ولكنَّ اللهَ قد تقدَّمَ في حمايتِهِ عن تعلُّقِ الباطلِ بِهِ؛ بأنْ قَيَّضَ قَوْمًا عارضُوهُمْ بِإِبْطالِ تَأويلِهِمْ، وَإِفْسادِ أَقاويلِهِمْ، فلم يَخْلُوا طَعْنُ طاعِنٍ إلا مَمْحُوقًا، ولا قَوْلُ مُبْطِلٍ إلا مُضْمَحِلاً)). تفسير الكشاف ٢٠٧/٤

ومعاولِ الشكِّ في جميعِ نواحيهِ الأربعِ، بصورةٍ جامعةٍ في آياتٍ ثلاثٍ تُلِيَتْ عليكَ.[١]

كذلكَ أكَّدَ قضيتَهُ هذهِ لشدَّةِ الاهتمامِ بها، فنَصَّ على الواحدةِ تِلْوَ الواحدَةِ نَصًّا خاصًّا صريحًا في عصمتهِ، فأثبتَ في آياتٍ لا تُحَدُّ ولا تُحْصَرُ أنَّ القرآنَ كتابَ اللهِ [قال تعالى]: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [٢]، أو ما أشبه ذلك، ثم أثبتَ القرآنُ أنَّهُ محفوظٌ من شياطينِ الجنِّ والإنسِ عندَ تنزيلِهِ، ومأمونٌ من كُلِّ ما [٣] يَمَسُّهُ بسوءٍ قبلَ التبليغِ وبعدَهُ، كما فَصَّلناهُ في آيةِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [٤]، وآيةِ: ﴿لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [٥]، وآيةِ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [٦]، وآيةِ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِاليَمِينِ﴾ [٧]، وآيةِ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ﴾ [٨]، وآيةِ:

(١) والآيات الثلاث: الأولى قوله تعالى: ﴿لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، والثانية قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، والثالثة قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

(٢) سورة النمل: الآية ٦

(٣) في الأصل: كلما.

(٤) سورة الحجر: الآية ٩

(٥) سورة فصلت: الآية ٤٢

(٦) سورة الشعراء: الآيات ١٩٣-١٩٥

(٧) سورة الحاقة: الآيتان ٤٤-٤٥

(٨) سورة الواقعة: الآيات ٧٧-٧٩

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى﴾ (١)، إلى غير ذلك من آيات تضمنت عصمة (٢) القرآن من كُلِّ (٣) شائبةٍ، أو شائِنَةٍ تؤثِّرانِ على الثقةِ به، أو تؤثِّرانِ على إمامتهِ التامَّةِ، وهدايتِهِ العامَّةِ. نعم في الباب من وراء هذه الدلائل القاطعة والشواهد الساطعة دلائل أخرى توهم الخلاف، ومنها تولَّدَتِ النظرياتُ الأربعَ اللاتي سبق أنْ أسميناها عوامل الريب ومعاول الشك، وهن هكذا:

[١–] نظرية النسخ والنسيان. (٤)

٢– نظرية التحريف بالزيادة أو النقصان.

[٣–] نظرية توقيف التفسير لآيات القرآن حتى يرد فيها نص مأثور.

٤– نظرية وجود المتشابهات في القرآن. (٥)

---

(١) سورة النجم: الآيات ٣–٥

إنَّ جميع هذه الآيات لا يوجد تفسيرها في مخطوطات السيد "الشهرستاني"، ولعلها في مسوداته التي كان يكتبها ليلاً بيده وهو فاقد لبصره، لحين نقلها بخط جيد من قبل كاتبه صباحًا، ولكنها لم تُنْقَل، وهي قصاصات كثيرة جدًّا، لا يمكن قراءتها، أصبحت عرضة للضياع والتلف، حتى ضاع أغلبها، وبذلك فقدت مكتبة تفسير القرآن الكريم من التوجيهات المهمة للآيات الشريفة مع الأسف.

(٢) في الأصل: عصمته.

(٣) في الأصل: كل ما.

(٤) إنَّ هذه المسألة مما يذهب إليها السيد "الشهرستاني" كما هو ظاهر من تصريحاته المتعددة، وهذا ما سيتم بيانه في الفصل الثاني، المبحث الرابع: ٢٤٦–٢٦٤

(٥) إنَّ المسألة الثانية والثالثة والرابعة هي ما يذهب إليه الأخباريُّون من الشيعة في أسباب عدم حجية ظواهر القرآن الكريم، وقد ناقش الأصوليون المسألة بتفصيل مع بيان الشبهات وردِّها ينظر: الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ٢٨٣–٢٨٩

أما نظرية النسخ والنسيان فراجع لها دفتر التفسير حول آية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. (١)

- المورد الثاني:

قال تحت عنوان: (في إثبات عصمة القرآن من النسخ والتحريف). (٢)

لا شَكَّ في تأثيرِ كلامِ المولى في عبدِهِ، وبعثِهِ إلى العملِ بموجبِه، بمجردِ ما يسمعُهُ(٣)، أو يبلغهُ، إلا إذا ٱقترنَ بإحدى جوالبِ (٤) الريبِ والشكِّ في ذلكَ الكلامِ، والتي تُسَمَّى "سوالب الثقة". (٥)

- أولها: إذا قيلَ للعبدِ حولَ رسالةِ مولاهُ: بأَنَّهُ مجنونٌ أو كذابٌ (٦)، وإنَّ الكلامَ المنسوبَ إلى مولاهُ لم يصدرْ منه أصلاً.

- ثانيها: أنْ يُقَالَ للعبدِ: بأنَّ المُبَلِّغَ للكلامِ الذي بَلَّغَهُ عن مولاهُ مشوبٌ (٧) بالتحريفِ والتزييفِ، غيرُ سالِمٍ عن الزيادةِ والنقصانِ فيهِ.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩ لم يتم الحصول على تفسير الآية الشريفة كما ورد في دفتر التفسير، فأغلب صفحات تفسيره هي صفحات فارغة، وإلى هنا حصل قطع في تتمة الكلام في المخطوط مع الأسف، وإنْ كان قد بيَّن بعض ما يتعلق بها.

(٢) مخطوط القرآن إمام الكل: ٣٤-٤٠

(٣) في الأصل: ما يسعه.

(٤) الجوالب: الآفات والشدائد. الزبيدي، محمد بن محمد: تاج العروس، تح: علي شيري، (دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م)، مادة (جلب).

(٥) أي وجود قرائن لفظية أو حالية تصرف الكلام عن مقصوده الظاهري، وهذه مسألة جارية عند الكلام.

(٦) في الأصل: إذا قيل للعبد لرسالة مولاه مجنون أو كذاب.

(٧) في الأصل: متشوب.

– ثالثها: أنْ يُقَالَ للعبدِ: بأنَّ الكلامَ الذي بَلَغَهُ عن مولاهُ منسوخٌ، وقد عَدَلَ مولاهُ عن حُكْمِهِ إلى غيرِهِ.

– رابعها: أنْ يقالَ للعبدِ: إنَّ اللفظَ في الكلامِ المنقولِ إليهِ مُجْمَلٌ، أو مُؤَوَّلٌ، وليسَ ألفاظُهُ الصريحَةُ مقصودَةً ولا دالَّةً على مقاصدِهِ. (١)

فَمَعَ واحدةٍ (٢) من هذهِ الشكوكِ يَقِفُ العبدُ مُرْتَابًا في أمرِ مولاهُ، مُتَوَقِّفًا عن العملِ به، وقد نفى ربُّنا عن كتابِهِ العزيزِ جميعَ هذهِ الشكوكِ؛ حتى يَتَسَنَّى لعبادِهِ أنْ يعملوا بكتابِهِ دونَ أيِّما توقُّفٍ، أو حيرةٍ، وحتى يَصُحَّ منه أنْ يَتَّخِذَ كتابَهُ حُجَّةً تامَّةً بينهُ وبينَ عبادِهِ عامَّةً، وأَوْفَى آيةٍ في خطابِهِ دَلَّتْ على عصمةِ كتابِهِ من سوالبِ الثقةِ والشكوكِ، هي قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٣)، وهي في سياقِ آيةِ ٱستهزاءِ الكافرينَ بالنبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأَنَّهُ مجنونٌ، وٱستهزاءٌ بِوَحْيِهِ، دَلَّتْ بصريحها على تَعَهُّدِ الإلهِ صيانَةَ وحيِهِ من كُلِّ ما يزيلُ جوهرَ الوحي، أو يزيلُ ثقةَ الناسِ عنه (٤)؛ لأنَّ حفظَ الإلهَ أمَّا أنْ يتعلقَ بجوهرِ الوحيِ وثقةِ العقلاءِ بمدلولاتِهِ

(١) فهذه وجوه عقلية أربعة تستدعي الشك في الخطاب من العبد لمولاه، يذكرها السيد للتمهيد على الاستدلال العقلي في صيانة كتاب الله تعالى من التحريف.

(٢) في الأصل: الوحدة.

(٣) سورة الحجر: الآية ٩

(٤) قال "الزمخشري" في تفسير الآية الشريفة وبيان أنَّها في مقام تنزيه الرسالة: ((رَدٌّ لإنكارهِم وٱستهزائِهم في قولهم: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾. [سورة الحجر: الآية ٦]، ولذلك قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾، فأكَّدَ عليهم أنه هو المنزلُ على القطعِ والبتاتِ، وأَنَّهُ هو الذي بعثَ به جبريلُ إلى "محمدٍ" (صلى الله عليه [وآله] وسلم)، وبين يديهِ ومن خلفهِ رصدٌ، حتى نزلَ وبلَّغَ محفوظًا من الشياطينِ، وهو حافِظُهُ في كُلِّ وقتٍ من

معًا، و[أمَّا] يتعلَّقُ بأحدهِما ولا يتعلَّقُ بالثاني، وأمَّا أنْ يتعلَّقَ بشيءٍ منهما جميعًا، وهذا الأخيرُ باطِلٌ؛ لأنَّه يستلزمُ كَذِبَ الآيةِ –والعياذ بالله– وهذا باطِلٌ، فيلزَمُ صِدْقَهُ صِدْقَ أحَدِ الصُّوَرِ الثلاثَةِ المتقدِّمَةِ، وعلى فرضِ صِدْقِها يبطلُ النسخُ والتحريفُ؛ لأنَّهُ في كُلٍّ منهما إزالةُ جوهرِ اللفظِ، وإزالةُ ثقةِ الناسِ بالقرآنِ [١]، راجع تفسيرنا لآية ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ في أول البقرة [٢]، وراجع مقالتي عن عصمة القرآن [٣]، ورسالة (القرآن إمام الكل). [٤]

---

كُلِّ زيادةٍ، ونقصانٍ، وتحريفٍ، وتبديلٍ)). تفسير الكشاف ٥٣٦/٣ ، وينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠٥/٦

(١) يرى الباحث عدم وجود ملازمة بين الأمرين، فإنَّ الناس إنْ آمنت بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصدَّقت برسالته، فلا أي إشكال حينئذ في النسخ مطلقًا، ولا مبرر لأنْ تشك في ثقة كتاب الله تعالى، وهي تعلم أنَّ نبيَّها مبعوث من قبل الله تعالى برسالة عظيمة، نزلت عليه تدريجيًّا خلال مدة دعوته، وقد عالجت مسائل كثيرة بالتدريج، فضلاً عن وجوب بيان أمر مهم وهو أنَّ النسخَ يختلف عن التحريف، فهو يتعلق بإتيان حكم شرعي كالمنسوخ، أو أفضل منه، وقد تم العمل بالمنسوخ سابقًا، كما قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. [سورة البقرة: الآية ١٠٦]، أما قصد التحريف فهو الإساءة والتشويه للقرآن الكريم.

(٢) لم يحصل الباحث على ذلك في مخطوطاته.

(٣) إنَّ جميع مقالاته عن عصمة القرآن قد ٱستقصاها الباحث وجمعها في باب التحقيق، في هذا الفصل.

(٤) لم يحصل الباحث على تفسير الآية في المخطوطات التي أشار إليها السيد "الشهرستاني".

وأكثرُ المفسرينَ كـ"السيوطي" في "الإتقان" [١]، وأهلِ العلمِ ذكروا بحثَ تحريفِ القرآنِ في ذيلِ بحثِ النسخِ [٢]، ولعلَّ المناسبَةَ هي ٱشتراكُ النسخِ والتحريفِ في التأثيرِ على جوهَرِ الوحي، وبالطبعِ يؤثِّرانِ على الوثوقِ بالقرآنِ لحُجَّةٍ عامَّةٍ، فمَنْ عَلِمَ بوجودِ آياتٍ منسوخةٍ فيما يرجعُ إليهِ يكونُ كالذي علمَ بوجودِ آياتٍ مُحَرَّفَةٍ فيهِ. [٣]

(١) في الأصل: الاتفاق.

(٢) لم يذكر "السيوطي" ذلك، بل عقد في كتابه موضوعًا خاصًّا وهو "النوع السابع والأربعون في الناسخ والمنسوخ"، وذكر ما يتعلق بذلك، والآيات المنسوخة عنده عشرين آية، وقد نظمها في أبيات مطلعها:

قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ في المنْسُوخِ مِنْ عَدَدٍ – وَأَدْخَلُوا فيهِ آيًا لَيْسَ تَنْحَصِرُ

وَهَاكَ تَحْرِيرَ آيٍ لا مَزِيدَ لهَا – عِشْرِينَ حَرَّرَهَا الحُذَّاقُ والكُبَرُ

ولم يذكر ما يتعلق بالتحريف مطلقًا. للتفصيل ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣/٥٩-٧٧ وكذلك غيره من العلماء، ومن المؤلفات الحديثة المعاصرة فإنَّ العلامة الشيخ "محمد هادي معرفة" ذكر كُلَّ ما يتعلق بالنسخ والآيات المنسوخة، ثم ذكر تحت عنوان (شبهات حول النسخ في القرآن) شبهات أربع فلم يذكر أنَّ هناك علاقة بين النسخ والتحريف. ينظر: التمهيد في علوم القرآن ٢/٢٩١-٢٩٥

(٣) إنَّ هذا الرأي –بصراحة– يعد رأيًا غريبًا لا يمكن القول به، وفيه من الإفراط في المسألة، فعلى أساس ذلك يمكن القول بأنَّ أعلام الطائفة، بل أعلام المسلمين الذين يقولون بالنسخ هم يقولون بتحريف القرآن الكريم أيضًا، مع أنَّ تفصيلهم في المسألتين واضحٌ تمامًا؟ وقد ٱطلعنا على كلماتهم في تنزيه الكتاب من أيِّ تحريفٍ لآياته مع إيمانم وقولهم بوجود آيات منسوخة في القرآن الكريم، ولماذا هذه الملازمة بين النسخ والتحريف؟ ولكُلٍّ منهما تعريف واضح صريح لدى المسلمين، وعلى كُلِّ حالٍ: إنَّ هذا الرأي لم يقل به أحد من العلماء حسب تتبع الباحث للدراسات القرآنية والتفسيرية، نعم هناك مَنْ ينفي

وقد قَسَّمَتِ الحشويَّةُ [١] من السلفِ منسوخَ القرآنِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ [٢]: قِسْمٌ منسوخُ التلاوةِ والحُكْمِ [٣]، وقِسْمٌ منسوخُ التلاوةِ دونَ الحُكْمِ [٤]،

---

وجود النسخ في القرآن الكريم مثل "أبو مسلم الخراساني" كما تقدم، وأظنُّ أنَّ السيد قد تأثَّر بآرائه، إلا أنَّ "الخراساني" لم يضع هذه الملازمة بين التحريف والنسخ.

(١) الحشوية: هم القائلون بالجبر والتشبيه وتوصيف الله تعالى بالنفس واليد وغيرهما، ويقومون بتحشية الأحاديث التي لا أصل لها في أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وروي أنَّ الغالب في الحنابلة حشوية. للتفصيل ينظر: الأشعري القمي، سعد بن عبد الله: كتاب المقالات والفِرق، تص وتع: الدكتور محمد جواد مشكور، (مط حيدري، طهران، ١٩٦٣م، د.ط): ١٣٦ ، السبحاني، جعفر: بحوث في الملل والنحل، (مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ط١، ١٤٢٧هـ) ١/١٧٠

إنَّ الموضوع لا يختص بالحشوية فقط، بل هو قول أغلب أتباع مدرسة الخلفاء بذلك. للتفصيل ينظر: النحاس: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: ٨ ، مكي بن أبي طالب: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: ٤٩ ، الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢/٢٤ ، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/٦٢ وغيرهم

(٢) إنَّ السيد سيذكر بعض موضوعات النسخ في هذه الصفحات، لما يذهب إليه من الملازمة بينهما كما تقدم، وقد تناول الباحث تحقيقها في هذا الفصل للحفاظ على الوحدة الموضوعية عند السيد "الشهرستاني" في الاستدلال.

(٣) أي أنْ ترفع من القرآن آية كانت ذات حكم شرعي وقد عمل المسلمون بها، ولم يبقَ لها وجود في الكتاب لا تلاوة، ولا حكمًا، مثل آية تحريم الرضاع بعشر رضعات وقد نسخت بخمس رضعات كما يروى عن "عائشة"، وغيرها مما روي عن "أبي بكر". الزركشي: البرهان في تفسير القرآن ٢/٢٧ ، الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ٣٠٢

(٤) أي أنْ ترفع من القرآن آية كانت موجودة في القرآن تقرأ، ولكن بقي حكمها الشرعي فقط دون تلاوتها في القرآن، مثل ما روي عن "عمر بن الخطاب" في (الشيخ والشيخة إذا زَنَيا)

وقِسْمٌ منسوخُ الحُكْمِ دونَ التلاوةِ [١]، وهذا الأخيرُ هو أكثرُ الأقسامِ وجودًا [٢]،حَتَّى عَدَّ "السيوطي" منها عشرينَ آيةً، ستةً منها في سورةِ البقرةِ فقط. [٣]

وحُكِيَ عن "ٱبن العربي" أكثرَ من مائةٍ وعشرينَ آيةً منسوخةَ، فجعلَ آياتِ قتالِ المشركينَ ناسخَةً لآياتِ مهادنتِهم ومجادلتِهم بالتي هي أحسن، وجعلَ [٤] آياتِ

---

وغيرها مما يُروى عن "أبي موسى الأشعري" وغيره. الزركشي: البرهان في تفسير القرآن ٢٦/٢ ، الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ٣٠٢

(١) أي أنْ يرفع حكم شرعي كان موجودًا في التشريع مع بقاء الآية في الكتاب تُتلى في القرآن، مثل آية النجوى للنبي ووجوب التصدق قبلها وغيرها. الزركشي: البرهان في تفسير القرآن ٢٦/٢-٢٧ ، الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ٣٠٣

(٢) إنَّ هذا القسم هو الذي تتم دراسته في مبحث الناسخ والمنسوخ في علوم القرآن الكريم، ولم يختلف المسلمون في هذا القسم، نعم إنهم قد ٱختلفوا في عدد الآيات ولكنهم لم يختلفوا في أصل هذ القسم من النسخ، وقد ناقش العلماء هذه الأنواع، وما يتعلق بها، وبيان أمثلتها في مؤلفاتهم، للتفصيل ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢٤/٢-٢٧، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٦٢/٣-٧٢ ، الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ٣٠٢-٣٠٣ ، محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن ٢٧٦/٢-٢٨٥

أما القسمان الأول والثاني فلا يمكن القول به، وعلى ذلك أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، وأما أتباع مدرسة الخلفاء فلهم فيه نقاش ما بين رادٍّ له ومؤيد. للتفصيل ينظر: المصادر السابقة نفسها ، السرخسي: محمد بن أحمد: أصول السرخسي، تح: أبو الوفاء الأفغاني، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ١٩٩٣م) ٨٠/٢ ، الصالح: مباحث في علوم القرآن: ٢٦٥

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٦٥/٢

(٤) في الأصل: وجعلوا.

التخفيفِ في الأحكامِ ناسخةً لآياتِ التشديدِ فيها وبالعكسِ، كما جعلَ آياتِ التخصيصِ ناسخةً لآياتِ العمومِ. (١)

وقد أجبنا عن شبهاتهِم في تفسير تلك الآيات أنفسها، ولم نصحح ثبوت النسخ فيهن جميعًا (٢)، وأما القسم الذي يزعمونه منسوخ الحكم والتلاوة معًا كالآية التي أعتبرت عشرة رضعات ناشرًا للتحريم (٣)، فقد كفانا القوم مؤونة أمرهم باعترافهم

(١) ينظر مثلاً ما ذكره عند نسخ آية القتال في قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٩١] محمد بن عبد الله: أحكام القرآن، تح: علي محمد البجاوي، (مط عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، ١٣٩٢ه ١٩٧٢، د.م): ١٠٧ وما بعده من الصفحات ، وينظر ما أفاده السيد "الخوئي" في مناقشة الآيات القرآنية التي قيل بنسخها، وعلاقة ذلك بين العام والخاص، والمطلق والمقيَّد، وإنَّ كثيرًا من الآيات في هذا الباب دون النسخ. البيان في تفسير القرآن: ٣٠٤ وما بعدها،

(٢) لم يعثر الباحث على تفسير هذه الآيات في خزانة مخطوطات السيد "الشهرستاني"، رغم تتبع واستقصاء مخطوطاته جميعها، ولعلها في الأوراق المسودة التي كتبها بنفسه وهو فاقد لبصره والتي لا يمكن قراءتها بسهولة.

(٣) إنَّ آية الرضاع هي الآية التي ادَّعت "عائشة" أنها من القرآن ثم نسخت، فقد روي عنها: ((قَالَتْ كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنْ القُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ وَهُوَ فِيمَا يُقْرَأُ مِنْ القُرْآنِ)). مالك بن أنس: الموطأ، تص و تع: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦ه ١٩٨٥م) ٦٠٨/٢ كتاب (الرضاع) باب (ما جاء يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب) الحديث ١٧ ، النيسابوري: الجامع الصحيح ١٦٧/٤ باب (التحريم بخمس رضعات) ، ابن ماجة القزويني، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه، تح و

أنها ليست في المصحف، ولم تدوَّن بسببِ ٱنعدامِ حُكْمِها من لوحة الوجود [١]، كذلك القسمُ المنسوخُ تدوينه وتلاوته مع بقاءِ حُكْمِهِ كآيةِ الرجم [٢]، وهذه الآية والتي قبلها –أي– آية الرضاع ترويها أم المؤمنين "عائشة" [٣]، ولم توافِقْها عليها

---

تع: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت) ٦٢٥/١ باب (لا تحرم المصة ولا المصتان) الحديث ١٩٤٢

(١) أصول السرخسي ٧٩/٢ ، الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢٨/٢

(٢) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢٤/٢ ، الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ١٦٨/٢

إنَّ آية الرجم المقصودة في الرواية هي التي ٱدَّعى "عمر بن الخطاب" أنها من القرآن ثم نسخت، فقد روي عنه: ((قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ حَتَّى يَقُولَ قَائِلٌ مَا أَجِدُ الرَّجْمَ فِى كِتَابِ الله فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ الله، أَلا وَإِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ إِذَا أُحْصِنَ الرَّجُلُ وَقَامَتِ البَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ حَمْلٌ، أَوِ ٱعْتِرَافٌ، وَقَدْ قَرَأْتُهَا: الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَٱرْجُمُوهُمَا البَتَّةَ، رَجَمَ رَسُولُ الله –صلى الله عليه [وآله] وسلم– وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ)). مالك بن أنس: الموطأ ٨٢٤/٢ كتاب (الحدود) باب (ما جاء في الرجم) الحديث ١٠ ، النيسابوري: الجامع الصحيح ١١٦/٥ كتاب (الحدود) باب (من ٱعترف على نفسه بالزنى) ، ٱبن ماجة القزويني: سنن ٱبن ماجه ٨٥٤/٢ كتاب (الحدود) باب (رجم اليهودي واليهودية) الحديث ٢٥٥٣

(٣) إنَّ رواية آية (الرجم) لم تُرْوَ عن "عائشة،" بل رويت عن "عمر بن الخطاب"، و"زيد بن ثابت"، و"أُبَيِّ بن كعب". ينظر: النحاس: الناسخ والمنسوخ: ٩ ، الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي: أحكام القرآن، ضبط: عبد السلام محمد علي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م) ٣٣٦/٣ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٥٢٦/٣ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٦٤٠/٣ ، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٧٢/٢

أما رواية آية (الرضاع) فقد رويت عن عائشة. ينظر: النحاس: الناسخ والمنسوخ: ١١ ، الجصاص: أحكام القرآن ١٥٧/٢ ، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:

سائرُ أمهاتِ المؤمنين، كلا، ولا جمهور الصحابة والمسلمين [١]، ولو أَمْعَنْتَ النظرَ في أسلوبِ آيةِ الرجمِ المشهورةِ وهي: ((الشيخُ والشيخةُ إذا زنيا فارجموهما البتةَ بما قضيا [٢] من اللذةِ نكالاً من الله)) بأساليب آي الذكر الحكيم، عرفْتَ ما فيه من التكَلُّفِ، وعرفْتَ الخالصَ من المزيَّفِ [٣]، على أنَّ كُتَّابَ الوحي والصحابة والحاشية لم تَشُذْ منهم آيةٌ، إذ كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم كلما نزلت آية

---

الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تح: الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، (القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م، د.م) ٣٠٢/٤

(١) لقد رَدَّ العلماءُ المحققونَ حديثَ "عائشةَ" بأَنَّهُ غيرُ موافقٍ للقرآنِ الكريم، قال "الجصاص": ((وهذهِ الأخبارُ لا يجوزُ الاعتراضُ بها على ظاهرِ قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾ [سورة النساء: الآية ٢٣] لما بيَّنا أنَّ ما لم يثبتْ خصوصَهُ من ظواهرِ القرآنِ، وكانَ ظاهرُ المعنى بَيِّنُ المرادِ لم يجزْ تخصيصهُ بأخبارِ الآحادِ، فهذهِ أحدُ الوجوهِ التي تُسقطُ الاعتراضَ بهذا الخبرِ)). أحكام القرآن ١٥٧/٢

وقال "السرخسي": ((والدليلُ على بطلانِ هذا القولِ [قول عائشة في الرضعات] قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: الآية ٩]، ومعلومٌ أَنَّهُ ليسَ المرادُ الحفظَ لديه، فإنَّ اللهَ تعالى يَتعالى مِنْ أنْ يوصفَ بالنسيانِ والغفلةِ، فعرفنا أنَّ المرادَ الحفظُ لدينا، فالغفلةُ والنسيانُ متوهَّمٌ مِنَّا، وبه ينعدمُ الحفظُ إلا أنْ يحفظَهُ اللهُ عز وجل.... وحديثُ "عائشةَ" لا يكادُ يصحُّ؛ لأَنَّهُ قالَ في ذلكَ الحديثَ وكانت الصحيفةُ تحتَ السريرِ فاشتغلنا بدفنِ رسولِ الله فدخلَ داجِنٌ البيتَ فأكلَهُ، ومعلومٌ أنَّ بهذا لا ينعدمُ حفظهُ من القلوبِ، ولا يتعذَّرُ عليهم إثباتهُ في صحيفةٍ أُخرى، فعرفنا أَنَّهُ لا أصلَ لهذا الحديثِ)). الأصول ٧٩/٢-٨٠

(٢) في الأصل: قضينا.

(٣) في الأصل اضطراب في النص تم حذف بعض الكلمات، وتقويم النص على وفق الموجود في المتن.

أقرأهم إياها، ولا سيما عَيْبَةَ [١] علمهِ وكاتبِ وحيه عليٍّ (عليه السلام) الذي ٱدعى في الملأ: ((ما نزلتْ [آية] في سفرٍ أو حضرٍ إلا عَلَّمنيها رسولُ الله "صلى الله عليه وآله وسلم")) [٢]، ومثله يقول عند إجرائه الحد على "شراحة الهمدانية": ((جَلَدْتُها بِالكِتَابِ، ثُمَّ رَجَمْتُها بِالسُّنَّةِ)) [٣]، فلو كانت آية الرجم من القرآن لقال (عليه السلام): (جَلَدْتُها وَرَجَمْتُها بالكتابِ)، أضف إلى ضعف روايات النسخ والتحريف أنها أخبار آحاد لا توجب علمًا و[لا] عملاً، ولا تقوى معارضته آيات حفظ القرآن

(١) العَيْبَةُ: أي موضعُ سِرِّ الرجلِ، والذي يُؤمَّنُ فيه على الأمر. ٱبن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة (عيب) ، ٱبن منظور: لسان العرب مادة (عيب).

(٢) الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد: المناقب، تح: الشيخ مالك المحمودي، (مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط٢، ١٤١١هـ): ٩٠ ، العلامة الحلي، الحسن بن يوسف: كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، تح: حسين الدركاهي، (دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ١٩٩٣): ٥٥

(٣) لم تذكر لها ترجمة في كتب التراجم، ونص الرواية وما ورد من نقاش بينها وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): ((عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ شُرَاحَةَ الهَمْدَانِيَّةَ أَتَتْ عَلِيًّا، فَقَالَتْ: إِنِّي زَنَيْتُ، فَقَالَ: لَعَلَّكِ غَيْرَى ؟ لَعَلَّكِ رَأَيْتِ فِي مَنَامِكِ؟ لَعَلَّكِ ٱسْتُكْرِهْتِ؟ وَكُلُّ ذَلِكَ تَقُولُ: لا، فَجَلَدَهَا يَوْمَ الخَمِيسِ، وَرَجَمَهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَقَالَ: جَلَدْتُهَا بِكِتَابِ الله، وَرَجَمْتُهَا بِسُنَّةِ نَبِيِّ الله صلى الله عليه وسلم)). أحمد بن حنبل: مسند أحمد ١/١٤٠ ، الهيثمي، علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ١٩٨٨م، د.ط) ٦/٢٤٨

وقد ٱستدلَّ فقهاؤنا بهذه الرواية في مؤلفاتهم في إقامة الحد الشرعي. ينظر مثلاً: النجفي، محمد حسن: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، تص وتح وتع: محمود القوجاني، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٢، ١٣٦٣ش) ٤١/٣٢٠ ، ٣٥٢

كحجة باقية مثل آية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١)، وآية: ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢)، وآية: ﴿لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. (٣)

ولو كانت آية الرجم من كتاب [الله] لما قال "أبو حفص عمر" لـ"أُبيٍّ بن كعب": ((لو لا مخافَةُ أنْ أزيدَ في كتابِ الله لأثبتُّ آيةَ الرجْمِ)). (٤)

ولَمَا غفلَ الجمهورُ عن إثباتِها وإثباتِ [ما أدَّعي أنه] آية: ((لو كانَ لابنِ آدمَ واديانِ من الذهبِ لابْتَغَى(٥) ثالثًا، ولا يَمْليءُ عينَ ٱبنِ آدمَ إلا الترابُ، ويتوبُ اللهُ على من (٦) تابَ)) (٧)، وأمثالها من المأثورات التي هي بالأحاديث القدسية أشبه. (٨)

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩

(٢) سورة البقرة: الآية ٢

(٣) سورة فصلت: الآية ٤٢

(٤) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢/٢٤ ، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٢/٧٧

(٥) في الأصل: لا تبتغي.

(٦) في الأصل: ما.

(٧) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح، (دار الفكر، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، د.ط، د.م) ٧/١٧٥ كتاب (الرقاق) ، مسلم النيسابوري: الجامع الصحيح ٣/١٠٠ كتاب (الزكاة) باب (تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا) ، ٱبن حزم الأندلسي: الناسخ والمنسوخ: ٩ ، الرازي: التفسير الكبير ٣/٦٤٠

(٨) وقد ذكر السيد هذه الروايات كذلك في مخطوط رؤوس الدروس ٢/ ١٤٣– ١٤٥

إنَّ كُلَّ الروايات الواردة في ذلك مضطربة لا يمكن الاستدلال بها على القرآن الكريم، ويرى الباحث أنَّ هذه الروايات وأمثالها إنْ صحت بأنها تُروى عن الصحابة فإنَّ ذلك يثبت قولهم بتحريف القرآن عند القيام بجمعه، كما يذهب إليه من يرى أنَّ القرآن لم يكن مجموعًا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكنَّ مما يعجب له أنَّ علماء

وربما كانت هذه المأثورات المتروكة هي المنشأ لحدوث نظرية النقص في آيات القرآن، تلك النظرية التي ذهب إليها قوم من حشوية السلف من سِنِّيينَ وشِيعيينَ [١]،

العامة مع تمسكهم بالقول بصيانة القرآن من التحريف ومع ذلك فإنَّهمَ لا يَرُدُّون هذه الروايات التي وردت في كتبهم ردًّا يليق بمقام الحفاظ على كتاب الله تعالى من التشويه والإساءة إليه، ولعل من أهم الأسباب هو الخوف من الطعن في مصادر كتب الحديث عندهم كأمثال كتابَي البخاري ومسلم، أو الرد على كبار الصحابة، فيجب على المحققين منهم إنكار مقولة صحة جميع الروايات الواردة في هذين الكتاب –البخاري ومسلم– وغيرهما؛ لوجود أحاديث تمسُّ بعقيدة المسلمين، فتكون ذريعة لأعداء الإسلام للتمسك بها، وإلا فما تفسير ما ورواه مسلم عن أبي الأسود عن أبيه قال: ((بعثَ أبو موسى الأشعري إلى قُرَّاءِ البصرةِ فدخلَ عليهِ ثلاثمائة رجلٍ قد قرؤوا القرآنَ، فقال: أنتم خيارُ أهلِ البصرةِ وقُرَّاؤُهُم، فٱتلوهُ ولا يطولنَّ عليكُمُ الأمدُ فتقسو قلوبَكُمْ كما قستْ قلوبُ مَنْ كانَ قبلكُمْ، وإنَّا كُنَّا نقرأُ سورةً نُشَبِّهُها في الطولِ والشدَّةِ ببراءة، فأنسيتُها غير أنِّي حفظتُ منها: (لو كانَ لابنِ آدمَ واديانِ من مالٍ لٱبْتَغى واديًا ثالثًا، وما يملأُ جوفَ ٱبنِ آدمَ إلا الترابُ)، وكُنَّا نقرأُ بسورةٍ نشبهُها بإحدى المبسحاتِ فأنسيتُها، غير إنِّي حفظتُ منها: (يا أيُّها الذينَ آمنوا لم تقولوا ما لا تفعلونَ فتكتبَ شهادةٌ في أعناقِكُم فَتُسألونَ عنها يومَ القيامةِ)). ٩٩/٣

إنَّ في ذلك ٱعترافًا صريحًا بتحريف القرآن وضياع عدد من آياته !!

فإلى متى يتم الدفاع عن رجالٍ وتقديسهم دون الدفاع عن مصدر التشريع والوحي الإلهي والمعجزة الخالدة للمسلمين وهو القرآن الكريم بحجج واهية !! كالقول مثلاً بنسخ الحكم والتلاوة وغيرها مما ورد في تقسيمات أنواع النسخ.

(١) وأشار السيد إلى مثل هذا القول بإيجاز في مخطوط آخر. ينظر: الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط الرسائل والمسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة،): ٥٨

وخالفهم أهلُ العلمِ، وجمهورُ المسلمينَ. [١]

قال أمين الإسلام "الطبرسي" في "مجمع البيان" ما نصَّه: ((فأمَّا الزيادةُ فيه –أي القرآن– فمجمعٌ على بطلانِهِ، وأما النقصانُ منه فقد روي جماعَةٌ من أصحابِنا وقومٌ من حشويةِ العامَّةِ أنَّ في القرآن تغييرًا ونقصانًا، والصحيحُ من مذهبِ أصحابِنا خلافُهُ، وهو الذي نصرَهُ "المرتضى" علم الهدى "قدس الله روحه" وٱستوفى الكلامَ فيه غايةَ الاستيفاءِ في جوابِ "المسائل الطرابلسيات" [٢]، وذكرَ في موضعٍ أنَّ العلمَ بصحةِ القرآنِ كالعلمِ بالبلدانِ)). [٣]

(١) قد تم بيان كلمات الأعلام في صيانة القرآن من التحريف، وعدم الركون إلى تلك الروايات الشاذة في تحريف القرآن الكريم في باب الدراسة، الفصل الأول، المبحث الأول: ٤٨-٥١

(٢) الظاهر أنَّ للسيد "المرتضى" رسائل ثلاث في المسائل الطرابلسية وقد طُبِعَت الثانية والثالثة ضمن رسائله المتعددة التي طبعت في مجلدات أربعة، ولكن لم يتم الحصول على المسائل الطرابلسية الأولى في هذه المجموعات، ولا في غيرها.

(٣) ١/٤٣

- المورد الثالث:

قال [١]: تجدونَ التفصيلَ الوافي عن هذهِ المسألةِ المعضلةِ في "بحار المجلسي" [٢]، وفي رسائل الشيخ "مرتضى الأنصاري" في باب حجية الكتاب [٣]، وفي التعاليق المبسوطة عليه كحاشية "الأشتياني" الشيخ "محمد حسن" [٤]، وحاشية "وسيلة الوسائل" للسيد "محمد باقر اليزدي" [٥]، وبقية كتب الأصولية كـ"القوانين" للميرزا "القمي" [٦]، وأصول الشيخ "محمد هادي الطهراني النجفي" [٧]، وكتاب "فصل الخطاب في تحريف الكتاب" للمحدث "النوري" [٨]، وكتاب "الارتياب" في الرد

(١) مخطوط الدلائل والمسائل ٤٣٦/٥ تحت عنوان: (التحريف في القرآن)، في الأصل سؤال وُجِّه للسيد الشهرستاني نصه: ((هَلْ هذا القرآنُ الذي بينَ أيدي المسلمينَ هو تمامُ ما نُزِلَ على النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بدونِ زيادةٍ أو نقصانٍ، أو لا، وهَلِ الخلافُ المنسوبُ إلى الشيعةِ صحيحٌ؟ أو لا؟)).

(٢) ينظر: بحار الأنوار ٢٥٦/١١٠

(٣) ينظر: الأنصاري: فرائد الأصول ١٥٨/١

(٤) ينظر: الأشتياني، محمد حسن بن جعفر: بحر الفوائد في شرح الفرائد، تح: محمد حسن الموسوي، (مط سليمان زاده، قم، د.ط، د.ت) ٤٥٩/١-٤٧٢

(٥) ينظر: اليزدي، محمد باقر: وسيلة الوسائل في شرح الرسائل، (طبعة حجرية، د.ط، د.م، د.ت): ٦٠-٦١

(٦) ينظر: القمي، أبو القاسم: قوانين الأصول، (طبعة حجرية، د.ط، د.م، د.ت): ١٩٠-١٩١

(٧) لم يتم الحصول على نسخة الكتاب بعد بذل الجهد في البحث عنه.

(٨) النوري، حسين: فصل الخطاب في تحريف الكتاب، (طهران، ١٢٩٨هـ، د.م، د.ط).

عليه [١]، وكتاب "ٱستقصاء الإفحام" للسيد "مير حامد حسين الهندي" [٢]، وقد ذهبَ المحققونَ من علمائِنا السلفِ إلى بطلانِ القولِ بتحريفِ القرآنِ، فقال الشيخ "الطبرسي" في الفن الخامس من مقدمة تفسيره "مجمع البيان" ما نَصُّهُ: ((فأما الزيادةُ فيهِ فَمُجْمَعٌ [٣] على بطلانِه، وأما النقصانُ منه [٤] فقد روى جماعةٌ من أصحابِنا، وقومٌ من حشويةِ العامَّةِ، أنَّ في القرآنِ تغييرًا [٥] أو نقصانًا، والصحيحُ من مذهبِ أصحابِنا خلافُهُ، وهو الذي نَصَرَهُ "المرتضى" "قدس الله روحه"، وٱستوفى الكلامَ فيه غايةَ الاستيفاءِ في جوابِ "المسائل الطرابلسيات"، وذكر في مواضِعَ أنَّ العلمَ بصحةِ نقلِ القرآنِ كالعلمِ بالبلدانِ، والحوادثِ الكِبارِ، والوقائعِ العظامِ، والكتبِ المشهورةِ، وأشعارِ العربِ المسطورةِ، فإنَّ العنايةَ ٱشتدتْ، والدواعيَ تَوَفَّرَتْ على نقلِهِ وحراستِهِ، وبلغَتْ إلى حَدٍّ لم يبلغْهُ فيما ذكرناه؛ لأنَّ القرآنَ معجزةُ النبوةِ، ومأخذُ العلومِ الشرعيةِ، والأحكامِ الدينيةِ، وعلماءُ المسلمينَ قد بَلَغُوا في حفظِهِ وحمايتِهِ الغايةَ، حَتَّى عَرِفُوا كُلَّ شيءٍ ٱخْتُلِفَ فيه من إعرابِهِ، وقراءتِهِ، وحروفِهِ، وآياتِهِ، فكيفَ يجوزُ أنْ يكونَ مُغَيَّرًا، أو منقوصًا، مع العنايةِ الصادقةِ،

(١) لم يتم الحصول على نسخة الكتاب بعد بذل الجهد في البحث عنه.

(٢) لم يتم الحصول على نسخة الكتاب بعد بذل الجهد في البحث عنه، ولكن تم الحصول على مختصره الذي ٱختصره السيد "علي الحسني الميلاني" في مجلدات ثلاثة. ينظر: الميلاني، علي بن نور الدين الحسيني: ٱستخراج المرام من ٱستقصاء الإفحام، (مط وفا، قم، ط٢، ١٤٣٢هـ) ١/١١٢

(٣) في الأصل: فالجميع.

(٤) في الأصل: فيه.

(٥) في الأصل: تغيير.

والضبطِ الشديدِ، وقال أيضًا "قدس الله روحه": إنَّ العلمَ بتفسيرِ[١] القرآنِ وأبعاضِهِ في صحةِ نقلهِ كالعلمِ بِجُمْلَتِهِ، وجرى ذلكَ مجرى ما عُلِمَ ضرورةً من الكتبِ المصنفةِ، ككتابِ "سيبويه" و"المزني"، فإنَّ أهلَ العنايةِ بهذا الشأنِ يعلمونَ من تفصيلِهما ما يعلمونَهُ من جملتِهما، حتى لو أنَّ مُدْخِلاً في كتابِ "سيبويه" بابًا في النحوِ ليسَ من الكتابِ لعُرِفَ ومُيِّزَ وعُلِمَ أنه مُلْحَقٌ، وليسَ من أصلِ الكتابِ، وكذلكَ القولُ في كتابِ "المزني"، ومعلومٌ أنَّ العنايَةَ بنقلِ القرآنِ وضبطِهِ أصدقُ[٢] من العنايةِ بضبطِ كتابِ "سيبويه" ودواوينِ الشعراءِ، وذكرَ أيضًا "رضي الله عنه": إنَّ القرآنَ كان على عهدِ رسولِ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مجموعًا مؤلَّفًا على ما هو عليهِ الآنَ، واْسْتُدِلَّ على ذلكَ بأنَّ القرآنَ كان يُدْرَسُ ويُحْفَظُ جَمِيعُهُ في ذلكَ الزمانِ، حَتَّى عَيَّنَ على جماعَةٍ من الصحابةِ في حفظِهم له، وإنْ[٣] كان يُعرض على النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ويُتلى عليه، وإنَّ جماعةً من الصحابةِ مثلُ "عبد الله بن مسعود"، و"أُبَيِّ بن كعب" وغيرهما، خَتَمُوا القرآنَ على النبيِّ عِدَّةَ ختماتٍ، وكُلُّ ذلك يدلُّ بأدنى تأمُّلٍ على أنه كانَ مجموعًا مُرَتَّبًا غيرَ مبتورٍ، ولا مبثوثٍ، وذكرَ أنَّ مَنْ خالفَ من ذلكَ من الإماميةِ والحشويةِ لا يُعْتَدُّ بخلافِهم، فإنَّ الخلافَ في ذلكَ مضافٌ إلى قومٍ من أصحابِ الحديثِ نَقَلُوا أخبارًا ضعيفَةً ظَنُّوا[٤] صَحَّتَها، لا

(١) في الأصل: بتفصيل.

(٢) في الأصل: أضبط.

(٣) في الأصل: وأنه.

(٤) في الأصل: خالفوا.

يرجعُ بمثلِها عن المعلومِ المقطوعِ على صَحَّتِهِ)). [١] ٱنتهى ما نقله "الطبرسي" عن "الشريف المرتضى".

أقول: ربما يستغرب [٢] الناظر في المسألة لأول وهلة، دعوى كون القرآنِ مجموعًا ومؤلَّفًا في عهدِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) كما ٱدَّعاهُ "الشريف المرتضى"، غير إنَّ لي على هذا القولِ شواهدَ واضحةً:

– منها: خبرُ الثقلينِ الذي تواترَ إسنادُهُ إلى الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ قال: ((إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي)). إلخ [٣]

وصريح ذلك [٤] وجود كتاب الله مجموعًا متلوًّا في أيدي الناس.

– ومنها: الخبرُ الصحيحُ المستفيضُ [٥] عن "عمر [ابن الخطاب]" عند وفاة النبي

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن ١/٤٢-٤٣

(٢) في الأصل: بمستغرب.

(٣) إنَّ حديث الثقلين قد ورد بألفاظ متعددة وبأسانيد مختلفة تؤكد عظمة التمسك بالقرآن والعترة، وللتفصيل في ألفاظ الحديث وٱختلافاته. ينظر: العسكري، نجم الدين: حديث الثقلين، (مط الآداب، النجف الأشرف، ط٤، د.ت) ، الميلاني، علي: حديث الثقلين، (الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، قم، ط١، ١٤٢١هـ).

(٤) في الأصل: وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): إني تارك فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلوا من بعدي، وصريح ذلك.

(٥) قسَّمَ العلماء الحديث على أقسام متعددة وفقًا لسند رجاله، فمنه: الصحيح والحسن والموثق والضعيف وغيره، والحديث المستفيض هو الحديث الذي رواته أكثر من ثلاثة في كُلِّ طبقة، أو ٱثنين ويقال له المشهور. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي: الرعاية في علم الدراية، تح و تع: عبد الحسين محمد علي البقال، (مط بهمن، قم، ط٢، ١٤٠٨هـ): ٦٩

(صلى الله عليه وآله وسلم) إذ قال: ((حسبنا كتاب الله)) [١] ومنعَ النبيَّ عن أنْ يكتبَ للأُمَّةِ كتابًا يَقِيهم من الضلالةِ، فلو لم يَكُنِ القرآنُ مجموعًا ومؤلَّفًا لم يتم عنه هذا الكلام. [٢]

- ومنها: الخبرُ الصحيحُ عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ قال: ((وما وافَقَ كتابَ

(١) ونص الحديث ما رواه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ٱبن عباس قوله: ((لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم" وَفِي البَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، قَالَ النَّبِيُّ "صلى الله عليه [وآله] وسلم": هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ. فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ "صلى الله عليه [وآله] وسلم" قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الوَجَعُ وَعِنْدَكُمُ القُرْآنُ، حَسْبُنَا كِتَابُ الله، فَٱخْتَلَفَ أَهْلُ البَيْتِ فَاخْتَصَمُوا، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمُ النَّبِيُّ "صلى الله عليه [وآله] وسلم" كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالاخْتِلاَفَ عِنْدَ النَّبِيِّ "صلى الله عليه [وآله] وسلم" قَالَ رَسُولُ الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم: قُومُوا. قَالَ عُبَيْدُ الله فَكَانَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم" وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الكِتَابَ مِنِ ٱخْتِلاَفِهِمْ وَلَغَطِهِمْ. البخاري: صحيح ١٣٨/٥ كتب (النبي صلى الله عليه [وآله] إلى كسرى وقيصر) باب (مرض النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ووفاته) ، مسلم النيسابوري: الجامع الصحيح ٧٦/٥ كتاب (النذر) باب (الأمر بقضاء النذر) ، أحمد بن حنبل: مسند أحمد ٣٢٥/١ (مسند عبد الله بن عباس)

(٢) إنَّ هذا أمرًا عقليًّا بديهيًّا، فلو كانَ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلم بأنَّ الأمة سوف تُحَرِّفُ القرآن فتزيد فيه، أو تنقص كيف يرشد الأمة إليه، في التمسك به والنجاة من الضلال، فضلاً عن الروايات في الحث على قراءته، وحفظه، وتعلمه، وتعليمه!!

الله فَخُذُوهُ، وما خالَفَ كتابَ الله فَاضْرِبُوا به عَرْضَ الحائِطِ)) [١]، وهذا لا يتمُّ إلا إذا كانَ القرآنُ مؤلَّفًا ومتداولاً بين الأمةِ في حياةِ نبيِّها.

- ومنها: المستفيضُ عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما ذكرَ الفتنَ المُحْدِقَةَ بالأمةِ كَقِطَعِ الليلِ المُظْلِمِ بعد [أَنْ] تغيبَ شمسُ النبوةِ، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((فعليكم بالقرآن)) إلخ [٢]، فإنَّ هذهَ الخطبةَ لا تنطبقُ على الحالةِ الحاضرةِ من مخاطبيهِ إذا لم يَكُنِ القرآنُ مجموعًا ومتداولاً بينهم، هذا كُلُّهُ عَدا عن بقيةِ الأخبارِ النبويةِ الواردةِ في تلاوةِ القرآنِ والاهتداءِ به [٣]، ومضافًا إلى آية:﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [٤]، والضميرُ عائِدٌ إلى القرآنِ [٥]، فيكونُ القرآنُ في عهدِ الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) إمامًا كما كانَ كتابُ موسى (عليه السلام) إمامًا لبني إسرائيل، ولا يتم كون القرآن إمامًا في عهد النبي إلا إذا كانَ تمامًا، وعدا آية سورة البقرة [في قوله تعالى]: ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٦]،

(١) الكليني: الكافي ٦٩/١ كتاب (كتاب فضل العلم) باب (الأخذ بالسنة وشواهد التنزيل) الحديث ١ ، الحر العاملي: وسائل الشيعة ١١٢/٢٧ كتاب (القضاء) باب (وجوه الجمع بين الأحاديث المختلفة) الحديث ١٩

(٢) الكليني: الكافي ٥٩٩/٢ باب (فضل القرآن) الحديث ٢ ، الشريف الرضي: نهج البلاغة ١٩٦/١ ، الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٧١/٦ كتاب (الصلاة) باب (أستحباب التفكر في معاني القرآن) الحديث ٣

(٣) ينظر: الكليني: الكافي ٦١١/٢-٦١٦ باب (ثواب قراءة القرآن)

(٤) سورة هود: الآية ١٧ في الأصل: المذكورة في سورة هود في آية ٢٠ وفي سورة الأحقاف.

(٥) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٤٦١/٥ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٣٦٥/٢

(٦) سورة البقرة: الآية ٢

و[قوله تعالى]: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (١)، وآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٢)، وآياتٌ أخرى تدلُّ على تداولِ القرآنِ كَمُؤَلَّفٍ تامٍّ في أيدي المسلمينَ في حياةِ نبيهِم الأمين. (٣)

نعم هذا الرأيُ رأيُ تماميةِ القرآنِ بدونِ زيادةٍ أو نقصانٍ هو أشهرُ الآراءِ لدى المسلمين، وإنَّ لسانَ الدينِ يشكرُ "الشريف المرتضى" ودفاعهُ المجيدُ عن القرآنِ، وبالأحرى عن الحقِّ والعلمِ والتأريخِ (٤)، وقد سبقَ "الشريف" في مثل هذا الدفاعِ المجيدِ شيخه "المفيد"؛ إذ قالَ في المسألةِ التاسعةِ من أجوبته لـ"المسائل السرورية" ما نَصُّهُ: ((لا شَكَّ أنَّ ما بينَ الدَّفَّتَيْنِ من القرآنِ كلامُ الله تعالى وتنزيلُهُ، وليسَ فيه شيءٌ من كلامِ البشرِ، وهو جمهورُ المُنْزَلِ، والباقي مما أنزلَ اللهُ تعالى)). (٥)

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥

(٢) سورة الحجر: الآية ٩

(٣) إنَّ السيد قد اعتمد منهج الدليل النقلي في الاستدلال على عصمة القرآن من التحريف، من خلال الاستدلال بالآيات القرآنية التي تثبت ذلك، وكذلك الأحاديث الشريفة المشهورة، وقد أيَّد المنهج النقلي بالعقلي في الاستدلال، من أجل إقامة الحجة البالغة على ما يريد إثباته، وهذه الأدلة الأربعة التي ذكرها وإنْ كان العلماء قد ذكروا بعضها إلا أنها من الأدلة المهمة في الاستدلال.

(٤) إنَّ للشريف المرتضى تأليفات متعددة في بيان عظمة القرآن، وآثاره، وتفسيره، وبيان عقائده، وما يتعلق بعلومه، واستدلاله به على العلوم الأخرى، فضلاً عن تفسيره للآيات الشريفة، فغدَت مؤلفاته موردًا للباحثين في الدراسات القرآنية بالرجوع إليها.

(٥) المسائل السرورية، تح: صائب عبد الحميد، (مط مهر، قم، ط١، ١٤١٣هـ): ٧٨

أقول: نعم توجد من هذا القول عثرات [١]، إذ إنَّ التأريخَ الموثوقَ بـه، والحـديثَ المستفيضَ يُثبتان قضايا ثلاث:

– الأولى: إنَّ القرآنَ نزلَ نجومًا –أي آية آية أو سورة سـورة– في خـلالِ بـضعٍ وعشرينَ سنة، وكان الكَتَبَةُ من المسلمينَ وكُتَّابُ الوحيِ يكتبونَ ذلكَ على جريـدِ النخلِ، أو على دَفَّتَي الذبيحةِ في أكثرِ الأحيانِ؛ لشحَّةِ الورقِ، وعِزَّةِ أدواتِ الكتابـةِ يومئذٍ في بلادِ الحجازِ، وكانَ الأكثرُ يعتمدونَ على الحفظِ والذاكرةِ، ولَمَّا ٱسْـتَحَرَّ القتلُ في الصحابةِ بعدَ وفاةِ النبيِّ [صلى الله عليه وآله وسلم]، وعند قتـالِهم لأهـلِ الرِّدَّةِ والبغاةِ [٢]، خِيفَ على ضياعِ القرآنِ من الصدورِ والسطورِ، فعمدَ كبارُ الصحابةِ

(١) أي بعض الإشكالات التي قد تعترض على هذا الموضـوع، ولـيس في كـلام الـشيخ "المفيد" خاصة، وهذه ٱلتفاتة من السيد "الشهرستاني" لطيفة؛ لأجل الإحاطة بالموضوع من جوانبه المتعددة، من حيث الدليل وما يعارضه أو يُقَام عليه من إشـكال؛ ليـتم بيانـه، ولكن في تعبيره بلفظ (عثرات) تأمُّل!!

(٢) هناك كلام حول نصوص الردة الواردة في التأريخ، وهل كانت هناك ردة من قبل بعـض المسلمين، وما يتعلق بهم بعد وفاة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أم لا، وقـد نـاقش الموضوع بتفصيل دقيق المحقق الشيخ "محمد حسن آل ياسين"، وأثبت عـدم وجـود ذلك، وإنما هي –كما يقول– في الواقع رفض الخضوع لحاكم غير شرعي، وليس رفـضًا لأحكام الإسلام، ولا ٱرتدادًا عن دين الله. للتفصيل ينظـر: آل ياسـين، محمـد حـسن: نصوص الردة في تاريخ الطبري نقد وتحليل، (مكتبـة النهـضة، بغـداد، ط٢، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م).

إلى جمعِ القرآنِ، وهم "عليٌّ"، و"زيدُ بن ثابت"، و"أُبَيُّ بن كعبٍ"، و"عبدُ اللهِ بن مسعود" وغيرهم، وذلكَ في عهدِ "أبي بكر"، والخبرُ فيهِ مشهورٌ. (١)

– الثانية: إنَّ "عليًّا" (عليه السلام) بعدما دفنَ النبيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ٱعتزلَ من قومهِ لجمعِ القرآنِ، وأقسمَ أنْ لا يرتدي رداءَهُ –أي لا يخرج من بيته– حتى يجمعَ القرآنَ (٢)، وبعد بُرهَةٍ أتى به إلى "أبي بكرٍ" وحاشيتِهِ، فتوقَّفَ بعضُهُمْ من قبولِهِ على ما هو عليه، فاسترجعَهُ عنهم الإمامُ آسِفًا، والقضيَّةُ مشهورةٌ. (٣)

---

(١) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ١٦٧/١ ، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ١٦٥/١ وغيرهما من المصادر

يرى الباحث أنَّ ما ذكره السيد "الشهرستاني" لا علاقة له بما تقدم من كلام الشيخ "المفيد" الذي عَبَّر بقوله: (نعم توجد من هذا القول عثرات)، وما ذكره هو قول العامة، وإلا فأتباع مدرسة أهل البيت يذهبون إلى القول الثابت بأنَّ القرآن كان مجموعًا في زمن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، ولقد ناقش المحققون روايات جمع القرآن وما يتعلق بها من آراء وأقوال وإشكالات؛ لأنَّ رواة أخبار الجمع ومؤيديها قد ٱختلفوا كثيرًا في نسبة الجمع تارة إلى "أبي بكر"، وأخرى إلى "عمر بن الخطاب"، وثالثة إلى "عثمان بن عفان". للتفصيل في مناقشة ذلك ينظر: الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ٢٥٥–٢٦٨

(٢) السجستاني: كتاب المصاحف ١٦٩/١

(٣) يرى الباحث مثل ما تقدم في القول الأول عن عدم العلاقة بين هذا الرأي وكلام الشيخ "المفيد"، وينبغي التأكيد على أنَّ رواية عرض الإمام "علي بن أبي طالب" (عليه السلام) مصحفه على القوم وعدم قبولهم له ليس دليلاً على وقوع تحريف وٱختلاف في القرآن الكريم، قال السيد "الطباطبائي": ((إنَّ جمعه "عليه السلام" القرآنَ وحملَهُ إليهم، وعرضَهُ عليهم لا يدلُّ على مخالفةِ ما جمعه لما جمعوه في شيءٍ من الحقائقِ الدينيةِ الأصليةِ أو الفرعيةِ، إلا أنْ يكونَ في شيءٍ من ترتيبِ السورِ، أو الآياتِ من السورِ التي نزلتْ نجومًا، بحيث لا يرجعُ إلى مخالفةٍ في بعضِ الحقائقِ الدينيةِ، ولو كانَ كذلكَ لعارضهم

وقد روي عن جماعةٍ أَنَّهُم رَأَوُا القرآنَ الذي جمعَهُ الإمام (عليه السلام)، ومنهم "ٱبن النديم" في "الفهرست". (١)

– الثالثة: إنَّ المصاحِفَ كَثُرَتْ في خلافةِ "عمر"، وكانت مختلفَةً حتى في تعدادِ السُّوَرِ، فإنَّها في مصحفِ "ٱبن مسعود" (...)، لزيادةِ سورتي "الحفد" و"الخلع" فيه (٢)، وعددِ سُوَرِ مصحفِ "أُبَيِّ بن كعبٍ" (...) (٣)، ولَمَّا رأى عثمانُ في أيامِهِ

---

بالاحتجاجِ، ودافعَ فيه، ولم يقنعْ بمجردِ إعراضِهم عما جمعه، وٱستغنائِهم عنه كما روي عنه "عليه السلام" في مواردَ شتَّى، ولم ينقل عنه "عليه السلام" فيما روي من ٱحتجاجاتِهِ أَنَّهُ قرأ في أمرِ ولايتِهِ ولا غيرِها آيةً أو سورةً تدلُّ على ذلك)). الميزان في تفسير القرآن ١١٤/١٢

(١) ص ٤١

(٢) لقد ٱدُّعي أنَّ سورتَي "الحفد" و"الخلع" من السور القرآنية التي كانت تقرأ في القنوت وتم نسخهما، قال "السيوطي" تحت عنوان (ذكر ما ورد في سورة الخلع والحفد) أحاديث متعددة منها: قال "ٱبن الضريس" في فضائله: أخبرنا "موسى بن إسماعيل"، أنبأنا "حماد" قال: قرأنا في مصحف "أُبَي بن كعب": اللهمَّ إنا نستعينُكَ ونستغفرُكَ ونثني عليكَ الخيرَ، ولا نكفرُكَ، ونخلعُ ونتركُ مَنْ يفجرُكَ. قال "حماد": هذه الآن سورة، وأحسبُهُ قال: اللهُمَّ إياكَ نعبدُ، ولكَ نصلي ونسجدُ، وإليكَ نسعى ونحفدُ، نخشى عذابَكَ، ونرجو رحمتَكَ، إنَّ عذابَكَ بالكفارِ ملحقٌ. وكان "عمر بن الخطاب" يقرؤها في القنوت. للتفصيل ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٤٢٠/٦–٤٢٢ ، الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢٦/٢ ، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٧٥/٣

وقد تقدم قول العلماء الأصوليين من عدم الاعتماد على هذه الرواية، ولا يمكن قبولها.

(٣) إنَّ مصاحف الصحابة قد ٱختلفت من حيث الترتيب والعدد، وقد ذكر العلماء ذلك في مؤلفاتهم، ذكر "ٱبن النديم" ترتيب سور القرآن على وفق مصحف "عبد الله بن مسعود" فكان أوله (سورة البقرة فالنساء)، ومصحف "أُبَي بن كعب" فكان أوله (سورة الفاتحة

ٱختلافَ المصاحفِ وكثرتَها، وٱختلافَ الناسِ في قراءتِها، رأى من الحزمِ توحيدَ الأمةِ في المنهاجِ واللهجةِ، فَجَمَعَ المصاحفَ جميعًا، وٱختارَ بعد الموازنَةِ بينها هذا المصحفَ الموجودَ في أيدي الناسِ حتى اليوم، وأعدمَ بقيَّةَ المصاحفِ كُلِّها، فَعِيبَ عليهِ وعُدَّ ذلكَ من مثالِبِهِ [1]، وكانت أُمُّ المؤمنينَ "عائشة"

---

فالبقرة). الفهرست: ٣٩-٤٠ ، وللتفصيل في بيان الاختلاف الوارد في ترتيب السور القرآنية وعددها ينظر: الزنجاني، أبو عبد الله بن نصر الله: تاريخ القرآن، تق: أحمد أمين، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م): ٦٩-٧٩ وينظر لمعرفة ذلك الاختلاف والزيادة بين مصحف وآخر من مصاحف الصحابة: العسكري: القرآن الكريم وروايات المدرستين ٢/٧٧٥-٧٨٦ ، الجلالي، محمد حسين: دراسة حول القرآن الكريم، تح: علي النجيدي الإحسائي، (دار المحجة البيضاء، بيروت، ط٢، ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م): ١٠٩-١٢٩

(١) إنَّ حرق "عثمان" للمصاحف مسألة مشهورة حصلت في عهده، وقد ذكرت المصادر ذلك وما يتعلق به من توحيد الناس على قراءة واحدة بعد الاختلاف الكبير بين المسلمين في قراءاتهم. للتفصيل ينظر: السجستاني: كتاب المصاحف ١/١٩٥ (جمع عثمان المصاحف)

ويرى الباحث أنَّ ما قام به "عثمان" يعد أمرًا حسنًا ومُهِمًّا من حيث المحافظة على كتاب الله من الاختلاف في قراءاته الكثيرة آنذاك، ولو لم يقم بذلك لرأينا بعد مدة من الزمن مصاحف متعددة ومختلفة ينسب كُلٌّ واحد إلى أحد الصحابة، وله مؤيدون يتبعونه، ومعارضون يؤيدون قرآن صحابي آخر، وإنَّ سكوت الإمام "علي بن أبي طالب" (عليه السلام) عن هذا الفعل وعدم معارضته له يُعَدُّ تقريرًا بالصحة، وإلا لرأينا له موقفًا تجاه ذلك، ولا سيما أنَّ الأمر يتعلق بالقرآن الكريم، معجزة الله الخالدة، والإمام عليٌّ لا تأخذه في الحق لومة لائم، أما ما يتعلق بفعله من حرق آيات الله من حيث الحرمة وعدمه، والجواز وعدمه، فهذا يُناقش في محله، وهذا ما ذكره السيد "الخوئي" أيضًا بعد مناقشته

تَنْعَرُ [١] عليهِ بذلكَ وتقولُ: ((ٱقْتُلُوا حَرَّاقَ القُرْآنِ)) [٢]، والقضيةٌ مُفَصَّلَةٌ في تأريخهِ وتأريخِها. [٣]

---

لجميع الروايات والاحتمالات الواردة في جمع القرآن. ينظر: البيان في تفسير القرآن: ٢٧٥

وإنَّ موضوع حرق "عثمان" للمصاحف من الموضوعات التي لا ينكرها أي باحث للتأريخ الإسلامي، ولكن مما يستغرب له ما ورد عن "الزركشي" من كلام في ذلك بقوله: ((وأمَّا ما تعلَّقَ الروافضُ بأنَّ "عثمان" أحرقَ المصاحفَ فإنَّهُ جهلٌ منهم، وعمًى.... وأما قولهم: إنَّهُ أحرقَ المصاحفَ، فإنَّهُ غيرُ ثابتٍ، ولو ثبتَ لوجَبَ حملَهُ على أنَّهُ أحرقَ مصاحفَ قد أودعتْ ما لا يحلُّ قراءته)). البرهان في تفسير القرآن ١/١٧١ ، ولكنَّ –إنا لله وإنا إليه راجعون– الظاهر أنه –وهو ليس من الروافض– قد نسى ما كتبه بنفسه قبل صفحتين مما رواه عن "البخاري": ((وقد روى البخاري في صحيحه .... وأرسلَ [عثمان] في كُلِّ أُفُقٍ بمصحفٍ مما نسخوا، وأمرَ بما سواهُ من القرآنِ في كُلِّ صحيفةٍ، أو مصحفٍ أنْ يحرقَ)). ١/١٦٩

(١) أي: تصرخُ وتصيحُ. ٱبن منظور: لسان العرب مادة (نعر).

(٢) لم يعثر الباحث على مثل هذه الرواية واردة عن "عائشة"، وإما ورد من دون نسبة القول إليها، قال السيد "الخوئي": ((ولكن الأمر الذي ٱنتقدَ عليهِ هو إحراقُهُ لبقيةِ المصاحفِ، وأمرهُ أهالي الأمصارَ بإحراقِ ما عندهم من المصاحفِ، وقد ٱعترضَ على عثمانَ في ذلكَ جماعةٌ من المسلمينَ، حتى سَمَّوْهُ بـ"حَرَّاق المصاحف")). البيان في تفسير القرآن: ٢٧٥

(٣) ليست مفصلة بهذا المعنى الوارد الذي يذكره السيد "الشهرستاني" في هذا الموضوع، وإنما كان خلاف بينهما معروف، وقد فُصِّلَ في كتب التأريخ والسيرة، وما ٱشتهر عن "عائشة" في "عثمان" وتشبيهها له برجل من اليهود قولها: ((ٱقتلوا نعثلاً فقد كفرَ)). الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، (مط الاستقامة، القاهرة، ١٣٥٧هـ ١٩٣٩م، د.ط) ٣/٤٧٧ وغيرها من المصادر التأريخية، ولاشتهارها فقد وردت كذلك في غير كتب التأريخ والسيرة ينظر: ٱبن منظور: لسان العرب مادة (نعثل).

فهذا [١] وما قَبْلَهُ أَدِلَّةٌ جليَّةٌ توضِّحُ لنا أنَّ القرآنَ المجموعَ في عهدِ المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يَكُنْ على الشكلِ الموجودِ في أيدينا من بعضِ الوجوهِ [٢]، كما تدلُّ على أنه يختلفُ عَمَّا جمعهُ [الإمام] علي (عليه السلام)، ثم إنَّهُ لا يوجدُ خلافٌ ما في أنَّ القرآنَ لم يطرأ عليهِ [تحريف] بعد أيامِ عثمانَ إلى هذا الزمان، فإنَّهُ بعدَ إعدامِهِ مصاحفَ القُرَّاءِ وٱختيارِهِ لهذا الموجودِ من بينِهما [٣]، أمرَ بأنْ ينسخَ عليهِ أربعةَ مصاحفَ [١]، فأرسلَ واحدًا منها إلى مكةَ، والثاني إلى الشام، والثالث

(١) يرى الباحث مثل ما تقدم في القول الأول والثاني عن عدم العلاقة بين هذا الرأي وكلام الشيخ "المفيد" المتقدم.

(٢) أي من حيث تسلسل السور القرآنية وما عليه الآن المصحف الشريف، وليس الزيادة والنقصان، أو الحذف وغيرها مما لا يليق بعصمة القرآن الكريم.

(٣) لقد وقع خلاف بين العلماء حول "عثمان بن عفان" في أنه هل جمع القرآن في عهده، أو أنه جمع الناس على قراءة واحدة، فهناك بَوْنٌ بين المسألتين، وقد ذهب جمع منهم إلى الرأي الثاني، وقد ذكر "الزركشي" ذلك: ((قال القاضي "أبو بكر" في "الانتصار": لم يقصد "عثمان" قصد "أبي بكر" في جمعِ نفسِ القرآنِ بينَ لَوْحَيْنِ، وإنَّما قصدَ جمعَهُمْ على القراءاتِ الثابتةِ المعروفةِ عن النبيِّ صلى الله عليه [وآله] وسلم، وإلغاءَ ما ليسَ كذلكَ)). البرهان في علوم القرآن ١/١٦٩ ، ونقل "السيوطي" عن "الحارث المحاسبي" قوله: ((المشهورُ عندَ الناسِ أنَّ جامعَ القرآنِ "عثمانُ"، وليسَ كذلكَ، إنَّما حملَ "عثمانُ" الناسَ على قراءةٍ بوجهٍ واحدٍ)). الإتقان في علوم القرآن ١/١٧١ ، وقال السيد "الخوئي" بعد نقله لروايات جمع القرآن المختلفة المضطربة ومناقشتها: ((نعم لا شَكَّ أنَّ "عثمانَ" قد جمعَ القرآنَ في زمانِهِ، لا بمعنى أنَّهُ جمعَ الآياتِ والسُّوَرَ في المصحفِ، بل بمعنى أنَّهُ جمعَ المسلمينَ على قراءَةِ إمامٍ واحدٍ، وأحرقَ المصاحفَ الأُخرى التي تخالفُ ذلكَ المصحفَ)). البيان في تفسير القرآن: ٢٧٤-٢٧٥

ولكن بعد التدقيق في كلمة السيد "الخوئي" لا نعلم ما هو مقصوده في قوله: ((على قراءة إمام واحد))، فهل المراد من الإمام أحد أئمة القراءات السبعة أو العشرة؟ فلا يخفى أنَّ

أربعةَ مصاحفَ [١]، فأرسلَ واحدًا منها إلى مكةَ، والثاني إلى الشام، والثالث إلى اليمن، والرابع إلى العراق؛ لتكونَ كُلُّ نسخةٍ في كُلِّ قطرٍ من الأقطارِ الإسلاميةِ المهمةِ مصباحَ هدايةٍ، ومرجعًا لأهليهِ من المسلمينَ، ثم لم يطرأ على القرآنِ أيَّ تغييرٍ بعدَ ذاكَ العهدِ حتى اليوم، سوى ٱختلافِ القراءاتِ من القُرَّاءِ المشهورينَ التي ضُبِطَتْ في أيامِهِم بالتدقيقِ والإتقانِ. [٢]

هذا المصطلح أوجده "ٱبن مجاهد" (ت٣٢٤هـ/٩٣٦م)، وحصر القُرَّاء في سبعة دون سواهم في كتابه (السبعة في القراءات)، فضلاً عن أنَّ أولئك القُرَّاء السبعة إنما وُلِدوا بعد سنين طوال من قتل "عثمان"، أو يقصد أحد الصحابة القُرَّاء المشهورين آنذاك؟

(١) قيل خمسة، وقيل سبعة. ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ١/١٧٢

(٢) إنَّ موضوع تحريف القرآن وعدمه وما يتعلق به من المناقشة ينحصر في المدة الزمنية التي قبل حرق "عثمان بن عفان" للمصاحف وتوحيدها في مصحف واحدٍ، فكُلُّ ما أُورِدَ من إشكالات وأقوال فإنما يتعلق بتلك المدة السابقة، وإلا فبعد ذلك لهذا اليوم لا يوجد أي ٱختلاف أو إشكال يُذكر حول عصمة الموجود بين أيدينا، ولكن مع كُلِّ ما ذُكِرَ من ٱختلافات في كيفية جمع القرآن، ومَنْ قام بذلك، وما يتعلق بمصحف الإمام "علي" (عليه السلام) فإنَّه لا شك في أنَّ ما موجود اليوم هو الذي أتى به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا نقص فيه مطلقًا وإنْ ٱختلفت الروايات الواردة في كيفية جمعه، والتقديم والتأخير في تسلسل السور في المصحف.

– المورد الرابع:

قال [١]: إِنَّنا سَجَّلنا في كُتُبِنا وتفاسيرِنا بطلانَ هذا القولِ، وأَنَّهُ ٱفتراءٌ على الشيعة، وخصوصًا في حَقِّ الزيديةِ والإماميةِ من فِرَقِ الشيعةِ التي نحنُ منهم وفيهم، وهذا شيخهم [٢] "الطبرسي" [٣]، وشيخه "محمد بن إدريس الحلي" [٤]، وشيخه شيخ الطائفة الإمامية "محمد بن الحسن [الطوسي] [٥]، وشيخه "الشريف المرتضى" [٦]، وأخو "الشريف الرضي"، وشيخهما "المفيد" المتوفى سنة (٤١٣هـ) [٧]، كُلُّهُمْ يُصَرِّحون في كُتُبِهِم بأَنَّ القرآنَ المتداولَ في هذا الزمانِ محفوظٌ من الزيادةِ والنقصانِ، وأَنَّ هذا المذهبَ هو مذهبُ الإماميةِ، فهل بعد هذا التصريحِ من شيوخِ الشيعةِ يبقى شَكٌّ في تنزيهِ هذهِ عن هذهِ الوصمة ؟

(١) مخطوط الدلائل والمسائل ٥٧٧/٤ تحت عنوان: ((نفي التحريف في القرآن))، في الأصل سؤال وُجِّه للسيد "الشهرستاني" نصه: ((رَأَيْنا "علي بن حزم" في "الفصل" و"حسين هيكل باشا" في "حياة محمد" وغيرهما ينسبون إلى الشيعة القول بنقصان القرآن، وتحريف بعض آياته، فهل هذا صحيح ؟)).

(٢) إنَّ تعبير السيد بلفظ (شيخه) لكل عالم عن أستاذه أراد أنْ يبيِّن ويؤكِّد سلسلة الاتصال في نقل الخبر من كُلِّ واحدٍ منهم إلى مَنْ يروي عنه، وأنَّ القول بصيانة القرآن متواتر عن أعلامنا منذ ألف سنة إلى يومنا.

(٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤٣/١

(٤) ينظر: موسوعة ٱبن إدريس الحلي / إكمال النقصان من تفسير منتخب التبيان، تح وتق: السيد محمد مهدي الخرسان، (الناشر: العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، ط٢، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م) ١٧/٢

(٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٣/١

(٦) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤٤/١

(٧) ينظر: المسائل السرورية: ٧٨

نعم شَذَّ عن جماعَةِ الإماميةِ في عصرِنا المُحَدِّثُ "النوري"، فقالَ بالنقصانِ من نقصانِ علمِهِ [١]، وألَّفَ كتابَ "فصل الخطاب في تحريف الكتاب" [٢]، تبعًا لبعضِ

(١) إنَّ هذا رَدٌّ قاسٍ منه في حق المحدث "النوري" على ما كان عليه –النوري– من الجلالة والعلم والتقوى، وإنْ كان قد ألَّف ذلك الكتاب الذي لم يُحْسِنْ فيه الأمر، وهو يبيِّن مدى تأثره مما قام به المحدث "النوري" من عمل لا يليق بعالم متتبع أنْ يقول به، وقد كتب السيد "الشهرستاني" في الرد عليه مقالاً جاء فيه: ((إنَّ المحدثَ النوريَّ يحدِّثُ بالأخبارِ من دونِ تمحيصٍ أو تحقيقٍ....)) للتفصيل ينظر: الشهرستاني، هبة الدين: حلال مشكلات ١/١٤-١٧ ، وكذلك رَدَّ عليهِ في تقريضِه لكتابِ "البرهان على عدم تحريف القرآن" للميرزا "مهدي البروجوردي". للتفصيل ينظر: الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط الدلائل والمسائل، (مكتبة الجوادين العامة، الكاظمية) ١٣/٣١

(٢) في الأصل: فصل الخطاب لتحريف الكتاب.

إنَّ هذا الكتاب من الكتب التي أثارت جدلاً كبيرًا عند علماء الإمامية حول صيانة القرآن من التحريف، بعد ما تقدم من كلمات أعلامهم في عدم تحريف القرآن، ولكن الميرزا "النوري" ألَّف هذا الكتاب ليثبت تحريف الكتاب من خلال الاستدلال بروايات ضعيفة لا يعتمد عليها، وقد قسم كتابه على مقدمات ثلاث، وبابَيْن. ينظر: النوري، حسين: فصل الخطاب في تحريف الكتاب، (طهران، ١٢٩٨هـ، د.م، د.ط).

وقد أعتذر تلميذه الشيخ "أغا بزرك الطهراني" عن الميرزا "النوري" بأنه لم يكن يقصد القول بتحريف القرآن في كتابه فقال: ((وسمعتُ عنهُ شفاهًا يقول: إنِّي أثبتُّ في هذا الكتابِ أنَّ هذا الموجودَ المجموعَ بينَ الدفتينِ، كذلكَ باقٍ على ما كانَ عليهِ فى أولِ جمعهِ كذلكَ فى عصرِ عثمانَ، ولم يطرأ عليهِ تغييرٌ وتبديلٌ كما وقعَ على سائرِ الكتبِ السماويةِ، فكانَ حريًّا بأنْ يُسمى: "فصل الخطاب فى عدم تحريف الكتاب" فتسميتُهُ بهذا الاسمِ الذي يحملهُ الناسُ على خلافِ مرادي خطأٌ فى التسميةِ ....)). الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٦/٢٢٢

حشويةِ السَّلَفِ من الشيعيينَ والسنيينَ الذين رووا من طُرُقِ الآحـادِ والمجاهيـلِ رواياتِ النقصِ والتحريفِ.

– المورد الخامس:

قال في رده على "ٱبن حزم" (١): إنَّ "ٱبن حزم" أظهر هنا (٢) طيشاً لا مبررَ (٣) لـه، إذ ٱدَّعَى أولاً أنه لا يختلفُ أحدٌ من كافرٍ، أو مؤمنٍ في أنَّ هذا القرآنَ هو الذي جاءَ به محمدٌ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلخ، والحالَةُ أنَّ الكفـارَ مختلفـونَ في ذلـكَ،

---

ويرى الباحث أنَّ هذا الاعتذار لا يوافق ما ورد في الكتاب من الأحاديث والأدلـة التـي ذكرها في إثبات التحريف، فضلاً عن الوضوح التام للعنوان في بيان مقصوده، وهـو مـن العلماء الكبار ومشايخ الرواية والإجازات.

وقال السيد "مرتضى العسكري" بعد ذكر ما تقدم من كلام الـشيخ "الطهـراني" وبيـان أبوابه: ((هكذا بوَّبَ الشيخُ "النوريُّ" كتابَهُ، وما ذكرَهُ يخالِفُ ٱعتـذارَ تلميـذِهِ صـاحبِ الذريعةِ عنهُ)). القرآن الكريم وروايات المدرستين ١٨/٢

(١) مخطوط مذكرات النشريات، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٣١ قال تحت عنوان ((ٱفترى "ٱبن حزم" على الروافض في نقص القرآن في المحلى ج١١ ص٤١١ لا يختلف أحد لا كافر ولا مؤمن في أنَّ هذا القرآن هو الذي جاء به محمد (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم)، وذكر أنه وحي من الله تعالى وإنْ كان قوم من الروافض ٱدَّعوا أنـه نقـص منـه وحُرِّف إلخ)).

(٢) ٱبن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: المحلى في الفقه، تح: الشيخ أحمد محمد شاكر، (دار الفكر، د.ط، د.مط، د.ت) ٤١١/١١

(٣) في الأصل: لا مبرره.

ومُصَرِّحُونَ بالمخالفَةِ كما لا يخفى [١]، ثم ٱدَّعى ثانيًا أنَّ قومًا كفارًا من الروافض [٢] ٱدَّعوا أنَّ القرآنَ نُقِصَ منه إلخ، والحالَةُ أنَّ أُمَّ المؤمنينَ "عائشة" و"أبا حفص" هما أَوَّلُ مَنْ قالا بنقصِ القرآنِ، وحذفِ آيةِ الرضاعِ، وآيةِ الرجمِ منه [٣]، فَهَلْ هما من الكفارِ والروافِضِ [٤]، حاشا وكَلّا [٥]، وإنَّ جمعًا من علماءِ السنِّيينَ ذَهَبُوا إلى نقصِ

(١) وهذا أمر بديهي ولا نعلم كيف خُفِيَ على "ٱبن حزم" على ما عليه من مقام علمي كما يُقال عنه، وهو مجدد القرن الخامس الهجري كما قالوا عنه، وغير ذلك من الألقاب، وهل ٱعترف الكفار بأنَّ ما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من عند الله تعالى بأَنَّهُ قرآن يوحى من عند الله تعالى، والقرآن بصريح آياته قد ذكر كفرهم ونكرانهم للقرآن الكريم.

(٢) يستغرب أي باحث من إطلاق هذه العبارات التي لا واقع ولا حقيقة لها، فكيف حكم على الشيعة بأنهم كفارٌ!! على الرغم من كل تلك المؤلفات التي تبيِّن عقائدهم والمنتشرة في الآفاق، وإنَّ هذه الكلمات هي التي أسست للعوام العمل على الفُرْقَةِ بين المسلمين بالقتل والاعتداء.

(٣) تقدم ما يتعلق بأقوالهما في نقص القرآن الكريم ينظر: ص١٩٧–١٩٨ وغيرهما مما ورد عنهم في ذلك.

(٤) نتمنى على "ٱبن حزم" وأمثاله أنْ يذكروا جوابًا منطقيًّا لأقوال "عمر بن الخطاب" و"عائشة" المتعددة في القول أو الإيحاء إلى نقصان القرآن، دون اللجوء والاضطرار إلى إيجاد عنوانات لا أصل لها في الشريعة المقدسة، مثل نسخ التلاوة دون الحكم وغيره.

(٥) إنَّ هذه الكلمة من السيد (قدس سره) هي كلمات علمائنا في الدفاع عن الشريعة المقدسة، وليس التعبير بالكلمات التي تؤدي إلى التفرُّق بين المسلمين، على الرغم من وجود أحاديث صريحة في نفي ذلك، ولكن لَمَّا لم يعترف بها المحققون من العلماء تم الإذعان إليهم.

آياتٍ من الذكرِ الحكيمِ [١]، وَرَوَوْا في جمعِ القرآنِ وتدوينهِ أيامِ "أبي بكر"، و"عثمان" أشياء، وأنَّهُ عَدَّ النقصَ والتحريفَ كـ"السيوطي" وغيرِهِ [٢]، فَهَلْ هؤلاءِ من الكُفَّارِ الروافِضِ !! كَلا ثُمَّ كَلا، وبماذا ثبتَ كفرُ الروافِضِ

(١) لقد جمع المحقق العلامة "مير حامد النقوي" تلك الآيات التي قيل إنها من القرآن على وفق روايات وردت في تفاسير العامة وأقوال كبار الصحابة في القرآن الكبير وما ورد من ٱختلاف فيه، مع تفصيل دقيق، ومناقشة لها. ينظر: الميلاني: ٱستخراج المرام من ٱستقصاء الإفحام ١/١١٥-١٦٦ ، الجلالي: دراسة حول القرآن الكريم ٢١٢-٢٢٦

(٢) ذكر "السيوطي" عن "ٱبن عمر" قوله: لا يقولنَّ أحدكُم قد أخذتُ القرآنَ كُلَّهُ، وما يدريكَ ما كُلَّه! قد ذهبَ منه قرآنٌ كثيرٌ، ولكن ليقل قد أخذتُ منه ما ظهرَ. وروى عن "عائشة": أنَّ سورة الأحزاب كانت تقرأ في زمن النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم) مائتي آية، فلما كتب "عثمان" المصاحف لم يقدر منها إلا على ما هو الآن، وروى عن أُبَي أنَّ سورة الأحزاب كانت تعدلُ سورة البقرة. وغير ذلك من الروايات ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٢/٧٢

وقد تقدم ما ورد عن الصحابة أنهم كانوا يروون أنَّ آيات وسور قد قرؤوها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكنها لم توجد في المصحف عند جمعه على ما يذهبون إليه، وقد أظهروا ٱعتراضهم، أو ٱستغرابهم من ذلك، فقد ذكر "الزركشي" عن "عمر بن الخطاب" قوله بعد ٱعتراضه على آية رجم الشيخ والشيخة المزعومة: لولا أن يقول الناس زاد "عمر" في كتاب الله لكتبتها بيدي. وقول "أُبَي بن كعب": كانت سورة الأحزاب توازي سورة النور فكان فيها: ((الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما)). وقول "أبي موسى الأشعري": ((إنَّا كُنَّا نقرأ سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها، غير أني أحفظ منها، لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لابتغى ثالثًا ...)). البرهان في علوم القرآن ١/٢٤-٢٥ وغير أولئلك من أقول الصحابة.

عنده. [١]

(١) يرى الباحث أنَّ وجود مثل هذه الروايات وعدم التعليق عليها بالنفي الصريح عن الصحابة واللجوء إلى القول بنسخ التلاوة وغيرها هو ما يدفع إلى التشكيك في نزاهة القرآن من التحريف، فعلينا أنْ نقول بصراحة علمية إما بنقص القرآن الكريم لعدد غير معلوم من سوره وآياته وأنَّ هذه الأحاديث صحيحة رويت عن الصحابة الأجلاء الذين يُعتقد بعصمتهم لأجل صحبتهم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأنه كما هو معروف عند العامة ما ينسب إلى النبي قوله: أصحابي كالنجوم بأيهم آقتديتم فقد آهتديتم، وإما أنَّ نقول: بأنَّ هذه الروايات مكذوبة قد رواها الصحابة وقد كذبوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لحاجة في أنفسهم، أو القول بأَنَّ هذه روايات كلها غير صحيحة ولم يقل بها الصحابة ولا حاجة لإيجاد أبواب علمية من أجل إيجاد المخرج لأقولهم، فالأمر يتعلق بمصدر التشريع ولا يحتمل التأويلات والآراء، وقذف التهم على الشيعة وغيرهم من أمثال "آبن حزم" وغيره بعدما صرَّح أساطين المذهب بصيانة القرآن من التحريف بكلام صريح.

## (الفصل الثاني)

## الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم

- **المبحث الأول**: تعريف النسخ.
- **المبحث الثاني**: شروط النسخ.
- **المبحث الثالث**: الآيات التي يُستدل بها على النسخ وتفسيرها.
- **المبحث الرابع**: أدلة القائلين بالنسخ.
- **المبحث الخامس**: أدلة نفي النسخ.
- **المبحث السادس**: العلاقة بين النسخ والبداء.

## الفصل الثاني

## الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم

نبين في هذا الفصل ما ذكره السيد "الشهرستاني" فيما يتعلق بالناسخ والمنسوخ، ورأيه في مبحث مهم من مباحث علوم القرآن الكريم، وسوف نذكر هذه الموضوعات التي وردت في مخطوطاته تحت العنوان نفسه الذي هو في مصدره، أو وضع عنوان معين يلائمه إنْ لم يُذكر له عنوانٌ في الأصل، فالسيد قد ناقش الموضوع نقاشًا تامًّا في مواضعَ متعددةٍ، وغير تامٍّ في مواضعَ أخرى، ولكنِّي سأذكرها كما وردت.

والموضوعات المخطوطة التي ناقشها السيد في الناسخ والمنسوخ تتطلب تقسيمها على مباحث (ستة) كالآتي:

- الأول: تعريف النسخ.
- الثاني: شروط النسخ.
- الثالث: الآيات التي يُستدل بها على النسخ وتفسيرها.
- الرابع: أدلة القائلين بالنسخ.
- الخامس: أدلة نفي النسخ.
- السادس: العلاقة بين النسخ والبداء.

إنَّ هذا التقسيم لمباحث الفصل يعطي صورة جلية عن رؤية السيد "الشهرستاني" القرآنية لمبحث مهم جدًّا من مباحث علوم القرآن، قد وقع الخلاف فيه بين العلماء في تحديد بعض جوانبه، وخصوصًا في تعيين الآيات المنسوخة وعددها، ولَمَّا كان السيد لم يذكر ما تقدم في كتاب واحدٍ متسلسل الموضوع، بل

ذكره متفرقًا في مخطوطاته، فسأعمل على جمعها أولاً، ثم التأليف بينها بعد ذلك؛ لتتم الوحدة الموضوعية للبحث، ثم تحقيقها إنْ شاء الله تعالى، كما هو منهج الأطروحة في باب التحقيق كله.

**المبحث الأول: تعريف النسخ.**

إنَّ السيد ذكر ما يتعلق بتعريف النسخ من حيث اللغة والاصطلاح، بما هو متعارف بين العلماء، وكما تقدم في كلماتهم، وسأذكر ما ورد في مخطوطاته "قدس سره"، لبيان رأيه في ذلك.

- النسخ (لغةً):

قال [١]: ((تَحَوُّلُ إبدالٍ لا بشرطِ الإبطالِ، كقولهم: نسختُ الكتابَ إذا نقلتُ صورتَهُ، فهناكَ ناسخٌ ومنسوخٌ بدونِ إبطالٍ، وقد يصدقُ مع إبطالِ الصورةِ السالفةِ كقولهم: نسختِ الشمسُ الظلَّ، إي حوَّلَتْهُ بتبديلٍ بوضعهِ، أو محوهِ وإبطالهِ، ومنه قولهم: تناسخُ الأرواحِ، أو تناسخُ المواريثِ)). [٢]

- النسخ (اصطلاحًا):

قال [٣]: ((تبديلُ حكمٍ بحكمٍ في آيةٍ أو روايةٍ [٤]، فيكونُ الأولُ منسوخًا والبدلُ ناسخًا، وهذا الناسخُ والمنسوخُ بمعنى إثباتِ حكمٍ بإبدالٍ وإبطالٍ ثابتٍ في [القرآن أو] السنةِ النبويةِ وأحاديثِها المرويةِ)). [٥]

---

(١) مخطوط تنزيه التنزيل: ٩٧ تحت عنوان (النسخ في القرآن) ، مخطوط القرآن إمام الكل: ٥٥ تحت عنوان (النسخ والدلائل ضده)، معجم الفقيه: ٣٢٦ تحت عنوان (معنى النسخ وحقيقته)

(٢) ينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة (نسخ).

(٣) مخطوط القرآن إمام الكل: ٥٥ تحت عنوان (النسخ والدلائل ضده) ، مخطوط معجم الفقيه: ٣٢٥

(٤) إنَّ في هذا إشارة عامة إلى النسخ، وهو يشمل نسخ القرآن بالقرآن، أو نسخ الرواية بالرواية، أو نسخ القرآن بالرواية.

(٥) ينظر: المحقق الحلي: معارج الأصول: ١٦١ وغيره

وقال بعد ذلك: ((ولا محذور فيه [النسخ]، لكنما القائلون بوجود آياتٍ في الـذكرِ الحكيمِ منسوخةِ الحكمِ باقيةِ اللفظِ ذهبوا شططًا، وٱرتؤا غلطًا؛ إذ قاسـوا كتابَنـا السماويَّ الخالدَ على كتبٍ سماويةٍ بائدةٍ منسوخةٍ أو منسية، أي: منقرضة)). [١]

إنَّ ما تقدم من تعريف النسخ لغةً وٱصطلاحًا هو ما تضمَّنته مخطوطـات السيد "الشهرستاني"، ولكنه في ٱلتفاتة لم يذكرها العلماء من قبل يقسم النسخ على نوعين، ويطلق عليهما (النسخ الشرعي، والنسخ الطبيعي)، ويبيِّنُ أنَّ أحدهما يمكن أنْ يطلق على النسخ المعهود بين العلماء، من دون الآخر.

فيقول [٢]: ((لا بُدَّ من توضيحِ النسخِ بحدودِهِ وقيودِهِ، وبالأقسامِ والأحكامِ. فأولُ ما نبيِّنُ تمهيدًا للمطلوبِ أنَّ النسخَ في ظاهرِ البيانِ منقسمٌ إلى شرعيٍّ وطبيعـيٍّ، أمـا الشرعيُّ: فهو عبارةٌ عن إبطالِ حكمٍ ثابتٍ بحكمٍ آخرٍ مثلِهِ، أو خيرٍ منهُ يَحِلّ ُ مَحَلَّهُ، ويجعلُ الأولَ كأنْ لم يكنْ، مع ٱستعدادِ الأولِ للبقـاءِ في ظـاهرِ الحالِ،كنـسخِ "عيسى" عيدِ السبتِ المقرَّرِ في "التـوراةِ"، وتبديلِـهِ بعيـدِ الأحـدِ في شريعـةِ "الإنجيلِ"، فهذا نسخٌ شرعيٌّ بأجلى معانيهِ.

وهناكَ قسمٌ آخرُ يحتسبُهُ الناسُ نسخًا وليسَ به، وحَرِيٌّ بأنْ يُسَمَّى نسخًا طبيعيًّا، مثلُ نسخِ تحريمِ القرابينَ في الإسلامِ في الحديثِ المُتَّفَقِ عليهِ أنَّ النبيَّ (صلى الله عليـه وآله وسلم) قال: ((قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ أَلَا فَزُرُوهَا، وَكُنْتُ قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْ أَكْلِ الأَضَاحِي أَلا فَأْكُلُوهَا)) [٣]، وقد أورده الشيخ "الطوسي" المتـوفى سـنة

(١) مخطوط القرآن إمام الكل: ٥٥

(٢) مخطووط معجم الفقيه: ٣٢٥ تحت عنوان (نسخان شرعي وطبيعي).

(٣) مسلم النيسابوري: الجامع الصحيح ٦٥/٣ ، الحر العاملي: وسائل الـشيعة ١٧٠/١٤ باب (جواز أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام) الحديث ٧

(٤٦٠هـ) في كتابه "عدة الأصول" واستدلَّ به كغيرهِ على وقوعِ النسخِ في رواياتِ الشريعةِ [١]، ولو تأمَّلنا فيهِ لَاتَّضَحَ لنا أنَّ نبيَّ الإسلامِ في بدايةِ أمرهِ نهى، وحَقٌّ لَهُ أنْ ينهي عن زيارةِ القبورِ، وأكلِ لحومِ القرابينَ؛ لأنَّ القبورَ في بدايةِ الإسلامِ بأكثريتِها الساحقةِ كانت قبورَ الكُفَّارِ والمشركينَ ولا تجوزُ زيارتُها، كما أنَّ لحومَ القرابينَ آنذاكَ كانَتْ بأغلبيتِها الساحقةِ من أضاحي الكفارِ الفاقدةِ للشروطِ الإسلاميةِ وكانتْ قرابينُ المشركينَ لأصنامِهم، أما بعدَ [٢] تكاثُرِ المسلمينَ، وسحقِهِم للوثنيينَ، فقد صارَتْ قبورُ المؤمنينَ كثيرةً، وشهداؤُهُمْ كذلكَ وهُمْ يستحقُّونَ الزيارةَ، ومثوباتِ الآخرةِ، وصَحَّ للنبيِّ أنْ يأمُرَ بزيارةِ القبورِ، كما صَحَّ له أنْ يأمُرَ بأكلِ لحومِ الأضاحي، وهي آنذاكَ من المسلمينَ، وجامعَةٌ لشروطِ الدينِ [٣]، فليس هذا نسخًا لحكمٍ باقٍ، ومُسْتَعِدٍّ للبقاءِ، بل هو انتساخٌ من طبيعتِهِ، وانتهاءٌ لأمَدِ مصلحتِهِ أو مفسدتِهِ، فهو كزوالِ شيءٍ بزوالِ عِلَّتِهِ، وبطلانِ حكمٍ ببطلانِ غايتِهِ؛ ولذلكَ سَمَّيناهُ نسخًا طبيعيًّا، وإنْ كانَ في الظاهرِ نسخًا شرعيًّا، وعندي أَنَّ كُلَّ الموارِدِ، أو جُلَّ الموارِدِ في النسخِ الواردِ في شرعِ الإسلامِ هو من هذا القبيلِ)). [٤]

---

وذكر "ابن حازم الهمذاني" روايات أربعة استدلَّ بها على أنَّ حكم منع زيارة القبور قد نُسِخَ من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ينظر: محمد بن موسى: الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار، (مط دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط٢، ١٣٥٩هـ): ١٣٠-١٣١

(١) ٤٩٢/٢

(٢) في الأصل: أما بعد أن.

(٣) إنَّ هذا تفسير مهم جدًّا في توجيه الحديث، يدلُّ على العمق والدقة في فهم التشريع الإسلامي وتأريخه.

(٤) إنَّ الباحث بعد اطلاعه على المؤلفات المتعددة للناسخ والمنسوخ لم يَرَ أحدًا من العلماء قد قسم النسخ مثل هذا التقسيم، ولا نعلم ما العلة التي يتوخَّاها السيد

**المبحث الثاني: شروط النسخ.**

إنَّ السيد ذكر شروطًا يجب توافرها ليتم النسخ ويتحقق، وهي خلاصة ما تقدمت من شروط ذكرها الأعلام في مؤلفاتهم [١]، ولكنه زاد إليها ما يراها مهمة وواجبة للقائلين بوجود النسخ في القرآن الكريم، فقد ذكرها في هذا المورد بعد بيانه لحقيقة النسخ، علمًا أنه قد ذكر ما يتعلق بهذه الشروط في مصدرين تختلف بعضها عن الأخرى، وسأذكرها جميعًا.

- أولاً: قال [٢]: ((حريٌّ بنا توضيحَ حدودِ النسخِ الشرعيِّ وقيودِهِ المعتبرةِ عند المحققينَ من الأصوليينَ والفقهاءِ، وهي بضعةُ شروطٍ منها:

١- أنْ يكونَ المنسوخُ أمرًا شرعيًّا لا من جملةِ الأمورِ الأخلاقيةِ والفنيةِ وأمثالِهما، مما لا يستندُ تبديلَهُ أو تسجيلَهُ إلى الشرعِ.

٢- أنْ يكونَ المنسوخُ غيرَ الحاجاتِ الضروريةِ التي يضطرُّ إليها [٣] الإنسانُ غالبًا، فلا يتعلقُ النسخُ بإباحةِ السفرِ، أو التجارةِ، أو الأكلِ والشربِ بصورةٍ مطلقةٍ.

٣- أنْ يكونَ مصدرُ النسخِ هو المشرِّعُ للشريعةِ، فإذا نهى غيرهُ ولو من فقهاءِ الأمةِ

---

"الشهرستاني" من هذا التقسيم، فالنسخ الطبيعي كما ذكره إنما كان بتوجيه من المشَرِّع أيضًا كما هو ظاهر من الرواية، ولو لم يكن منه فهو اجتهاد ممن يقوم بتبديل حكم الواقعة.

(١) وقد تم ذكرها في باب الدراسة، الفصل الثاني، المبحث الأول: ٧٤-٧٥

(٢) مخطوط معجم الفقيه: ٣٢٥- ٣٢٦ تحت عنوان (النسخ الشرعي حدوده وقيوده).

(٣) في الأصل: إليه.

المطاعينَ، فلا يُسمى نسخًا بل يُعرف بـ(الفتوى والحكم والقضاء) [١] ونحوها.

٤- أنْ يكونَ الناسخُ والمنسوخُ في ضِدِّينَ لا يجتمعانِ في زمانٍ ومكانٍ، أما إذا جازَ ٱجتماعهما فلا يُسمى نسخًا كالمطلقِ والمقيدِ، والدائمِ والمؤقت، والحكم الاختياري أو الاضطراري.

٥- أنْ يكونَ الناسخُ متأخرًا لزمانٍ عن المنسوخِ، لا في وقتٍ واحدٍ إذ يستلزمُ التناقضُ، ولا يكونَ الناسخُ متقدمًا على المنسوخِ ويلزمُ الخُلف.

٦- أنْ يكونَ نسخُ السابقِ ببدلٍ في اللاحقِ، فقد قرأنا أنَّ المنسوخَ لا ببدلٍ لا يكونُ نسخًا، بل ٱنتهاءٌ لأمدِ الحكمِ.

٧- أنْ يكونَ تأريخُ النسخِ قبلَ وفاةِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله) المشرِّعِ لهذا الدينِ، وأما إذا تحققَ النسخُ من بعد وفاتِهِ فلا يُسمع ولو كان ممن كان.

٨- أنْ يكونَ مصدرُ الناسخِ في القوةِ والوثوقِ مثلَ المنسوخِ أو أكثر منه، ولذلك قال الشافعي: أنْ لا يُنْسَخُ الكتابُ بالسنةِ [٢] ولا السنةِ المتواترةِ؛ لعدمِ التكافؤ بين المتطاردَيْنِ. [٣]

---

(١) الفتوى: الجواب عما يشكل من المسائل الشرعية. أو رأي الفقيه في المسائل الشرعية، الذي ٱستنبطه من أدلته. فتح الله، أحمد: معجم ألفاظ الفقه الجعفري، (مط المدوخل، الدمام، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م): ٣١٥

الحكم: هو أمر يفتي به الفقيه، ويلزم به مقلديه وغير مقلديه، وهو أعم من الفتوى. المصدر نفسه: ١٦٦

القضاء: إصدار الحكم، والفصل في القضايا. المصدر نفسه: ٣٣٦

(٢) في الأصل: وحتى ولا السنة المتواترة.

(٣) لقد نقل "الغزالي"هذا الرأي عن "الشافعي"، ولم نحصل على ذلك في مؤلفات "الشافعي". ينظر: الغزالي: المستصفى في أصول الفقه ١/١٠٠

٩- أنْ لا يتكررَ النسخُ إلى حَدٍّ يوهِمُ التلاعبَ بالمصالحِ العامـةِ في الـشريعةِ، أو تزولَ ثقةُ المتشرعينَ من صاحبِ الشريعةِ.

١٠- أنْ يكونَ الناسخُ والمنسوخُ أَمْرَيْنِ حقيقينِ جِدِّيَّيْنِ لا ٱنتحاليينِ صوريينِ، كأمرِ إبراهيمَ بذبحِ إسماعيلَ ثم نُسِخَ ذلكَ بالفداءِ، فليسَ هذا نسخاً في الحقيقـةِ، بـل عدولٌ من حصولِ الغايةِ، وهذا جوابُ مَنْ أَكْثَرَ مواردَ النسخِ [١])).

- ثانيًا: قال [٢]: ((ٱتفقَ الأصوليونَ من الشيعةِ، والمعتزلةِ، والزيديـةِ، والأشـاعرةِ ظاهرًا على أنَّ النسخَ في ٱصطلاحِهِم خلافُ الأصلِ والظاهرِ [٣]، ومعناهُ رَفْعُ حُكْمِ السابقِ بدليلٍ لاحقٍ لولاهُ لثبتَ الأولُ، وشروطُ البناءِ على النسخِ عشرةٌ، لَخَّصْناها من كتاب "عدة الأصول" [٤] لـ"أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي" المتوفى سنة (٤٦٠هـ) شيخِ الطائفةِ الشيعيةِ الإماميةِ، ومن كتابِ "إظهار الحق" [٥] "للمولـوي" رحمه الله شيخِ طوائفِ الهندِ السنيينَ:

---

(١) إنَّ السيد يوجه كلامه للعلماء القائلين بالنسخ، ولا سيَّما مَنْ قال بوجـود المنـسوخ في القرآن كثيرًا إنَّ هذه هي الشروط التي يجب توافرها في النسخ، فهل تحققت في الآيـات التي تقولون بنسخها؟

(٢) مخطوط القرآن إمام الكل: ٦٣

(٣) هناك نقاش بين الأصوليين في مصطلح النسخ وأنه مطابق للأصل أو مخالف لـه، قـال "الشيخ الطوسي": ((وذهب أبو هاشم [الجبائي وهو من المعتزلة وغيره] إلى أنَّه حقيقة في الإزالة، مجاز في النقل، قال: لأنَّ من نسخ الكتاب لم ينقل ما فيه ، وإنما أثبت مثله، فلمَّـا كان كذلك فيجب أنْ يكون مجازًا، والأولى أنْ يُقال: إنَّهُ حقيقة فيهما؛ لأنَّا وجـدنا أهـل اللغة يستعملون ذلك ....)) للتفصيل ينظر: الطوسي: العدة في الأصول ٢/٤٨٥-٤٨٦ ، المحقق الحلي: معارج الأصول: ١٦١

(٤) ينظر ٢/٤٨٧-٤٩١

(٥) ينظر ٣/٦٤٣-٦٤٥

١ – أنْ لا يكونَ الحكمُ عقليًّا فلسفيًّا، أو لغويًّا كأصولِ العقائدِ، وأحكامِ الأجسامِ، أو النحوِ ونحوِهِ، ولا من قبيلِ القصصِ، والتواريخِ، والمواعظِ، والأخلاقِ، فهذهِ أمورٌ لا يطرأُ عليها الناسخُ والمنسوخُ، وأنْ لا يكونَ موردٌ من المسائلِ الحسِّيَّةِ، والعوارضِ النفسيةِ، ولا الأدعيةِ.

٢ – أنْ يكونَ موردُ النسخِ من الأحكامِ الشرعيةِ الفرعيةِ العمليةِ.

٣ – أنْ لا يكونَ ثابتُ الاقتضاءِ، مُتَّصِفًا بالخُلودِ والأُبودِ [١] معنىً [٢]، أو لفظًا فالأبديُّ معنىً كالقضاءِ العادلِ، والنهيِ عن الظلمِ والجورِ، والأبديُّ لفظًا كآية: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ [٣] فإنَّ نسخَهُ يؤدي إلى التناقُضِ.

٤ – أنْ لا يكونَ محدودَ المدى [٤] والمدةِ معنىً أو لفظًا، أما المحدودُ المعنويُّ فكقوله [تعالى]: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [٥]، فإنَّ هذا الحكمَ محدودٌ باليتيمِ وينتفي بذاتِهِ عندَ الرشدِ، وأما المحدودُ لفظًا فكآيةِ: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ [٦] [فإنَّ] نكاحَ المؤمناتِ بعدَ الكفرِ فلا يُعَدُّ [٧] من بابِ النسخِ، ومن هذا القبيلِ آيةِ: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ [٨]، فإذا أتى أمرُ اللهِ بحربِ المنافقينَ لا يُعَدُّ ناسخًا.

---

(١) الأبود جمع الأبد، أي: الدهر، ويجمع آباد كذلك. المعجم الوسيط (الأبد).

(٢) في الأصل: معنا.

(٣) سورة النور: الآية ٤

(٤) في الأصل: المدا.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٥٢

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٢١

(٧) في الأصل: فلا تعد.

(٨) سورة البقرة: الآية ١٠٩

٥- أنْ لا يكونَ محدودًا بالزمانِ والمكانِ، كصومِ شهرِ رمضانَ، وحرمةِ الصيدِ في الحرمِ، فإنَّ تَبَدُّلَ الحكمِ خارجِ شهرِ رمضانَ، وخارجِ الحرمِ لا يُعَدُّ نسخًا.

٦- أنْ يكونَ المُكَلَّفُ فيهِ مُتَّحِدًا، فلو جاءَ حكمٌ في المؤمنينَ ثم جاءَ نقيضُهُ في الكافرينَ، لم يَكُنْ من بابِ النسخِ، والمقصودُ من المكلفِ متعلِّقُ الحكمِ وموضوعُهُ.

٧- ... [١]

٨- أنْ يكونَ وجهُ الحكمِ في المَقامَيْنِ [٢] مُتَّحِدًا فإذا جاءَ أمرٌ بعنوانِ الاستحبابِ، ثم جاءَ جوازُ تركِهِ، لم يَكُنْ هذا ناسخًا بذاكَ.

٩- أنْ لا يكونَ الجمعُ بينَ هذا وذاكَ ميسورًا، فلو جازَ الجمعُ بينهُما بحملِ العامِّ [٣] على الخاصِّ، أو المُطْلَقِ على المُقَيَّدِ، أو غيرِ ذلكَ لم يَكُنْ من بابِ النسخِ، الذي هو رَفْعُ حُكْمٍ سابقٍ بدليلٍ لاحقٍ لولاهُ لَثَبُتَ.

١٠- أنْ يكونَ المنسوخُ عُمِلَ بِهِ ولو مَرَّة [٤] بِهِ، وأما إذا لم يُعْمَلْ بِهِ ثم جاءَ ناسِخُهُ عُدَّ من بابِ البداءِ لا النسخِ، ولم ينطبقْ عليهِ الرفعُ، بل هو دَفْعٌ. [٥]

وفي هذا نظر. [٦]

---

(١) فراغ في الأصل.

(٢) أي الناسخ والمنسوخ.

(٣) في الأصل: العامة.

(٤) في الأصل: مرت.

(٥) وهذا بيان مهم في التفريق بين النسخ والبداء في مجال التطبيق، وسيتم بيان ما يتعلق بالبداء في المبحث السادس: ٢٦٥-٢٦٨

(٦) قطع في الأصل. والنظر يشمل جميع النقاط، وليس العاشرة؛ لأنه يرجح عدم النسخ في القرآن.

**المبحث الثالث: الآيات التي يُستدل بها على النسخ وتفسيرها.**

إنَّ السيد ذكر في مخطوطاته الآيات المباركات التي يمكن أنْ تكون محور الحديث عن الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، وهي آيات متعددة معلومة، قد ذكرها العلماء والمفسرون في مؤلفاتهم، ولكنه يرى أنَّ هذه الآيات لا يمكن أنْ تكون دليلاً على الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى، وسوف نذكر هذه الآيات على وفق تسلسلها في القرآن الكريم، ثم نذكر تفسيره لبعض هذه الآيات.

قال [١]: آيات النسخ والتبديل [٢]:

١- قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. [٣]

٢- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾. [٤]

٣- قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾. [٥]

---

(١) مخطوط معجم الفقيه: ٣٢٢- ٣٢٦ تحت عنوان (النسخ في القرآن: آيات النسخ والتبديل).

(٢) إنَّ السيد قد ذكر تحت هذا العنوان الآيات الشريفة التي ورد فيها لفظ النسخ، أو التبديل، وإنْ كان أغلبها لا علاقة له بالنسخ في القرآن الكريم، وإنما أراد حصر الآيات التي يمكن دراستها في هذا الموضوع.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٦

(٤) سورة الأنعام: الآية ٣٤

(٥) سورة الأنعام: الآية ١١٥

٤- قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾. (١)

٥- قال تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾. (٢)

٦- قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾. (٣)

٧- قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾. (٤)

٨- قال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾. (٥)

وأما في بيان مناقشة الآيات التي يمكن الاستدلال بها على وجود النسخ في القرآن الكريم من العلماء القائلين بالنسخ، فلم يذكر السيد في تفسيراته أنَّ المراد من الآيات المباركة هو النسخ، بل وُجِّهَت بتوجيهات يرى أنها الأوفق لفهم النص القرآني، وبما يوافق ما يراه من عدم وجود نسخ في القرآن.

---

(١) سورة يونس: الآيتان ١٥- ١٦

(٢) سورة يونس: الآية ٦٤

(٣) سورة النحل: الآيات ١٠١-١٠٣

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٦٢

(٥) سورة ق: الآية ٢٩

– أولاً: قال [١]: ((أعلم أنَّ النسخَ بالمعنى الذي فَصَّلناهُ وشرحناهُ [٢] لا خلافَ عندَ أهلِ العلمِ في شذوذِهِ، وأنَّهُ أمرٌ ٱستثنائيٌّ غيرُ طبيعيٍّ، أو بعبارةٍ أخرى وتعبيرٍ أحرى أنَّهُ خلافُ الأصلِ، ومخالفٌ للظاهِرِ، فلا تقبله العقولُ إلا بدليلٍ جليٍّ، وشاهدٍ قويٍّ، [فـ]الأصلُ عدمُ النسخِ، غير إنَّ الآياتِ القرآنيةَ يشيرُ بعضُها إلى لفظِ النسخِ وإنْ كانَ مغايرًا معناهُ، ويشيرُ بعضُها إلى معنى النسخِ ولو يغايرُهُ اللفظُ، مثال الأول [قوله تعالى:] ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٣]، ومن أمثلةِ الثاني [قوله تعالى:] ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [٤]، وقد ذهبَ أكثرُ العلماءِ من الظاهريينَ [٥] وغيرِهم إلى أنَ هذهِ الآياتِ ناظرةٌ إلى تحقيقِ النسخِ في أحكامِ اللهِ، حتى التي سُجِّلَتْ في كتابهِ الكريمِ. [٦]

(١) مخطوط القرآن إمام الكل: ٤٢–٤٧ فصل (مدرك النسخ وشرحه الغامض).

(٢) يقصد ما تم بيانه في تعريفه للنسخ كما تقدم في المبحث الأول: ٢٢٩

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٦

(٤) سورة الرعد: الآية ٣٩

(٥) أي يقصد العلماء أو المفسرين الذين يأخذون بظاهر اللفظ مطلقًا من غير تحقيق وتدقيق في ألفاظ القرآن الكريم، وهذا تعبير غير دقيق على العلماء، فإنَّ كبار العلماء والمفسرين أشاروا إلى الآية الشريفة وٱختصاصها بالنسخ. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٣٩٣/١ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٢٠١/١ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤٨/٦

(٦) أي كذلك الآيات التي هي منسوخة في رأيهم فهي مكتوبة في القرآن الكريم، مع عدم الفائدة منها على فرض نسخها.

أما نحنُ معاشرُ المُتَأَمِّلِينَ والمُتَحَقِّقِينَ [١] فالراجحُ عندَنا أنَّ الآيةَ الأولى لا تنصُّ على ما يريدُهُ النسخيُّونَ من نسخِهم، فالآية: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [٢] واقعةٌ في سياقِ آياتٍ تشيرُ إلى شؤونِ الكافرينَ، وفي سياقِ آيةِ: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلَا المُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [٣]، وهذا أمرٌ يُعِينُ جدًّا على فهمِ المرادِ، وأنَّهُ لا يخلو من أحدِ وجهينِ وجيهين:

– الوجه الأول: إنَّ المرادَ من الآيةِ [٤] النعمةَ الربانيةَ، والحكمةَ الإلهيةَ في خلقِهِ، وكثيرٌ في القرآنِ الحكيمِ ورودُ لفظِ الآيةِ بمعنى النعمةِ والرحمةِ، كقولهِ سبحانَهُ في سورةِ الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [٥]، ثم عَدَّ من آياتِهِ ٱختلافَ ألسنتِنا وألوانِنا، [قال تعالى:] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٦] التي هي بمعنى النعمةِ، وفي موردِ الرحمةِ، بناءً على هذا تكونُ معنى الآيةِ المبحوثِ عنها:

---

(١) في الأصل: متأملين المتحققين.

(٢) في الأصل: فالآية (ما ننسخ من آية أو ننسها الخ) هي المتممة للمائة في سورة البقرة وواقعة في سياق ...

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٥

(٤) في الأصل: إنَّ المراد من آية النعمة الربانية.

(٥) سورة الروم: الآية ٢١

(٦) سورة الروم: الآية ٤٦

إنَّ اللهَ لا ينسخُ نعمةً من نعمٍ إلا أنْ يأتيَ للإنسانِ بنعمةٍ أخرى خيرٌ من الأولى [١]، أو مثلُ الأولى، كما قالَ الشاعرُ الفارسيُّ:

خدا گر زحكمت ببندد درى  زرحمت گشايد در ديگرى [٢]

فأينَ هذا المعنى الوجيهُ من معنى النسخيينَ، وتأويلِهم. [٣]

وسياقُ الآيةِ السالفةِ يؤيِّدُ هذا التفسيرِ: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلَا المُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ دليلٌ على أنَّ المرادَ من الآيةِ النعمةَ والرحمةَ. [٤]

– الوجه الثاني: من الوَجْهَيْنِ الوَجِيهَيْنِ عندَنا حسبَ ما تبادرَ إلى فهمِنا الخالصِ من الشوائبِ أنْ تكونَ الآيةُ ناظرةً إلى آياتِ أحكامِ التوراةِ والإنجيلِ وشرائعَ سالفةٍ وسابقةٍ على الإسلامِ، ويؤيِّدُ ذلكَ ورودُ هذهِ في سياقِ آياتٍ تشيرُ إلى أحوالِ أهلِ الكتابِ، فيكونُ المرادُ: إنَّ اللهَ سبحانَهُ لا ينسخُ آيةً حُكْمِيَّةً، أي: لا يُبطلُ مدلولَ آيةٍ

(١) في الأصل: الأول.

(٢) ومعناه: إذا اقتضت الحكمة الإلهية أنْ يسد الله تعالى بابًا على العبد، فالرحمة الإلهية تقتضي أنْ يفتح له بابًا أخرى. والمعنى الإجمالي المقصود: إنَّ الله لا يعمل للعبد شيئًا إلا عن صلاح.

(٣) إنَّ هذا القول لا يخالف ما يذهب إليه القائلون بالنسخ، فالحكمة هي أساس التشريع.

(٤) لم يذهب المفسرون إلى هذا المعنى وما ورد من توجيه للآية الشريفة. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٣٩٣/١ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٢٠١/١ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠٥/١-١٠٧ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٦٤٠/٣-٦٤١

وقد نسب مثل هذا القول إجمالاً إلى "أبي مسلم الأصفهاني" كما ذكره "الطبرسي" في تفسيره: ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٣٩/١

من التوراةِ، أو الإنجيلِ في شريعةِ "موسى" و"عيسى" إلا ويقرِّرُ بحكمتِهِ آيةً حُكْمِيَّةً أُخرى في شريعةِ محمدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم)، تفوقُ الآيةَ المنسوخةَ في المصلحةِ، أو تكونُ مثلها في قبولِ العامةِ. (١)

والفرقُ بينَ هذا الوجهِ (٢) وبينَ الأولِ السابقِ عليهِ، أنَّ الأولَ يُفَسِّرُ النسخَ بالتبديلِ، ويُفَسِّرُ الآيةَ بمعناها اللغويِّ، بينما الوجهُ الثاني يوافِقُ جماعَةَ النسخيينَ في معنى الآيةِ اصطلاحًا، كما يوافقُهُم في معنى النسخِ.

- [الوجه الثالث]: وهنا وجهٌ ثالثٌ لتفسيرِ آيةِ النسخِ يخالفهُ أيضًا ما يريدهُ النسخيونَ وهو أنَّ تفسيرَ الآيةِ بمعنى المعجزةِ، أو الحكمةِ الغريبةِ (٣) التي يُبديها ربُّ البشرِ على أيدي رُسُلِهِ لهدايةِ الناسِ، على غِرارِ قولهِ سبحانهُ في سورةِ "الروم": ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (٤)، [وقوله تعالى:] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ

(١) لم يذهب إلى هذا المعنى المفسرون وما ورد من توجيه للآية الشريفة. ينظر: المصادر التفسيرية السابقة.

(٢) في الأصل: والفرق بين هذا الوجه والوجه الثاني وبين الأول.

(٣) لم يذهب إلى هذا المعنى المفسرون فيما ورد من توجيه للآية الشريفة. فالآية هي العلامة، والإمارة، والعبرة وغيرها. المعجم الوسيط (الآية) ، ولكن قال الشيخ "ناصر مكارم الشيرازي" في تفسيره بعد بيانه لمعاني لفظ (الآية) في القرآن الكريم: ((وتكون بمعنى المعجزة كما في قوله تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ [سوة طه: الآية ٢٢] والمعنى المشترك بين كل هذه المعاني هو "العلامة")). الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م) ٢٣٨/١

(٤) سورة الروم: الآية ٢٥

تَنْتَشِرُونَ﴾ [١]، و[قوله تعالى] في سورة الشورى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [٢]، وتجدُ القرآنَ الكريمَ في هذهِ الآياتِ يستعملُ لفظَ الآيةِ في معنى الحكمةِ الغريبةِ، كما أنَّ القرآنَ قد أستعملَ في الآياتِ السوالفِ [٣] لفظَ الآيةِ في غرائبِ النعمةِ، وشواهدِ الرحمةِ، وكُلُّ هذهِ الاستعمالاتِ تخالفُ [٤] ما أرادهُ النسخيونَ من تفسيرِ الآيةِ بمعنى ألفاظِ الوحيِ الدالةِ على أحكامٍ شرعيةٍ تقبلُ التبديلَ والإبطالَ، فإذا كانت المعاني الثلاث التي جنحنا إليها في تفسيرِ الآيةِ موافقةً لنا، ومخالفَةً لجماعةِ النسخيينَ كانَتْ تفاسيرُنا أرجحَ من تفسيرِ النسخيينَ، وفي نفسِ الوقتِ نجدُ رأيَ النسخيينَ مخالفًا لحجةِ العقل، ومخالفًا الحقَّ، ومخالفًا لظواهرِ القرآنِ الكريمِ؛ لذلكَ يتعيَّنُ العدولُ عن رأيِ النسخيينَ إلى رأينا المقبولِ عندَ ذوي العقولِ)).

– ثانيًا: قال [٥] لنا أجوبة عن هذا الاعتراض:

---

(١) سورة الروم: الآية ٢٠

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٩

(٣) أي الشواهد أو الدلائل الماضية والمتقدمة، فالسَّوالِف جمع السَّالِفة أي الأمم الماضية أمام الغابرة أو المتقدمة. ٱبن منظور: لسان العرب مادة (سلف).

(٤) في الأصل: يخالف.

(٥) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط الدلائل والمسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة) ٣٢٩/٤ وهو جواب لسؤال نصه: ((يجعل القرآن بدل المنسوخ مثله أو خيرًا منه كما قال: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ في حين أنَّ الآية التي تأتي ناسخة لا بد وأنْ تكون خيرًا من المنسوخة؛ إذ لو كانت الناسخة مثل المنسوخة لزم من ذلك العبث واللغو، وكان الأحرى أنْ لا ينسخ الله شيئًا بإيجاد مثله)).

– أولاً [١]: ٱحتمالُ كَوْنِ الآيةِ بمعنى المعجزةِ [٢]، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [٣]، فانقضاءُ معجزةٍ لأحدِ الرسلِ بالمحوِ والنسيانِ، يستدعي لهدايةِ الناسِ إتيانَ خيرٍ منها، أو مثلِها على الأقل.

– ثانيًا: ٱحتمالُ كَوْنِ الآيةِ بمعنى النعمةِ، وهذا كالوجهِ الأولِ لا يستلزمُ اللغوَ.

– ثالثًا: إنَّ الآيةَ بمعنى جملةٍ من الوحيِ، تشتملُ على حُكْمٍ إلهِيٍّ، ونسخُ الآيةِ بناءً على هذا قد يكونُ بسببِ ٱنتهاءِ المُقتضي، أي: مصلحةٌ في ذلكَ الحُكْمِ، فيجدرُ الإتيانُ بمثلِهِ بدلاً عَنْهُ، وقد يكونُ نسخُها بسببِ وجودِ مانعٍ قويٍّ، فيجدرُ الإتيانُ بما هو خيرٌ منها، وأقوى.

– رابعًا: إنَّ النسخَ قد يكونُ في آيةٍ، أي: محوها، وقد يكونُ بنسيانِ الآيةِ فيأتي اللهُ بخيرٍ منها إذا وقعَ نسخًا، ويأتي اللهُ بمثلِها إذا وقعَ نسيانًا، والنسيانُ مَحْوُ صورةٍ ذهنيَّةٍ تستدعي بدلَها، وبعبارةٍ أخرى إنَّ في الآيةِ مَوْضُوعَيْنِ وحُكْمَيْنِ: فموضوعُ النسخِ حُكْمُهُ الإتيانُ بخيرٍ منهُ، وموضوعُ النسيانِ إتيانُ مثلِهِ.

– خامسًا: ... [٤]

– ثالثًا: قال [٥]: ((لسياقِ الآيةِ تأثيرٌ عاديٌّ على دلالةِ الآيةِ أشرنا إليهِ في غيرِ موضعٍ من التفسيرِ، وإنْ عُدْتَ إلى الآيةِ السابقةِ أعني [قوله تعالى]: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلَا المُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ

(١) في الأصل: يخالف.

(٢) لم يذكر المفسرون هذا المعنى للآية الشريفة كما تقدم.

(٣) سورة القمر: الآية ٢

(٤) قطع في الأصل.

(٥) مخطوط القرآن إمام الكل: ٤٢ عنوان (تمام الكلام في آيات النسخ).

بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [١] عرفتَ من سياقِها أنَّ المرادَ من آيةِ: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [٢] حكمٌ شرعيٌّ متعلقٌ بشرائعِ الكتابيينَ وأشباهِهم، وأنَّها تمثلُ صراعًا ونزاعًا بين الوحيِ "المحمديِّ"، والوحيِ "العيسويِّ"، أو "الموسويِّ"، [وقد] كان الكتابيونَ لا يرضونَ أنْ ينزلَ اللهُ بـ[إثر] عهدِ العهدينِ كتابًا على النبيِّ العربيِّ فيبدِّلَ منزلةَ وحيِهم، ومكانةَ شرعِهم، وهذا محسوسٌ من وجوهِ القومِ حتى اليوم [٣]، كما أنَّ المرادَ من الخيرِ [٤] المنزلِ في الآيتينِ هو القرآنُ وآياتُهُ، فلا يُسْتَشْعَرُ من هذهِ الآيةِ أنَّها بصددِ نسخِ آيةٍ قرآنيةٍ لآيةٍ قرآنيةٍ مثلِها [٥]، بل يُسْتَشْعَرُ نسخُ آياتِ القرآنِ لآياتٍ في سائرِ الأديانِ [٦]، كما نوضح ذلك في آية: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾ [٧])).

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٥

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٦

(٣) تعبير لطيف منه بقوله: (حتى اليوم)، فهو يدل على تتبعه لأقوال رجال معتقدات الديانتين اليهودية والمسيحية، ومعرفة وجهة نظرهم تجاه الشرائع الأخرى.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾.

(٥) إنَّ "الفخر الرازي" قد ذهب إلى هذا في تفسيره فيما يتعلق بهذه الآية الشريفة، ولعل السيد قد تأثَّر به والله أعلم. ينظر: التفسير الكبير ٣/٦٣٨-٦٣٩

(٦) لم يذكر المفسرون ذلك كما تقدم.

(٧) سورة الرعد: الآية ٣٩

**المبحث الرابع: أدلة القائلين بالنسخ ومناقشتها.**

لقد ذكر السيد "الشهرستاني" في مخطوطاته بعض أدلة القائلين بالنسخ في القرآن الكريم، وما ٱستدلُّوا به على النسخ في كتاب الله تعالى من آيات وروايات، ثم ناقش ذلك بما يؤيد ما يذهب إليه من نفي النسخ في القرآن الكريم.

– أولاً: قال [١]: ((وأوضحَ ما ٱستدلَّ به النسخيونَ آيةَ القبلةِ وتحويلِها عن بيتِ المقدسِ إلى الكعبةِ والمسجدِ الحرامِ [٢]. نعم، ولكنَّ القرآنَ لم يشرِّعِ ٱستقبالَ بيتِ المقدسِ حتى ينسخَها بالأخرى [٣]، وإنَّما القرآنُ شَرَّعَ ٱستقبالَ الكعبةِ والمسجدِ

(١) مخطوط معجم الفقيه: ٣٢٢

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسْجِدِ الحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾. [سورة البقرة: الآية ١٤٤]
وقد ذكر ذلك المفسرون وكل من أورد الآيات المنسوخة في كتبه أنَّ الآية الشريفة من الآيات الناسخة. ينظر: ٱبن شهاب الزهري: الناسخ والنسوخ في القرآن الكريم: ٥٦ ، النحاس: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: ١٤ ، الشريف المرتضى: الآيات الناسخة والمنسوخة، تح: علي جهاد الحساني، (مؤسسة البلاغ، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م): ٥٧–٥٨ وغيرهم ، قال السيد "الخوئي": ((فقد صَرَّحَ القرآنُ الكريمُ بنسخِ حكمِ التوجُّهِ في الصلاةِ إلى القبلةِ الأولى، وهذا مما لا ريبَ فيه)). البيان في تفسير القرآن: ٣٠١

(٣) إنه يمكن الاستدلال بأنَّ الله تعالى قد شرَّع التوجه إلى بيت المقدس وإنْ لم يذكر لفظ (بيت المقدس) من خلال التأمل في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ للهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. [سورة البقرة: الآية١٤٢]، وسياق الآيات يؤيد ذلك، وقد وردت روايات متعددة بأنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد صلى إلى بيت المقدس مدة طويلة منها: سبعة أشهر،

الحرامِ، فإذا سَمَّينا هذا ناسخًا قرآنيًّا كانَ من قسمِ الناسخِ الذي لا منسوخَ بإزائِهِ في القرآنِ، وكذلكَ آيةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١)

أو تسعة أشهر، أو عشرة أشهر، أو ثلاثة عشر شهرًا، أو ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، بل ورد في الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: تحولت القبلة إلى الكعبة بعد ما صلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة ثلاث عشرة سنة إلى بيت المقدس، وبعد مهاجرته إلى المدينة صلى إلى بيت المقدس سبعة أشهر، ثم وجهه الله إلى الكعبة، وذلك أنَّ اليهود كانوا يعيِّرون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقولون له: أنت تابع لنا تصلي إلى قبلتنا، فاغتمَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من ذلك غَمًّا شديدًا وخرج في جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء ينتظر من الله تعالى في ذلك أمرًا، فلما أصبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد "بني سالم" قد صلى من الظهر ركعتين، فنزل عليه جبرائيل (عليه السلام) فأخذ بعضديه وحَوَّله إلى الكعبة وأنزل عليه: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسْجِدِ الحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ وكان صلى ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة. للتفصيل ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٢/٤ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٢٢٥/١-٢٢٦ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤٢٢/١-٤٢٣ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٩٤/٤-٩٦ ، البحراني: البرهان في تفسير القرآن، تح و تع: لجنة من العلماء والمحققين الأصوليين، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ١٩٩٩م) ٣٤١/١-٣٤٤

(١) سورة المجادلة: الآية ١٢

المزعوم نَسخُها بعدَ أيامٍ قلائِلَ ولم يثبتْ لَهُ ناسخٌ قرآنيٌّ [١]، وقد ٱشترطنا في النسخِ أنْ يكونَ إبطالُ حكمٍ ببدلٍ خيرٍ منه، أو مثله [٢]، فلا يدخلُ فيه [أي: النسخ] ناسخٌ بلا منسوخ، ولا منسوخٌ بلا ناسخٍ، فتأمل.

ومما نحتملُهُ في نسخِ [٣] آيةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ إنَّ كثيرينَ كانوا يتنافسونَ في المبادرةِ إلى النجوى مع النبيِّ؛ ليتوهَّمَ العامَّةُ بأَنَّهُمْ خزانةُ أسرارِ النبيِّ "صلى الله عليه وآله وسلم" فيؤذونَهُ بِبَخَرِ أفواهِهِمْ [٤]، وعفونَةِ أسنانِهِم، ومفثَّةِ لِحَاهُمْ [٥]، وتضييعِ وقتِهِ الثمينِ، وتشويشِ أفكارِ الحاضرينَ، فوضعَ النبيُّ [صلى الله عليه وآله وسلم] على هؤلاءِ ضريبةَ الصدقةِ؛ لينتهوا عن عملِهِم [٦]، فانتهوا وتركوا تلكَ العادةَ، فبانتهاءِ العلةِ ٱنتهى

(١) هذه الآية من الآيات التي ذكرها كل العلماء الذين يذهبون إلى القول بالنسخ في القرآن الكريم، وقد ناقش السيد الخوئي هذه الآية نقاشًا علميًّا دقيقًا. ينظر: البيان في تفسير القرآن: ٣٩٣-٤٠٠

(٢) تقدم بيان شروط النسخ في باب الدراسة، الفصل الثاني، المبحث الأول: ٧٤-٧٥

(٣) يقصد بالنسخ ما أطلق عليه (النسخ الطبيعي)، وليس النسخ المعهود عند العلماء؛ لأنَّ رأيه فيه واضح، وقد صرَّح به.

(٤) البَخَرُ: الرائحة المتغيرة من الفم، وأَبْخَرهُ الشيءُ صَيَّرَه أَبْخَرَ وبَخِرَ أَي نَتُنَ من بَخَرِ الفَم الخبيث. لسان العرب مادة (بخر).

(٥) في الأصل: ومغثة لحاهم. ولعله مفثة أي: الكثرة أو النزول. ٱبن منظور: لسان العرب مادة (فثث)

(٦) إنَّ كُلَّ ما تقدم من الأسباب التي ذكرها السيد في بيان أسباب رفع حكم دفع الصدقة عند المناجاة لم تكن هي الأساس في تغيير الحكم بعد تشريعه، ولم يذكرها المفسرون، بل إنَّ الرحمة والشفقة بالمسلمين هو الغالب في حكمة النسخ كما ذكروه. الطوسي: التبيان في

المعلولُ، ومثله نُسَمِّيهِ في مذهبِنا العلميِّ نسخًا طبيعيًّا، أو ٱنتساخًا بٱنتهاءِ المؤثِّرِ للأثرِ)). [١]

– ثانيًا: قال [٢]: ((تشبَّثَ النسخيونَ بكلامِ الإمامِ عليٍّ "عليه السلام" في إحدى خطبهِ من النهجِ: (كتابُ ربِّكُم فيكُم، مبيِّنًا حلالَهُ وحرامَهُ، وفرائِضَهُ وفضائِلَهُ، وناسِخَهُ ومنسوخَهُ) [٣] وجوابنا عنه:

– أولاً: بأنَّ الناسخَ والمنسوخَ في رأيِ تلميذهِ "عبد الله بن عباس" أنَّهما المحكمُ والمتشابهُ، كما حكى عنه محمدُ بنُ شهرِآشوبٍ في أول كتابه "متشابهات القرآن". [٤]

---

تفسير القرآن ٥٥٢/٩ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٤٩٣/٤ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤١٩/٩

(١) إنَّ ما ذكره السيد لم يذكره المفسرون في تفاسيرهم، ولم يرد في روايات السنة الشريفة، ولا يمكن إطلاق العلة على ما ذكره من أسباب عبَّر عنها بالاحتمال؛ لأنَّ علل التشريع لا يعرفها إلا المشرِّع، أو مَنْ أطلعه عليها بعد بيان منه.

(٢) مخطوط معجم الفقيه: ١٢٦

(٣) في الأصل: إنَّ في القرآنِ ناسخًا ومنسوخًا ... إلخ. ولكن بعد التتبع لا يوجد في نهج البلاغة النص الذي ذكره السيد "الشهرستاني"، وإنما ورد ما أثبتناه في المتن من الخطبة الأولى للنهج ، والتي يذكر فيها ٱبتداء خلق السماء والأرض وخلق "آدم". ينظر: الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، (مط الاستقامة، مصر، د.ط، د.ت) ١٩/١

(٤) متشابه القرآن ومختلفه، تق: السيد هبة الدين الشهرستاني، (مط أمير، قم، ط٣، ١٤١٩هـ) ٢/١ وطبع الكتاب كذلك بعنوان (متشابهات القرآن ومختلفه).

– ثانيًا: إنَّهُ قالَ "عليه السلام": (إنَّ في القرآنِ ناسخًا ومنسوخًا)، ولم يقل: من القرآنِ ناسخٌ ومنسوخٌ، ولا قال: ناسخاتٌ ومنسوخاتٌ [١]، وذلكَ منه إشارةٌ إلى آيةٍ منسوخةٍ من توراةِ "موسى" ذُكِرَتْ في القرآنِ بحكمةِ الامتنانِ وهي قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [٢]، وقد نسخَها القرآنُ بقولهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالعَبْدُ بِالعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٣]، وشاهِدُنا على ذلكَ ما في "رياض المسائل" [٤] في (القولِ في الشرائطِ المعتبرةِ في القصاصِ) [٥] قالَ ما نَصُّهُ: ((وعن[٦] تفسير "علي بن إبراهيم القمي" أنَّ[٧] قوله تعالى: ﴿الحُرُّ بِالحُرِّ وَالعَبْدُ

(١) إنَّ هذا غير دقيق وتام، فكُلٌّ من شرح كتاب "نهج البلاغة" قد ذكر في بيان الخطبة هو اشتمال القرآن على الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وغيرها، ويجب الرجوع في القرآن إلى أهله، فضلاً عن وجود روايات تؤكِّد ذلك، وقد تقدمت بعضها في باب الدراسة، الفصل الثاني، المبحث الأول: ٧٢-٧٣

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٥

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٨

(٤) في الأصل: رياض المسائل في شرح المختصر النافع ج٢ ص ٥٩٦

(٥) في الأصل: في قصاص الأطراف.

(٦) في الأصل: إنَّ في.

(٧) في الأصل: في.

بِالعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى﴾ ناسخٌ [١] لقولهِ تعالى: ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾، وظاهرهُ أَنَّهُ لا يكتفي بالاقتصاصِ منها، ويدلُّ عليهِ المروي في "الوسائل" [٢] عن "المرتضى" في رسالته [٣] "المحكم والمتشابه" [٤] بإسناده عن "علي" (عليه السلام) [في حديث قال][٥]: ومن الناسخِ ما كانَ مثبتًا في التوراةِ من الفرائضِ في القصاصِ، وهو قولهُ تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ﴾ فكانَ الذكرُ والأُنثى والحُرُّ والعبدُ شرعًا، فنسخَ اللهُ تعالى ما في التوراةِ بقولهِ تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالعَبْدُ بِالعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى﴾ [٦]، فنسخَتْ هذهِ الآيةَ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ﴾)). [٧]

(١) في الأصل: ناسخا.

(٢) في الأصل: يؤيده ما في الوسائل. أي كتاب "وسائل الشيعة" للحر العاملي. ينظر: ٨٦/٢٩ باب (حكم الرجل يقتل المرأة، والمرأة تقتل الرجل) الحديث ١٩

(٣) في الأصل: عن الشريف المرتضى في رسالة.

(٤) الشريف المرتضى، علي بن الحسين: رسالة المحكم والمتشابه، تح و تق: السيد عبد الحسين الغريفي (مط الأستانة الرضوية، مشهد، ط٢، ١٤٣٢هـ): ٦٥

(٥) ليس في أصل المخطوط، بل في كتاب "الرياض".

(٦) سورة البقرة: الآية ١٧٨

(٧) الطباطبائي، علي: رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل، تح: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، قم، ١٤٢٢هـ) ٥٩/١٤

**المبحث الخامس: أدلة نفي النسخ.**

إنَّ السيد "الشهرستاني" يرى –كما ذكرنا– عدم وجود أية آية منسوخة في القرآن الكريم، وقد أقام على ذلك أدلة متعددة تؤيد ذلك، يناقش من خلالها أدلة القائلين بالنسخ، ونوردها كما يأتي:

– أولاً: يقول [١]: ((لكنما القائلونَ بوجودِ آياتٍ في الذكرِ الحكيمِ منسوخةِ الحكمِ، باقيةِ اللفظِ ذهبوا شططًا، وٱرتؤا غلطًا؛ إذ قاسوا كتابَنا السماويَّ الخالدَ على كتبٍ سماويةٍ بائدةٍ منسوخةٍ، أو منسيةٍ، أي: منقرضة، بينما شرعُ الإسلامِ خالدٌ بخلودِ البشرِ، وباقٍ ببقاءِ الدنيا، وحلالُ محمدٍ "صلى الله عليه وآله وسلم" حلالٌ إلى يومِ القيامةِ، وحرامُ محمدٍ "صلى الله عليه وآله وسلم" حرامٌ إلى يومِ القيامةِ [٢]، ولنا على ذلكَ أدلةٌ وشواهدُ:

١ – فمنها: إنَّ القرآنَ كتابُ الله الذي لا يأتيهِ الباطلُ من بينِ يديهِ، ولا من خلفهِ، ولو ٱشتملَ على آياتٍ منسوخةِ الحكمِ، غيرِ مقصودةِ المعنى، لانتقصَ هذا المَبْنى، وٱختلَّ ذلكَ المَعْنى. [٣]

---

(١) مخطوط تنزيه التنزيل: ٩٧–١٠٠ تحت عنوان (درس حول النسخ ونفي المنسوخات من القرآن الحكيم بأدلة عشرة). فالسيد قد ذكر أحد عشر دليلاً على نفي النسخ في القرآن، ولكنه ذكر في العنوان أنَّ الأدلة عشرة. وينظر: الشهرستاني: مخطوط الحواصل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة) ١٨٢/٢ ، مخطوط رؤوس الدروس ١٩٥/٢

(٢) الكليني: الكافي ٥٨/١ باب (البدع والرأي والمقائيس) الحديث ١٩

(٣) وهنا قد يرد سؤال مفاده: إذا كان المشرِّع حكيمًا، لا خلاف في حكمته، فلا يكون هناك أي خلل، فهو يرى أنَّ التشريع المعين تحتاجه الأمة إلى مدة معينة؛ لأنَّ أصل التشريع لبناء الأمة وتربيتها، وهذا يحتاج إلى أطوار متعددة، فلا إشكال حينئذ في النسخ، ولا مجال لطروِّ الباطل على الشريعة.

٢- ومنها: إنَّه حُجَّةٌ تامَّةٌ، وهدايَةٌ عامَّةٌ، ولو فَرضنا فيهِ ما لا يُهْتَدى به، ولا يُقْتَدى به، لانتقصَ [١] عن كونِهِ تامًّا، وٱنتقصَ كونَهُ هدًى عامًّا. [٢]

٣- ومنها: إنَّ المنسوخَ بمعنى إبطالِ حُكْمِهِ، [فـ]إذا بقيَ في هذا القرآنِ كانَ بقاؤُهُ لغوًا، وحاشاهُ من اللغوِ، بل فوقَ عدمِ الفائدةِ منه يُستوجِبُ المفسدَةَ لأكثرِ القُرَّاء في إغرائِهم، والإيهامِ والإبهارِ عليهِم، ويُجَلُّ القرآنُ الحكيمُ عن هذه النواقصِ. [٣]

٤- منها: إنَّ النسخَ بهذا المعنى، أي: بإبطالِ المعنى والحكمِ، وإثباتِ اللفظِ والتلاوةِ، ربما جازَ وقوعُهُ في اليهوديةِ والمسيحيةِ، وأديانٍ شُرِّعَتْ لأممٍ خاصَّةٍ في مُدَدٍ مخصوصةٍ، [و]التي ينتهي عمرُها بظهورِ دينٍ أَجَدَّ وأَسَدَّ، أما في مثلِ هذا الدينِ

(١) في الأصل: لئن تقص.

(٢) يرى الباحث خلاف ذلك، بل ليتبيَّنَ للأجيال اللاحقة لعصر النزول عناية الله تعالى الكبيرة بالناس من أجل تربيتها نحو الأصلح تدريجيًّا، وهذا ما أشار إليه "النحاس" إجمالاً في تعريفه للنسخ، وخصوصًا أنَّ تلك الآيات هي قليلة جدًّا بالنسبة للقرآن كله.

(٣) إنَّ هذه المفاسد التي يشير إليها السيد لا مورد لها في الشريعة المقدسة، فضلاً عن أنَّ الحكم المنسوخ ليس باطلاً، وإنما تبدَّل إلى حكم آخر لمصلحة ما، وكلاهما حق، ولكن العمل سيكون بالثاني في هذه المرحلة، وهذا ما يمكن فهمه من كلمات الأعلام في بيان معنى النسخ ٱصطلاحًا، فعلى الرغم من تكرار قوله (النسخ إبطال) في موارد متعددة إلا أننا قد رأيناه يذكر في سطور مخطوطة قوله: ((في آية: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ دلائلُ على أنَّ المرادَ الإبدالُ لا الإبطالُ، بقرينةِ عطفِ ﴿أَوْ نُنْسِها﴾ على النسخِ ....)). مخطوط رؤوس الدروس ١٣١/٢

الباقي، وكتابِهِ الزاهي الخالِدِ فلو جازَ، لم يبقَ ٱمتيازٌ لَهُ، ولِحُلَّةِ خلودِهِ القشيبةِ [١]، ولزمَ أنْ تمسَّهُ يَدُ إصلاحٍ جديدةٍ. [٢]

٥- ومنها: لزمَ تبعيضُ القرآنِ في الحُجِّيَّةِ والقصدِ، والصفاتِ الكماليةِ الأخرى، فتبقى الأبعاضُ المنسوخَةُ على تفسيرِ النسخيينَ خلوةٌ من صفةِ الهدايةِ والإمامةِ، وٱمتيازِ الإعجازِ، وٱستحقاقِ العملِ بها، والاهتداءِ والاقتداءِ و .. و ..

٦- ومنها: إنَّ ذلكَ منافٍ لآياتٍ محكمةٍ كآيةِ: ﴿تَنْزِيلُ ٱلكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ ٱلعَالَمِينَ﴾ [٣] لكثرةِ الارتيابِ الحادثِ من وجودِ المنسوخاتِ فيهِ [٤]، وكآية: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [٥]، فإنَّ المنسوخاتِ لا تستحقُّ ٱنطباقَ هذا الوصفِ الجليلِ الجميلِ.

٧- ومنها: إنَّ وجودَ هذهِ الآياتِ المنسوخةِ يمسُّ بكونِ القرآنِ معجزًا كُلِّهِ، ومشتملاً على الجذبةِ الروحيةِ في كُلِّ آيةٍ آيةٍ، وكذلكَ يمسُّ بقولهِ سبحانه: ﴿قُلْ

(١) القشيب والحُلة الثوب الجديد الذي ٱكتسى به القرآن في كُلِّ زمان، وفيه ٱستعارة لكماله وجماله وما فيه من تجدد.

(٢) قد يرد سؤال أو إشكال على ما ذكره السيد مفاده: لماذا يصح النسخ في الديانتين اليهودية والمسيحية ولا يصح في الشريعة الإسلامية والمشرِّعُ للرسالة واحد، حكيم عليم بمصالح عباده، ولو صح ما يرد على الديانتين لأمكن القول في وقت تشريعاتها أنَّ هذه الأحكام في الحقيقة باطلة؛ لأنها ستنسخ بعد ذلك في شريعة دين جديد، وهذا ناشيء من الخلط بين مصطللحي الإبطال والتبديل وإطلاقهما على النسخ.

(٣) سورة السجدة: الآية ٢

(٤) إنَّ عدد الآيات المنسوخة قليلة جدًّا وقد تم الأشارة إليها في باب الدراسة، الفصل الثاني، المبحث الأول: ٧٧-٧٩

(٥) سورة هود: الآية ١

لَئِنِ ٱجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا ٱلقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (١)، ونحوِها من آياتِ التحدِّي والإعجازِ. (٢)

٨- منها: ينافي ذلكَ حديثَ حبرِ الأمةِ، وتلميذِ أبي الأئمةِ "عبد الله بن عباس" (٣)، وجملةٍ من أئمةِ آلِ محمدٍ [عليهم السلام]، وجماعةٍ من التابعينَ الذينَ فَسَّروا الناسخَ والمنسوخَ بغيرِ ما يراهُ النسخيونَ. (٤)

٩- ومنها: ينافي وجودُ المنسوخِ الزائدِ في القرآنِ ما وردَ من عرضِ الأخبارِ المشكوكِ فيها من السنةِ على كتابِ اللهِ، وإنَّ ما وافقَهُ مقبولٌ، وما خالفَهُ مردودٌ.

١٠- ومنها: ينافي وجودُ المنسوخِ الزائدِ ما جاءَ في خبرِ الثقلينِ، وخطبةِ حجةِ الوداعِ: ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِيَ أَبَدًا)) (٥)، فإنه يَعُمُّ القرآنَ كُلَّهُ، فلا ينبغي إخراجُ شيءٍ غيرِ مقصودٍ منه، فلو كانَ فيه منسوخاتٌ كما يزعمونَ لم يَجُزِ التمسكُ بهنَّ، ولا الاهتداءُ، والاقتداءُ، والاعتصامُ و.. و..

١١- ومنها: إنَّ هذا الرأيَ الفاسخَ في المنسوخِ والناسخِ ينافي الحكمةَ الإلهيةَ، والعصمةَ القرآنيةَ، وما تدلُّ عليه آيةُ: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٨

(٢) إنَّ كُلَّ ما تقدم في هذه الفقرة والخامسة والسادسة قائم على معنى الإبطال والبطلان، لا التبديل.

(٣) وقد تقدم قول "ابن عباس" بأنَّه يفسر الناسخ والمنسوخ بالمحكم والمتشابه: ٢٤٩

(٤) لقد وردت بعض الروايات التي تفسر المحكم والمتشابه بالناسخ والمنسوخ عن "ابن عباس" وغيره. للتفصيل ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦/٧٤-٧٦

(٥) أحمد بن حنبل: مسند أحمد ٣/١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩ ، الحر العاملي: وسائل الشيعة ٢٧/٣٤ باب (تحريم الحكم بغير الكتاب والسنة ووجوب نقض الحكم مع ظهور الخطأ) الحديث ٩

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾ (١)، وآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (٢)، بل وينافي عصمةَ النبيِّ [صلى الله عليه وآله وسلم] من السهوِ والنسيانِ في التبليغِ (٣)، الأمرُ الذي أجمعَتِ الأمةُ الإسلاميةُ عليهِ.

تلكَ (٤) أَدِلَّتُنا على تنزيهِ القرآنِ الحكيمِ من أحكامٍ منسوَخةٍ، أو آياتٍ غيرِ مقصودَةٍ)). (٥)

– ثانيًا: قال (٦): ((النسخُ في القرآنِ ممنوعٌ عندي؛ لأنَّ الشريعةَ جعلتهُ ميزانَ الجرحِ والتعديلِ في الحديثِ المتواترِ عنهُ "صلى الله عليه وآله وسلم": ((ما وافقَ كتابَ اللهِ فخذوهُ، وما خالفَهُ فاتركوهُ)) (٧)، فلو كانَ في القرآنِ منسوخٌ لاختلَّ هذا الميزانُ، وأيضًا إنَّهُ المعجزُ الخالدُ فلا يتمُّ لو كانَ بعضُهُ منسوخًا، وأيضًا إننا مكلَّفونَ بالتمسكِ والاهتداءِ به فلا يجوزُ عليهِ نسخٌ و... (٨)).

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣

(٢) سورة مريم: الآية ٦٤

(٣) إنَّ ما يذهب إليه السيد من أنَّ النسخ ينافي العصمة لا مورد له؛ لأنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يبلِّغ عن الله تعالى لا عن نفسه، فلو كان من الحكمة الإلهية أنْ يشرِّع أمرًا لوقتٍ معينٍ ثم يشرِّع غيره في وقت آخرٍ فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس له من الأمر شيئًا سوى التبليغ، ولا منافاة لعصمته حينئذٍ، بل هو أمين على الوحي في التبليغ، ولو كان الأمر كما يذهب إليه السيد للزم ذلك في البداء أيضًا وليس في النسخ فقط.

(٤) في الأصل: تلك عشرة كاملة من أدلتنا ...

(٥) يرى الباحث أنَّ كُلَّ ما ذكره السيد من أسباب غير تامة القطع على نفي النسخ ويمكن مناقشتها.

(٦) مخطوط الحواصل ١٨٢/٢

(٧) الكليني: الكافي ٦٩/١ باب (الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب) الحديث ١ وما بعده.

(٨) قطع في أصل المخطوط.

– ثالثًا: قال [١]: ((نعم ثبتَ لدينا النسخُ في أحكامِ الشريعةِ بعضِها لبعضٍ، وأما الآياتُ فلا يبعدُ نزولُ شيءٍ منها في ظروفٍ [٢] خاصةٍ ثم نسخَها بأحكامٍ عامةٍ، لكنما النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يأمُرْ أصحابَهُ بحفظِها وتدوينِها، فلا توجَدْ في المصحَفِ المُدَوَّنِ آيةٌ منسوخةٌ؛ لعدمِ المقتضي في إثباتِها، ووجودِ المانعِ القويِّ من تدوينِها، وعدمِ دليلٍ علميٍّ على الآياتِ المنسوخةِ، أما عدمُ المقتضي فلأنَّ أحكامَها منسوخةٌ حسبُ المفروضِ، فلا فائدةَ في إثباتِ ألفاظِ الحكمِ المتروكِ، وأما الموانعُ فكثيرةٌ أدناها تدخلُ الريبَ من إثباتِها في المصحفِ، حتى لا يمرَّ المهتدي بالقرآنِ على آيةٍ منهُ إلا ويحتملُ كونَها منسوخةً وباطلةً، فلا (يجرم البتة). [٣]

(١) مخطوط الدلائل والمسائل ٧١/١١ وهو جواب لسؤال نصه: ((بلغنا عنكم أنَّ النسخ طرأ في الأحكام الإسلامية دون الآيات القرآنية، فلا تعدُّون آية منسوخة في آيات القرآن، فما تقولون في آية: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٠٦]، وفي كلام الإمام [علي "عليه السلام"] في إحدى خطب نهج البلاغة ص ٣٨ من مجلد الأول لشرح "ابن أبي الحديد" عند وصف خلق "آدم" فينتهي على مبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومدح القرآن بقوله: ((وَخَلَّفَ فيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً بَغَيْرِ طَرِيقٍ واضِحٍ، ولا عِلْمٍ قَائِمٍ، كِتَابَ رَبِّكُمْ مُبَيِّنًا حَلالَهُ وَحَرامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ إلخ))، وكذلك المروي عن الإمام "الصادق" "عليه السلام" أنه قال لـ"أبي حنيفة" ضمن تشديده في تفسير القرآن: ((هل عرفتَ ناسخَهُ ومنسوخَهُ))، إلى غير ذلك من المأثورات)).

(٢) في الأصل: ضروف.

(٣) هكذا في الأصل.

ومن المعلومِ عصمةُ القرآنِ من تَدَخُّلِ الرَّيَبِ، وينبغي أنْ يكونَ الإمــامُ، والهــادي، والحُجَّةُ معصومًا من الريبِ، وأما عدمُ الدليلِ العلميِّ على نسخِهِنَّ فالتحرِّي أسفرَ عن ضعفِ الأخبارِ المرويةِ في هذا الصددِ، فلا تخرجُ عن كونِها أخبار آحاد [١]، فلا توجِبُ علمًا ولا عملاً [٢]، بل كُلُّها أو جُلُّها مراسيلُ [٣]، أو عن مجاهيلَ [٤]، وضعيفةُ السندِ والدلالةِ، وقد شرحنا هذه المطالبِ جميعًا في مقدماتِ تفسيرِنا (المحــيط) و(تنزيه التنزيل)، وتفسير الآيات في (حجة الإسلام) [٥] وكذلكَ ترونَ شرحًا وافيًــا

(١) الآحاد: هو خبر الواحد غير المتواتر من الأحاديث. جديدي نزاد، محمد رضا: معجــم مصطلحات الرجال والدراية، إشراف: محمد كاظم رحمان ستايش، (مط دار الحــديث، قم، ط٢، ١٤٢٤هـ): ٦٥

(٢) إنَّ خبر الآحاد قسمه العلماء على قسمين، محفوف بالقرائن وغير محفوف، وقد ٱختلفوا في حجية كُلٍّ منهما في العلم والعمل ما بين القبول والرد. للتفصيل ينظر: الفضلي، عبــد الهادي: أصول الحديث، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ١٩٩٣م): ٨٢-٩٠

(٣) المُرْسَل: هو الحديث الذي سقط عنه أحد رجال السند أو أكثر. جديدي نزاد: معجــم مصطلحات الرجال والدراية: ١٥٥

(٤) المجهول: هو الحديث المروي عن رجل غير معروف، أو غير موثَّــق ولا مجــروح ولا ممدوح. جديدي نزاد: معجم مصطلحات الرجال والدراية: ١٤٧

(٥) إنَّ تفسير "المحيط" هو مجلدات عشرة قد أُعِدَّت لتفسير القرآن الكريم، ولكن أغلبهــا صفحات فارغة لم تذكر فيها إلا الآيات المباركة المعدَّة للتفسير، سوى صفحات متعددة في المجلد الأول بيَّن فيها بعض الموضوعات، وأما كتاب "تنزيه التنزيل" فهو مخطــوط باللغة العربية تناول بعض موضوعات علوم القرآن وهو غير كامل، وأما كتــاب "حجــة الإسلام" فهو مخطوط تناول أيضًا بعض موضوعات علوم القرآن غير كامــل، وفي هــذه المؤلفات المخطوطة الثلاث لم يتطرق السيد "الشهرستاني" لتفسير آيات النسخ، ولعلــه فسرها ولكن ضمن مسوداته التي كتبها بيده، والتي لا يمكن قراءتها وقد فُقِدَتْ أغلبها.

في تفسيرِنا لآيةِ: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)، وحملَها على نسخِ آياتِ القرآنِ لآياتِ الوحيِ الذي نـزلَ على "موسى" و"عيسى" وغيرِهِما من النبيينَ، والقرينةُ على هذا الحملِ ٱقترانُ النسخِ بالإنساءِ (٢)؛ حيثُ لا إنساءَ في آياتِ الذكرِ الحكيمِ كما أثبتناهُ في تفسيرِ آيةِ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (٣)، وأما كلامُ الإمامِ "عـليٍّ" [عليه السلام] في خطبتِهِ فمحمولٌ على أنَّ لفظةَ (مبيِّنًا) حالٌ عن النبيِّ [صلى الله عليه وآله وسلم] كما هو مقتضى السياقِ، وسبقِ صفتِهِ، دون أنْ تكونَ حالاً عن القرآنِ، والمعنى: إنَّ النبيَّ [صلى الله عليه وآله وسلم] خلَّفَ فيكُمْ كتابَ ربِّكُم حالَ كونِهِ –أي النبي– مبينًا لحلالِ القرآنِ وحرامِهِ، وناسخِهِ ومنسوخِهِ، بسببِ أنَّ القرآنَ لم يكُ يومًا ما ناطقٌ

(١) لا يوجد تفسير للآية في تفاسيره للأسباب المتقدمة، سوى ما تم تدوينه في هذه المخطوطات.

(٢) الإنساء أي: التأخير في الوقت. الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٥١٤ (نسأ) ، ٱبن منظور: لسان العرب مادة (نسأ).

وقد تم قراءتها (ننسأها) عند عدد من القُـرَّاء. ينظـر: الخطيـب: معجـم القـراءات ١/١٧١-١٧٢ ، وقد عرض السيد "الشهرستاني" ما يتعلق بالقراءات القرآنية الواردة المشهورة وغيرها لهاتين الكلمتين (ننسخ، وننسها). ينظر: عماد موسى محمود، السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني وجهوده في علوم القرآن –القراءات القرآنية دراسة وتحقيق–: ١٢١-١٢٢

(٣) سورة الأعلى: الآية ٦ لم يتم العثور على تفسير الآية الشريفة في مخطوطاته.

ببيانِ ناسخِ نفسهِ ومنسوخِ نفسهِ، وإنَّما السُّنَّةُ تكفَّلَتْ ذلكَ، والمرادُ من ناسخهِ آياتِهِ الناسخةِ لأحكامِ الجاهليةِ، والشرائعِ السالفةِ، وهما المنسوخانِ بالقرآنِ. (١)

وأما حديث [الإمام] "الصادق" (عليه السلام) لـ"أبي حنيفة" فضعيفُ السندِ؛ لكونهِ خبرًا مرسولاً غيرَ مسندٍ (٢)، وهو مع ذلكَ محمولٌ ناسخُهُ على آياتهِ التي نسخَتْ أحكامًا جاهليةً، وأحكامًا من الشرائعِ السالفةِ، وهُنَّ المنسوخاتُ بالقرآنِ.

– رابعًا: قال (٣) فيما يتعلق بآية النسخ: ((لَمَّا كانَ السياقُ في مساقِ الآيةِ تِلْوَ آياتٍ تتعلَّقُ بأهلِ الكتابِ وأنَّها نزلَتْ في إفحامِ اليهودِ، فالظاهرُ عندي أنَّ المرادَ منها نسخُ آياتِ الوحيِّ السالفِ إلى "موسى" و"عيسى" [عليهما السلام] وشرايعهما، التي أصلَحَها شرعُ محمدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذهِ الآيةُ فكأنَّهُ يقولُ: ما أَبْطَلْنا من آيةٍ في شرعِ "موسى" [عليه السلام] ولا أَخَّرْناها عن العبادِ إلا بتشريعِ شِرْعَةٍ،

(١) إنَّ هذا التفسير من السيد أيضًا يؤكِّد وجود ناسخ ومنسوخ في القرآن الكريم، والنبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) يبيِّنُ ذلك، وهذا أمر طبيعي كونه المبلِّغ عن الله تعالى لأمته، والمعلم لها أحكام الشريعة المقدسة.

(٢) ورواية الإمام الصادق (عليه السلام) مع "أبي حنيفة" تؤكد على عدم إمكانية الاعتماد على القياس في الدين لمعرفة أحكامه، فقد ورد بما دار من أسئلة الإمام له: ((من أنت؟ قال: أبو حنيفة. قال "عليه السلام": مفتي أهل العراق؟ قال: نعم. قال: بما تفتيهم؟ قال: بكتاب الله. قال "عليه السلام": وإنك لعالم بكتاب الله، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه؟ قال: نعم.....)). الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب: الاحتجاج، تع: السيد محمد باقر الخرسان، (دار النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م، د.ط) ١١٥/٢

(٣) مخطوط معجم الفقيه: ٣٢٢ تحت عنوان (مختارنا من تفسير آية النسخ).

وآياتِ وحيٍ مثلِ آياتِهِ، أو خيرًا منها، وهو دينُ محمدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وآياتِ وحيهِ المبينِ، ألم تعلمْ أيَّها المعترِضُ أنَّ اللهَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ.

فالنسخُ الذي بمعنى إبطالُ آيةٍ من القرآنِ، أو حكمِها بآيةٍ أخرى تسجلُ مكانَها أمرٌ غيرُ معقولٍ [١]، في كتابٍ تَعَهَّدَ اللهُ بحفظهِ، وسَجَّلَهُ أبديًّا في لوحِهِ المحفوظِ للأبدِ، وقد حُكِيَ عن شيخِنا "المفيد" في "أوائل المقالات" [٢] أنَّ هذا الرأيَ هو مذهبُ الشيعةِ، وكثيرٌ من المُحَدِّثينَ والمحققينَ. [٣]

ولنفرض أنَّهُ المذهبُ المشهورُ، والمنصورُ عندَهُم، فلا تجدنَّ في القرآنِ أنَّ نسخًا بهذا المعنى، وإنَّما يلتبسُ أمرَ النسخِ على [٤] كثيرينَ يقصدونَ نسخَ الحكمَ

(١) قد تقدمت أقوال العلماء في بيان معنى النسخ، وأنَّ إبطال الحكم لا يعني أنه حكم باطل، أو كان باطلاً، بل تغيَّر أو تبدَّل حكمه لمصلحة معينة.

(٢) في الأصل: مقالاته.

(٣) لم يذكر مثل هذا الرأي الشيخ "المفيد"، بل قال: ((وأقول: إنَّ في القرآنِ ناسخًا ومنسوخًا، كما أنَّ فيهِ مُحْكَمًا ومُتَشابِهًا، بحسبِ ما علمهُ اللهُ من مصالحِ العبادِ ....)) وقد ذكر بعض الآيات المنسوخة، والتفصيل في نوع النسخ، والاختلاف بين الفِرَقِ الإسلامية، بل قال بعد آية عدة الوفاة: ((واستقرَّ هذا الحكمُ [عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرًا بدل الحول] باستقرارِ شريعةِ الإسلامِ، وكانَ الحكمُ الأولُ منسوخًا، والآيةُ بهِ ثابتةٌ غيرُ منسوخةٍ، وهي قائمةٌ في التلاوةِ كناسخِها بلا اختلافٍ، وهذا مذهبُ الشيعةِ ....)).
محمد بن محمد: أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، تع: الشيخ فضل الله الزنجاني، (مط رضائي، تبريز، ط٢، ١٣٧١هـ): ١٠١
وأما قوله: ((وكثير من المحدثين والمحققين)) فغير دقيق؛ لأنَّ أغلبهم يقولون بالنسخ، إنْ لم يكونوا جميعهم، وقد تقدمت أقوال العلماء في بيان معنى النسخ، وشروطه، وعدد الآيات التي ورد النسخ فيها، بتفاوت فيما بينهم.

(٤) في الأصل: عن.

المؤقتَ بالحكمِ الدائِمِ ناسخًا ومنسوخًا، ولـيسَ كـذلكَ، أو يَعُـدُّونَ الحُكْـمَ الاضطراريَّ، والحُكْم الاختياريَّ ناسخًا ومنسوخًا وليس كـذلك؛ لأنَّ مـن شرطِ النسخِ أنْ لا يجوزَ الجمعُ بينهَما في التشريعِ، كما لـو زعـمَ أحـدٌ النـسخَ في [١] المجملِ والمبينِ، أو المطلقِ والمقيَّدِ، أو المؤقَّتِ والـدائمِ [٢]، وقـد عالجنـا في تفسيرنا (المحيط) نحو مأتي آية زعم البسطاء فيها النسخ [٣]، حتى قال بعضهم: إنَّ آية ﴿وَٱتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [٤]، منسوخَةٌ بآيةِ: ﴿ٱتَّقُوا اللهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [٥] فتأمل. [٦]

– خامسًا: قال [٧]: ((لا نسخَ في القرآنِ؛ إذ هو المعجزةُ الخالدةُ، ومن شروطِ النسخِ عدمُ إمكانِ الجمعِ بينَ الناسخِ والمنسوخِ، مع أنني في تفاسيري عالجتُها [٨]، حتـى في آيَتَي [٩]: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَـةِ شُـهَدَاءَ فَٱجْلِـدُوهُمْ

(١) في الأصل: كما لو زعم أحدا نسخ من.

(٢) لقد فصل القول السيد "الخوئي" في مناقشة الآيات التي يُدَّعَى بنسخها من حيـث إرادة المجمل والمبين والمطلق والمقيد وغير ذلك وٱشتباه القـائلين بالنـسخ، فنـاقش سـتًّا وثلاثين آية من أهم الآيات في النسخ للتفصيل ينظر: البيان في تفسير القرآن: ٣٠٤-٤٠١

(٣) لم يتم الحصول على تفسير أيِّ آيةٍ من الآيات الشريفة في تفسيره.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٠٢

(٥) سورة التغابن: الآية ١٦

(٦) وهذا رأي "ٱبن العربي". ينظر: أحكام القرآن: ١٨٢١ ، وينظر: ٱبن العتائقي: الناسـخ والمنسوخ: ١١٣

(٧) مخطوط رؤوس الدروس ١٣١/٢

(٨) لم يحصل الباحث على ذلك في مخطوطاته.

(٩) في الأصل: حتى في آيتي الجلد في سورة النور وحبس المرئة في سورة النساء آية (١٣).

ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ (١) و ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي البُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ المَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (٢)، فهذهِ ناظرةٌ إلى فاحشةِ الزنا.(٣)

– سادسًا: قال (٤) في بيان ما يتعلق بآية النسخ: ((دَلَّتِ الآيةُ بصريحِها على أنَّ في القرآنِ ناسخًا ومنسوخًا كما هو مذهبُ جمهورِ المسلمينَ، من عصرِ الصحابةِ والتابعينَ حتى اليوم، وتؤيِّدُهُ آياتٌ أخرى سوفَ نأتي عليها وعلى دلالتها، مثلُ آيةِ: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾ (٥)، واستفاضَ الحديثُ عن أميرِ المؤمنينِ عليٍّ (عليه السلام) أَنَّهُ كانَ يقولُ: ((لولا آيةٌ في كتابِ الله وهي: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾ لأخبرتُكُمْ بكُلِّ ما هو كائِنٌ إلى يومِ القيامةِ))(٦)، وفي القرآنِ آياتٌ أُخرى لا تقِلُّ صراحَةً في نسخِ آيةٍ بآيةٍ عَمَّا ذكرنا، مثلُ

(١) سورة النور: الآية ٤

(٢) سورة النساء: الآية ١٥

(٣) للتفصيل فيما يتعلق بالآيتين الشريفتين ينظر: النحاس: الناس والمنسوخ في القرآن الكريم: ٩٨–١٠٠ ، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١٤٢/٤ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٥١٨/١

(٤) أوراق مخطوطة غير مرقمة. ولكن ما سيذكر في هذا المورد يخالف ما ذكره السيد سابقًا وما هو مشهور عنه كما تقدم في رؤيته حول النسخ في القرآن الكريم، والباحث قد أورد كُلَّ ما يتعلق بهذا الباب بعد جمعه ودراسته وتحقيه، سواء أكانت الموضوعات متوافقة، أم مختلفة.

(٥) سورة الرعد: الآية ٣٩

(٦) المجلسي: بحار الأنوار ٩٧/٤

آيةٍ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١)، وآية: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(٢)، ومدلولُ هذهِ الآياتِ مُتَّحِدٌ في المثالِ، وإنِ ٱختلفَ بعضُها عن بعضٍ، بحسبِ ٱعتبارٍ دونَ ٱعتبارٍ؛ إذ كانَ مدلولُ الآيةِ الأولى النسخَ والإنساءَ، ومدلولُ الثانيةِ المحوَ والإثباتَ، ومدلولُ الثالثةِ التبديلَ، ومدلولُ الرابعةِ التخفيفَ والتشديدَ، وكُلُّ واحدةٍ منها يتضمَّنُ ناحيةً خاصَّةً، لكنَّ الجميعَ مشتركٌ في عنوانِ تبديلِ حُكْمٍ بِحُكْمٍ آخرَ، وهذا هو روحُ النسخِ، فليسَ النسخُ إبطالاً محضًا، ومحوًا بحتًا، بل إبطالٌ إلى بدلٍ، ومحوٌ بإثباتِ عوضٍ، وهذا هو النسخُ عندَ العُرْفِ، يقال: نسختُ الكتابَ، أي: أوجدتُ نسخةً ثانيةً بدلاً عن النسخةِ الأولى، وليس معنى نسختُ الكتابَ إعدامَ النسخةِ، بل ٱستبدالٌ عنها بثانيةٍ، وقد أنكرَ قومٌ وقوعَ الناسخِ والمنسوخِ في القرآنِ، وتأوَّلوا آيةً ﴿مَا نَنْسَخُ﴾ بالآياتِ الكونيةِ والأحدوثاتِ العالميةِ، كوفاةِ نبيٍّ، أو وليٍّ، وزوالِ نعمةٍ، أو أمةٍ، ونَرُدُّ هؤلاءَ بالآياتِ الثلاثِ الأخرى، خصوصًا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ ففيها تصريحٌ بأنَّها آياتٌ منزلةٌ من اللهِ، واللهُ أعلمُ بما ينزلُ على نبيِّهِ من آيةٍ مكانَ آيةٍ، ثم ٱستدلَّ هؤلاء. (٣)

(١) سورة النحل: الآية ١٠١

(٢) سورة الأنفال: الآية ٦٦

(٣) يوجد قطع في الأصل.

**المبحث السادس: العلاقة بين النسخ والبداء.**

لقد بيَّن العلماء أنَّ هناك علاقة وثيقة بين النسخ والبداء؛ إذ إنَّ كليهما يتضمن معنى التغيير والتبديل، ولكن النسخ –كما تقدم– يتعلق بالتشريع، والبداء بالتكوين، ولأجل ذلك فإنَّ السيد "الشهرستاني" قد بيَّن ذلك في مخطوطاته، والعلاقة بينهما [١]، وما يمكن فهمه لتفسير آية البداء وهو قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾ [٢]، وبيان الأوجه في تفسير ﴿مَا﴾ وعلاقة ذلك بالبداء.

– أولاً: قال [٣] في بيان ما يتعلق بالآية الشريفة: ((يُستدلُّ بها على جوازِ البداءِ [٤] والنسخِ من اللهِ تعالى، والبداءُ في عالَمِ الثبوتِ كالنسخِ في مقامِ الإثباتِ، أو أحدهِما في الكتابِ التكوينيِّ، والثاني في الدينيِّ، لكنَّ الظاهرَ أنَّ البداءَ والنسخَ كلاهما في الكتابِ الدينيِّ [٥]، وأما التكوينيُّ ففيهِ المسخُ والمحقُ. [٦]

(١) وقد أشار إلى هذه العلاقة غيره من العلماء وقد تم بيانها في باب الدراسة، الفصل الثاني، المبحث الثاني: ٨٠-٨٤

(٢) سورة الرعد: الآية ٣٩

(٣) مخطوط المسودات القرآنية: ٣٢٦ تحت عنوان (النسخ والبداء في القرآن).

(٤) في الأصل: البدا. وقد تم تعديلها في جميع المواضع التي وردت.

(٥) وهذا هو الرأي الخاص للسيد الشهرستاني، وبذلك يدفع الرأي القائل بوجود أيِّ نسخٍ لآيات الله تعالى، فإنها وإنْ وُجِدَت فهي في مقام التكوين لا التشريع؛ لئلا يتضمن القرآن الكريم آيات منسوخة لا فائدة من وجودها في الكتاب، وقد تعرَّض لذلك في مقام نفيه للنسخ كما تقدم.

(٦) المسخُ: تحويلُ صورةٍ إلى صورةٍ أَقبحَ منها. ومسخَهُ اللهُ: شوَّهَ خَلْقَهُ من صورةٍ حسنةٍ إلى قبيحةٍ. ٱبن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة (مسخ) ، الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٤٨٨ (مسخ).

والإشكالُ في البداءِ هو أَنَّهُ إنْ كانَ بمعنى السنوحِ [١] وتبدُّلِ الرأيِ فهو مستلزِمٌ لجهلِهِ تعالى عنهُ، وإنْ كانَ بمعنى الظهورِ بعدَ الخفاءِ للناسِ فمعَ أَنَّهُ خلافُ ظاهرِ المأثورِ: (يا مَنْ بَدَا [٢] للهِ في شَأنِهِ) [٣]، وليسَ بداءً منهُ، بل بداءٌ من الناسِ، إنَّ البداءَ بالمَدِّ ليس مصدرًا للظهورِ بعدَ الخفاءِ الخارجيِّ؛ لأنَّ ذلكَ مصدرُ بدءَ [٤]، وهذا مصدرُ بدا، ومصدرُ هذا هو البدوُا كبدوِا الثمرِ، وبدوُا عصرهِ، وبدا لي معصمٌ حين جَمَّرَتْ [٥]، إلا أنْ يكونَ ٱسمُ مصدرٍ، وهو خلافُ الظاهرِ)).

---

المحقُ: النقصانُ وذهابُ البركةِ، وكُلُّ شيءٍ أبطلتَهُ حتى لا يبقى منه شيءٌ فهو محقٌ، وورد أنَّ المحقَ أنْ يذهبَ الشيءُ كُلُّهُ حتى لا يُرى منه شيءٌ. الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٤٨٤ مادة (محق) ، ٱبن منظور: لسان العرب مادة (محق) ، وٱستعمال السيد لهذين المصطلحين إما مسامحة، أو تأكيدًا على رفضه القاطع ورود النسخ في القرآن الكريم.

(١) سَنَحَ أي: عَرَضَ، سنحَ لي رأيٌ في كذا أي عرضَ. ٱبن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة (سنح).

(٢) في الأصل: بدى.

(٣) الكليني: الكافي ٥٧٨/٤ باب (القول عند قبر أبى الحسن موسى "عليه السلام" وأبي جعفر الثاني وما يجزئ من القول عند كلهم "عليهم السلام") الحديث ١ ، الطوسي: محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام، تص وتع: علي أكبر الغفاري، (مكتبة الصدوق، طهران، ط١، ١٤١٨هـ) ٩٤/٦ باب (زيارته [الإمام موسى بن جعفر] "عليه السلام") الحديث ١

(٤) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٤٥ (بدا) ، ٱبن منظور: لسان العرب مادة (بدا).

(٥) صدر بيت لـ"عمر بن أبي ربيعة" من أبيات يقول فيها:

– ثانيًا: قال [١] فيما يتعلق بآية البداء: ((أحتملُ لتوجيهِ معانيها وجوهًا [٢]:

– [الوجه الأول] [٣]: أَنْ يُرَادَ بالموصولِ [مَا] الحكمَ الشرعيَّ، فيكونُ المحوُ بمعنى النسخِ، أي: ينسخُ اللهُ حُكْمًا شاءَ رَفْعَهُ، ويقررُ مكانَهُ حُكْمًا شاءَ وَضْعَهُ حسبَ مصلحةِ الوقتِ، و﴿عِنْدَهُ﴾ أي: والحجةُ عندَهُ لرجوعِ الناسِ إليها هي ﴿أُمُّ الكِتَابِ﴾، أي: مُحْكَماتُ القرآنِ، ويكون مثال هذه الآية كمثال قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

– الوجه الثاني: أَنْ يُرَادَ بالموصولِ الحكمَ الاجتماعيَّ من أَمْرِها [٤]، أو فنائِها، ويكونُ المحوُ صَفْحَهُ عنهم.

– الوجه الثالث: أَنْ يَكُونَ المرادُ بالموصولِ الموجوداتِ الخارجيةَ، ويكونُ المحوُ والإثباتُ الوجودَ والعدمَ، ويكونُ ﴿أُمُّ الكِتَابِ﴾ صحيفةَ الكونِ والفسادِ، أعني العالَمَ الماديَّ العنصريَّ.

---

لَقَدْ عَرَضَتْ لي بِالمحَصَّبِ من مِنًى – لِحَيْنِيَ شَمْسٌ سُتِّرَتْ بِيَمانِ
بَدا لِيَ مِنْها مِعْصَمٌ يَوْمَ جَمَّرَتْ – وَكَفٌّ خَضِيبٌ زُيِّنَتْ بِبَنانِ
فَوالله ما أَدْرِي وَإِنِّي لَحاسِبٌ – بِسَبْعٍ رَمَيْتُ الجَمْرَ أَمْ بِثَمانِ

ديوان عمر بن أبي ربيعة، (دار القلم، بيروت، د.ط، د.ت): ٢٠٩

(١) مخطوط المسودات القرآنية: ٣٢٦ تحت عنوان (النسخ والبداء في القرآن).

(٢) في الأصل: وجوه.

(٣) في الأصل: أحدها.

(٤) في الأصل: أمره.

– الوجه الرابع: أَنْ يُرَادَ بالموصولِ المعانيَ، وبالمحوِ والإثباتِ تغييرها بالوجوهِ والاعتباراتِ، ويكونُ ﴿أُمُّ الكِتَابِ﴾ المعاني النفسيةَ [١] الآمريةَ، التي لا تقبلُ التغييرَ قطعًا كقبحِ الظلمِ، وحسنِ الإحسانِ)). [٢]

(١) في الأصل: النفس.

(٢) إنَّ كُلَّ هذه التوجيهات للآية الشريفة لم يذكرها المفسرون في تفاسيرهم، للتفصيل فيما ورد في بيان الآية الشريفة ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٦/٢٦١ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٢/٥٠٢ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٦/٤٨-٤٩ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٣/٦٣٦-٦٤١ وغيره

## (الفصل الثالث)

## المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

- **المبحث الأول**: تعريف المحكم والمتشابه.
- **المبحث الثاني**: تفسير آية المحكم والمتشابه.
- **المبحث الثالث**: الوجوه المعتبرة لاشتمال القرآن على المحكم والمتشابه.
- **المبحث الرابع**: حكمة المتشابه في القرآن الكريم وأهميته.
- **المبحث الخامس**: الآيات المتشابهة التي ذكرها السيد الشهرستاني.
- **المبحث السادس**: آيات التجسيم وأثرها في العقيدة الإسلامية.

# الفصل الثالث

## المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

لقد حوت مخطوطات السيد "الشهرستاني" آراءه في باب مهم من من أبواب علوم القرآن الكريم وهو (المحكم والمتشابه)، وسوف نبيِّنها في هذا المبحث، فالسيد قد ذكر أهم الموضوعات والإشكاليات المتعلقة بالمحكم والمتشابه، وكيفية فهم الآيات المتشابهة وتوجيه بما يظهر إعجاز القرآن، فضلاً عن مناقشته آراء العلماء في بعض الآيات المتشابهة وبيان رأيه وعقيدته فيها.

أما أهم الموضوعات التي ناقشها السيد في هذا الفصل فسأجعلها في مباحث (ستة) كالآتي:

- المبحث الأول: تعريف المحكم والمتشابه.
- المبحث الثاني: تفسير آية المحكم والمتشابه.
- المبحث الثالث: الوجوه المعتبرة لاشتمال القرآن على المحكم والمتشابه.
- المبحث الرابع: حكمة المتشابه في القرآن الكريم وأهميته.
- المبحث الخامس: الآيات المتشابهة التي ذكرها السيد الشهرستاني.
- المبحث السادس: آيات التجسيم وأثرها في العقيدة الإسلامية.

وسوف يكون البحث على وفق التسلسل المتقدم؛ لتتم الإحاطة به من جوانبه المتعددة، من حيث بيان آراء السيد "الشهرستاني" وتحقيقها على وفق المنهج المُتَّبع في هذه الدراسة بجمع المادة تحت عنوانٍ معينٍ، قد يكون المؤلِّف اختاره له، أو قد يوضع له ليكون ضمن عنوانٍ محددٍ.

**المبحث الأول: تعريف المحكم والمتشابه.**

لقد ذكر السيد "الشهرستاني" أشهر الأقوال التي وردت في بيان معنى المحكم والمتشابه في القرآن الكريم وذكر أمثلة لهما؛ ليكون القارىء على بَيِّنة من التعريفات الواردة في هذا الباب، وفي ذلك دلالة على ٱعتنائه بهذا الباب من علوم القرآن الكريم، فنراه يذكر تلك التعريفات من غير ترجيح لواحد تارة، أو يذكر التعريف الذي يذهب إليه ويراه مناسبًا تارة أخرى، ونذكر في هذا المطلب الموارد التي لها علاقة بالتعريف ٱعتمادًا على مصادرها المخطوطة التي سنشير إليها.

- المورد الأول:

قال تحت عنوان (الأقوال في معنى المحكم والمتشابه [و] أشهرها): [١]

- أولاً: إنَّ المُحْكَمَ ما يظهرُ المرادُ منه بدونِ شاهدِ حالٍ، أو قرنيةِ مقالٍ [٢]، كآيةِ [الوضوء]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ﴾. [٣]

---

(١) مخطوط رؤوس الدروس ١٣٨/٢ إنَّ السيد في هذا المورد يذكر مجرد الأقوال الواردة في تفسير المحكم والمتشابه وبيان مثالٍ لذلك، من غير بيان لتعريفه لهما، أو ترجيحه لأحدها.

(٢) إنَّ هذا القول قريب من كلام الشيخ "الطوسي" في بيانه لمعنى المحكم والمتشابه، وقد تقدم ذكره في باب الدراسة، الفصل الثالث، المبحث الأول: ٩٣

(٣) سورة المائدة: الآية ٦ ، في الأصل: كآية (فاغسلوا وجوهكم) وآية (فامسحوا برؤوسكم). إنَّ هذه الآية المباركة وإنْ كانت من المحكمات ولكن المسلمين قد ٱختلفوا فيها على قولين: أحدهما: وجوب غسل الرجلين عند الوضوء، والآخر: وجوب مسحهما، وٱختلفوا في قراءة كلمة: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بين نصبِ اللام: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾، أو

– ثانيًا: إنَّ المُحْكَمَ ما لا يقبلُ التأويلَ [١]، كآية: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [٢]، والمُتَشابِهُ ما يَقْبَلُ التأويلَ، كآية: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُون﴾. [٣]

– ثالثًا: إنَّ المُحْكَمَ ما لا يختلِفُ معناهُ في القرآنِ [٤]، كآية: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [٥]، والمُتَشابِهَ ما يختلِفُ، كآية: ﴿وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْم﴾ [٦] المخالِفَةُ لآية: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ

---

جَرِّها: ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾، ولكُلٍّ حجته، للتفصيل ومعرفة رأي السيد "الشهرستاني" ينظر: عماد موسى محمود، السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني وجهوده في علوم القرآن – القراءات القرآنية دراسة وتحقيق–: ١٢٨

(١) إنَّ هذا القول قد ذكره الشيخ "الطوسي" في جملة الأقوال الواردة للمحكم والمتشابه، وكذلك ذكره "السيوطي" وقد تقدم بيانهما، ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٣٩٥/٢ ، الإتقان في علوم القرآن: ٣/٣

(٢) سورة النساء: الآية ٤٠

(٣) سورة العنكبوت: الآية ١٤

لقد أختلف المفسرون في مدة دعوة "نوح" (عليه السلام) لقومه بين تسعمئة وخمسين عامًا وغيرها، وأختلفوا في سبب قوله تعالى عن مدة لبثه: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا﴾ ولم يقل: (تسعمئة وخمسين عامًا). للتفصيل ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٤٤٩/٣، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ١١٧/١٦

(٤) إنَّ هذا القول قد ذكره الشيخ "الطوسي" في جملة الأقوال الواردة للمحكم والمتشابه. التبيان في تفسير القرآن ٣٩٥/٢

(٥) سورة الإخلاص: الآية ١

(٦) سورة الجاثية: الآية ٢٣

فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِي﴾. (١)

– رابعًا: إنَّ المُتَشابِهَ ما ٱختلَفَتِ الأُمَّةُ في تفسيرِهِ (٢)، كآية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾. (٣)

– خامسًا: إنَّ المُحْكَمَ ما ٱحْتَمَلَ وجهًا واحدًا، والمُتَشابِهَ ما ٱحْتَمَلَ وَجْهَيْنِ فصاعدًا. (٤)

– سادسًا: إنَّ المُتَشابِهَ ما تَكَرَّرَ ذِكْرَهُ كقصةِ موسى، والمُحْكَمَ ما لم يأتِ إلا واحدًا كقصةِ أصحابِ الكهفِ. (٥)

---

(١) سورة طه: الآية ٨٥ ، فالتأويل بسبب نسبة الإضلال لله تعالى تارة، وللسامري أخرى.

(٢) يرى الباحث أنَّ هذا القول لا يمكن ٱعتماده بصورة عامة؛ لأنَّ المسلمين قد ٱختلفوا كذلك في بعض الآيات المحكمة، مثل ما ذكره السيد "الشهرستاني" في آية الوضوء المتقدمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [سورة المائدة: الآية ٦] مع ما كان عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في وضوئه لصلاته ومسحه للرجلين، وآية الولاية والتصدق بالخاتم: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [سورة المائدة: الآية ٥٥] وغيرهما من الآيات التي هي واضحة الدلالة.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٤

لقد ٱختلف المفسرون في تلك الأيام الستة في الخلق بالتدريج دون الخلق دفعة واحدة، والعلة في هذا العدد مع كونه تعالى لا يحتاج إلى التحديد بزمان معيَّن كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ﴾ [سورة القمر: الآية ٥٠] للتفصيل ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٤٢١/٤ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢٥٦/١٤–٢٥٧

(٤) إنَّ هذا القول هو الأشهر بين العلماء. ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٤/٣

(٥) في الأصل: قول ٱبن زيد إنَّ المتشابه ما تكرر ...

– سابعًا: إنَّ المُتَشابِهَ ما يُعْلَمُ تأويلُهُ، والمُحْكَمَ ما لا يُعْرَفُ تأويلُهُ كعلمِ الساعةِ. (١)
– ثامنًا: إنَّ المُحْكَمَ هو ما يُعْمَلُ به من الأحكامِ من حلالٍ، وحرامٍ، وفرائضَ، وسُننٍ، والمتشابِهَ ما لا يُعْمَلُ به من توراياخَ وقصصٍ وعقائِدَ (٢)، ويُحْمَلُ على هذا الخبرُ المرويُّ عن [الإمام] الصادق (عليه السلام): إنَّ القُرْآنَ مُحْكَمٌ ومُتَشابِهٌ، فأمَّا المُحْكَمُ فَنُؤمِنُ بِهِ، ونَعْمَلُ بِهِ، ونَدينُ اللهَ بِهِ، وأَمَّا المُتَشابِهُ فَنُؤمِنُ بِهِ، ولا نَعْمَلُ بِهِ. (٣)
إشارةٌ إلى الآية القائلة: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾. (٤)
– تاسعًا: إنَّ المُحْكَمَ هو ما تأويلُهُ في تنزيلِهِ، كآيةِ الوضوء (٥)، والمُتَشابِهَ ما تأويلُهُ في غيرِ تنزيلِهِ مِمَّ ٱخْتَلَفَ معناهُ، كآياتِ الفتنةِ والضلالِ. (٦)

---

يرى الباحث أنَّ هذا القول لا يمكن ٱعتماده؛ لأنَّ عددًا من الآيات المباركة قد ٱختلفوا في تفسيرها على الرغم من ورودها مرة واحدة وليس ضمن قصة من قصص القرآن، وأظنُّ أنَّ حصر ذلك في القصص القرآني لا مبرر له.

(١) في الأصل: قول جابر بن عبد الله: إنَّ المتشابه ما يعلم تأويله ... ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/٣

(٢) في الأصل: رواية علي بن طلحة عن عبد الله بن عباس إنَّ المحكم ما يعمل به ... ويُحمل على هذا الخبر المروي عن الصادق (عليه السلام): إنَّ القرآنَ المحكم يعمل به كما نؤمن به، والمتشابه نؤمن به ولا نعمل به.

(٣) العياشي: تفسير العياشي ١٦٢/١ ، البحراني: البرهان في تفسير القرآن ١٠/٣

(٤) سورة آل عمران: الآية ٧

(٥) وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ﴾ [سورة المائدة: الآية ٦] وقد تقدم ما يتعلق بها.

(٦) ومنها مثلاً قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [سورة الجاثية: الآية ٢٣] وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِي﴾ [سورة طه: الآية ٨٥] وغيرهما.

– المورد الثاني: [١]

[أولاً] قال: المُتَشابِهُ والمُحْكَمُ صفتانِ متقابلتانِ لآيِ القرآنِ يتبادلَهُما [٢] الانفصالُ الحقيقيُّ، ويُسَمَّى مُتَشابِهًا [٣] لتسابُقِ المعاني المختلفَةِ منه إلى الذهنِ، فَيَقِفُ الذهنُ بينها وقفةَ المُشْتَبَهِ، أو لأَنَّها في الأكثرِ مَصُوغَةٌ على وجهِ التشبيهِ، وضرورةِ الاستعارةِ والتمثيلِ. [٤]

[ثانيًا] قال: المذكورُ من تفاسيرِ المُحْكَمِ والمُتَشابِهِ مُتَراجِعٌ أكثرُهُ إلى بعضِهِ، وخَيْرُها قَوْلُ "الجُبَّائيِّ" [٥] وهو: ((إِنَّ المُتَشابِهَ ما ٱحْتَمَلَ وَجْهَيْنِ فَأَكْثَرَ، والمُحْكَمَ ما ٱحْتَمَلَ وَجْهًا فَقَطْ)) [٦] وهو ناقصٌ وفيه نقصٌ، فإنَّ مجردَ ٱحتمالِ الوجوهِ في كَلِمِ

(١) الشهرستاني: هبة الدين، مخطوط سرج في ظلمات الحياة، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٤٧–٥٤

(٢) في الأصل: يتبادلانها.

(٣) في الأصل: متشابه.

(٤) ينظر قريب منه ما ورد من التعريفات الواردة في بيان المراد من المتشابه. الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٤٦/٢

(٥) الجُبَّائي: أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام، ولد سنة (٢٣٥هـ/٨٤٩م)، وهو من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه نسبة الطائفة (الجبائية)، نسبته إلى جُبَّى من قرى البصرة، له مقالات وآراء ٱنفرد بها في المذهب، توفي سنة (٣٠٣هـ/٩١٦م) ودفن بـ(جُبَّى). ينظر: ٱبن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: الدكتور إحسان عباس، (دار صادر، بيروت. ط١، ١٩٧١م) ٢٦٧/٤ ، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: طبقات المفسرين، تح: علي محمد عمر، (مط الحضارة العربية، فجالة، ط١، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م): ١٠٠

(٦) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٣٩٥/٢ ، ٱبن شهر آشوب: متشابه القرآن ومختلفه: ٢/١

القرآنِ لا يجعلُهُ مُتَشابِهًا، إذًا لم يَسْلَمِ القرآنُ كُلُّهُ ولا بَعْضُهُ من سوءِ تفسيرِ أهلِ الأهواءِ [١] والبِدَعِ، [و] زُعَماءِ الفِرَقِ والشِّيَعِ، ولا من تأمينات الباطنيَّةِ [٢] وعلماءِ الصوفيَّةِ [٣]، حَتَّى فَسَّرُوا أسماءَ الأنبياءِ كـ"موسى" و"عيس" بِقُوى الإنسانِ كالحكمةِ والسلامَةِ، فلو اُعتبرنا الوجوهَ المُحْتَمَلَةَ من هؤلاءِ في آيِ القرآنِ لأصبحَ كُلُّهُ مُتَشابِهًا لا مُحْكَمَ فيه، اللهُمَّ إلا أنْ نعتبرَ الوجوهَ المُحْتَمِلَةَ في عُرْفِ [٤] التخاطُبِ، وعَصْرِ الرسولِ ومِصْرِهِ، فَيَتُمُّ عندئذٍ تعريفُ "الجُبَّائيِّ". [٥]

---

إنَّ آراء "أبي علي الجبَّائي" التفسيرية لم تجمع في كتاب مستقل، بل توزَّعت في التفاسير والمؤلفات القديمة، وقد طُبِعَت مؤخرًا بعنوان (تفسير أبي علي الجبائي).

(١) في الأصل: أهواء.

(٢) الباطنية: وهي من الفِرَقِ المنحرفةِ التي تحاولُ أنْ تأوِّلَ آياتِ الله تعالى وأحكامِ الشريعةِ المقدسةِ بما يلائِمُ معتقداتِها، قيل: إنَّ مؤسِّسها هو "مَيمونُ بن دَيْصانِ" المعروف بـ"القداحِ" وكان مجوسيًّا، ثم قام اَبنه مكانه بعد وفاته. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر: الفَرْقُ بين الفِرَق، تع: الشيخ إبراهيم رمضان، (دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م): ٢٥٠

(٣) الصوفية: هي طريقةٌ يتَّبعها بعضُ المسلمينَ الذين يَرَوْنَ أنَّ معرفةَ الله تعالى لا تتمُّ إلا بالتجرُّدِ عن الدنيا والتفاني في الله، سُمِّيَتْ بذلكَ لأنها اَتَّخذت لباسَ الصوفِ ملبسًا لها دلالةً على التزهُّدِ، وتنقسمُ على مجموعاتٍ كثيرةٍ، ولها رؤيةٌ خاصةٌ في تفسيرِ آياتِ القرآنِ. ينظر: ماسنيون ومصطفى عبد الرزاق: التصوف، (دار الكتاب للبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٤م): ٢٥-٢٧

(٤) في الأصل: العرف.

(٥) أظن أنَّ "الجبَّائي" كان يقصد في كلامه عصر نزول القرآن والتخاطب، فضلاً عن اَختلاف العقيدة في فهم ألفاظ القرآن الكريم، وليس كما تذهب إليه الفِرَقُ الباطلة.

إذًا فالأصَحُّ: ((إنَّ المُتَشابِهَ ما ٱحْتُمِلَ وَجْهَيْنِ فَأَكْثَرَ في عُرْفِ التَّخاطُبِ، والمُحْكَمَ نَقيضُهُ)). (١)

[ثالثًا] قال: المُتَشابِهُ من القرآنِ ما تشابَهَ في دلالَتِهِ وجهانِ فأكثرَ لدى عُرْفِ التخاطُبِ، مأخوذٌ من تشابُهِ الأشجارِ والأزهارِ والأثمارِ، أي: تشاكَلَتْ وتماثَلَتْ في صفاتِها (٢) الظاهرةِ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ (٣)، وسُمِّي مُتَشابِهُ القرآنِ بذلكَ بسببِ التشابُهِ الحاصِلِ في ظهورِ وجوهِ (٤) الألفاظِ ومعانيها تَشَابُهًا يُحْدِثُ في ذهنِ السامعينَ ٱشْتِباهًا وٱلْتِباسًا بينَ المعنى الحقيقيِّ، والمعنى العنائِيِّ (٥)، والمجازيِّ، والكنائيِّ (٦)، كما في قولِهِ تعالى: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ

(١) إنَّ هذا التعريف للمحكم والمتشابه من التعريفات الجامعة المانعة، فقد قيَّده باللغة المخاطبة، وهذا التقييد في التعريف بـ(عرف التخاطب) قد خصص المحكم والمتشابه للفظ معيَّنٍ دون ما يُفَسِّره الآخرون، كالقول: بأنَّ المحكم والمتشابه الناسخ والمنسوخ وغيرهما مما ورد، وهي في الحقيقة من مصاديقهما وليس تعريفًا لهما.

(٢) في الأصل: صفاته.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٤١ ، في الأصل: قال تعالى: (منه متشابه وغير متشابه).

(٤) في الأصل: الوجوه.

(٥) هكذا في الأصل، ولعله يقصد المعنى الذي يعتني به الله تعالى في خطابه بأسلوب يفهمه مَنْ له عناية بكلام العرب، أو يقصد المعنى الغائي الذي يريده الله تعالى من لفظٍ معيَّنٍ في مناسبة معينة.

(٦) إنَّ القرآن لما كان نزوله بلغة العرب فقد ٱستوجب أنْ يخاطبهم بالعلوم التي يعرفونها في مخاطباتهم، كعلوم البلاغة العربية المعروفة مثل: المجاز والكناية والاستعارة وغيرها مما

أَيْدِيهِمْ﴾ [١] حيثُ يشتبِهُ السامِعُ في المرادِ من اليَدِ أَهُوَ بمعنى الجارحَةِ، أو بمعنى القُدْرَةِ [٢]، فَيَشْتَبِهُ عليهِ أَمْرُهُما في بادِي النظرِ، ولأوَّلِ النظرِ إلى قيامِ الدليلِ، فالمُتَشابِهُ في الكَلِمِ بمثابَةِ المُشَكِّكِ [٣] في الكلمةِ.

[رابعًا] قال [٤]: المُحْكَمُ الذي عُدَّ ضِدَّ المُتَشابِهِ إنما هو جملةٌ من آياتِ الذكرِ [٥] الحكيمِ، لا يَخْتَلِفُ معناها لدى الخُبَراءِ باللسانِ من علماءِ المعاني والبيانِ،

---

هي من مقوِّمات كلامهم البليغ، فحصل تشابه في المراد من ذلك عند غير الراسخين في العلم بين المعنى الحقيقي والمعنى الكنائي.

(١) سورة الفتح: الآية ١٠

(٢) اليد هي الجارحة المعروفة، ولكنها تطلق مجازًا على معانٍ أخرى عند العرب كناية عن النعمة، والحوزة، والقوة، والملك، والناصر، والولي، ويُقال لأولياء الله تعالى هم أيدي الله وغيرها من المعاني، فلما كان الله تعالى منزهًا عن الجسمية كما ثبت في مباحث التوحيد، فيجب صرف لفظ اليد عن الجارحة إلى إحدى تلك المعاني، وهذا ما ذهب إليه العلماء والمفسرون، سوى الذين يقولون بتجسيم الخالق سبحانه. للتفصيل ينظر: المفيد: محمد بن محمد: تصحيح الاعتقاد، تح و تق: السيد هبة الدين الشهرستاني، (مط رضائي، تبريز، ط٢، ١٣٧١هـ): ٣٠ ، الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٥٧٥ (يد) العلامة الحلي، الحسن بن يوسف: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تق و تع: الشيخ جعفر السبحاني، (مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ط٢، قم، ١٣٨٢هـ ش): ٥٥

(٣) المشَكِّكُ: هو اللفظ الكلي الذي لم يتساوَ صدقه على أفراده، بل كان حصوله في بعضها أولى، أو أقدم، أو أشد، من البعض الآخر. الشريف الجرجاني: التعريفات: ٩٤ ، المظفر، محمد رضا: المنطق، (مط النعمان، النجف، ط٤، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م): ٦٦

(٤) مخطوط الفوائد الطوسية: ٦

(٥) في الأصل: آية ذكر.

كـ:﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين﴾ (١)، وَضِدَّ المُحْكَمِ هو المُتَشابِهِ الذي يُتَرَدَّدُ (٢) في بيانِ معناهُ، وتختلِفُ الأنظارُ في ترجيحِ المقصودِ من لفظِهِ، كما في آيةِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ ٱسْتَوَى﴾. (٣)

(١) سورة الفاتحة: الآية ٢

(٢) في الأصل: الذي يتردد الذين.

(٣) سورة طه: الآية ٥

**المبحث الثاني: تفسير آية المحكم والمتشابه.**

لقد ذكر السيد في مخطوطاته ما يتعلق بتفسير آية المحكم والمتشابه في موارد ثلاثة، بيَّن فيها الجوانب التي يجب بحثها في الآية الشريفة لمعرفة المراد من كُلِّ ما يتعلق بها، والموارد الثلاثة هي:

- المورد الأول: (١)

قال تحت عنوان: (دروس في آية المحكم والمتشابه). (٢)

قال رَبُّنا سبحانه في سورة [آل عمران]: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُوا الأَلْبَابِ﴾. (٣)

إنَّ ٱختلافَ تفاسيرِ هذهِ [الآية] الكريمةِ جعلتها آيةً متشابِهَةً من أشَدِّ المتشابِهاتِ، فلا بُدَّ من تفسيرِها بالمُحْكَمِ، وكَشْفِ القناعِ عن النقاطِ المهمةِ المُدْلَهِمَّةِ، منها:

١ – تفسيرُ المُحْكَمِ والمُتَشابِهِ.

---

(١) مخطوط القرآن إمام الكل: ٥١

(٢) إنَّ السيد في هذا المورد يذكر أهم الأسئلة المتعلقة بهذه الآية المباركة، والتي لها أثر مهم في فهم معنى الآية وحَلِّ جميع المتعلقات بها، من حيث المحكم والمتشابه وما ورد فيهما من أقوال لعلماء المسلمين، ولكنه –للأسف– لم يتم ما يتعلق ببعض الأسئلة التي عرضها في هذا المورد، وإنْ كان قد بيَّن بعضها بشيء من التفصيل تارة، وبالإيجاز تارة أخرى.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧

٢– رَفْعُ المنافاةِ بين هذهِ [الآية] الكريمةِ وبين آيةِ: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾. (١)

٣– تفسيرُ أُمِّ الكتابِ (٢) وٱجتماعِهما بآيةِ: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. (٣)

٤– تفسيرُ [قوله تعالى]: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾، وَسِرُّ ذَمِّ ٱتباعِهِمْ للمُتَشابِهِ.

٥– تفسيرُ ٱبتغاءِ الفتنةِ، والمرادُ منها في عُرْفِ القرآنِ. (٤)

٦– تفسيرُ معنى التأويلِ وٱبتغائِهِ، وسَبَبُ ذَمِّهِ.

---

(١) سورة هود: الآية ١

إنَّ هذه الآية المباركة تبيِّن كأنَّ آيات القرآن هي كلها محكمات، ولم تتعرض لذكر المتشابهات، بينما الآية التي نحن بصددها تقسم الكتاب على آيات محكمات ومتشابهات، وما يجب بيانه في هذا المقام هو أنَّ الآية الشريفة في سورة "هود" تتحدث عن صفة آيات الكتاب بكونها محكمة النظم على أبلغ وجوه الفصاحة؛ إذ نُظِّمت نظمًا رصينًا محكمًا، لا يقع فيها نقض ولا خلل، ثم فُصِّلت بالشرع والبيان، فكأنَّ القرآن محكم النظم مفصل الآيات. ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٣٥٨/٢ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٤٥/٥ ، وعلى أساس هذه الآية المباركة هناك مَنْ ذهب إلى القول بأنَّ آيات القرآن كُلَّها محكمة. ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٤٥/٢

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ﴾.

(٣) سورة الرعد: الآية ٣٩

(٤) إنَّ المراد بالفتنة في عرف القرآن هو الشرك، أو البدعة والباطل، أو الضلال عن الحق وغيرها من المعاني، فالذي يبتغي الفتنة يبتغي التخليص إلى الضلال بما يورده من الأهواء. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٤٠٠/٢ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ١٤٥/٧

٧- إِنَّها تُذِمُّ ٱتِّباعَ المتشابهاتِ بخصوصِ ٱبتغاءِ أَحَدِ الأَمْرَيْنِ، وليستَ تُـذِمُّ ٱتِّبَـاعَ المُتَشابِهِ بصورةٍ عامَّةٍ ومطلقَةٍ. (١)

٨- عِلْمُ الله بالتأويلِ، وهل ينحصرُ بِهِ، أو بِهِ وبالرسولِ وعلماءِ أُمَّتِهِ وأهـلِ بيتِـهِ، وعدمُ وجودِ مُتَشابِهٍ عندَ الله سبحانَهُ؟

٩- مَنْ هُمُ الراسخونَ في العلمِ؟ وأيُّ علمٍ يُرَادُ؟ والقَدَرُ المعلومُ هو علمُ القـرآنِ، وكذا الأئمَّةُ من آلِ محمدٍ [صلى الله عليه وآله وسلم]؟ (٢)

١٠- هل الوقفُ الصحيحُ في هذهِ الآيةِ على كلمةِ (العلم)؟ أو على كلمةِ (آمنَّـا)؟ وثَمَرَةُ هذا الخلافِ. (٣)

١١- إنَّ الرأيَ الثانيَ (٤) يلزمُهُ خروجُ النبيِّ [صلى الله عليه وآله وسلم] وأهلِ بيتِـهِ [عليهم السلام] عن معرفَةِ تأويلِهِ، فضلاً عن العلماءِ، وهذا مُسَلَّمُ البُطْلانِ (٥)، وكذا

---

(١) إنَّ الآية الشريفة تؤكد أنَّ ٱبتغاء الفتنة والتأويل بآتباع المتشابه هو مختص بمجموعة مـن الناس وهم الذين وصفهم الله تعالى ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: المنحرفون عن تعاليم الشريعة المقدسة، وإلا فغير هذا الصنف من الناس يمكنهم آتباع الآيات المتشابهة، فليس هناك إطلاق بالنهي، قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُتَـشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْـرِ الله ذَلِـكَ هُدَى الله يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾. [سورة الزمر: الآية ٢٣]

(٢) تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة في باب الدراسة، الفصل الثالث، المبحث الثاني، المطلـب الثاني: ١٠٤-١٠٩

(٣) تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة في باب الدراسة، الفصل الثالث، المبحث الثاني، المطلـب الثاني: ١٠٤-١٠٩

(٤) أي الوقوف على كلمة ﴿آمنَّا﴾.

(٥) إنَّ بطلان ذلك واضح لما تقرر في محله بأنَّ القرآن والسنة همـا مـصدرا التـشريع في الشريعة الإسلامية المقدسة، والسُّنة قول المعصوم وفعله وتقريره، فإذا كان المعـصوم لا

يلزمُهُ جمودُ البشرِ أمامَ القرآنِ أَبَدَ الدهرِ، وسَدُّ أبوابِ علومِهِ وفوائِدِهِ، بَلْ يلزمُهُ تَرْكُ التدبُّرِ في القرآنِ، ثُمَّ ما الفائدَةُ من مُجَرَّدِ قولِهِمْ (آمنَّا)؟ (١)

١٢ – المرادُ من يومِ تأويلِهِ (٢) إلى آخرِ الآيةِ.

– المورد الثاني: (٣)

قال تحت عنوان: (المحكم والمتشابه).

وخلاصةُ الكلام (٤) في قولِهِ تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ (٥) أنَّ الظاهِرَ والحِكْمَةَ

---

يعلم إلا عددًا من آيات القرآن الكريم وهُنَّ المتشابهات فكيف يكون (عليه السلام) مصدرًا للتشريع ووجوب الاقتداء به، وهو يجهل –حاشاه– ذلك.

(١) ٱستفهام لطيف منه حول الآية الشريفة، فالقرآن كتاب هداية للبشرية، وقد أمرنا الله تعالى بالتدبُّر فيه وٱتباع تعاليمهم للخروج من الظلمات إلى النور عن علم وعقيدةٍ.

(٢) ويقصد بذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٥٣] ، أو أنْ تكون كلمة (يوم) زائدة فيقصد بذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُوا الأَلْبَابِ﴾.

(٣) مخطوط المسودات القرآنية: ١٦٠

(٤) في الأصل: وخلاصة الكلام آية ٥ سورة ٣

(٥) سورة آل عمران: الآية ٧

الربَّانيَّةَ قاضِيانِ بأنْ تكونَ هذهِ الآيَةُ من المُحْكَماتِ دونَ المتشابِهاتِ، وسوى ذلكَ يُفْضِي إلى الدَّوْرِ المُسْتَحيلِ [١]، ومحاولاتٍ أُخْرَى أَحْرَى بنا أنْ نطويَ عنها كِشَحًا، ونضربَ صفحًا، فالآيَةُ نَوَّعَتِ الآياتِ الإلهيَّةِ نوعين:

– أحدهما: المُحْكَمُ وهو أُمُّ الكتابِ، أي: أساسُ عملِ النبيِّ، أو الغايَةُ في الهدايَةِ، أو المرجِعُ العامُّ، أو الأكثرُ إلى غيرِ ذلكَ من المعاني.

– وثانيهما: المُتَشابِهُ وهو المتماثِلُ لفظًا المُخْتَلِفُ مَعْنًى، أو العكسُ، أو المتقارِبُ لفظًا ومعنًى، أو المُكَرَّرُ، أو الأمثالُ المضروبَةُ لتنويرِ الأفكارِ، والتقريبِ من الأنظارِ، إلى غيرِ ذلك من المعاني.

وبعد أنْ نُوِّعَتِ الآياتُ إلى مُحْكَمٍ ومُتَشابِهٍ بأحكامِهما، فأثبَتَ المرجعيَّةَ العامَّةَ للمُحْكَماتِ بقوله: ﴿هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ﴾ [٢]، وأثبَتَ للمُتَشابِهاتِ مرجعيةَ أهلِ الزيغِ

(١) الدَّوْرُ: هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه، كما يتوقف أ على ب وبالعكس، فيكون الشيء موجِدًا لشيء ثانٍ، وفي الوقت نفسه يكون الشيء الثاني موجدًا للأول. الشريف الجرجاني: التعريفات: ٤٧ ، العاملي، حسن محمد مكي: الإلهيات: ٦٢

إنَّ هذه النتيجة تكون صحيحة بالنسبة للقائلين بأنَّ التأويل لا يعلمه إلا الله، فيكون الأمر بأنَّ الآية إذا كانت من المتشابهات، وتأويل المتشابهات لا يعلمها إلا الله، إذًا فالله وحده هو الذي يعلم المتشابه وهكذا، فيتوقَّف علمها على الله، وبذلك تنتفي غاية القرآن في هدايته للبشر وفيه آيات متشابهة لا يعلمها إلا الله، أما بالنسبة للقائلين بعلم الراسخين بتأويل المتشابهات فلا يجري الدَّوْر المستحيل.

(٢) أي إنَّ الآيات المحكمات هُنَّ أصل الكتاب المجيد، قال "الراغب الأصفهاني": ((ويقال لكُلِّ ما كان أصلاً لوجود شيء أو تربيته، أو إصلاحه، أو مبدئه أُمّ، قال الخليل: كُلُّ شيء ضُمَّ إليه سائر ما يليه يسمى أُمًّا، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ في أُمِّ الكِتَابِ﴾ أي اللوح

والفتنةِ، وهذا يدلُّ على عدمِ صلاحيةِ مرجعيَّةِ المُتَشابِهاتِ للعموم [١]، فَـإِنْ كـانَ ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ مبتدأ و[غير] [٢] معطوفٍ على جملةِ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ﴾ [٣] فلا تَكُونُ المُتَـشابِهاتُ صـالِحَةً للمرجعيَّـةِ، لا للعـوامِ ولا للخـواصِ، وإِنْ كـانَ ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ داخِلاً في الاستثناءِ مَعَ اللهِ فتكـونُ حينئِـذٍ المُتَـشابِهاتُ صـالحةً لمرجعيَّةِ الخواصِ دونَ العوامِ.

وبالنتيجةِ تكونُ الآيَةُ دَلِيلاً على مرجعيَّةِ القرآنِ وحجيتِهِ، ولو باعتبارِ مُحْكَمَاتِهِ فقط، وذلكَ مَطْلوبُنا تجاهَ الحشويَّةِ.

– المورد الثالث: [٤]

قال تحت عنوان: (المحكم والمتشابه).

من أهمِّ أبحاثِ القرآنِ بحثُ المُحْكَمِ والمُتَشابِهِ، ولَعمري أنَّ معرفتَها أيضًا من قبيلِ

---

المحفوظ وذلك لكون العلوم كلها منسوبة إليه ومتولدة منه. وقيل لمكة أم القرى وذلـك لما روى أنَّ الدنيا دحيت من تحتها)). المفردات في غريب القرآن: ٢٧ (أُمٌّ).

(١) أرى أنَّ هذا القول يحتاج تأملاً، أو أنَّ هناك تسامحًا في التعبـير، فـالقرآن لـم يجعـل المتشابهات مرجعًا لأهل الزيغ والفتنة، بل إنهما اتَّخَذا من هذه الآيات المتشابهة مرجعًـا لهم للإفساد والإضلال، فالقرآن الكريم بآياته المحكمة والمتشابهة هو مرجع لاحتجـاج المسلمين به.

(٢) إنَّ عدم إضافة (غير) لا يمكن للكلام أنْ يستقيم مع المعنى المقصود.

(٣) في الأصل: ومعطوفًا على جملة (ما يعلم).

(٤) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط فوائد هبة الدين، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامـة) ٤٢/٥

المُتَشابِهِ [١]، إنْ فُسِّرَ هذا [المتشابه] بِضِدِّ الظاهرِ المعروفِ معناهُ، الذي لا يحتملُ سواه، سيما وأنَّ الآيةَ التي تَكَفَّلَتْ تفسيرَ المُحْكَمِ والمُتَشابِهِ، وهي آية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [٢]، وقد ذكرنا في أبحاثٍ أُخْرَى كَوْنَ هذهِ الآيةُ أيضًا من المُتَشابِهاتِ التي لا يعلمُ تأويلَها إلا اللهُ والراسخونَ في العلمِ [٣]، وخصوصًا بعد ما نُقَارِنُ هذه الآيةَ بآيةِ سورةِ "الزمر" [٤] [قال تعالى]: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [٥]، فإنَّ الآيةَ السالفةَ عَلَّمُنا أنَّ المُتَشابِهَ من شأنِهِ الفتنةَ [٦]، أو ٱحتمالَ التأويلِ، والتأويلُ غيبٌ لا

(١) إنَّ هذا القول من السيد لطيف جدًّا؛ إذ يحمل في طياته ٱختلاف الأقوال وكثرتها في المعرفة الحقيقية لمصطلحي المحكم والمتشابه، وما ذهب إليه العلماء في الاختلاف الكبير في بيان المراد منهما، حتى عُدَّت معرفتهما أيضًا من قبيل الآيات المتشابهة.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧

(٣) وفي هذا تأكيد على وجوب أنَّ يكون الراسخون في العلم يعلمون المتشابه في القرآن، وإلا فهذه الآية تُعَدُّ من المتشابهات بآية أخرى، وأنَّ عدم معرفتهم يؤدي إلى إشكالات كثيرة في فهم نصوص القرآن الكريم.

(٤) في الأصل: سورة الروم.

(٥) سورة الزمر: الآية ٢٣

(٦) يرى الباحث أنَّ هذا القول غير دقيق؛ فليست الفتنة من شأن الآيات المتشابهة، بل إنَّ القرآن يصرِّح بأنَّ الآيات القرآنية تقسم على قسمين: المحكمة والمتشابهة، وكُلُّ الذين في

يعلمهُ إلا اللهُ، هذا وإنَّ آيةَ "الزمرِ" [١] تُعَلِّمُنا بأنَّ المُتَشابِهَ ما مـن شـأنهِ الابتهـاجُ والطَرَبُ.

إذن فهل المُتَشابِهُ في كُلِّ آيةٍ بمعنًى غيرِ ما في الآيةِ الأخرى، من بابِ تَعَدُّدِ المُـرادِ بِتَعَدُّدِ الاستعمالِ (المشترك اللفظي) [٢]، أو إنَّ المُتَشابِهَ في كُلِّها مُتَشابِهٌ، أي: متماثِلٌ ومُتَّحِدٌ؟

الراجحُ هُوَ الأولُ، أعني ٱختلافَ المُرادِ منهُ باختلافِ مواردِ ٱستعمالِ المُتَـشابِهِ، فالمرادُ من المُتَشابِهِ في آيةِ "الزمر" المتماثِلُ في ألفاظِـهِ، المتجـانِسُ في معانيـهِ، والمزدوجُ في سجعِهِ ورويِّهِ [٣]؛ لذلكَ غَدَا أحسنَ الحديثِ، وغَدَا مثانِيَ تَقْشَعِرُّ منه الجلودُ لبديعِ فصاحتهِ، وكمالِ بلاغتهِ.

وأما المُتَشابِهُ في الآيةِ الأُخرى فالمُرادُ منه المتماثِلُ في تشكيكِهِ، المُرَدَّدُ في دلالتِهِ، سواء كانَ هذا الشكُّ أو الحيرةُ حاصلاً من قصورِ أفهامِ النـاظرينَ في القـرآنِ، أو حاصلاً بوسوسةِ الخَنَّاسينَ، ودسائسِ أهلِ الزيغِ والفتنِ.

---

قلوبهم مرض من أهل الضلال ولا يستطيعون التشكيك أو التأويل في الآيات المحكمات فإنهم لجأوا إلى الآيات المتشابهات التي تحتاج إلى رسوخ وعلم دقيق في بيـان المـراد الحقيقي لكلام الله تعالى، فأضلُّوا الناس بتفسيرهم وتأويلهم، وليس هي آيـات إيهـام في الواقع، وهذه مسألة مهمة يجب الالتفات إليها وبيانها.

(١) في الأصل: آية الروم.

(٢) المشترك: هو اللفظ الذي تعدد معناه، وقد وُضِع للجميع كُلاً على حـدة، مـن دون أنْ يسبق وضعه لأحدهما على الآخر، وهو كثير في اللغة العربية، مثل كلمة (عين) وغيرهـا. الشريف الجرجاني: التعريفات: ٩٤ ، المظفر: المنطق ٤٣/١

(٣) الرَّوِيُّ: حرف القافية الذي تُبنى عليه القصيدة في كُـلِّ بيـت. الـشريف الجرجـاني: التعريفات: ٥٠ ، ٱبن منظور: لسان العرب مادة (روي).

وعليه فالمُتَشابِهُ لفظٌ يُطلقُ على المتماثِلِ [١]، لكِنَّ التماثُلَ مختلفُ المظاهِرِ والموارِدِ، وباختلافِها يختلفُ المُرادُ والظهورُ، لكنِ العِبْرَةَ في تمييزِ المُرادِ من بينِ الموارِدِ إنَّما هي بالقرائِنِ المبينةِ، حاليَّةٍ كانت، أو مقاليَّةٍ. [٢]

وهذا للمُتَشابِهِ خيرُ تفسيرٍ وأحقُّهُ، ومنه يَتَّضِحُ معنى المُحْكَمِ، إذ هو ضِدُّ المُتَشابِهِ، وبِضِدِّها تتمايَزُ الأشياءُ. [٣]

– المورد الرابع: [٤]

قال فيما يتعلق بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾.

المُحْكَمُ في العُرْفِ العامِّ المُتْقَنُ الذي لا يتداخَلُهُ الخَلَلُ [٥]، ومنه الحكمةُ بمعنى

(١) المتماثل: هو اللفظ المتباين الذي تكون معانيه كثيرة بكثرة الألفاظ، ويشترك في حقيقة واحدة بما هما مشتركان، والاشتراك والتماثل قد يكون في النوع، أو الجنس، أو الكم، أو الكيفية. للتفصيل ينظر: المظفر: المنطق ٤٨/١

(٢) القرينة: أمر يشير إلى المطلوب، وما يدل على المراد من غير أنْ يكون صريحًا فيه. فتح الله: معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ٣٣٣

فالقرينة هي الأساس في صرف اللفظ المشترك إلى المعنى المراد، ويرى الباحث أنَّ هذا يتطلب بحثًا وجهدًا وسعة أطلاع على لغة العرب والقرائن والألفاظ للوصول إلى المراد، وهو أمر تألفه العرب في خطاباتها، ولكن الناس لما أبتعدوا عن أصول تلك اللغة وأمتزجت ألسنتهم بلغات أخرى حصلت تلك الصعوبات في فهم الكلام.

(٣) تفسير دقيق ولطيف يستحق التأمل فيه.

(٤) مخطوط تنزيه المصحف الشريف: ٤٣-٤٥ ، فوائد هبة الدين ٤٢/٥

(٥) أبن منظور: لسان العرب مادة (حكم) ، المعجم الوسيط (المحكم).

الانتظام [١]، والحكيمُ بمعنى الطبيبِ المُنَظِّمِ لأحوالِ الأبدانِ [٢]، والآيةُ المُحْكَمَةُ في عُرْفِنا ما ٱتَّضَحَ معناهُ، فلا يتداخَلُ ريبٌ من نواحي النسخ، والتَّجَوُّزِ [٣]، والتخصيصِ[٤]، والآيةُ المُتَشابِهَةُ خلافُها، أي: التي يتداخَلُها ٱحتمالُ مخالفَةِ الظاهِرِ من نسخٍ، أو تَجَوُّزٍ، أو تخصيصٍ، أو ٱشتراكٍ، أو سائر ما يخالِفُ الظاهِرَ، فالمُحْكَمُ ينقسمُ إلى نَصٍّ، وظاهِرٍ، فالنَّصُّ كقولِهِ [تعالى]: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [٥]، والظاهِرُ كقولِهِ [تعالى]: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [٦]، فهو ظاهرٌ في وجوبِ النظافَةِ، والتَّجَمُّلِ عندَ الدخولِ في المساجِدِ، غيرَ إنَّ الظاهِرَ لمَّا كانَ بالرغمِ من قُوَّةِ ظهورِهِ لا يمنعُ من ٱحتمالِ الخلافِ، جازَ في الآيةِ حَمْلُ الأمرِ فيهِ على الاستحبابِ، وحَمْلُ المسجدِ على الصلاةِ، وحَمْلُ الصلاةِ على خصوصِ الجمعةِ كما وردَ الأثرُ به. [٧]

والخلاصة: إنَّ الآيةَ دَلَّتْ على ٱنقسامِ القرآنِ إلى مُحْكَمٍ ومُتَشابِهٍ بدلالةِ (مِنْ) على التبعيض، وإنَّ المُحْكَمَ هو مرجِعُ المتشابهاتِ، فهو أُمُّ الكتابِ أي: مَرْجِعُهُ، وإنَّ

(١) ٱبن منظور: لسان العرب مادة (حكم).

(٢) المعجم الوسيط (المحكم).

(٣) أي الانتقال من الحقيقة إلى المجاز في الكلام.

(٤) التخصيص: هو عبارة عن إخراج من الحكم مع دخول المخرَج موضوعًا، مثل وجوب الصوم على المكلف إلا المسافر. الحكيم: محمد تقي: الأصول العامة للفقه المقارن، (الناشر بيك فدك، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، د.م): ٨٦

(٥) سورة النساء: الآية ١٧

(٦) سورة الأعراف: الآية ٣١

(٧) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤/٢٤٤

المُحْكَمَ ما ٱتَّضَحَ معناهُ المحفوظُ من ٱحتمالِ النسخِ، والتَّجَــوُّزِ، والتخــصيصِ، والاشتراكِ، وخلافُهُ المتشابِهُ الذي يستوي فيه المحتملاتُ، فيتشابَهُ معناهُ.

وينقسمُ المُحْكَمُ إلى النَّصِّ والظاهِرِ، والنَّصُّ هو الظاهِرُ الذي يمنَعُ من كُلِّ ٱحتمالٍ مرجوحٍ [١]، كما أَنَّ الظاهرَ هو ما سبقَ معناهُ إلى الذهنِ ورجحَ إلى غيره [٢]، وهو في نفسِ الوقتِ لا يمنعُ بتاتًا من ٱحتمالِ المعاني المرجوحَةِ.

(١) الحكيم: الأصول العامة للفقه المقارن: ١٠٢-١٠٣

(٢) المصدر والصفحة نفسهما.

**المبحث الثالث: الوجوه المعتبرة لاشتمال القرآن على المحكم والمتشابه.**

لقد ذكر السيد في مخطوطاته ما يتعلق بالوجوه التي يراها معتبرة في ٱشتمال الآيات المباركة في القرآن الكريم على المحكم والمتشابه وهي موارد ثلاثة في مخطوطاته، بيَّن فيها الجوانب التي يجب بحثها في الآية الشريفة لمعرفة المراد من كُلِّ ما يتعلق بها.

– المورد الأول: [١]

قال: إنَّ الضرر [٢] الناجم من وجود المتشابهات ليس بحقير الذي يقضى عنه؛ إذ جُلُّ ما نزل على الدين وأهله من فتنٍ ومحنٍ وتحويلاتٍ [٣] وتمذهباتٍ أثارت فيه وبينهم الضغائنَ والمحنَ، لقد كانت وتكون وسوف تكون من جَرَّاء تأويل المتشابهات، وتحريك أهل الزيغ أنامل فسادهم فيها، غير إنَّ ذلك كُلَّهُ لا يداني عُشْرَ المعشارِ من منافعِ المتشابهات حسبما [٤] وصفناها بإيجاز [٥] على أنَّ ذلك قادحٌ ناشئٌ [٦] من سوءِ ٱستعمالِ قسمٍ من البشر، أو سوءِ فهمٍ، فلا يلحقُ شَأْوَهُ [٧]، أَوَّلُوهُ كلامًا كاملاً نزيهًا عن النقصانِ والقصورِ، ولَسْتُ مبالغًا إذا قلتُ: إنَّ المُتَشابِهَ والمُحْكَمَ هو

(١) مخطوط سرج في ظلمات الحياة: ٤٧–٥٤

(٢) في الأصل: ضرر.

(٣) في الأصل: وتحويات.

(٤) في الأصل: حسب ما.

(٥) قد تقدم بيان السيد لمفهوم المتشابه بأسلوب واضح لا إشكال فيه؛ لذا لا يوجد أي أثر سلبيٍّ في ٱشتمال القرآن على المتشابهات للراسخين في العلم وأتباعهم. ينظر: المبحث الثاني، المورد الثاني والثالث ص٢٨٤–٢٨٩

(٦) في الأصل: ناش.

(٧) في الأصل: الشؤئه.

باعتبارِ أفكارِ البشرِ المنقسمةِ إلى ناقصةٍ وكاملةٍ [١]، أما جوهرُ كلامِ الربِّ فَمُحْكَمٌ أبدًا، ولا يُضِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا.

– المورد الثاني: [٢]

قال: للقرآنِ مقصدانِ سامِيانِ أحدهما أسمى من الآخر، فمقصده الأسمى تنويرُ أفكارِ العامةِ (وهم الذين يشكلونَ الأكثريةَ الساحقةَ في أكثرِ الأُمَمِ)، مع توليدِ النظامِ الأتمِّ أبديًّا، وهذا المقصدُ الأسمى، أو العَرَضُ الأصلِيُّ الأسنى، يحصلُ من المُحْكَماتِ؛ ولذلكَ جاءَ في القرآنِ أَنَّهُنَّ أي المُحْكَماتُ (أم الكتاب)، والأُمُّ بمعنى المَقْصَدِ والمرجعِ [٣]، ومنه سُمِّيَتِ [٤] الوالِدَةُ أُمًّا، وسُمِّيَتْ مَكَّةُ أُمُّ القُرى، فالمُحْكَماتُ هي المقصدُ الأصليُّ، والمرجِعُ الحقيقيُّ الأبديُّ بما أَنَّ القرآنَ دستورٌ عامٌّ، ومُعَلِّمٌ مُطْلَقٌ حتى القيامِ، أما المُتَشابِهاتُ التي صارتْ مُتَشابِهاتٍ باستعاراتِها وبكناياتِها وبأفانينِها الأخرى فقد أتى بها لغرضٍ ثانويٍّ، وقَصْدٍ سَنِيٍّ وقتيٍّ، أَلا وهو التأثيرُ على أفكارِ جاحِدِهِ، والسلطانُ على عواطفِ مُتَمَرِّدِهِ، والنفوذُ في نفوسٍ وأفئدةٍ لا تلينُ بِلَهَبٍ، ولا بذهَبٍ، ولا بسيفٍ، ولا خشبٍ، وإنما يتلاعَبُ بِهِنَّ

(١) إنَّ هذه مسألة مهمة يجب التأكيد عليها في هذا الباب، فمنشأ الاختلاف هو في أفكار الناس، وليس الاختلاف في كلام الله تعالى، فالله تعالى واحد لا يصدر عنه إلا الكلام الواحد الذي لا يشوبه أي شك أو ٱضطراب؛ لذلك نرى أنَّ الراسخين في العلم يذعنون لكلامه عز وجل عن علم وبصيرة، كما بيَّن ذلك في صفاتهم بقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾.

(٢) مخطوط سرج في ظلمات الحياة: ٤٧–٥٤

(٣) ٱبن منظور: لسان العرب مادة (أمم).

(٤) في الأصل: سمى.

تلاعُبَ النسيمِ بالسنابلِ، دقيقُ لفظٍ، ودقيقُ معنًى، وسَلْسالُ مجازٍ [١]، وعَذْبُ كنايةٍ، ولطيفُ شارَّةٍ [٢]، وجميلُ ٱستعارةٍ، بِهِنَّ وأشباهِنَّ تغلَّبَ القرآنُ على مُنكريهِ بادىء بدءٍ [٣]، ثم بسطَ فيهم أنظمةً من مُحْكَماتِهِ، دامَتْ وتدومُ خالدةً غير بائدةٍ، فكانت تلك بمثابةِ قوةٍ عسكريَّةٍ تُؤَثِّرُ في فتحِ المدينةِ، وهذي بمثابةِ قوةٍ سياسيةٍ تنشرُ النظامَ والسكينةَ. [٤]

– المورد الثالث: [٥]

قال: بلغاءُ [٦] الحكماءِ قد يَقِفونَ في تخاطبِهِم موقفَ ٱلمُعَلِّمِ بين الجَهَلَةِ، أو موقفَ

(١) السَّلْسالُ: الماء العذب. ٱبن منظور: لسان العرب مادة (سلسل).

(٢) أي ولطيف في مخاصمة أعداء الإسلام بالحجة والبينة، قال ٱبن منظور: ((ويقال شَارَّاهُ وشَارَّهُ وفلان يُشَارُّ فلاناً ويُمَارُّهُ ويُزَارُّهُ أَي يُعاديه، والمشَارَّةُ المخاصمة)). مادة (شرر). أو لعل أصل الكلمة (لطيف إشارة) وأظنه المراد على وفق سياق الكلام.

(٣) في الأصل: بداً.

(٤) إنَّ وصفه الآيات المحكمات بالقوة السياسية وصف بديع ومحكم، وفيه عمق لمعرفة أبعاد النصر الإلهي لنبيه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بمعجزته الخالدة التي أعيت فحولة بلغاء العرب يومذاك، وهذا يدلُّ على إحاطته بأسرار القرآن وإعجازه، فكانت تلك الآيات المباركة موضع سكينة ووقار لمن يتأمل في ألفاظها ومعانيها، بل مصدر الانشراح والتسليم والاطمئنان كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. [سورة الرعد: الآية ٢٨]

(٥) مخطوط سرج في ظلمات الحياة: ٤٧–٥٤

(٦) في الأصل: بلغا.

المُبَلِّغِ [١] القانونيِّ بين الغَفَلَةِ، فَيُوَضِّحون مُرادَهُمْ [٢] كما يجبُ بأبسطِ العباراتِ المبذولةِ، المناسبةِ لأفهامِ العامةِ، فيتجرَّدُ كلامُهُم من كُلِّ مجازٍ، وكنايةٍ، وٱستعارةٍ، وعنايةٍ، ترى نظائِرَ ذلكَ في كُتُبِ الحقوقِ، وقوانينِ المِلَلِ، وإبلاغياتِ الدولِ، وللحكماءِ البلغاءِ موقفٌ آخر ضِدَّ هذا الموقفِ، ذلك موقفهُمْ بين المعارضينَ كخطباءٍ، أو بينَ الخاصةِ كغطاءٍ، فيرسلونَ بعبائرَ ملؤها المجازات والاستعارات، ويتفنَّنُونَ بفنونِ الكنايةِ والتشبيهِ، وضروبِ البلاغةِ والبيانِ، ترى نظائِرَ ذلك في قصائدِ البلغاءِ وخطبهِم، ورسائلِ النُّبَغاءِ [٣] وكتبِهِم، والقرآنُ قد سلكَ سُنَنَ المَسْلَكَيْنِ، أي: التوضيح والتأثير، وجمعَ بين رجائِبَ [٤] المَوْقِفَيْنِ، بقصدِ تنفيذِ مقصدهِ بين كِلا الفريقينِ، أعني الخاصةَ والعامةَ، فتولَّدَ من هذا وذاكَ مُحْكَماتٌ ومُتَشابِهاتٌ. [٥]

– المورد الرابع: [٦]

قال: تلكَ المتشابهاتُ التي وصفناها خيرُ صفةٍ، [هي] قُوَّةٌ كبرى منتشرةٌ في طَيِّ الكتابِ، تنفعُ في بهجةِ الخاصةِ وسعادتِها، كما تنفعُ في هدوءِ المعارضةِ وهدايتِها،

(١) في الأصل: مبلغ.

(٢) في الأصل: مراهم.

(٣) في الأصل: نبغاء.

(٤) هكذا في الأصل، ولعلها (أرجابٌ) جمع رَجَبٍ، والترجيبُ هو التعظيمُ. ٱبن منظر: لسان العرب مادة (رجب).

(٥) في الأصل: فتولَّد من هذا وذاك محكمات ومتشابهات أولاهما وأخريهما من الأخير.

(٦) مخطوط سرج في ظلمات الحياة: ٤٧–٥٤

غير إنَّ المنافقةَ الغواةَ طالما [١] ينتهزونَ فرصةَ ٱستعمالِها ضِدَّ الحقِّ، (كمَنْ يستعملُ نارًا أُضْرِمَتْ للطبخِ في إحراقِ الطابِخِ)، فَيُشَبِّهونَ على العوام دلالتَها، ويُحَرِّفونَ الكَلِمَ عن مواضعِها ومواقعِها؛ ٱبتغاءَ ضِلَّةِ الأفكارِ، وزَلَّةِ [٢] الأقدامِ، كما جاءَ في القرآنِ [قوله تعالى]: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾.

(١) في الأصل: طال.

(٢) في الأصل: وزلت.

**المبحث الرابع: حكمة المتشابه في القرآن الكريم وأهميته.**

ذكر السيد في مخطوطاته ما يتعلق بحكمة ٱشتمال الآيات المباركة في القرآن الكريم على المتشابهات إضافة للمحكمات، وأنَّ هذا لا يخلُّ بعظمة القرآن، بل يزيده حجة وبيانًا، وكان ذلك في موارد ثلاثة من مخطوطاته، بيَّن فيها الجوانب التي يجب بحثها بأسلوب علمي دقيق، قائم على الحجة العقلية والنقلية.

- المورد الأول: [١]

قال: ثبتَ بالإجماعِ وبسائرِ الأدلةِ ٱشتمالُ آياتِ الذكرِ [٢] الحكيمِ على مُحْكَماتٍ ومُتَشابِهاتٍ، ونَصَّ على ذلك قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [٣]، وقد أماطَتِ [الآية] النقابَ عن المنشأ الذي أثارَ في البشرِ ٱختلافَ [٤] الفِرَقِ، وأهلِ الآراءِ والأهواءِ، وكُلٌّ منهم يستندُ إلى آيةٍ في كتابِ الله ما تشابَهَ أَمْرُهُ، وتغامَضَ سِرُّهُ.

إذًا فمن أهم المناحي الدينيةِ والعلومِ القرآنيةِ معرفةُ [٥] مُتَشابَهِ القرآنِ، وعلاجُ قضيتِهِ ليتبيَّنَ [٦] الرشدُ من الغيِّ، وتُعْرَفَ سُبُلُ الهُدى [٧] والضلالِ، فالمُحْكَمُ الذي عُدَّ ضِدَّ

(١) مخطوط الفوائد الطوسية: ٦

(٢) في الأصل: آية ذكر.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧

(٤) في الأصل: وآختلاف.

(٥) في الأصل: معرفت.

(٦) في الأصل: وعلاج قضية يتبين الرشد من الغي.

(٧) في الأصل: الهدا.

المُتُشابِهِ إنَّما هو جملةٌ من آياتِ الذكرِ[١] الحكيمِ، لا يختلفُ معناها لدى الخبراءِ باللسانِ من علماءِ المعاني والبيانِ، كـ:﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين﴾[٢]، وضِدَّ المُحْكَمِ هو المُتَشابِهُ الذي يُتَرَدَّدُ[٣] في بيانِ معناهُ، وتختلفُ الأنظارُ في ترجيحِ المقصودِ من لفظِهِ، كما في آية: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ ٱسْتَوَى﴾.[٤]

فالعرشُ فيها مُفَسَّرٌ بمعانٍ[٥]، والاستواءُ مُرَدَّدٌ مفهومُهُ بينَ أمرينِ[٦]، الأمرُ الذي قَسَّمَ المسلمينَ إلى شطرينِ، شطرٌ منزِّهٌ لربِّهِ عن رسمِ الجسمِ ومن لوازمِ معانيهِ[٧]،

(١) في الأصل: آية ذكر.

(٢) سورة الفاتحة: الآية ٢

(٣) في الأصل: الذي يتردد الذين.

(٤) سورة طه: الآية ٥

(٥) قال "الراغب الأصفهاني": ((العرشُ كُنِّيَ به عن العِزِّ، والسلطانِ، والمملكةِ، قيل: فلانٌ ثُلَّ عَرْشُهُ)). المفردات في غريب القرآن: ٣٤٢ (عرش). وذكر الشيخ "آبن شهر آشوب" ما يتعلق بمعاني الاستواء التي لا يجوز إطلاقها على الله تعالى؛ لأنها من صفات الجسم، وذكر معاني متعددة لتأويل اللفظ بما لا يتعارض مع تنزيهه تعالى. ينظر: متشابه القرآن ومختلفه ٦٧/١

(٦) إنَّ الأمرين كما ذكرهما المفسرون هما: الاستيلاء ولطف التدبير، أو الجلوس على الشيء، والثاني باطل بضرورة العقل والنقل. للتفصيل ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١٥٩/٧ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٨/٢٢-٩

(٧) وهذا ما يذهب إليه أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في تنزيه الله تعالى عن الجسمية ولواحقها، فهي عقيدة ثابتة من عقائد التوحيد آستنادًا على القرآن الكريم والسنة الشريفة والعقل، ووجوب تفسير الآيات الشريفة التي تصف الله تعالى بما يوصف به خلقه على المعاني الأخرى التي تنفي عنه الجسمية للتفصيل ينظر: المفيد: أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: ١٠-٥٢

وشطرٌ صارَ إلى التجسيمِ وحارَ في أمرهِ [١]، فالآيةُ المتشابهةُ إذا [٢] تشابَهَتْ فيها من معانٍ قَرُبَتْ قراءتُها من تَشَعُّبِ الفكرِ والأطباعِ، فهذهِ وتلكَ قادَتْ المُتَعَمِّقينَ إلى التَّفَرُّق. [٣]

إذًا يَحِقُّ لكم التساؤلُ عن الحكمةِ التي أَدْخَلَتْ مثلَ هذه المتشابهاتِ في آياتِ الذكرِ الحكيمِ، بينما هدفُ القرآنِ جمعُ الكلمةِ، وجمعُ شتاتِ الأمةِ، وهدايةُ القُرَّاءِ إلى الحقِّ الذي لا ريبَ فيه، وتنويرُ البصائرِ بالحقائقِ المُتَمَحِّصَةِ عن الشكوكِ والشُّبُهاتِ.

وجوابنا عن ذلك:

- أولاً: إنَّ الحكمةَ في وجودِ المتشابهاتِ لو لم تَكُنْ أجلَّ وأنفعَ من وجودِ المُحْكَماتِ فليست بأقَلَّ، فإنَّ القرآنَ رشفةُ هدايةٍ عامةٍ لجميعِ أجيالِ البشرِ، وينبوعُ

(١) وهذا ما يذهب إليه السلف من العامة في التعامل مع الآيات التي تتعلق بالتجسيم ينظر: الأشعري، علي بن إسماعيل: الإبانة عن أصول الديانة: تق وتح وتع: الدكتورة فوقية حسين محمود، (مط التقدم، مصر، ط١، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م) ، ابن قدامة: عبد الله بن محمد: ذم التأويل، تح: بدر بن عبد الله البندر، (دار الفتح، الشارقة، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، د.م).

(٢) في الأصل: إذ

(٣) في الأصل: هذا وذاك وقادت المتعمقين إلى التفرق.

وللسيد "الشهرستاني" كلام في تفسير (العرش) وما يتعلق به فيقول: ((ليسَ المذهبُ الصحيحُ ما ذهبَ إليه الحشويةُ وبعضُ الظاهريةِ من أنَّ العرشَ سريرٌ كبيرٌ يجلسُ اللهُ عليهِ جلوسَ الملكِ)). ينظر: مجلة المرشد السنة الثالثة، العدد الأول، بغداد، ١٣٤٦هـ ١٩٢٨م): ٢٩-٣١ ، وللسيد كذلك رسالة مخطوطة في ذلك ينظر: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، الرسالة العرشية، (مكتبة الجوادين العامة، الصحن الكاظمي الشريف).

علمٍ خالدٍ ما دامَ البشرُ (الإنسان) والأكوانُ، فَإِنِ ٱقتصرَ على المُحْكَماتِ الواضحةِ لم يَنْطَوِ [١] الكتابُ على تَجَدُّدٍ فِكْرِيٍّ، وتَطَوُّرٍ نَظَرِيٍّ، والقرآنُ غضٌّ طريٌّ في كُلِّ عَصْرٍ ومِصْرٍ؛ ليستطرفَهُ أبناءُ كُلِّ جيلٍ وقبيلٍ، وما ذلكَ إلا بفضلِ متشابهاتِهِ وتشبيهاتِهِ من زاويةٍ، وٱستعاراتِهِ وتَفَنُّناتِهِ وكناياتِهِ [من زاوية أخرى].

– ثانيًا: لأهلِ العصورِ في مختلفِ الدهورِ أذواقٌ متلوِّنَةٌ، وأنظارٌ متفنِّنَةٌ، وهذا الاختلافُ الطبيعيُّ لا يستقيمُ مع المُحْكَماتِ، وإنَّما يبقى محفوظًا وملحوظًا في المتشابهاتِ.

– ثالثًا: إنَّ أسرارَ العالَمِ تتجلَّى في الاكتشافاتِ على وجهِ التدريجِ حسبَ تَدَرُّجِ الحضارةِ، وٱكتفاءِ البشرِ دَوْرًا فَدَوْرًا، وطَوْرًا فَطَوْرًا، وضروريٌّ للقرآنِ الخالدِ أنْ يمشيَ مع البشرِ حسبَ تَدَرُّجِ علمِهِ، وتَلَوُّنِ حضارتِهِ، وإلا تَلَكَّأَ، [و] يصطدمُ السيرُ في جيلٍ واحدٍ، مَجَّتْهُ الأذواقُ، ونَفَرَتْهُ طِبَاعُ أهلِ ذاكَ الجيلِ، ولسقطَ عن مستواهُ [٢] الرفيعِ، والساقِطُ لا يعودُ، فإنِ ٱقتصرَ على المُحْكَماتِ في عصرِ النزولِ عَجَزَ أنْ [٣] يحافِظَ لنفسِهِ المزيَّةَ المطلوبَةَ في بقيةِ العصورِ، أما المتشابهاتُ فهي في وُسْعِها [٤] المحافظَةُ على المطلوبِ.

– رابعًا: إنَّ العلومَ التي كانت معروفَةً في عصرِ النبوةِ ومِصْرِها هي على ٱختلافٍ عظيمٍ [٥] مع العلومِ التي في القرونِ الوسطى، كما هي على ٱختلافٍ عظيمٍ مع العلومِ

---

(١) في الأصل: ينطوي.

(٢) في الأصل: مستوى.

(٣) في الأصل: عن.

(٤) في الأصل: أما المتشابهات وفي وسعها.

(٥) في الأصل: العظم.

العصريةِ، فلو كانَ القرآنُ يُصَرِّحُ بالتَّحَرُّكِ [١] لآياتِهِ المُحْكَمَةِ لرماهُ الناسُ في عَصْرِ النبيِّ ومِصْرِهِ بالجهالةِ، ومناقَضَةِ الحِسِّ والعقلِ، فلم يَكُ يؤمِنُ به واحدٌ من الناسِ قَطُّ، كما أَنَّهُ لو كانَ مصرِّحًا بسكونِ الأرضِ على وجهٍ مُحْكَمٍ لا يتداخَلُهُ الشَّكُّ لَكانَ أهلُ عصرِنا ينتفضونَ على القرآنِ ويَتَّهِمونَهُ بمخالفَةِ الفَنِّ الحكيمِ، فكأَنَّ القرآنَ في جمودِهِ على المُحْكَمِ [أَمَّا أنْ يكون] خاسرًا لإيمانِ أهلِ ذلكَ العصرِ، وأَمَّا خاسرًا إيمانَ هذا العصرِ به، بخلافِ ما لو سلكَ سبيلَ الإجمالِ في المتشابهاتِ، كقوله [تعالى]: ﴿وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [٢]، أو [قوله تعالى]: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا﴾ [٣] إلى غيرِ ذلكَ من آياتٍ متشابهاتٍ تشيرُ إلى [٤] حركةِ الأرضِ من طَرْفٍ خَفِيٍّ [٥]، فإنَّ ذلكَ وَجْهٌ متوسِّطٌ يُلائِمُ ذَوْقُ العامَّةِ في عَصْرِهِ، كما يُلائِمُ ذوقَ الخاصةِ في هذا العصرِ، ويصبحُ كتابًا محبوبًا في كافةِ العصورِ.

– خامسًا: إنَّ القرآنَ معجزةُ الإسلامِ الباقيةِ ببقاءِ الدهورِ والبشرِ، فلا بُدَّ من اشتمالِهِ على المعجزاتِ العلميةِ، والأسرارِ الغيبيةِ لأبناءِ كُلِّ جيلٍ وقبيلٍ، من خلالِ آياتِهِ، [ك]بيانِ مَسْكُونيَّةِ السمواتِ بالحيواناتِ كَمَسْكُونِيَّةِ أرضِنا بها في آية: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ

(١) أي إنَّ الأرض متحركة.

(٢) سورة النمل: الآية ٨٨

(٣) سورة طه: الآية ٥٣

(٤) في الأصل: على.

(٥) للتفصيل في بيان الاستدلال بالآية المباركة على حركة الأرض ينظر: الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ١٥/٤٠٥-٤٠٦ ، الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٢/١١٥-١١٦

قَدِيرٌ﴾[١]، فلو لم تَنْزَلْ هذهِ الحِكمةُ المُحْكَمَةُ لذي المتشابهاتِ لَصَرَخَ المنافقونَ بالناسِ، وأثاروا [٢] الغوغاءَ على النبيِّ بأَنَّهُ مجنونٌ –حاشاه–، يزعمُ بوجودِ البغالِ والحميرِ في السمواتِ العُلا. [٣]

– سادسًا: إنَّ هذا القرآنَ الذي يتحدَّى فِصاحَ [٤] العربِ والعجمِ، وبلغاءَ الأُمَمِ، بأَنَّهُ

(١) سورة الشورى: الآية ٢٩ ، في الأصل: آية في سورة الشورا.

من خلال هذه الآية الشريفة يمكن القول بوجود كائنات حية في الكواكب السماوية المتعددة، وهذا ما يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾. ينظر: الشهرستاني، هبة الدين: الهيأة والإسلام، تق: السيد أحمد الحسيني، (الآداب، النجف، ١٣٨١هـ ١٩٦١م، د.ط): ٧٨ ، الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٣٩٢/١٥

(٢) في الأصل: أثارو.

(٣) في الأصل: العلى.

إنَّ السيد يحاول في بيانه أو تفسيره للقرآن الكريم أنْ يجمع بين الموروث الديني من نصوص قرآنية وأحاديث شريفة وما توصَّل إليه العلم الحديث في نظرياته العلمية الثابتة، ويبيِّن عظمة الشريعة في مجاراتها للعلوم الأحاديث، فهو يتحدث عن الفلك، ودوران الأرض حول الشمس، وغيرها مما أكتشفه العلم الحديث وهذا ما ذكره في كتابه القيم "الهيأة والإسلام"، فهو يريد أنْ يجعل من النصوص الشرعية شريعة قائمة بذاتها، تواكب المسيرة الإنسانية، وليست نصوص قانونية جامدة؛ لذلك كان (قدس سره) من المصلحين المسلمين في العصر الحديث الذين يقرؤون الشريعة قراءة حياة دائمة متطورة، لا حياة تراث وموروث ديني يجب التسليم له طوعًا أو كرهًا، ومراجعة مثلاً كتاب "الهيأة والإسلام" تؤكد ذلك.

(٤) فِصاح جمع فصيح، قال "آبن منظور": فَصُحَ الرجلُ فَصاحَةً فهو فَصِيحٌ من قومٍ فُصَحاء وفِصاحٍ وفُصُحٍ. لسان العرب مادة (فصح).

مُعْجِزٌ لا يُبَارى لا بُدَّ أنْ [١] يستكثرَ في آياتهِ المجازاتِ، والاستعاراتِ، والكناياتِ، والمحاسنِ البديعيةِ صيانةً [٢] لِوَدَعَةِ [٣] إيجازِهِ وإعجازِهِ، فتنقلبَ إلى المتشابهاتِ بالطبعِ.

وهذهِ وجوهٌ وجيهةٌ لم أجد أحداً سبقني إليها أضفتُها إلى ما سجَّلَهُ ٱبن شهر آشوب السروي. [٤]

– المورد الثاني: [٥]

قال: تَكَلَّفَ بعضُهُم في سَرْدِ الحِكَمِ لإيجادِ المتشابهاتِ في القرآنِ فأخطأَ

(١) في الأصل: لابد وأنْ.

(٢) في الأصل: صيانتًا.

(٣) هكذا في الأصل. وداعة فهو وديع ووادع أي ساكن. ٱبن منظور: لسان العرب مادة (ودع) ، أي سكون وٱطمئنان المسلمين بإيجاز القرآن وإعجازه.

(٤) إنَّ بعض هذه الوجوه قد ذكرها السيد "الشهرستاني" عند تقديمه لكتاب "متشابه القرآن ومختلفه" للشيخ "ٱبن شهر آشوب المازندراني"، وقد ذكر أكثر مما تقدم من الوجوه. ينظر: ٱبن شهر آشوب: متشابه القرآن ومختلفه، صفحة ج – و ، وذكر بعضها في كتابه "المعجزة الخالدة" ينظر: ٨٦–٩١ تحت عنوان (المتشابهات القرآنية خزانة المعجزات). وعند تتبع الباحث الكتاب لم يَطَّلع على شيء قد ذكره "ٱبن شهر آشوب" حول أسباب ٱشتمال القرآن الكريم على المتشابهات، وإنما يبدأ كتابه بعد تعريف المحكم والمتشابه ببيان ما يتعلق بالآيات المتشابهات، وللسيد "الشهرستاني" تعليقات مخطوطة على هذا الكتاب.

(٥) مخطوط رؤوس الدروس ١٣٨/٢

الطريقَ[١]؛ لأَنَّ المقامَ يناسِبُهُ ذِكْرُ العِلَلِ والأسبابِ دونَ الحِكَمِ والأغـراضِ [٢]؛ لأنَّ الحِكْمَةَ تَصْدُقُ على النتيجةِ المقصودَةِ [٣] بالذات، دونَ المتولِّدَةِ من غيرِ عنايةٍ، أَلا تَرَى أَنَّكَ [إذا] أَكْثَرْتَ من الأَكْلِ فَثَقُلْتَ، يَصْدُقُ عليكَ أنَّ عِلَّةَ ثِقَلِكَ كَثْرَةُ أَكْلِـكَ، ولا تَصْدُقُ الحِكْمَةُ ولا الغَرَضُ، كذلكَ الأمرُ في المُتَـشابِهِ [٤] فإِنَّـهُ مُتَوَلِّـدٌ مـن ٱستعمالِ المجازاتِ، والكناياتِ، والتشبيهاتِ، والاستعاراتِ، وسـائِرِ أفـانينِ [٥] البلغاءِ في آيِ الفرقانِ، كما يَتَوَلَّدُ الإجمالُ أحيانًا من الإيجازِ، وهذا المُتَوَلِّدُ قهـرًا وبلا عناية ليس مقصودًا بالذاتِ لدى المُتَكَلِّمِ حتى نَتَكَلَّفَ من أجلِها بِسَرْدِ الحِكَمِ والأغراضِ، ويكفينا ذِكْرُ العِلَّةِ والسببِ بمحصولِ المتـشابهاتِ في القـرآنِ كـما ذَكَرْنا. [٦]

(١) منها ما ذكره "الفخر الرازي" ينظر: التفسير الكبير ١٤١/٧-١٤٢

(٢) يرى الباحث أنَّ معرفة علل أحكام الشريعة المقدسة لا يمكن لأحد معرفتها إلا مَنْ أطلعه الله تعالى على ذلك؛ لأنَّ العلة سبب إيجاد المعلول وهو الحكم الشرعي في هذا المحـل، ولما كان الله تعالى هو المشرِّعُ للأحكام في كتابه المجيد فمعرفة علة الأحكام محـصورة فيه، وكُلُّ ما يذكره غيرهم فهو يقع ضمن الحكمة وليس العلة.

(٣) في الأصل: مقصدة.

(٤) في الأصل: متشابه.

(٥) الأفانين: الأساليبُ، وهي أجناسُ الكلامِ وطرقُهُ. الجـوهري، إسـماعيل بـن حمـاد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايـين، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م)، مادة (فنن).

(٦) إنَّ كُلَّ ما ذكره السيد فيما تقدم هو من الحكمة وليس العلة، وقد تكـون تلـك الحِكَـم موافقة للواقع أو غير موافقة، فضلاً عن أنه قد عبَّر عنها بأنها من الحكمة فقـال: إذًا يحـق لكم التساؤل عن الحكمة التي أدخلت مثل هذه المتشابهات في آيات الذكر الحكيم. ولم يقل العلة. ينظر: ص ٢٩٩

– المورد الثالث: [١]

قال: قد ذَكَرْنا في كُتُبِنا ما يَكْشِفُ القناعَ، ويَحْسِمُ النزاعَ، فأوردنا في تفسيرنا "حجة الإسلام" [٢] ما هذا لفظه: إذا فُسِّرَ المُحْكَمُ بما لا يشتبِهُ السامعُ في معناهُ، وإذا فُسِّرَ المُتَشابِهُ بما يشتبِهُ الفَرْضُ فيهِ على المُخَاطَبِ، فالقرآنُ الحكيمُ نزلَ من عندِ الله على نبيهِ الكريمِ مُحْكَمًا كُلَّهُ بدليلِ قوله [تعالى]: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [٣]، وإنَّما حصلَ التشابُهُ في المُتَشابِهِ من آياتهِ بسببِ ٱختلافِ أفهامِ الناسِ، فَرُبَّ آيةٍ مُحْكَمَةٍ عندي ومتشابِهَةٌ عندِ تلميذي، وَرُبَّ آيةٍ متشابهةٍ عندَ العوامِ مُحْكَمَةٌ عندَ العلماءِ [٤]،

(١) مخطوط الدلائل والمسائل ٥٨١/٤ وهو جواب لسؤال وُجِّهَ لسماحته حول الحكمة من ٱشتمال القرآن على المتشابهات وهذا نصه: ((كيف نزل القرآن مشتملاً على المتشابهات وقد قال سبحانه: ﴿ألر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، وقال سبحانه: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾)).

(٢) لم يحصل الباحث عند مراجعته هذا التفسير على هذا القول؛ لأنَّ التفسير هو أوراق أُعِدَّت لموضوعات في التفسير، وأغلب صفحات التفسير فارغة، فلعل السيد قد ذكر ذلك في مسودات التفسير والتي أغلبها بخطه، وقد كتبها عند فقده لبصره ولا يمكن لأحد قراءتها.

(٣) سورة الشورى: الآية ١

(٤) إنَّ القرآن الكريم لا يمكن أنْ يكون فيه تفاوتٌ مطلقًا لو فُهِمَ من خلال اللغة التي نزل بها، مضافًا للاعتقاد الصحيح بأصول العقيدة الإلهية؛ لأنَّ لغة التخاطب متفق عليها بين الجميع، وأصول العقيدة واضحة لا خفاء فيها؛ لذلك نرى أنَّ العلماء قد جمعوا تلك الآيات المتشابهة وبيَّنوا سبب ذلك التشابه، فليست المسألة مفتوحة الباب، ليتطور ذلك الخلاف في فهم الآيات المباركة.

فالراسخونَ في العلمِ يَرَوْنَ القرآنَ لديهِم مُحْكَمًا جُلَّهُ، بل كُلَّهُ [١]، وقِسْمٌ من العوامِ يجدونَ القرآنَ مُتَشابِهًا كُلَّهُ، أو جُلَّهُ [٢]، وعليهِ فلم ينزلِ القرآنُ مُتَشابهًا (حتى ولا بعضه) بالإضافةِ إلى اللهِ ورسولهِ والراسخينَ في العلمِ في الأكثرِ، وإنَّما حصلَ التشابُهُ في آياتٍ [٣] قليلةٍ أو كثيرةٍ، بسببِ ٱختلافِ مقدرةِ السامعينَ العلميةِ، فلا يُنْكَرُ وجودُ المُتَشابِهِ في القرآنِ حسبما [٤] صَرَّحَتْ به الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [٥]، كما لا نَنْكُرُ وجودَ المُحْكَماتِ مهما ٱختلفَ أمرهُما بحسبِ الإضافاتِ، غير إنَّنا نُفَرِّقُ بينَ القولِ بنزولِ القرآنِ كذلكَ، وبينَ القولِ بوجودِ القرآنِ بهذهِ الصفةِ، والمرادُ من نزولهِ أَنَّهُ أُوحِيَ على رسولهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) مما أُوحِي به على محمدٍ لا مُتَشابِهًا فيهِ عندَ

(١) في ذلك إشارة إلى ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث طويل يقول: ((وإنما هلكَ الناسُ في المتشابهِ؛ لأنهم لم يقفوا على معناهُ، ولم يعرفوا حقيقتهُ، فوضعوا له تأويلاً من عند أنفسهِم بآرائِهم، وٱستغنَوا بذلكَ عن مسألةِ الأوصياءِ، ونبذوا قولَ رسولِ اللهِ "صلى الله عليه وآله" وراءَ ظهورهِم)). الشريف المرتضى: رسالة المحكم والمتشابه: ٦٩ ، الحر العالمي: وسائل الشيعة ٢٧/٢٠٠ باب (عدم جواز ٱستنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلا بعد معرفة تفسيرها من الأئمة "عليهم السلام") الحديث ٦٢

إنَّ هذا القول يدل على أنَّ السيد "الشهرستاني" يذهب إلى القول بعلم الراسخين في العلم بتأويل القرآن الكريم.

(٢) إنَّ العوام لا يمكن الاعتماد عليهم في فهم قول الله تعالى –كله– من عدمه، من دون الرجوع لأهل الذكر؛ لأنَّ القرآن نزل بلغة العرب، وهي تحوي أساليب متعددة في التخاطب، وهذا لا يعني أنه ليس حجة عليهم، ولا هاديًا لهم.

(٣) في الأصل: آياته.

(٤) في الأصل: حسب ما.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٧

اللهِ وعندَ رسولِهِ والراسخينَ في العلمِ [١]، لكنَّهُ بعدَ التبليغِ للمخاطبينَ ٱنقسمَ بحسبِ أفهامِهِم العامَّةِ إلى واضحاتٍ هُنَّ أصلُ القرآنِ وقوانينُهُ، وأحكامُهُ العامَّةُ، كما ٱنقسمَ إلى متشابهاتٍ تَضَمَّنَتْ المجازاتُ، والكناياتُ، وسائِرُ أساليبِ البلغاء حسبَ تناسُبِ، أو تفاوُتِ درجاتِ الناسِ في العلمِ والفَنِّ، والحكمةُ في هذا:

– أولاً: ٱختلافُ الأذواقِ والأفهامِ، وتَطَلُّبُ كُلِّ ما يناسبُهُ، كاختلافِهم في طباعِهم في التذوُّقِ بالأطعمةِ والألبسةِ.

– ثانيًا: قُوَّةُ الكلامِ ومزاياهُ الكمالية، كما هو محسوسٌ في آثارِ البلغاءِ نظمًا ونثرًا.

– ثالثًا: إنَّ وجودَ المتشابِهِ هو مادةُ الخلودِ، فالكتابُ الخالِدُ يجبُ أنْ يشتملَ على أسبابِ الخلودِ، وهي أنواعُ المتشابِهِ التي تجعلُ الكتابَ محبوبًا ومرغوبًا عندَ الناسِ على ٱختلافِ أجيالِهِم وأذواقِهِم.

(١) يرى الباحث أنَّ هذا كلام مهم جدًّا، وفي غاية الدقة والتحقيق، ويجب بيانه في الدراسات القرآنية؛ ليكون الباحثون على دراية في مباحث علوم القرآن، فضلاً عن رد شبهات المشككين حول الإعجاز القرآني، فالقرآن كتاب محكم في آياته، منزل لهداية البشرية كلها بأعذب أسلوب، وأوضح دلالة على الرغم من ٱشتماله على الآيات المتشابهات.

**المبحث الخامس: الآيات المتشابهة التي ذكرها السيد الشهرستاني.**

**ذكر السيد في مخطوطاته ما يتعلق ببعض الآيات المتشابهات التي تحتاج إلى بيان وتوضيح للمتشابه، وبيان أقوال المفسرين في توجيهها، وقد أستعرض ذلك في موارد ثلاثة من مخطوطاته، كمثال للمتشابهات في القرآن الكريم وليس على سبيل الحصر، وأثر ذلك على العقيدة الإسلامية، وخصوصًا مباحث التوحيد، والذي هو أهم أصول العقيدة في الديانات السماوية، وتنزيهه عما لا يليق بذاته المقدسة من صفات النقص والسلب والإمكان، وأنقسام المسلمين في فهم تأويل هذه الآيات، وأثر ذلك على معرفتهم بالله تعالى.**

**– المورد الأول: [١]**

**قال: قال سبحانه في سورة "الحاقة": ﴿وَالمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [٢] لم يذكر ربُّنا المُمَيِّزَ للثمانيةِ، فلا يعلمُ أحدٌ المُرادَ منها، ثمانيةُ رجالٍ من الإنسِ أو الجنِّ، أو ثمانيةُ أملاكٍ، أو ثمانيةُ إسطواناتٍ أو قوائمَ، أو ثمانيةُ قوى، أو ثمانيةُ كراتٍ، أو ثمانيةُ أرواحٍ أو غير ذلك. [٣]**

---

(١) مخطوط الرسالة العرشية: ٣٧ ، مخطوط الدلائل والمسائل ١٥٢/٥-١٥٣ وفيه سؤال وُجِّهَ لسماحته حول الآية وهذا نصه: ((مَنْ هم الثمانية الذين يحملون عرش الله كما في قوله تعالى: ﴿وَالمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾)).

(٢) سورة الحاقة: الآية ١٧

(٣) لقد ذكر المفسرون آراء متعددة في تفسير الآية الشريف للتفصيل ينظر: الطبري: جامع البيان ٢٧٤/٢٦ ، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٩٩/١٠ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٦٠٦/٤

ومن المُقَرَّرِ في فَنِّ البلاغةِ وعلمِ المعاني والأصولِ أنَّ حذفَ المُتَعَلَّقِ يفيدُ العمومَ[١]؛ ولذلكَ عَدَّ المفسرونَ هذهِ الآيةَ من المتشابهاتِ لإجمالٍ فيها، وما أبدعَ جمالِ هذا الإجمالِ وٱنطوائِهِ على أسرارٍ مُهِمَّةٍ، وعُلومٍ جَمَّةٍ ... [٢]

– المورد الثاني: [٣]

قال: إنَّ الآية: ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [٤] من المتشابهاتِ التي نشأَ إجمالُها من حذفِ فعلٍ بأوَّلِها، وحذفِ ٱسمٍ مُمَيِّزِ العددِ بآخرِها [٥]، والقرآنُ العظيمُ إذ يجري أحيانًا على الإيجازِ، وأنواعِ المجازِ، كعادةِ الخُطَباءِ البُلَغاءِ، فلا تَنْفَكُّ آيةٌ من إجمالٍ وتشابُهٍ على الأكثرِ، لذلكَ قالَ الإمامَ سيدنا علي (عليه السلام) لابن عباس في محاكمتهِ الخوارجَ بالقرآنِ: ((إنَّ القُرْآنَ حَمَّالٌ ذو وجوهٍ)) [٦]، أي يقبلُ

(١) البروجوردي، مرتضى: مستند العروة الوثقى، (العلمية، قم، ط١، ١٤١٤هـ) ٦٢/٢

(٢) ذكر السيد في رسالته "العرشية" بعض أقوال المفسرين في تفسير (الثمانية) وٱختلافهم فيها، وكذلك أشار إلى ما يتعلق بالآية في مخطوط تفسير المحيط، أوراق مخطوطة غير مرقمة.

(٣) مخطوط الدلائل والمسائل ١٥٢/٥ وهو جواب لسؤال وُجِّهَ لسماحته وهذا نصه: ((ما هو المراد من آية: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ وإذا كانوا ملائكة فما السر في هذا العدد؟)).

(٤) سورة المدثر: الآيتان ٢٩–٣٠

(٥) يرى الباحث أنه على الرغم من أنَّ التمييز محذوف ولكن العرب فهمت من ذلك أنهم ملائكة دون غيرهم وهذا ما بَيَّنته الآية التالية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلَائِكَةً﴾؛ لذلك نرى أنهم في أول أمرهم كانوا يستهزؤون بهذا العدد مقابل بَأْسِهِم وقُوَّتِهِم وتهديدِهِم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ينظر: القمي: تفسير القمي ٣٩٣/٢ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٨١/١٠

(٦) الشريف الرضي: نهج البلاغة ١٥٠/٣

الاحتمالاتِ والتوجيهاتِ، [ولا] سيما على غيرِ الراسخينَ في العلمِ؛ بسببِ إيجازِهِ، وكثرةِ مجازِهِ، والإيجازُ والمجازُ قُطْبَا كُرَةِ الإجمالِ في كُلِّ كلامٍ.

وبالجملةِ فالوجوهُ المحتملةُ في هذهِ الآيةِ قد تجوز تسعة عشر: (١)

١- إنَّها عددُ عصاةٍ معلومينَ (٢) من مشاهيرِ عصاةِ عصرِ النبيِّ [صلى الله عليه وآله وسلم] ومعانديه من كُفَّارِ الحجازِ، ومنافقةِ قريشٍ، مثل: أبي سفيان، وأبي جهل، وأبي لهب. (٣)

٢- إنَّهم ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ يسجرونَ النارَ اللَّواحَةَ، أو يَجُرُّونَها إلى العصاةِ، أو العصاةَ إليها. (٤)

٣- إنَّهم مشاهيرُ عصاةِ العالَمِ من إبليسِ آدمَ، وقابيلَ، وفرعونَ إلى آخرِ الدهرِ من صناديدِ الجورِ والفجورِ.

٤- إنَّها حروفُ البسملةِ فهي ١٩ [حرفًا]، وأحكامُ الوحيِ لواحةٌ للبشرِ (...) بحقائقِ الأمرِ وعلى عناوينِها ١٩ حرفًا معلومة بقول الباطنية (...) وشبيه أضرابهم.

٥- إنَّها حُجُبٌ مَسْدولَةٌ على النارِ من روادعِ النُّبُوَّاتِ، والحِكَمِ، والآياتِ.

---

(١) وقد ذكر السيد أثني عشر منها فقط.

(٢) في الأصل: معلومون.

(٣) إنَّ الروايات الشريفة ذكرت من أولئك العصاة الكفرة في موارد تفسير الآية "أبا جهل" دون سواه من رفيقيه في الكفر والعصيان "إبي لهب" و "أبي سفيان"، وإنْ كان الأمر يشملهما قطعًا؛ لمواقفهما الصريحة ضد الشريعة الإسلامية المقدسة. ينظر: الطبري: جامع البيان ٤٩٥/٢٦ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٨١/١٠ ، ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ٤٠٨/٨

(٤) قد تقدم أنهم من الملائكة الموكَّلين بهذه المسؤولية.

٦- إنَّها قناطِرُ وجسورٌ ممدودةٌ على شفا حُفَرِ النارِ للجوازِ عنها، أو أسبابِها من شرائِعَ، أو شفعاء.

٧- إنَّها مُطْفئاتُ النارِ، ومضاداتُ فعلِها من مذاهِبَ وأئمَّةٍ.

٨- إنَّها شهودٌ ودلائلُ قائمةٌ على أنَّ لله نارًا [١] لَوَّاحَةً للبشرِ.

٩- إنَّها كُتُبٌ سماويَّةٌ، أو علائِمُ وآياتٌ سالِفَةٌ تَنُصُّ على وجودِ هذهِ النارِ.

١٠- إنَّها أدوارٌ ماضيةٌ من قرونٍ وسنينَ مَرَّتْ على هذهِ النارِ المُسْجَّرَةِ، وهي مبالغةٌ في تسجيرِها، وإذكائِها.

١١- إنَّها درجاتٌ وطبقاتٌ لهذهِ النارِ اللواحةِ. [٢]

١٢- إنَّها أصنامٌ فخيمةٌ كانت على الكعبةِ.

إلى غيرَ ذلكَ من الوجوهِ المحتملةِ في هذه الآيةِ [٣] بسببِ حذفِ مُتَعَلَّقِ الظرفِ [٤] ﴿عَلَيْهَا﴾، وحذفِ المُمَيِّزِ للعددِ ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾، لكِنَّ الراجِحَ الواضِحَ هو الرأيُ الأولُ [٥]، أشارَ بذلكَ إلى رؤساءِ الأحزابِ المعارضةِ للنبيِّ ولدينِهِ، والحِكْمَةُ في

(١) في الأصل: نار.

(٢) الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٢٦/٢٩

(٣) إنَّ كثيرًا من هذه التفسيرات التي أوردها السيد "الشهرستاني" لم يذكرها المفسرون في تفاسيرهم، بعد ٱستقصاء الباحث لأغلب التفاسير، ولعل بعضها غير واضح الدلالة، ولم يذكر السيد مستنده في كل ذلك.

(٤) في الأصل: ضرف.

(٥) إنَّ الرأي الذي يرجحه السيد "الشهرستاني" القائل بأنه عدد لعصاة معلومين لم يذكره أحد من المفسرين، وكذلك أنَّ السيد نفسه لم يذكر أولئك العصاة بأسمائهم، ولا الروايات الدالة عليه، فضلاً عن أنَّ السياق لا يدلُّ على ذلك، بل إنَّ أغلب التفاسير ترجح

الإجمالِ ليستْ رعايَةُ السَّجَعِ فقط، بل التقيةُ من أولئِكَ الكفرةِ الأقوياءِ [١] بأجملِ تعبيرٍ.

– المورد الثالث: [٢]

قال: قال تعالى في سورة القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [٣] والنَّاظِرَةُ بمعنى المُنْتَظِرَةُ [٤]، كما في قولِ الشاعرِ: (وإنَّ غدًا لناظرهِ قريبُ). [٥]

---

أنَّ المراد بأولئك هم "الملائكة" ولعل ما يؤيد ذلك هو سياق الآيات التي تلتها إذ قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلَائِكَةً﴾. [سورة المدثر: الآية ٣١]

(١) يرى الباحث أنَّ هذا تعليل غير واضح الدلالة للأسلوب القرآني في تعامله مع الكافرين وغيرهم، فلا يتقي أحدًا خوفًا منه إنْ أراد ذكر ٱسمه صريحًا، بل هناك أبعاد أخرى لعدم ذكرها من قبيل ٱحتمال هدايتهم للإسلام وغير ذلك، وإلا فقد ذكر من أولئك العتاة "أبا لهب" وٱمرأته بصريح القول، فضلاً عن مخالفة هذا القول لرأيه بأنهم من مشاهير العصاة المعلومين في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم نَرَ أنَّ التأريخ يذكر أنه كان يعامل هؤلاء بالتقية، بل كان يذكر كفرهم وشركهم ويدعوهم إلى الإسلام صراحة وعلنًا بأسلوبه الحكيم.

(٢) الشهرستاني، هبة الدين: أوراق مخطوطة ملحقة بمخطوط حديث مع الدعاة، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٦–٧ تحت عنوان: (عدم رؤية الله ولا تناقض في القرآن).

(٣) سورة القيامة: الآيات ٢٢–٢٥

(٤) ٱبن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة (نظر) ، الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٥٢٠ (نظر) ، ٱبن منظور: لسان العرب مادة (نظر).

(٥) عجز بيت من قصيدة للشاعر "هُدبة بن الخشرم العُذري" يقول في مطلعها:

س: تدلُّ هذهِ الآيةُ بظاهرِها حصولَ الرؤيةِ لجملةٍ من الناسِ، وقد دَلَّتْ آياتٌ كثيرةٌ على أَنَّهُ تعالى لا يُرَى، ولا تُدْرِكُهُ الأبصارُ. (١)

ج: لا تناقُضَ بينَ هذهِ الآيةِ وتلكَ الآياتِ عندَ التدبُّرِ في معانيها، وقد أُمِرْنَا بالتدبُّرِ في آياتِ اللهِ دونَ أنْ نَمُرَّ عليها عُمْيانًا، وإذا تَدَبَّرْنا الآيةَ وَجَدْنا وجوهًا تكشفُ لنا مغلطةَ هذا التناقضَ الموهومَ (منها): إنَّ آياتِ القرآنِ تنفي رؤيةَ اللهِ تعالى بالأبصارِ، وهذهِ الآيةُ صريحةٌ في أنَّ الوجوهَ ناظِرَةٌ دونَ الأبصارِ، وليست الوجوهُ ها هنا كنايةً عن الأبصارِ (٢)؛ لأنَّ الأوصافَ المذكورةَ للوجوهِ لا تناسبُ شيئًا (٣) منها

---

طَرِبْتَ وأَنْتَ أَحْيانًا طَرُوبُ  وكَيْفَ وقَدْ تَغَشَّاكَ المَشِيبُ

إلى أنْ يقول:

فإِنْ يَكُ صَدْرُ هذا اليومِ وَلَّى  فإنَّ غَدًا لِناظِرِهِ قَرِيبُ

الجبوري، يحيى: شعر هدبة بن الخشرم، (دار القلم، الكويت، ط٢، ١٤٠٦هـ١١٩٨٦م): ٥٧ ، وصار مثلاً عند العرب يضرب للانتظار، قال "الميداني": (إنَّ غدًا لناظرِهِ قريبٌ) أي لمنتظره، وأول مَنْ قال ذلك "قُرَاد بن أجدع". أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت) ١/٧٠

(١) مثل قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ المُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٤٣] وغيرهما من الآيات المباركة.

(٢) قال "الفخر الرازي": وقد ذكر العلماء على أنه لا يجوز صرف الكلام إلى المجاز إلا بعد تعذر حمله على الحقيقة. التفسير الكبير ٣٠/٦١٣

(٣) في الأصل: شيء.

الأبصارَ، حتى يسوَّغَ لنا تفسيرَ الوجوهِ بها، لا في هذهِ الآيةِ ولا في غيرِها؛ لتوصيفِهِ الوجوهَ أولاً بالنضارَةِ [١]، وهي صفةٌ للوجهِ الحقيقيِّ المشتملِ على الأنفِ، والجبينِ، والعينِ، والفمِ، وليست مناسبةً لخصوصِ العينِ.

ولتوصيفِهِ الوجوهَ ثانيةً بالباسِرَةِ [٢]، وكذلكَ توصيفِ الوجوهِ بالصفاتِ الأُخَرِ في بقيةِ الآياتِ كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آَنِيَةٍ* لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [٣]، فإنَّ صفةَ النعومَةِ والخشوعِ والسقيِ وغيرِها تناسِبُ الوجهَ الحقيقيَّ، دونَ الباصرةِ. [٤]

فإذا تعيَّنَ بإرادةِ المعنى الحقيقيِّ من لفظِ الوجوهِ تبيَّنَ أولويةَ تقديرِ المضافِ، كالغفرانِ، والرحمةِ، والثوابِ وسائرِ ما يناسِبُ السياقَ، وإنَّ التقدير: (وجوهٌ يومئذٍ ناضِرَةٌ إلى ثوابِ رَبِّها ناظِرَةٌ) [٥]، أو إلى رحمةِ رَبِّها، وتقديرُ المضافِ أمرٌ شائعٌ في كُلِّ كلامٍ ومقالٍ، [فـ]لَزَمَ تفسيرُ النظرِ بالانتظارِ.

---

(١) الناضرة أي الحسنة الرونق، المشرقة. الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٥١٩ (نضر) ، الطريحي: مجمع البحرين ٣٢٦/٤ (نضر).

(٢) الباسرة أي الكالحة، المكروهة، العابسة. الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٥١ (بسر) ، الطريحي: مجمع البحرين ١٩٨/١ (بسر).

(٣) سورة الغاشية: الآيات ١–٩

(٤) أي: إنَّ الوجه سوف تظهر عليه في ذلك اليوم علائم جزاء أعماله الصالحة والطالحة يوم القيامة، وفي ذلك بشارة للمؤمنين، وتوبيخ وذلٌّ للكافرين، قال الشيخ "الطبرسي" في تفسيره: ((وإنِّما ذكرَ الوجوهَ لأنَّ الذُّلَّ والخضوعَ يظهرُ فيها)). الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٣٥/١٠

(٥) ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١٩٧/١٠

وإنَّما يتعيَّنُ تقديرُ المضافِ بعد إبقائِنا اللفظَ على معناهُ الحقيقيِّ؛ لأنَّ الوجهَ الحقيقيَّ لا معنى لكونِهِ ناظرًا إلى سبحانِهِ، لا عندَنا ولا عندَ مخالِفِينا في المسألةِ؛ لأنَّ الإثباتَ منهم، والنفيَ مِنَّا، إنَّما يتعلَّقُ بحصولِ النظرِ إلى الباري نفسِهِ بآلةِ

---

وقد فصَّل القول الشيخ "الطبرسي" في الوجوه المحتملة، وحذف المضاف، والرد على القائلين برؤيته تعالى. ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠/١٩٨

وذكر "الفخر الرازي" أقوال المعتزلة في المسألة وتفسيرهم للفظ (النظر) وٱستحالة ذلك على الله تعالى ومناقشة الأقوال. ينظر: التفسير الكبير ٣٠/٧٣٠-٧٣٣

ومن غريب القول: إنَّ الله تعالى يُرى يوم القيامة، وهذا من المباحث التي بُحِثت في العقائد، فتمسَّكَ بعض المسلمين بأحاديث نسبوها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجعلوها عقيدة ثابتة يؤمنون بها، فقالوا: ((ونَدِينُ بأنَّ اللهَ يُرى في الآخرةِ بالأبصارِ كما يُرَى القَمَرُ لَيْلَةَ البَدْرِ، يَراهُ المؤمنونَ كما جاءَتْ الرواياتُ عن رسولِ اللهِ "صلى الله عليه [وآله] وسلم")). الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة: ٢٦

وذكر "ٱبن الجوزي" في تفسيره الآية الشريفة: ((روى عطاءٌ عن ٱبنِ عباس قال: إلى الله ناظرةٌ. قال الحسنُ: حَقٌّ لها أنْ تَنْضَرَ وهي تنظرُ إلى الخالقِ، وهذا مذهبُ عكرمة. ورؤيةُ اللهِ عزوجل حَقٌّ لا شَكَّ فيها، والأحاديثُ فيها صِحَاحٌ، قد ذَكَرْتُ جملةً منها في "المغني" و "الحدائق")). وذُكِرَتْ في الهامش أحاديث تنسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تؤكد رؤيته سبحانه وتعالى. زاد المسير ٨/٤٢٢

ويرى الباحث أنَّ حديث "ٱبن عباس" يذكر لفظ (النظر) وليس (الرؤية) كما في القرآن الكريم، والأول فيه معانٍ متعددة، بخلاف الثاني، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إنَّ في قول "الحسن" عدم وجود أية ملازمة عقلية بين النضرة وبين رؤيته تعالى.

البَصَرِ[١] فيتعيَّنُ ... [٢]

– المورد الرابع: [٣]

قال فيما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ﴾. [٤] قَدَّمَ المفتي [٥] كما في تفسير "المنار" [٦] مقدمة خلاصتها ((سد باب التفقه في الآيات المتشابهات بحجة أنَّ الملائكة إذا لم يعلموا أسرار الخليقة فالإنسان أجدر

(١) إنَّ للسيد الطباطبائي في تفسيره رأيًا فلسفيًّا مهمًّا فيما يتعلق بالرؤية على قسميها البصر والبصيرة، وآمتناع الأولى على الله تعالى، وإمكان الثانية في الآخرة، وتوجيه الروايات الواردة في ذلك، ما يستحقُّ التأمُّل والتدبُّر، فلعل في كلامه ما يوافق بين العلم بالباطن والظاهر والخروج بنتيجة كبيرة لمسألة مهمة من أُمَّات المسائل العقائدية التي ضَلَّ فيها كثير من المسلمين، عن طريق جهلهم أو آشتباههم بمفهوم التوحيد الحقيقي لله تعالى، أو الإذعان لروايات يعتقدون بصحتها. ينظر: الميزان في تفسير القرآن ٢٤٢/٩ ، ٣٠/٢٧ وقال "الطباطبائي" في خصوص الآية الشريفة: ((والمرادُ بالنظرِ إليهِ تعالى ليسَ هو النظرُ الحِسِّيُّ المتعلِّقُ بالعينِ الجسمانيةِ الماديةِ، التي قامَتِ البراهينُ القاطعَةُ على آستحالتِهِ في حَقِّهِ تعالى، بل المرادُ النظرُ القلبيُّ، ورؤيةُ القلبِ بحقيقةِ الإيمانِ على ما يسوقُ إليهِ البرهانُ، وتَدُلُّ عليهِ الأخبارُ المأثورةُ عن أهلِ العصمةِ "عليهم السلام")). ١٢٢/٢٩

(٢) إلى هنا ينتهي كلامه حيث قطع في الأصل مع الأسف.

(٣) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوطة التفسير المحيط، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة) أوراق بلا ترقيم.

(٤) سورة البقرة: الآية ٣٠

(٥) أي الشيخ "محمد عبده".

(٦) في الأصل: كما في تفسير المنار ج١ ص٢٥٢

بهذا الجهل، وأنَّ الجدير بنا أنْ نؤمن بما في عالم الغيب على سبيل الإجمال دون أنْ نجتهد في فهم غوامضها و.. و ..)). [1]

أقول [الشهرستاني]: ((أما وجوب الإيمان بما في عالم الغيب على وجه الإجمال فهو مسلَّمٌ، وأما جدارة الوقوف عند هذا الحد دون البحث عن غوامضه فلا نوافق المفتي عليه؛ لأننا مأمورون بالتدبر في القرآن وآياته، والتفقه في الدين وحل مشكلاته، وإنْ أخطأ مِنَّا قليلون ففي هذا القليل بركة تَعُمُّ العالمين، ولو أراد الله ٱنسداد أبواب العلم في هذه الآيات لكان الأَوْلى بها أنْ لا تنزل، وأنْ لا نُؤمر بتلاوة ما يستحيل على الناس فهمه، وهذه النظرية أنسب بالكُسالى، وأشبه بحجة العاجز عن التفقه في الدين.

فمن تصدى لتفسير بضعة آلاف آية هداه الله إلى معرفة معانيها، بفضل اللغة وقواعد اللغة وأساليب البلغاء، كيف يتوقَّف عن التنقيب في واحدة منها، وقد وعد الله

---

(١) ينظر ١/٢٥٤

ويرى الباحث بعد التأمُّل في كلام الشيخ "محمد عبده" أنَّه لم يقصد ما ورد في كلام السيد "الشهرستاني" من سد باب التفقه وعدم الاجتهاد في فهم الغوامض من الآيات، وإنما أراد الشيخ في بيانه بوجوب الإيمان بوجود الملائكة وما ورد في صفاتهم وأعمالهم كما أخبر الله تعالى، ولكن هذا الإيمان لا يتوقف على معرفة حقيقتهم، وإنما يتم تفويض علمها إلى الله تعالى.

ولعل السيد "الشهرستاني" ٱستنبط ذلك من خلال قول الشيخ: ((وقد بحث أُناس في جوهر الملائكة وحاولوا معرفتهم، ولكن مَنْ وَفَّقَهم الله تعالى على هذا السر قليلون، والدين إنما شرع للناس كافة، فكان الأصوب الاكتفاء بالإيمان بعالم الغيب من غير بحث عن حقيقته؛ لأنَّ تكليف الناس هذا البحث، أو العلم يكاد يكون من تكليف ما لا يطيق)). ولكن هذا لا يدل على ما تقدم من كلام السيد أيضًا.

سبحانه الذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سبلنا، وما كنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأغرب من رأي الشيخ المفتي رأي تلميذه "الرشيد" [١] بعده؛ إذ قال في نفس الصحيفة ما خلاصته: إنَّ فائدة هذا الحوار في هذه الآية تسلية الله لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنْ لا يتأثر من معارضة المشركين [ومن] معهم [٢] إذا علم أنَّ الملائكة تُحاج الله وتجادله و.. و..، فكأنه يحامي عن المعارضين للقرآن، ويلطِّف سوء عملهم)). [٣]

(١) أي الشيخ "محمد رشيد رضا"، وهذا هو القول الرابع الذي ذكره في بيان الفائدة من البحث حول حقيقة الملائكة وكيفية الخطاب بينهم وبين الله تعالى. ١/٢٥٥

(٢) في الأصل: ومعه.

(٣) إنه رأي لطيف منه، ولكن فيه من الحدة والشدة.

**المبحث السادس: آيات التجسيم وأثرها في العقيدة الإسلامية.**

نبيِّنُ في هذا المطلب ما ذكره السيد "الشهرستاني" في مخطوطاته حول الآيات التي يوحي ظاهرها إلى تجسيم الله تعالى، وٱعتقاد بعض المسلمين بذلك، وأثر هذا الاعتقاد على العقيدة الإسلامية، فهو يذكر آيات متعددة تؤكد نفي ذلك عن الله تعالى.

قال [١]: إنَّ علماءَ الإسلامِ بعدَ القرنِ الأولِ تعمَّقوا في آياتِ القرآنِ من دونِ إحاطَةٍ كافيَةٍ بمحاوراتِ العربِ، ولا معرفةٍ وافيةٍ بالمعارفِ الإلهيَّةِ، ولا سابقةَ نَظَرٍ في فنونِ الكائناتِ، ولا سابقِ معرفةٍ كافيةٍ بآدابِ العربِ، أو أدبياتِ البُلَغاءِ، فصاروا يَسْتَدِلُّونَ بكُلِّ ظاهِرٍ من الآيِ لأفكارِهِم القاصِرَةِ، حتى لو رَأَوْا آيَةَ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [٢] قال زعيمُهُمْ: (للرَّبِّ ساقٌ كهذِهِ) ومَدَّ رِجْلَهُ [٣]، وكذلكَ قالوا في آيةِ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [٤] أي: يدانِ، ولكن كلتاهما يمينٌ، إذ وردَ في القرآنِ ذِكْرُ اليمينِ في آيةِ: ﴿وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [٥]، ولم يَرِدْ فيهِ ذِكْرُ الشمالِ، وفي آيةِ: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ

---

(١) مخطوط الدلائل والمسائل ١٤٤/٥ وهو جواب لسؤال نصُّه: ((في القرآنِ آياتٌ تدلُّ على ٱتِّصافِ الله بصفاتٍ ماديةٍ ومتشابه للإنسانِ في الأجزاءِ والأعضاءِ، فكيفَ تفسِّرونَ تلكَ الآياتِ؟ وهل يُكَفَّرُ الذاهِبُ إلى مذهبِ التجسيمِ والتشبيهِ؟)).

(٢) سورة القلم: الآية ٤٢

(٣) لم يحصل الباحث على قائل هذا النص بعد مراجعته لأغلب التفاسير وغيرها من الكتب.

(٤) سورة المائدة: الآية ٦٤

(٥) سورة الزمر: الزمر ٦٧

الله﴾ [١]، وعليه يقتضي أنْ يقولوا بِجَنْبٍ واحدٍ له، وعَيْنٍ واحدةٍ، وقَدَمٍ واحدةٍ، لورودِهِنَّ في القرآنِ بلفظِ الفردِ في آيةِ: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾، وآيةِ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [٢]، وآيةِ: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [٣]، فيكونُ الربُّ تعالى كَشِقٍّ إنسانٍ تَعَلَّقَتْ به يمينانِ فقط –وحاشاه–.

[لقد] فَشَتْ هذهِ وأمثالُها بينَ السلفِ –ويا للأسف– من قِلَّةِ التدبُّرِ في محاوراتِ البُلَغاء، وعجزِهم عن حملِ الآياتِ على تراكيبِ البلاغةِ، وأساليبِ العربِ، وغفلتِهِم عن مناهجِ بلاغةِ القرآنِ، ومناحيهِ الخطابيةِ [٤]، ولم تَقِفْ فتنةُ هؤلاءِ الجهلةِ عندَ حَدِّ التجسيمِ، وإثباتِ كُلِّ ما في الإنسانِ في خالقِهِ تعالى، من عَيْنٍ، ولسانٍ،

(١) سورة الزمر: الآية ٥٦

(٢) سورة طه: الآية ٣٩

(٣) سورة القمر: الآية ٥٥

(٤) ومن لطيف ما ورد عن الأعلام في الرد على ذلك قول "عبد القاهر الجرجاني" في بيان الإفراط والتفريط في تأويل القرآن بعد ذكره للآيات المتقدمة: ((فإذا قيلَ لهم: (الإتيان) و (المجيء) أنتقالٌ من مكانٍ إلى مكانٍ، وصفةٌ من صفاتِ الأجسامِ، وأنَّ (الاستواء) إنْ حُمِلَ على ظاهرِهِ لم يصحّ إلا في جسمٍ يشغلُ حيِّزًا، ويأخذُ مكانًا، واللهُ خالقُ الأماكنِ والأزمنةِ .... نعم إذا قلتَ ذلكَ للواحدِ منهم، رأيتَهُ إنْ أعطاكَ الوِفاقَ بلسانِهِ، فبينَ جنبيهِ قلبٌ يتردَّدُ في الحيرةِ ويتقلَّبُ، ونفسٌ تفرُّ من الصوابِ وتهربُ، وفكرٌ واقفٌ لا يجيء ولا يذهبُ، ويأبى إلا نفارًا عن العقلِ، ورجوعًا إلى الجهلِ)). أسرار البلاغة: ٤٣٢–٤٣٣

وأَيْدٍ، وجوارحَ [١]، وعواطِفَ، وحالات، حتى خرقوا حُجُبَ تنزيهِ ذاتِهِ وصفاتِهِ [٢]،

(١) في الأصل: وجورج.

(٢) لقد ذكروا أنَّ لله تعالى صفات من صفات الجسمية التي هي خاصة بالإنسان من خلال روايات نسبوها إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بهتانًا، أو أخطأوا في تفسيرها وفهمها لو كانت صحيحة، فقد روى "مسلم" في باب (إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى): ((عن "صهيب" عن النبي "صلى الله عليه [وآله] وسلم" قال: إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ قال: يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى: تريدونَ شيئًا أزيدكُم؟ فيقولونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وجوهَنا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنا الجنةَ، وتُنْجِنَا مِنَ النارِ؟ قال: فيكشفُ الحجابَ فما أُعْطَوا شيئًا أَحَبَّ إليهِمْ مِنَ النظرِ إلى رَبِّهِم عَزَّ وجَلَّ)). الجامع الصحيح ١/١١٢

وذكر كذلك في باب (معرفة طريق الرؤية): ((عن عطاء بن يزيد الليثي أنَّ أبا هريرة أخبره أنَّ ناسًا قالوا لرسولِ الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم": يا رسولَ الله هل نَرَى ربَّنا يومَ القيامةِ؟ فقال رسولُ الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم" هل تضارُّونَ في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البدرِ؟ قالوا: لا يا رسولَ الله .... فيأتيهُمُ اللهُ تبارَكَ وتعالى في صورةٍ غيرِ صورتِهِ التي يعرفون فيقول: أنا رَبُّكُمْ. فيقولونَ: نعوذُ بالله منكَ هذا مكانُنا حتى يأتينَا رَبُّنا، فإذا جاءَ رَبُّنا عَرِفناهُ، فيأتيهِمُ اللهُ تعالى في صورتِهِ التي يعرفونَ فيقول: أنا رَبُّكُم. فيقولونَ: أنتَ رَبُّنا فيتبعونَهُ ويضربُ الصراطَ بين ظَهْرَي جهنَّمَ فأكونُ أنا وأُمَّتي أَوَّلَ مَنْ يجيزَ ولا يتكَلَّمُ يومئذٍ إلا الرسل....)). المصدر نفسه ١/١١٣ وغير ذلك من الروايات التي تدل على تجسيم الله، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قال "الأشعري": ((قد سُئلنا: أَتَقولونَ إنَّ لله يَدَيْنِ؟ قيل: نقول ذلك "بلا كيف" وقد دَلَّ عليه قوله تعالى ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح: الآية ١٠] –وذكر آيات أخرى–، وروي عن النبي "صلى الله عليه [وآله] وسلم أنه قال: (إِنَّ اللهَ مَسَحَ ظَهْرَ آدمَ بيدِهِ فاستخرجَ منه ذُرِّيَّتَهُ) فثبتت اليدُ بلا كَيْفٍ)). الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة: ١٢٥ وقد رَدَّ التفاسير الواردة لليد كالنعمة والقدرة والقوة وغيرها.

وفتحوا أبوابَ السيئاتِ على الرسلِ والأنبياءِ [١]، وٱختلقُوا دينًا يَمُجُّهُ العقلُ السليمُ، والعارفُ المُهَذَّبُ، وصَفَحُوا القرآنَ الكريمَ بما أُلْحِدُوا في آيِهِ من حَشْوٍ وخُرَافَـةٍ، وتَوَلَّدَ من دينِهِم فِرَقٌ، ومذاهِبُ ذهبتْ بعزةِ الإسلامِ، ونورِ شَرْعِهِ، وَرَوْنَـقِ آيـاتِ وحيِهِ الحكيمِ. [٢]

وعليه [٣] وجبَ علينا أنْ نجاهدَ في سبيلِ القرآنِ [٤] بحلِّ مشكلاتِهِ، وتفسيرِ متشابهِهِ؛ لأنَّهُ الينبوعُ الوحيدُ لتصحيحِ عقائدِ المسلمينَ، وتنقيحِ مذاهبِهِم، وإصلاحِ أحوالِهِم

(١) روى "أحمد بن حنبل" في مسنده عن "أبي هريرة" أنَّ الله خلق آدم على صـورته طولـه ستون ذراعًا .... وروى أنَّ نبي الله موسى (عليه السلام) فقأ عيني مَلَك الموت .... وروى أنَّ بني إسرائيل نظروا إلى عورة موسى وهو يغتسل عندما ذهبت الريح بثوبه وصار موسى يضرب الحجر.... وغير ذلك من الروايات التي تسيء حقيقة إلى مقام الأنبيـاء (علـيهم السلام). ينظر: أحمد ٱبن حنبل: مسند الإمام أحمد ٢/٣١٥

وروى أيضًا أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مع "عائشة" وهو مـضطجع عـلى فراشه فدخل "أبو بكر" ثم "عمر" فقضى حاجتهما، ثم جاء "عثمان" ثـم ٱسـتأذن عليـه فجلس، وقال لـ"عائشة": ٱجمعي عليك ثيابك فقضى إليه حاجته ثـم ٱنـصرف، فقالـت "عائشة": يا رسول الله ما لي لم أركَ فزعت لـ"أبي بكر" و"عمر" كما فزعـت لـ"عـثمان". فقال رسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم": أَلا أَستحي ممن تـستحي منـه الملائكـة. المصدر نفسه ٦/١٥٥

(٢) للاطلاع على عدد الفِرَق وأنواعها ومذاهبها والاختلافات التي وقعت فيما بينهـا ينظـر المؤلفات الخاصة بـذلك ومنهـا: الأشـعري القمـي: كتـاب المقـالات والفِـرَق ، الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، تص و تع: أحمد فهمي محمد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م) ، السبحاني: بحوث في الملل والنحل.

(٣) في الأصل: وعليه وله منة وبه.

(٤) تعبير لطيف جدًّا منه في سبيل الحفاظ على قدسية كتاب الله تعالى.

الاجتماعيةِ، وشؤونهِم الأدبيةِ، ولا نستندُ في تفاسيرِنا إلا على شاهِدٍ من آيِ القرآنِ؛ فإنَّ القرآنَ يُفَسِّرُ بعضُهُ بعضًا [١]، أو على مناهجِ الأدبِ، ومناحي كلامِ العـربِ [٢]، فإنَّ القرآنَ قد نزلَ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، أو على أثَرٍ [٣]، وسبيلُنا في ٱختيـارِ التأويـلِ سبيلُ الحكمةِ، ودليلُنا حُجَّةٌ علميَّةٌ، وسبيلُنا في تأويلِهِ سبيلُ العلـمِ والحكمـةِ [٤]، ودليلُنا الحُجَّةُ العلميةُ العاصِمَةُ، ومن ذلك [٥] آية: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ

(١) ويقصد بذلك تفسير القرآن بالقرآن. فمثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِـي لَيْلَـةِ القَـدْرِ﴾ [سورة القدر: الآية ١] يفسر قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّـا كُنَّـا مُنْـذِرِينَ﴾ [سورة الدخان: الآية ٣] وغيرها.

(٢) ويقصد بذلك تفسير القرآن بلغة العرب. فمثلاً جميع الألفاظ الواردة في القرآن الكـريم هي بلغة العرب على ٱختلاف لهجاتهم فمثلاً قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [سورة عـبس: الآية ٣١] فالعرب كانت تعرف أنَّ معنى (أبًّا) هو النبات والعشب الذي تأكله البهائم، وإنْ كان بعض الصحابة مثل "عمر بن الخطاب" لم يعرف ذلك المعنـى، إذ ورد عنـه قولـه: ((قال: قد عرفنا الفاكهة. فما الأبّ؟)). ينظر: الطبري: جامع البيان ١٢٦/٢٧

(٣) ويقصد بذلك تفسير القرآن بالمأثور من الروايات الواردة عن النبي وأهل بيتـه (علـيهم السلام) أو عن الصحابة الثقات العدول. فمثلاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْـتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فٱغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَـى الكَعْبَيْنِ﴾ [سورة المائدة: الآية ٦] فإنَّ السنة الشريفة قد بيَّنت ما يتعلـق بكيفيـة الغـسل والمسح وشرائط الوضوء وما يتعلق به، ووجوب التيمم عند فقدان الماء.

(٤) إنَّ من أهم أغراض التأويل هو تفسير اللفظ على غير ظاهره الذي يخالف العقيدة، مثل ما ورد من ألفاظ الجوارح التي تستعملها العرب في محادثاتهم بغـير مـرادهم للجارحـة، وبذلك تتم المحافظة على اللفظ القرآني الموافق للقرآن والسنة والعقل.

(٥) في الأصل: إنشاء الله تعالى (كشف الساق) فمنها.

إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (١)، هذهِ الآيةُ الثانيةُ والأربعونَ (٢) من السورةِ الثامنةِ والستينِ (القلم)، وسياقُها تهديدُ المشركينَ الذين أَنِفُوا من السجودِ لله يومَ هُمْ سالِمونَ، فهم في اليومِ الآخرِ يُرْغَمُونَ على السجودِ. (٣)

وٱستدلالُ المُجَسِّمَةِ [على تجسيم الله] بهذهِ الآيةِ:

- [أولاً]: ضعيفٌ من أجلِ تنكيرِ الساقِ، وعدمِ إضافتهِ إلى أحدٍ من خالقٍ، أو مخلوقٍ. (٤)

- ثانيًا: إنَّ يومَ الكشفِ لم يتحققْ؛ [لأنَّ] الساقَ مُبْهَمَةُ المعنى والنسبةِ، وكانَ إسنادُها إلى خالقِ الكونِ مستحيلاً، [فـ] وجبَ تفسيرُها بالمعنى المعروفِ عندَ الناسِ، وهو أنَّ الناسَ يُكَنُّونَ (٥) بكشفِ الساقِ عن الساقِ في حالين:

- أحدهما: حالُ ٱعتراضٍ، وحَلُّ الطريقِ، وعَبْرَةُ المياهِ.

- وثانيهما: حالُ التَضَلُّعِ على أثرٍ مُسْتَوٍ (٦)، وكانَ العربُ يكشفونَ عن ساقِ الجاريةِ

(١) سورة القلم: الآية ٤٢

(٢) في الأصل: الثانية والأربعين.

(٣) فإنهم في هذا اليوم يُأمرون بالسجود وإنْ كان لا ينفعهم السجود آنذاك ولكن توبيخًا لهم لما كانوا يتكبرون من سجودهم لله تعالى. ينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٩٧/١٠ وسوف يأتي ما يتعلق بالآية الشريفة في الفصل الخاص بالإعجاز القرآني.

(٤) ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٥٩٨/٤ ، قال "ٱبن شهر آشوب": ((فالجارِحَةُ لا يجوز؛ لأَنَّهُ لم يَقُلْ عن ساقِهِ، ونَكَّرَ الساقَ ولم يُعَرِّفْهُ، فلا دلالَةَ على شَيءٍ مما قالوهُ، وما رَوَوْهُ فباطِلٌ لا أصلَ لَهُ)). متشابه القرآن ومختلفه ٨٢/١

(٥) في الأصل: يكتنون.

(٦) في الأصل: مستوى.

قبلَ شرائِها، أو بعدِهِ؛ لمعرفَةِ عيوبِها [١]، أو محاسِنِها، وحَمْلُ كشفِ الساقِ في الآيةِ على أحدِ الحالينِ مناسبٌ جِدًّا، فكأَنَّهُ يُهَدِّدُ المشركينَ بمجيءِ يومٍ عصيبٍ، تُصَبُّ[٢] فيهِ الأهوالُ. [٣]

(١) في الأصل: عيرنها.

(٢) في الأصل: تنشاء.

(٣) لقد أكدت كلمات جمع من المفسرين على أنَّ المراد بـ(كشف الساق) هو التعبير عن هول وشدة ذلك اليوم؛ إذ إنَّ العرب تستعمل ذلك عند صعوبة الأمر وشدة الخطب النازل. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٨٧/١٠ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٥٩٨/٤، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٦١٣/٣٠

## (الفصل الرابع)

## الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم

- **المبحث الأول**: علم المعاني.
- **المبحث الثاني**: علم البيان.
- **المبحث الثالث**: علم البديع.

# الفصل الرابع

## الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم

إنَّ السيد "الشهرستاني" قد اُعتنى كثيرًا فيما يتعلق بالبلاغة القرآنية؛ لأهمية ذلك في الدراسات القرآنية عمومًا، وفي تفسير القرآن الكريم خصوصًا، ونحاول في هذا الفصل أنْ نبيِّن رأيه في هذا الباب من أبواب علوم القرآن، كما وردت في مخطوطاته، فقد ذكر قسمًا من الموضوعات البلاغية التي تضمنتها الآيات القرآنية التي تناولها بالشرح أو الاستشهاد، وما في ذلك من صورها الإعجازية في تحدي العرب بعلومهم التي تفوَّقوا بها على أنْ يأتوا بمثله، وقد ذكرنا تعريفًا موجزًا في قسم الدراسة لأهم المباحث البلاغية التي أشار إليها السيد في مخطوطاته، وفي هذا الفصل سيتم عرض النص المخطوط لتحقيقه موافقًا للتسلسل على وفق الدراسة المتقدمة، فنبدأ بموضوعات علم المعاني، فالبيان، ثم البديع، وسوف تُبَوَّب النصوص المخطوطة ضمن الموضوعات البلاغية الملائمة لها؛ لتكون منتظمة الترتيب في فَصْلَيِ الدراسة والتحقيق، بعد تمهيد في بيان ما يتعلق بآرائه في تحدي القرآن الكريم للعرب وعجزهم عن مجاراته.

وقد جعلت الموضوعات التي ناقشها السيد في هذا الفصل في مباحث أربعة:

- المبحث الأول: تحدي القرآن الكريم وإعجازه.
- المبحث الثاني: علم المعاني.
- المبحث الثالث: علم البيان.
- المبحث الرابع: علم البديع.

إنَّ السيد "الشهرستاني" لم يقسم مباحث البلاغة القرآنية على وفق هذا التقسيم؛ لعدم وجود مؤلَّفٍ خاصٍّ بذلك، بل هي موضوعات متفرقة في صفحات

مؤلفاته المخطوطة المتنوعة، وإنما قام الباحث بجمع كُلِّ نص يتضمن تلك المباحث، وتقسيمها بعد ذلك في هذا الفصل ضمن المباحث المتقدمة؛ لتتم الإحاطة بمباحثه من جوانبه المتعددة، من حيث بيان آرائه وتحقيقها تحت عنوانٍ معينٍ.

**المبحث الأول: تحدي القرآن الكريم وإعجازه:**

إنَّ القرآن الكريم قد تحدى العرب المعاندين للإيمان بالرسالة الإسلامية صراحة، من خلال إيتائه بمعجزات متعددة تدل على صدق دعوى نبوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والتي كان من أعظمها القرآن الكريم، وما تضمنه من آيات بلاغية عظيمة لها أثر كبير في نفوس سامعيها، تصدر من رجل لم يدرس عند أحد من قبل، ولم يكن يقرأ ويكتب على رأي كثير من المحققين [١]، وفيه يكمن سِرٌّ إعجازي ذاتي آخر، وقد حاول السيد "الشهرستاني" في مخطوطاته بيان ما يتعلق بذلك من خلال تفسيره لبعض الآيات الشريفة المتعلقة بالتحدي، وسوف يتم ذكرها في موارد (خمسة).

– المورد الأول:

قال [٢] فيما يتعلق بأقوال العلماء في الإعجاز من خلال ما يأتي:

[أولاً]: ذهب الناس في وجه إعجاز القرآن كُلَّ مذهب، فقيل: إنه الصرفة، وقيل: غرابة الأسلوب، وقيل: ٱنطواؤه على أنباء الغيب، وفي الجميع تأمُّل [٣]، فإنَّ الذي يضع يده على رأسه قائلاً: مَنْ وضع يده على رأسه فهو سيد الناس، وصادف أنَّ البرد أو مشيئة الله صرفت الناس عن الإتيان بمثله لم يكن كمال في الفعل ولا في

(١) وهذا رأي السيد "الشهرستاني" وقد ذكره صراحة في وجوه إعجاز القرآن فقال: ((ليس شيءٍ مما حولَ النبيِّ "صلى الله عليه وآله وسلم" أوضحُ من تأريخهِ، ولا ناحيةٌ من تأريخهِ أوضحُ من أُمِّيَّتِهِ، بمعنى نفي القراءةِ والكتابةِ عنهُ)). المعجزة الخالدة: ٣٧

(٢) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة.

(٣) وقد تقدم بيان أقوال العلماء حول وجوه الإعجاز في باب الدراسة، الفصل الرابع، المبحث الأول: ١٢٨-١٢٩

فاعله، وإنما الله صرف الناس ليس غير، كذلك الأسلوب الغريب لا يستحق هـذه الطنطنة، وليس كُلُّ مَنْ أتى بغريب يدَّعي إعجازًا، كذلك النبأ الغيبي من كائن وغيره لم يسبق نعته بالإعجاز.

وأما الفصاحة والبلاغة فإنَّ لهما حَدًّا ٱعتياديًّا يسمى (حد الإعجـاز) لا يتعـداه إلا أفذاذ البشر، غير إنه لا يعد مستحيلاً كما تَدَّعيه آيات التحدي.

وكذلك خلوُّ الكلام من ٱختلاف وتناقض لا يجعله معجزًا، وإلا لفاقت المعجزات حد الإحصاء.

[ثانيًا]: تختلف نزعات العلماء في درس النقطة الحقيقية التي نشأ منهـا الإعجـاز القرآني، وربما عُدَّت سبعة، أو سبعة عشر، بينما مجموعة في خمس هي:

[١] ٱمتياز الكلم. [٢] أو ٱمتياز المتكلم. [٣] أو ٱمتياز الأسلوب. [٤] أو ٱمتيازه بأنباء الغيوب. [٥] أو ٱمتيازه بصرف الله للنفوس عن معارضة القرآن.

أضف إلى ذلك وجهًا وجيهًا هو الجذبة القلبية الحاصلة من روحانية هذا الكـلام النافع النافذ. [(١)]

أما ٱمتيازه في الأسلوب فهو الذي ٱرتـآه جماعـة في إعجـاز القـرآن، وشـايعه المتحدون له قديمًا وحديثًا، فترى "الأسود العنسي" يباري القرآن بقوله: (سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ الأَعْلى، الذي يسيرُ على الحُبْلى، الذي أخرجَ من .. والحَشَى إلخ) [(٢)]، ويقول

(١) تقدمت الإشارة في باب الدراسة إلى هذا الرأي الذي أكـده "الخطـابي" ينظـر بـاب الدراسة، الفصل الرابع، المبحث الثالث: ١٧٢

(٢) للتفصيل ينظر: الماوردي، علي بن محمد، أعلام النبوة، تح: محمـد المعتـصم بـالله البغدادي، (دار الكتاب العربي، بـيروت، ط١، ١٩٨٧م): ٧٦ ، البـاقلاني: إعجـاز القرآن: ١٥٧ ، الشهرستاني: المعجزة الخالدة: ٦٥-٦٦

"مسيلمة" في مباراته: (الفيلُ ما الفيلُ، وما أدراكَ ما الفيلُ، له ذنبٌ وبيلُ، وخرطومٌ طويلُ إلخ) [١]، ويقول "الباب" [٢]، وكذلك "القادياني" [٣] [مثله] [٤]، يضاهئونَ القرآنَ في أساليبه، ويضارعونَ أسجاعَ فواصله، وأوازان تراكيبه، ولا غرو في فهمِ هؤلاء منشأ الإعجاز في غرابة الأسلوب، وحصرهم قوة المعجز في هذه النقطة، فإنَّ أكبر أقطاب الحرب السفياني والمشركين، المعارضين للنبي الأمين قال بعد ما عُرِضوا عليه شيئًا من القرآن: إنه مدهش العقول، لا هو كالقصائد، ولا الأراجيز، ولا هي كالخطب ولا .. ولا، إذن فما هو إلا سحر يؤثر. [٥]

(١) للتفصيل ينظر: الماوردي، أعلام النبوة: ٧٦ ، الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد: المواقف، تح: د. عبد الرحمن عميرة، (دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م) ٣٩٣/٣ ، الشهرستاني: المعجزة الخالدة: ٦٤

(٢) محمد علي الشيرازي، مؤسس الفرقة البابية، ولد سنة (١٢٣٤هـ/١٨١٩م) في "شيراز"، أذاع في الناس أنه "المهدي المنتظر"، ورد عليه العلماء، وينظرون مخالفته للإسلام، وحدثت بسببه فتن كبيرة، قتل رميًا بالرصاص سنة (١٢٦٦هـ/١٨٥٠م). الزركلي، خير الدين بن محمود: الأعلام، (دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م) ١٧/٥ ، وينظر: الشهرستاني: المعجزة الخالدة: ٦٧-٦٨

(٣) غلام أحمد بن غلام مرتضى، مؤسس الفرقة القاديانية، ولد سنة (١٢٥٥هـ/١٨٣٩م) في "قاديان" من قرى "بنجاب" في "الهند"، ٱدَّعى النبوة وأنه يوحى إليه، وقد تصدى كثير من معاصريه للرد عليه، خدم الحكومة الإنكليزية أيام ٱحتلالها للهند، وحرَّم على المؤمنين مقاومتها، توفي سنة (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م). الزركلي: الأعلام ٢٥٦/١ ، وينظر: الشهرستاني: المعجزة الخالدة: ٧٥-٧٦

(٤) يرى الباحث وجود قطع في الأصل، فالكلام غير تام.

(٥) وهذا هو كلام "الوليد بن المغيرة" عند ٱستماعه للقرآن الكريم، وقد تم بيانه في باب الدراسة، الفصل الرابع، المبحث الأول: ١٣١

وقد حللوا القرآن إلى سور فوق المئة، وأوزان آيات فوق الألف، وأسجاع فواصل كذلك، فلا يشبه بعض بعضًا، فنظامه الطبيعي غير محدود، ولا محصور بقيود، تراوحت سوره من آيات ثلاث إلى زهاء ثلاثمائة من الطوال، وفيها آية ذات كلمة، وكلمتين، إلى آية زهاء أربعين كلمة، أضف إلى هذا الأسلوب المادي (...) [١] الشكلية أساليبه الأخرى، وتفنن مباحثه في شعب العلوم وأنواع المعارف.

وملحوظتي في هذا المقام أنَّ ٱمتياز القرآن في أسلوبه مدهش لكثيرين، وتُعطيه من الروعة والبهاء ما لا يُنكر، غير إنها ليست وحدها هي النقطة الملحوظة في تحدي جماهير الأمم من عرب وعجم؛ لأنَّ ذلك مهما أدهش وأعجز فليس مما ينطبق عليه قولنا [في قوله تعالى]: ﴿قُلْ لَئِنِ ٱجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ﴾ [٢] في غرابة أساليبه، [وإنهم]: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. [٣]

[ثالثًا]: قال قوم في وجه الإعجاز بالأسلوب: إنَّ الكلام قد يتأتَّى سبك معناه في سبائك مختلفة، وعبارات متنوعة تتفاوت بالتقديم والتأخير، والإجمال والتوضيح، والإيجاز والتطويل، لكنما الممتاز بميزة الإعجاز من بينهن إنما هو أسلوب واحد فوق الجميع، كما قال الأستاذ "جبر ضومط" [٤] في كتابه "الخواطر الحسان في

(١) كلمة غير معلومة.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٨

(٣) إنَّ هذا تحليل مهم يدلُّ على عمق التفكير في سبب الإعجاز القرآني، فضلاً عن عدم الركون والتقليد إلى أقوال الآخرين، بل يحاول أنْ يؤكِّد من خلال التأمل الدقيق أنَّ إعجازه العظيم لا يمكن أنْ يكون أسيرًا للفظ، أو المعنى، من غير تأثيره بالروح.

(٤) جبر بن ميخائيل ضومط: أديب، خدم العربية تدريسًا وتأليفًا، ولد سنة (١٢٧٦هـ/١٨٥٩م)، شغل مناصب متعددة في التعليم والصحافة، عضو المجمع العلمي

المعاني والبيان" [١] حول آية: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [٢]: ((إنَّها تصلحُ أنْ تقرأ على أربعةِ وجوهٍ بحسبِ التقديمِ والتأخيرِ، لكنَّما الجائِزُ على جميعِ وجوهِ البلاغةِ وفنونِ الفصاحةِ إنَّما هو السبكُ الموجودُ في القرآنِ، وكذا في آية: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾[٣])). [٤]

وفي سبائك الآيات القرآنية أساليب بديعة اختصت به، لم تعرفها العرب من قبل كأسلوب الأسجاع، والفواصل، ومقارنة الآيات بغيرها رعاية التحديد، وتكرار [آية] ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٥]، [و] قوله [٦]: ﴿الحَاقَّةُ * مَا الحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ﴾ [٧] و.. و..، فصار المتشبِّهون بالمصطفى "محمد" [صلى الله عليه وآله

---

العربي بدمشق، له مقالات كثيرة، ومؤلفات منها: * الخواطر العراب في النحو والإعراب. * الخواطر الحسان في المعاني والبيان. * فلسفة البلاغة. وغيرها، توفي سنة (١٣٤٨هـ/١٩٣٠م). الزركلي: الأعلام ٢/٢ ، كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، (مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت) ١٠٩/٣

(١) في الأصل: الخواطر الحسان في علم البيان.

(٢) سورة يس: الآية ٢٠

(٣) سورة غافر: الآية ٢٨

(٤) لقد ذكر أنَّ هذه الآية يمكن أنْ تكون لها صورًا ست في التركيب، ولكنه منع اثنتان منها لوقوع الالتباس فيها، وثلاثة جائزات، ولكن الصورة التي بها القرآن هي جامعة لجميع شروط البلاغة. الخواطر الحسان في المعاني والبيان، (مط الهلال، مصر، ١٨٩٦م، د.ط): ٧٥

(٥) سورة الرحمن: الآية ١٣ وقد تكررت في السورة واحدًا وثلاثين مرة.

(٦) في الأصل: لقوله.

(٧) سورة الحاقة: الآيات ١-٣

وسلم] كـ"مسيلمة" وأمثاله ينسجون على منواله، فقال: ((الفيلُ، ما الفيلُ، وما أدراكَ ما الفيلُ، له خرطومٌ طويلٌ)) إلخ [و] كقوله: ((والطاحناتِ طحنًا، والخابزاتِ خبزًا، والآكلاتِ أكلاً))[1] إلخ، على غرار قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾.[2]

وإنَّ السر في التحدي بعشر سور في مقامٍ، وبسورة في مقامٍ، ربما كان ٱقتدار القرآن على تنوُّع الأساليب الراقية في قصة واحدة، كقصة "موسى" التي تكررت في الذكر الحكيم بسبائك شتى قد تبلغ العشر بدون أنْ تُخِلَّ أو تُمِلَّ، فمَنْ يباري[3] القرآن في خلق هذه الأساليب الراقية على تنوُّع السبك، وجمال كل نوع؟

ومن لطيف ما في هذا التحدي ٱشتماله على نبأ غيبي عند قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلكَافِرِينَ﴾[4]، إذ نفى مؤبَّدًا عنهم المباراة في قوله: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾، فهي جملة معترضة بين الشرط وجوابه، مقصود منها ٱستشارة حميَّتهم، وٱستشاطة[5] نشاطهم؛ لكي يقوموا بالمعارضة أكثر، وهم هم من شهرة الفصاحة والبلاغة، ومع ذلك لم يفعلوا كما قال [الله تعالى]، وهو نبأ غيبي تنبَّأه النبي العربي، وبعيدٌ جدًّا من عاقل يفوَّه بمثل هذا التنبؤ

(١) الباقلاني: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تح: عماد الدين أحمد حيدر، (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م): ١٨٢

(٢) سورة الذاريات: الآيات ١–٤

(٣) في الأصل: يبار.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٤

(٥) أي ٱحتدَّ نشاطُهُم بغضبٍ وحميةٍ. ٱبن منظور: لسان العرب مادة (شيط).

بين خصمائه ورقبائه لو لم يثق من نفسه بالصدق والحق، ولو لم يطَّلع على الغيب لما فاهَ بهذا، ولا سلَّم سلاحًا مشحوذًا بيد الخصم.

[رابعًا]: قال قوم (وهو الأصح) إنَّ وجه الإعجاز في أنباء القرآن للغيوب هو قوام أمر الأنبياء، وملاك أمرهم، وسلاحهم المشحوذ، الذي يعجز عن ٱستعماله كُلُّ بطل غير نبي، أو الحيطة بما وراء الحاسة (...)[1] الله، ولا يختص النبأ الغيبي بالمستقبل، فإنَّ الذي يرفع الستار عن حوادث ماضية غير مكشوفة لأحدٍ يُعَدُّ مُخْبِرًا عن الغيب، كما ترى القرآن في سورة "هود" يقول بعد ما قَصَّ على الناس قصة "نوح" [عليه السلام]: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]، وربما أنبأ القرآنُ عن شأنِ الماضينَ بخلافِ ما في أسفارِ التوراةِ والإنجيلِ؛ لأنَّ جامعَ هذينِ (العهدين) لم يطَّلع على الوقائعِ ٱطِّلاعَ مَنْ أنزل القرآن، فكان هذا مُخبرًا عن الغيب، كما في [سورة] "آل عمران" في قصة "مريم": ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.[3]

(١) كلمة غير معلومة.

(٢) سورة هود: الآية ٤٩

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٤

– المورد الثاني:

قال [١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. [٢]

يفيض القرآن من أكثر نواحيه بالتحدي، وطلب المباراة والمبارزة، غاية الأمر أنَّ قسمًا من الآيات صريحة [٣] في التحدي، كآيتنا هذه، وبضع آيات أخرى، بينما القسم الباقي يلوِّح بالتحدي من طرف خفيٍّ، فجميع السور المفتتحة بالرموز من قبيل (ألم، كهيعص) تشير إلى التحدي حسب ما أوضحناه في صدر سورة البقرة[٤]، أي يتظاهر بأنَّ القرآن من جنس هذه الحروف التي من تراكيبها يتألف الكلام العربي والقرآن، فإنْ كنتم شاكِّين في نسبته إلى الله، وتقولون إنه قول بشر، فلماذا لا تقدرون على تأليف مثله. [٥]

(١) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣

(٣) في الأصل: صريح.

(٤) لم يحصل الباحث على شرح هذه الآيات الشريفة في مخطوطاته، ويرى الباحث أنَّ هذا رأي جدير بالاهتمام والتأمل؛ فإنَّ جميع المفسرين لم يعرفوا حقيقة هذه الحروف المقطعة الواردة في أوائل السور القرآنية وسرها، وكُلَّ ما ذكروه هو احتمالات، فهو كلام حكيم عليم وله مقاصد عظيمة، فضلاً عن كونه من جنس الحروف التي يتكلمون بها، فإذًا يمكن أنْ تُعَدَّ هذه الحروف صورة إعجازية من صوره المتعددة التي عجز البلغاء عن إدراك حقيقتها.

(٥) إنَّ "الفخر الرازي" قد فصَّل القول تفصيلاً دقيقًا ومهمًّا جدًّا في بيان أوجه إعجاز القرآن الكريم من خلال هذه الآية الشريفة، وعجز فصحاء العرب عن الإتيان بمثله. ينظر: التفسير الكبير ٣٤٩/٢

كذلك القرآن يفيض بمعجزات في آياته وسوره، فكُلُّ معجزة وكُلُّ جزء منه معجزة أيضًا، من هنا سُمِّي القرآن "أم المعجزات" [١]، وربما أحصوا عليه من الأنباء الغيبية ما يناهز المائة أو أكثر. [٢]

- المورد الثالث:

قال في بيان الآيات الشريفة التي تحدى بها القرآن العرب: [٣]

من آيات التحدي قوله سبحانه: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [٤] أي: قد اطلعتم على سيرتي من الأمانة والصدق، وعدم الدراسة والتعلُّم. [٥]

(١) إنَّ هذه التسمية هي قياسًا للمعجزات الأخرى التي أتى بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أوقات خاصة، ولأسباب معينة، قد انتهت مع انتهاء سببها، أما القرآن فهو باقٍ خالدٍ إلى يوم القيامة.

(٢) ويمكن ملاحظة ذلك من خلال تفاسير القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنًا للآيات الشريفة المتعلقة بالغيب وإخبار القرآن عنها قبل وقوعها، أو بالدراسات المختصة بإعجازه الغيبي؛ لذلك عَدَّ بعض الأعلام أنَّ من صور إعجاز القرآن الكريم إخباره بالغيب.

(٣) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة.

(٤) سورة يونس: الآية ١٦

(٥) لقد ذكر المفسرون ما يتعلق بسيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أُمته، وأنه لم يكن يذكر لهم شيئًا مما في القرآن، أو ما يتعلق بالأمم السالفة، ولم يُعرف عنه إلا الفضيلة والصدق بين قومه. للتفصيل ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٣٥٣/٥، الزمخشري: تفسير الكشاف ٣٢٠/٢ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٦٧/٥

ومنها آية: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ (١) بعد قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ (٢) فإنهم (٣) طلبوا تبديل القرآن لعجزهم عن مباراة الموجود، فطلبوا منه غيره حتى يتسنى لهم مباراته (٤)، والفرق بين الاقتراحَيْن (٥) أنَّ قولهم: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾ أنَّ المراد من الاقتراح الأول تغيير مضامينه ومعانيه، وبالاقتراح الثاني تغيير أساليبه. (٦)

(١) سورة يونس: الآية ٣٧

(٢) سورة يونس: الآية ١٥

لقد ذكر المفسرون ما يتعلق بأستدلال الآيات الشريفة على طلب التحدي وعجز القوم عن ذلك. ينظر: الطبري: جامع البيان ٤١/١٥ ، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٣٥٠/٥، الزمخشري: تفسير الكشاف ٣١٩/٢ ، الرازي: التفسير الكبير ٢٢٥/١٧

(٣) في الأصل بعد الآية الشريفة: راجع ص٣١٦ من سادس البحار فإنهم طلبوا.

(٤) قال الشيخ "الطوسي": ((لأنَّ الإتيانَ بغيرِهِ قد يكونُ معهُ، وتبديلهُ لا يكونُ إلا برفعِهِ والإتيانِ بغيرِهِ .... وكانَ قولُهُم هذا له على وجهِ التعنُّتِ والتسبُّبِ إلى الكفرِ به وتكذيبِهِ)). التبيان في تفسير القرآن ٣٥٠/٥ ، ويرى "الزمخشري" أنَّ هذا الطلب فيه من العناد والمكر والخديعة والاختبار للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فضلاً عن العجز بإتيان مثله. ينظر: تفسير الكشاف ٣١٩/٢

(٥) ويقصد بالاقتراحين هما: تغيير القرآن، وتبديله.

(٦) لم يذكر ذلك المفسرون هذا المعنى، بل قريب منه يلائم الثاني دون الأول كما تقدم.

[و] يحدثنا التأريخ أنه كان أُمِّيًّا، والقائم بتربيته الأولى بدويًّا [١]، ولم تكن "مكة" من مراكز العلم، ومدارس العلماء [٢]، وقد جاء بكتاب حوى تواريخ اليهود، فلم يعارضه رهبانهم.

[و] هذه الآية رابعة الآيات التي نزلت في التحدي بالقرآن، ففي تفسير "المنار" [٣] أنَّ أقدم الآيات نزولاً هي التي في سورة الإسراء: ﴿قُلْ لَئِنِ ٱجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [٤]، ثم نزلت بعدها آية يونس: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٥]، ثم آية هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٦]، فيستفاد من الجمع بينهن أمور:

---

(١) وهذا ما هو المشهور عن سيرته (صلى الله عليه وآله وسلم) وولادته يتيمًا والبحث عن مرضعة له لوفاة أمه (عليها السلام). للتفصيل ينظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، (شريعت، قم، ط١، ١٤٢٥هـ) ٢/ ١٠ ، الباقلاني: إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، (دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت) ١/ ٣٤

(٢) ذكر "البلاذري" أنَّ عدد الذين كانوا يكتبون في الجزيرة العربية قليل جدًّا آنذاك، ومنهم يعرف القراءة ولا يعرف الكتابة، وروى عن "الواقدي" أنَّ الذين يكتبون في الأوس والخزرج قليل، وكان بعض اليهود يعلم ذلك. للتفصيل ينظر: أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، تع: رضوان محمد رضوان، (المطبعة المصرية، مصر، ط١، ١٣٥٠هـ ١٩٣٢م): ٤٥٦-٤٦٠

(٣) ١/ ١٩٢

(٤) سورة الإسراء: الآية ٨٨

(٥) سورة يونس: الآية ٣٨

(٦) سورة هود: الآية ١٣

١ – إنَّ التحدي بجملة من القرآن لا بجملته، فإذا ٱنتفى الأول ٱنتقض الثاني بطريق أَوْلى.

٢ – إنَّ المراد من المثل، مثل القرآن، لا مثل النبي، كما زعمه الشيخ "المفتي" (١)، و"الهندي" (٢)، [و] الشيخ البلاغي (٣)؛ لأنَّ مثل ذلك في الآيات الثلاث صريح في مثل القرآن، والمُجمل محمول على الصريح.

٣– إنَّ المراد من الشهداء في آيتنا الأعوان، كما قال "ٱبن عباس" (٤)؛ لأنه الصريح في الآيات الأخرى، والمُجمل حُمِل على المُبَيَّن.

---

(١) أي الشيخ "محمد عبده" كما ورد عنه في تفسير "المنار": ((وقوله تعالى: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ فيه وجهان: أحدهما: إنَّ الضميَر في "مثله" للقرآنِ المعبَّرِ عنه بقوله: ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا﴾ والثاني: إنَّهُ لعبدِنا. قال شيخنا: وهو أرجَحُ بدليلِ "من" الداخلةِ على "مثله" الدالَّةِ على النشوءِ، أي فإنْ كانَ أحدٌ ممن يماثِلُ الرسولَ بالأُمِّيَّةِ يقدرُ على الإتيانِ بسورةٍ فليفعلْ)). ١٩١/١

ويرى الباحث أنَّ هذا الترجيح غير قائم؛ لأنَّ أصل التحدي للمشركين بالقرآن وليس بشخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا واضح من خلال الجمع بين آيات التحدي، فضلاً عن سيرة المشركين في تأثُّرهم بما سمعوه من القرآن.

(٢) لا أعلم هل يُقصد الشيخ "محمد بن الحسن الأصفهاني" المشهور بـ(الفاضل الهندي) (ت١١٣٧هـ/١٧٢٥م) صاحب التأليف المشهور (كشف اللثام عن قواعد الأحكام) والذي ينسب إليه تفسير القرآن الكريم، ولكن الصحيح أنه لأبيه أو لغيره من العامة لاشتراك اللقب، وقد حقق في ذلك الشيخ "رسول جعفريان" في مقدمته لـ"قواعد الأحكام". للتفصيل ينظر: الفاضل الهندي: محمد بن الحسن: كشف اللثام عن قواعد الأحكام، تح: مؤسسة النشر الإسلامي، (مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٦هـ، د.م) ٧٤-٥/١

(٣) آلاء الرحمن في تفسير القرآن ٧٦/١

(٤) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١٠٤/١

[و] قال المتكلمون: إنَّ القرآن تحدَّى فصحاء "مكة" أولاً في سورة "الإسراء" بأنْ يأتوا مثل جميع القرآن الذي كان قد أُنزل، أو أُريد من القرآن خصوص سورة "الإسراء"، فلم يأتوا به، ثم تحدَّاهم بأنْ يأتوا مثل سورة واحدة، فلم يأتوا به مجاراةً[١] في التنازل من الأصعب إلى السهل، ثم جَدَّدَ في المدينة تنازله إلى الإتيان كسورة (ألم) البقرة فلم يفعلوا.

- المورد الرابع:

قال [٢]: ذكر أساتذة البلاغة [أنَّ للإطناب] حد إعجاز، كما للإيجاز حد إعجاز، وهذا الإعجاز أعم من الإعجاز القرآني، فإنَّ هذا [أي القرآن] معجز للبشر بصورة مجتمعة، وذاك [٣] الأعم هو إعجاز فرد لفرد، فالإعجاز الفردي له أمثلة منها: الإعجاز في ٱنسجام الألفاظ، أو الذي في السهل الممتنع من حيث المعنى، كقول الشاعر:

لَهُ هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا – وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ [٤]

(١) في الأصل: مجاراتاً.

(٢) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة.

(٣) في الأصل: ذلك.

(٤) البيت لـ"أبي بكر بن النطاح" من قصيدة يمدح "أبا دلف القاسم بن عيسى":

فَتًى تَهْرَبُ الأَمْوالُ مِنْ جُودِ كَفِّهِ ... كَمَا يَهْرُبُ الشَّيْطانُ مِنْ لَيْلَةِ القَدْرِ
لَهُ هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لِكِبارِها ... وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ
لَهُ راحَةٌ لَوْ أنَّ مِعْشارَ جُودِها ... على البَرِّ صارَ البَرُّ أَنْدَى مِنَ البَحْرِ

الضامن، حاتم صالح: عشرة شعراء مُقِلُّون، (الناشر: جامعة بغداد، بغداد، ١٤١١هـ ١٩٩٠م، د.ت): ٢٦٢

ففيهِ مبالغَةٌ في الهِمَّةِ يعجزُ مَنْ يباريهِ.

ومنها: الإيجاز المعجز كَقَوْلي: (لا سَهْوٌ في سَهْوٍ، ولا يُخَمَّسُ مُخَمَّسٌ، ولا يُدَاعَى مُفْلِسٌ) [١]، فإنه موجز يعجز الناس أنْ يأتوا بأوجز منه، كما تَحَدَّيتهم بذلك مرارًا، فهذا كله معجز فردي يعجز الناس من أنْ يأتوا بأعلى منه.

- المورد الخامس:

قال [٢]: لا خلاف في أنَّ البلغاء تَمَرْكَزوا في عصر النبي ومِصره، فكانت أم القرى وما حولها مَحَطَّ الرِّحال، وكعبةَ طُلّاب الكمال، ومَحَطَّ رِحال الرجال [٣]، وقد مَرَّ على اللغة العربية في العالم أربعة عشر قرنًا والناس يستشهدون بأقوال رجال ذلك العصر، ويحتجُّون بأبيات شعراء ذاك القرن، إذن فهم البارزون من أهل اللسان، والخيرة من أهل الخبرة، فإذا عجز أولئك الفحول عن مباراة الرسول، فغيرهم أعجز، ودَلَّ العجز [٤] من أولئك أنَّ ذاكَ المعجزَ معجزٌ حقًّا، ودَلَّ ٱعتراف أولئك بامتياز القرآن على أقرانه، وتفوُّق قرآنه، سواء أدركنا اليوم سِرَّ تَفَوُّقه وإعجازه أو لم ندرك، فإنَّ شهادة أهل الخبرة حجة، والحكومة[٥] إليهم طبيعية، ولما ٱختلف

(١) إنَّ في العبارة إيجاز لطيف لأحكام شرعية وهي: إنَّ المالَ المخَمَّسَ لا يُخَمَّسَ مرةً أخرى بعد مرورِ الحَوْلِ عليه، بخلافِ غيرِ المخمَّسِ، وإنَّ المفلِسَ الفاقِدَ لمالهِ لا يُداعى لحينِ ذهابِ فَلَسِهِ).

(٢) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة.

(٣) قد تقدم في باب الدراسة ٱعتناء العرب بذلك، وإقامة المجالس الأدبية، وٱلتقاء الشعراء للمباراة فيما بينهم ينظر: ص١١٩

(٤) في الأصل: المعجز.

(٥) أي الاحتكام إليهم وجعلهم حَكَمًا في تمييز الأفضل.

"سيبويه" و"الكسائي" في المسألة "الزنبورية"[١]، قال هذا [الكسائي] للرشيد: (العرب ببابك فاسألهم) [٢]، فدلَّ على أنَّ الترافع عند أهل الخبرة طبيعي، وسجَّل التأريخ شهادة أولئك الرجال بتفوُّق القرآن كـ"الوليد بن المغيرة"، و"لبيد"، و"حسان" وغيرهم [٣]، فلمَّا [٤] سجَّل عجزهم، فهو معجزٌ بلا مراءٍ.

(١) المسألة الزنبورية وهي المسألة المشهورة التي سألها "الكسائي" "سيبويه" فقد ورد في سؤاله إياه: ((كيفَ تقول: كُنتُ أظنُّ أنَّ العقربَ أشَدُّ لسعةٍ من الزنبورِ فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها. فقال سيبويه: فإذا هو هي ولا يجوز النصب. فقال له الكسائي: لَحِنْتَ)). أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن محمد: الإنصاف في مسائل الخلاف، (دار الفكر، دمشق، د.ط، د.ت) ٧٠٣/٢

(٢) أبو البركات الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ٧٠٣/٢ ولكن الرواية وردت أنَّ المناظرة بين "الكسائي" و"سيبويه" كانت في مجلس "يحى بن خالد" وعنده ولداه "جعفر" و"الفضل" وليس "الرشيد".

(٣) قد تقدمت كلمات المشركين في وصف القرآن في باب الدراسة، الفصل الرابع، المبحث الأول: ١٣٦–١٣٨

(٤) في الأصل: كما.

**المبحث الثاني: علم المعاني.**

**إنَّ الموضوعات التي تناولتها مخطوطات السيد "الشهرستاني" في علم المعاني كانت ضمن موضوعين وهما:**

*** أولاً: الإيجاز:**

**لقد ذكر السيد "الشهرستاني" ما يتعلق بأهمية الإيجاز وأثره في البلاغة عمومًا، وفي الآيات القرآنية بشكل خاص، ونذكر ذلك ضمن موارد (أربعة).**

**– المورد الأول:**

**قال [١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾. [٢]**

**هذه من آيات القرآن المتضمنة إعجازَ إيجازٍ، وبداعةَ حكمةٍ، وبرهنةً لأخصِّ الخواصِّ، لا لعامَّةِ الناسِ، فكأنَّها مشروحة اللفظ هكذا: (لن تراني يا موسى؛ لأنَّ الرؤية البصرية موقوفة على كون المرئي محدود المكان والجهة، والمحدود هكذا لا بد وأنْ يختص العين فيه بأينٍ خاص، والخالق لا يجوز أنْ يختص بمكانٍ دون مكان، ولا يتعيَّن عينه بجهة دون جهة، ولا يقبل الحد إلى الأبد؛ لأنه المتصرف في عموم العالم، وفي جميع الأمم، وهو في كُلِّ أينٍ، وآنٍ بكُلِّ زمانٍ ومكانٍ، فلا يستقر**

---

**(١) أوراق مخطوطة بدون عنوان ص٦١–٦٣ ، وهو جواب لسؤال نصه: ((يعلق القرآن الحكيم عدم رؤية الخالق في آية: ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ ٱنْظُرْ إِلَى الجبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ حينما لا نشعر بأية صلة بين رؤية الله وبين ٱستقرار الجبل، ثم الجبل مستقر أيما ٱستقرار حسًّا وعقلاً، فهو شرط للجواب، والأصوب الشرط ثم التعبير بالسين دون سوف [في الأصل: والأصوب الشرط ثم التعبير بسوف دون السين] حينما نفى الرؤية أبدًا؟ ثم كيف ٱندكَّ الجبل وخَرَّ موسى صعقًا؟))**

**(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٣**

في جهة، ولا يختص بأينٍ، إذن فلا يعقل تعلُّق البصر والرؤية بمثل هذا العين، الذي لا يختص بهذا الأين، والمثل الصغير لهذا هو الجبل الذي بالقياس إلى الخالق جزء غير محسوس، ومع أنه كذلك، وأنه محدود بتمام المعاني، يأبى الاستقرار التام إلى يوم القيام، بل هو في تحوُّلٍ عينيٍّ وجوهريٍّ، بل في تحوُّلٍ أيني تندكُّ هُويَّته في الدهور، وتتحوَّل وتتجوَّل، وكذا كُلُّ جزء من هذا العالم يتحرك بحركات فاقدة الاستقرار، فبالطريق الأولى خالقها المحيط لا يستقر، ولا يتأيَّن بأينٍ، ولا يبقى على حاله أي عين]. (١)

وهذا التعبير المفصَّل مِنِّي مجموع كله في هذه الآية الموجزة، مع إنني أيضًا أوجزت في تعبيري هذا (٢)، فأي إيجازٍ بالغٍ حد الإعجاز كهذا الإيجاز، ولكنَّ نبي الله "موسى" أخذ شروحًا مفصلة أكثر وأكثر من وحي خالقه الأكبر، فاندكت أمام عقله هُويّات الجبال، وأسرار حركاتها المختلفة، فخرَّ صعقًا من ضعف أعصابه عن تحمل هذه الأسرار الدقيقة الغالية، والحكمة العالية.

---

(١) إنَّ هذا التوضيح الذي قدمه السيد "الشهرستاني" مهم جدًّا، وهو قائم على بيان مسألة عقائدية آختلف فيها المسلمون تتعلق برؤية الله عزوجل، فمنهم مَنْ أجاز ذلك وهو ما ذهب إليه بعض العامة آعتمادًا على روايات يقولون بها، ومنهم مَنْ منع حصول ذلك وهم أتباع مدرسة أهل بيت العصمة آعتمادًا على روايات وردت عنهم، فضلاً عن دليل العقل في آمتناع رؤيته، وذهب إلى ذلك المعتزلة كذلك، وقد ناقش المفسرون الآية بتفصيل، وكذلك علماء الكلام. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٤/٥٣٤-٥٣٦ ، الزمخشري: الكشاف ٢/١٤٧-١٤٨ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤/٣٥١-٣٥٢ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ١٤/٣٥٤-٣٥٨

(٢) لم يعلِّق الباحث على كلمات السيد الواردة في توضيحه على الآية الشريفة لعلاقة ذلك بالمباحث الفلسفية والعقائدية.

– المورد الثاني:

قال [١]: صنعة الإيجاز في المحاسن البديعية ٱحتواء الكلام على ضروب من البيان، كما أنَّ الإبداع ٱحتواء الكلام على ضروب من أنواع البديع.

فمثال الأول آية: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ﴾. [٢]

ففيها من ضروب البيان خَبَران [٣]، وإنشاءان [٤]، وماضيان [٥]، وأمران [٦]، ونهيان [٧]، ووعدان [٨]، ونبئان غيبيان [٩]، وزهاء عشرين ضربًا [١٠]، وهذا غير الإيجاز المقابل للإطناب وبينهما عموم من وجه.

ومثال الإبداع آية: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. [١١]

(١) مخطوط رؤوس الأقلام في دروس الإسلام: ٥٦–٥٧

(٢) سورة القصص: الآية ٧

(٣) وهما: (أوحينا، أرضعيه).

(٤) وهما: (لا تخافي، لا تحزني).

(٥) وهما: (أوحينا، خفت).

(٦) وهما: (أرضعيه، ألقيه).

(٧) وهما: (لا تخافي، لا تحزني).

(٨) وهما: (رادُّوه، جاعلوه).

(٩) وهما: (رادُّوه، جاعلوه).

(١٠) أي نوعًا من علوم البلاغة.

(١١) مخطوط الحواصل ١١٣/٥ و ٢٢٣ ، مخطوط مهمات: ١٠

ففيها زهاء ثلاثين مزية من المحاسن البديعية [١]، كما عَدَّدْتُها في محاضرة إعجاز القرآن. [٢]

– المورد الثالث:

قال [٣] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾. [٤]

إنَّ موسى [عليه السلام] لم يرد التفصيل والتطويل كما زعمه المفسرون [٥]؛ إذ لو أرادهما لقال: هي عصاي أتوكَّأ عليها للاستراحة، وأستعين بها كرِجْلٍ ثالثة في المشي، وأهشُّ بها على الأغنام، وأسوق بها الدواب والأنعام، وأُقرِّب بها البعيد، وأُبعِّد بها القريب، وأقطفُ بها الثمار، وأُصلح بها الأشجار، وأكشُّ الأطيار [٦]،

(١) الشهرستاني: المعجزة الخالدة: ٣٥–٣٨ ، فقد قال بعد ذكره لمزايا الآية: ((ولو شِئنا أنْ نضيفَ المحاسِنَ البيانيَّةَ على البديعيةِ وسائرِ الصنائعِ الاصطلاحيةِ، مع إفرادِ جملةٍ من المزايا المتداخلةِ فيما ذُكِرَ، لتجاوزتِ الأربعينَ، وفاضَتْ، ثم فاضَتْ)): ٣٨

(٢) المصدر نفسه: ٣٤ ، وقد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة في باب الدراسة، الفصل الرابع: ١٢١–١٢٢

(٣) مخطوط الحواصل ٢٢٣/٥

(٤) سورة طه: الآية ١٨

(٥) إنَّ المفسرين لم يذكروا أنَّ موسى (عليه السلام) أراد التطويل في جوابه، بل إنه جمع بين التفصيل والإجمال في جوابه، وأظن أنَّ ما ذكره السيد من مهام كلها تنطوي في قوله تعالى: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾. وللتفصيل ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٥٩/٣ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢٦/٢٢ وغيرهما

(٦) الأطيار جمع طائر، فالمفرد يجمع على أطيار وطيور. ابن منظور: لسان العرب مادة (طير).

وأُدافع بها الأغيار، وتهابني الكلاب والذئاب، وأقتل بهـا المؤذيـات كالعقـارب والحيَّات [١]، ثم قال بعد عَنٍّ [٢] ولِيَ فيها مآرب أخرى، وهذا السؤال من ربه العَلَّام إشارة تُنَبِّهُ موسى [عليه السلام] على أنَّ خشبة حقيرة لو اُعتمد الإنسان عليها لأعانته المعونات الكبرى، فكيف به لو اُعتمد على رب الأرباب. [٣]

– المورد الرابع:

قال [٤] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَـرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِـعُ إِلَـى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. [٥]

في [ال]آية إيجاز عجيب، وحذف لما قد يُفهم بأقل تأمل. [٦]

---

(١) في الأصل: كعقارب وحيات.

(٢) هكذا في الأصل، ولعل المراد بعد عناء، أو معاناة.

(٣) إنَّ هذا تفسير لطيف جدًّا منه، وفيه دلالة على التوكل والتسليم والثقة المطلقة بالله تعالى على أنه قريب من عبده، يلبِّي دعوته وينجيه بعـد تـسليمه المطلـق إليـه، فيـسخِّر لـه الموجودات على وفق الحكمة الإلهية، وهذا ما كان منه عز وجل إذ جعـل معجـزة نبيـه موسى (عليه السلام) هذه العصا.

(٤) أوراق مخطوطة بدون عنوان: ٦٩

(٥) سورة يوسف: الآية ٤٦

(٦) في الأصل: في آية (يوسف أيها الصديق) فيها إيجاز عجيب وحذف لما قد يُفهم بأقـل تأمل.

إنَّ الإيجاز في الآية الشريفة واضح للمتأمل في قصة يوسف (عليه السلام) ومـا اُنطـوت عليه هذه الرؤيا من أحداث كبيرة قد أُوجزت في هذه الآية، فضلاً عن حـذف كثـير مـن الكلمات، وسبك الآية بهذا النص الإبداعي، فقد تـضمنت مـسيرة الدولـة والمجتمـع

*** ثانيًا: الالتفات.**

إنَّ السيد "الشهرستاني" قد ذكر ما يتعلق بالالتفات وأهميته في الكلام، وأثره في بلاغة الآيات القرآنية في عدد من مخطوطاته، فضلاً عن التوسُّع في بيان أنواعه، والأمثلة القرآنية على ذلك، ومناقشة العلماء، وقد جمعت في موارد (ستة)، وسأذكرها كالآتي:

**- المورد الأول:**

قال [١]: أقول الالتفات ضرب من ضروب المحاورة، وتفنن يستعمله البلغاء، وزينة للكلام، وتقوية للمرام، وهو عند الجمهور من علماء البيان على ستة أقسام، حاصله من ضرب الغيبة والخطاب والتكلم أنفسها [٢]، ولقد أضفتُ عليها الالتفات من الفرد إلى المجموع ومن عكسه، فصارت ثمانية، بل عشرة، وهاك أمثلة منها على وجه الإشارة والإجمال.

**- أولاً: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.**

في [سورة] الفاتحة [قوله تعالى:] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [٣] أي: إياه.

---

لسنوات سبع شداد تَمُرُّ على الناس، مع وضع الحل الأمثل لعلاج ذلك، حتى يتم الفرج بعدها.

(١) مخطوط المسودات القرآنية ص١١٩-١٢٠ في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة: الآية ٥]

(٢) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٣/١٩٧-٢٠٣ ، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/٢٥٣-٢٥٧ ، حبنَّكة: البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها ١/٤٨٤-٤٨٥

(٣) سورة الفاتحة: الآية ٥

وفي [سورة] الكهف [قوله تعالى:] ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى المَدِينَةِ﴾.(١)

وكآية: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ ٱسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ ٱضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ المَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (٢) أي: ما رزقناهم.

وآية [سورة] القصص: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾. (٣)

و[في سورة] النساء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ المُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾. (٤)

وفي [سورة] يونس [قوله تعالى:] ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ * آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ * فَاليَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾.(٥)

وفي [سورة] سبأ [قوله تعالى:] ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ - فَأَعْرَضُوا - وَجَعَلْنَا - سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾. (٦)

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٩

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٦٠

(٣) سورة القصص: الآية ٣١

(٤) سورة النساء: الآية ٦١

(٥) سورة يونس: الآيات ٩٠-٩٢

(٦) سورة سبأ: الآيات ١٥-١٨

[و] كآية [سورة] الأنبياء [قوله تعالى:] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾. (١)

[وقال تعالى]: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. (٢)

وفي خطبة [الإمام] "علي" [عليه السلام] في التوحيد: ((ومَنْ ماتَ فإليهِ مُنْقَلَبُهُ، لَمْ تَرَكَ العُيونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ)). (٣)

- ثانيًا: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

كآية: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾. (٤) أي: بكم.

وفي [سورة] الأحزاب [قوله تعالى:] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ -إلى قوله- وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ﴾. (٥)

وكآية: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٥

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٦

(٣) الشريف الرضي: نهج البلاغة ٢٠٩/١ وهذه الخطبة أولها: ((كُلُّ شَيْءٍ خاضِعٌ لَهُ .... وَمَنْ عاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ ماتَ فَإليهِ مُنْقَلَبُهُ)).

(٤) سورة يونس: الآية ٢٢

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٥٠

وَكَلِمَاتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. (١)

وفي [سورة] النحل [قوله تعالى:] ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾. (٢) أي: من بطونك.

وفي [سورة] النساء [قوله تعالى:] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾. (٣) أي: وٱستغفرت لهم.

وقول "أبي العلاء":

هَلْ تَزْجُرَنَّكُمُ رِسَالَةُ مُرْسِلٍ – أَمْ لَيْسَ يَنْفَعُ في أُولاكَ أَلُوكُ (٤)

– ثالثًا: الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

كآية: ﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (٥) أي: فساقه.

وآية: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾. (٦)

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٨

(٢) سورة النحل: الآيتان ٦٨ – ٦٩

(٣) سورة النساء: الآية ٦٤

(٤) في الأصل: هل يزجرنكم رسالة مرسل – أم ليس ينفع في أولاك

أولاك: أي أولئك. ألوك: أي رسالة.

المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله، ديوان سقط الزند، (دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م، د.ط): ٣٠٣

(٥) سورة فاطر: الآية ٩

(٦) سورة الإسراء: الآية ١

– رابعًا: الالتفات من الخطاب إلى التكلم.

كقول "علقمة بن عبدة" [١]:

طَحَا بِكَ قَلْبٌ في الحِسَانِ طَرُوبُ – بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مَشيبُ [٢]

– خامسًا: من التكلم إلى الخطاب.

[قال تعالى] في [سورة] الكوثر: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾. [٣]

أي: فَصَلِّ لنا.

– سادسًا: الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

كآية: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. [٤] أي: أرجع.

---

(١) علقمة بن عَبَدة: شاعر جاهلي من بني تميم ، وهو الذي يقال له علقمة الفحل، وكان ينازع ٱمرأ القيس الشعر، وكان يقول: كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك. ٱبن قتيبة: الشعر والشعراء ٢١٨/١

(٢) علقمة بن عبدة: شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل، تق: الدكتور حنا نصر الحتي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م): ٢٣

طحا بك: أي ٱتسع بك وذهب كل مذهب ، وفي البيت يخاطب "الحارث بن أبي شمر الغساني" وقد أسَّر أخاه "شأس بن عبدة" مع سبعين رجلاً من بني تميم، ويقول بعدها:

إِلَى الحَارثِ الوَهَّابِ أَعْلَمْتُ نَاقَتِي – لِكَلْكَلِهـا والقُـصْرَيَيْنِ وَجِيـبُ

فلما بلغ هذا البيت:

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَـدْ خَبَطْـتَ بنِعْمَـةٍ – فَحُـقَّ لِـشَأْسِ مَـنْ نَـدَاكَ ذَنُـوبُ

فأطلق أخاه ومن معه من الأسرى.

(٣) سورة الكوثر: الآيتان ١–٢

(٤) سورة يس: الآية ٢٢

وآية: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى -إلى قوله- لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الكُبْرَى﴾. (١)

- سابعًا: الالتفات من الفرد إلى الجمع.

كآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا العِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ﴾. (٢) أي: إذا طلقت.

وآية في [سورة] النور: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ -إلى قوله تعالى- أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾. (٣)

وآية: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾. (٤)

- ثامنًا: الالتفات من الجمع إلى الفرد.

كآية: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾. (٥)

وكما في آية [سورة] الكهف: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا﴾. (٦)

وآية النحل: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾. (٧)

---

(١) سورة طه: الآيات ٢١-٢٣

(٢) سورة الطلاق: الآية ١

(٣) سورة النور: الآية ٣١

(٤) سورة الإنسان: الآية ٢

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٣٧

(٦) سورة الكهف: الآية ٦١

(٧) سورة النحل: الآية ٦٦

وآية: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾. (١)

وآية [في سورة] النساء: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا * فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾. (٢)

وآية [في سورة] الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾. (٣)

– تاسعًا: الالتفات من شخص فرد إلى شخص فرد (أو من مذكر إلى مؤنث).

كآية [في سورة] يوسف: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الخَاطِئِينَ﴾. (٤)

– عاشرًا: الالتفات من جماعة إلى جماعة.

كآية [في سورة] النساء: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا * وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٥)، فإنَّ الجماعة الأولى هم المنافقون، والثانية هم المؤمنون.

(١) سورة غافر: الآية ٦٧

(٢) سورة النساء: الآيتان ٨٣–٨٤

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٥

(٤) سورة يوسف: الآية ٢٩

(٥) سورة النساء: الآيتان ٨٢–٨٣

– المورد الثاني:

قال [١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾. [٢]

في الآية صنعة الالتفات من المفرد إلى الجمع إذ جاء بالذي ٱستوقد نارًا ظاهر الوحدة، ثم أعاد إليه ضمير الجماعة في قوله: ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُون﴾، وكثير مثل هذا الالتفات المُعْنَا إليه في آية: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [٣]، وسبق في آية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾. [٤]

– المورد الثالث:

قال [٥] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا –إلى قوله– وَاللهُ مُحِيطٌ بِالكَافِرِينَ﴾. [٦]

تضمَّن المثل الأول ٱلتفات من المفرد إلى الجمع إذ أتى بضمير المفرد في: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَه﴾، ثم عبَّر عنه بضمير الجمع في: ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ﴾[٧]،

(١) مخطوط التفسير المحيط أوراق غير مرقمة.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧

(٣) سورة المؤمنون: الآيتان ٩٩–١٠٠

(٤) سورة البقرة: الآية ٨ لم يحصل الباحث على بيان السيد حول الآية الشريفة في تفسيره المخطوط وغيره.

(٥) مخطوط التفسير المحيط أوراق غير مرقمة.

(٦) سورة البقرة: الآيات ١٧–١٩

(٧) إنَّ للمفسرين بيانًا حول ذلك وما يتعلق به من حيث الإفراد والجمع. ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ١٠٩/١ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١١٣/١–١١٤

كذلك المثل الثاني حسب ما ٱستقربته من أنَّ "الصَّيِّب" فعيل بمعنى المفعـــول [١]، وبمعنى مَنْ وقع عليه نازلة من السحاب فيه ظلمات [٢]، فهو مفرد وضميره كذلك، وٱشتمل على صنعة الالتفات منه إلى الجمع في قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَـــابِعَهُمْ فِـــي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ المَوْتِ﴾، والالتفات من المفرد إلى الجمع كثير الوقوع في القرآن والشعر والخطب؛ لئلا يتوهم أنَّ القصد محصور بفرد منظور كما قالتـــه الباطنية في آية: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [٣] ونحو ذلك. [٤]

(١) قال "الطبرسي": ((الصيبُ أصلهُ صَيْوِب فيعل من الصوابِ، لكن ٱجتمعت الواو والیـــاء وأولاهما ساكنةٌ فصارتا ياءً مشددةً)). مجمع البيان في تفسير القرآن ١١٦/١ ، وينظـــر: الدرويش: إعراب القرآن وبيانه ٥٩/١

(٢) أي: مطر. السجستاني: محمد بن عزيز: غريب القرآن، تص وتع: لجنة من العلماء، (مط محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ١٣٨٢هـ١٩٦٣م، د.ط): ١٢٤ ، وقيل: الـــسحاب أو المطر. الراغب الأصفهاني: المفردات غريب القرآن: ٢٩٩ (صـــوب). وهـــذا المعنـــى يخالف ما ذكره السيد من معنىً.

(٣) سورة العصر: الآية ٢

(٤) لقد وردت روايات عن المفسرين في أنَّ من المراد بـ(الإنسان) هو شخص معـــين، مثـــل "أبو جهل" و "الوليد بن المغيرة" و "العاص بن وائل" وغيرهم. ينظر: الفخـــر الـــرازي: التفسير الكبير ٢٧٩/٣٢ ، السيوطي: الدر المنثور ٦٤٤/١٥

– المورد الرابع:

قال [١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. [٢]

[إنَّ في الآية] تَحَوُّلَ وجه الخطاب إلى الخطاب عن الغيبة، وقد مَرَّ نظيره في آية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [٣]، ولا تنكر لذة التحوُّل والتنقُّل من فن إلى فن، ومن مورد إلى مورد، وفوق لذة التحوُّل نرى الالتفات الخطابي يجدد نشاطًا في الخطيب والمستمعين، ويستهشُّ [٤] السامعين إلى الإصغاء، وحسن التلقي، والمداومة على الاستزادة والاستفادة من الحديث.

– المورد الخامس:

قال [٥] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾. [٦]

(١) مخطوط التفسير المحيط أوراق غير مرقمة.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١

(٣) سورة الفاتحة: الآية ٥ ، قد تقدم ما يتعلق بالآيتين في المورد الأول من هذا المطلب ص٣٥١

(٤) أي تلتذ الأسماع وترتاح في ٱستماعها للخطاب وتطرب له؛ لعدم ثقل الأسلوب في التعبير. ينظر: ٱبن منظور: لسان العرب مادة (هشش).

(٥) مخطوط المسودات القرآنية: ١١١–١١٤

(٦) سورة يونس: الآية ٢٢

أقول: لا ريب في صوغ هذه الآية على وضعية الالتفات من الخطاب إلى الغيب [١]، وليس هذا التبدل في نحو الكلام من الأمر المستعاب، بعد أنْ جرت عليه سنة الخطباء والبلغاء والشعراء، ويلزمنا الآن الإشارة إلى معنى الالتفات ثم إلى حكمته فنقول: الالتفات في العرف العام تحويل الوجه أو النظر من جهة إلى جهة أخرى[٢]، وفي عرف البلغاء وعلماء البيان هو تحويل وجه الكلام من أسلوب إلى أسلوب ومن وضعية إلى وضعية أخرى كالالتفات من وضعية الخطاب إلى وضعية الغياب أو العكس أو غيرهما [٣] وسيأتي ذكر أنواعه وأسبابه. [٤]

أما أسبابه فالقوم [٥] لم يذكروا للالتفات وجهًا يُحَسِّنه، ولا شبيهًا يُرَجِّحه، غير ما شاع عنهم من أنَّ الالتفات من أسلوب الكلام إلى أسلوب آخر يجدد للسامعين طربًا وٱرتياحًا، ويزيد الحديث طراوةً، وفي المتكلم يقظةً ولذةً، كالتنقُّلِ من بلد إلى بلد، أو كتبديلِ طعام بطعام، حسبما قيل: (تنقل فلذات الهوى في التنقل [٦]) [٧]، وتبديلِ أساليب الكلام كتبديلِ ألبسة الأنام غالبًا.

---

(١) للتفصيل في سبب الالتفات وأهميته ينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٧٤/٥ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢٣٤/١٧

(٢) ينظر: ٱبن منظور: لسان العرب مادة (لفت).

(٣) تقدم ما يتعلق بتعريفه في باب الدراسة، الفصل الرابع، المبحث الثاني: ١٤٢-١٤٣

(٤) تقدم بيانه في المورد الأول ص٣٥١-٣٥٧

(٥) أي البلاغيون.

(٦) في الأصل: تنفل.

(٧) القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تح: د. يوسف علي طويل، (دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م) ٣٢٥/١٤

هذا الوجه على أنه المشهور والمرضي لدى الجمهور [و] هو الوجه الوجيه العام الذي لا يخسره أيُّ ٱلتفات يقع في الكلام.

لكنما المهارة كل المهارة في تميُّزِ الوجوه الخاصة مما عدا هذا الوجه العام، فإنَّ الالتفات ذو أنواع لا تحد، ولكل نوع منه أفراد لا تعد، وفي كل نوع منه مزية مخصوصة، ولكل أسلوب منه طريقة خاصة له في كل مقام، ونكتة معينة، وله في كل مورد حكمة شخصية غير ذلك الوجه العمومي، كما إنَّ اللباس يؤثِّر في تطريب النفس وطراوة البدن، لكن في كُلِّ نوع من اللباس حكمة خاصة غير هاتيك الحكمة العامة.

ضرورة أنَّ اللباس قد يتبدل لدفع الحر والخطر، وتارة للوقاية عن البرد أو المطر، وأخرى لإظهار الزهد أو المسكنة، وبعضًا لإظهار الغنى والطنطنة، وهكذا إلى عدة أغراض لا تُعَدُّ، مع أنَّ التجمُّلَ أَوَّلُه العورة هو الوجه العام الموجود في كُلِّ تبدلات ألبسة البشر.

هكذا الالتفات عندي من دون ريب، فإنَّ التحوُّل من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ آخر في البيان له وجه عام يعم جميع الموارد، قليلاً من كثير، حَصَنِّي الله بإلهامه، أعني تطريب النفس، أو تطرية السمع، لكن هذا الوجه العام لا ينفك عن وجوه خاصة أخرى، تمتاز بها الأنواع وتتمايز.

---

وقد ورد أنه مقطع من قصيدة للشاعر "يوسف بن عبد العزيز" المشهور بـ(آبن المرصص) (ت٦٣٨هـ/١٢٤٠م) والتي أولها:

تَنَقَّلْ فلذَّاتُ الهوى في التَّنقُّلِ – وَرُدَّ كُلَّ صَافٍ لا تَقِفْ عِنْدَ مَنْهَلِ

الزركلي: الأعلام ٢٣٨/٨ ، وورد أنه لـ"صفي الدين الحلي" (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، فالتحقيق يوجب نسبة البيت لـ"آبن المرصص" إذا ثبت أنه قد ورد عنه.

– منها إنَّ التحوُّل من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ آخرٍ قد يكون منشؤه ٱنقضاء المقتضي للأسلوب السابق، وٱنصرام حبله، وتجدُّد المقتضي الآخر لأسلوب جديد، وحلول أجله، كقوله [تعالى] في سورة الكهف: ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ (١)، فإنَّ صيغة الغياب المتجلِّية في ﴿قَالُوا﴾ ينقضي المقتضي لها، وينصرم بانصرام صيغة ﴿قَالُوا﴾، ويتجدَّد بعد ذلك مقتض للخطاب، ومثله في القرآن العزيز غير عزيز.

– منها أنْ يكون منشأ تحويل وجه الكلام هو وجود مانع بغتة، فأوجب على المنشىء أنْ يتحرَّزَ أسلوبه الأول ويبدِّلَهُ بأسلوب أسلمَ منه وأنسبَ، كما تجد أمثلته الوافرة في موارد التقية والتورية. (٢)

– ومنها أنْ يكون منشأ تحويل الكلام هو ظهور فساد الأسلوب الأول حقيقة، وبدوِّ صلاح السبك الآخر المعدول عنه إليه، نظير ما في بدل الغلط، وهذا غير جائز على الله سبحانه كالذي قبله.

– ومنها أنْ يكون منشأ تحويل الكلام وتبديل أساليبه إنما هو تكامل ٱستعداد المخاطب لدى الاستماع، هو فقير في فكر المنشىء لا من فاسدٍ إلى صالحٍ، بل يترقى من صالحٍ إلى أصلح، ويتدرج من مناسبٍ إلى أنسبٍ، ومن كمالٍ إلى أكملٍ،

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٩

(٢) إنَّ هذا الأسلوب والذي بعده من الأساليب التي يلجأ إليها عامة الناس في محاوراتهم، وهو طبيعي لديهم، ولكن ذلك لا يمكن إطلاقه على كتاب الله تعالى؛ لعدم طروِّ تلك الأسباب عليه.

كما في [قوله تعالى]: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١]، أو كما في [قوله تعالى]: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. [٢]

– ومنها أنْ يكون منشأ الالتفات هو الإيماء إلى معنى قصده المتكلم ولم يفهم المخاطب، فالتفت إلى ما يوضِّح مقصوده له، كما في آية: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [٣]، وآية: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾. [٤]

– ومنها أنْ يكون منشأ تبديل لباس الكلام هو قصد المتكلم أنْ يفهم المخاطبين عمومية هذا الحكم لعموم الأصناف [كما] [٥] في آية: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ وَالبَحرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾ [٦]، ففيه إيماء إلى أنَّ هذا الحكم غير مختص بكم أيها المخاطبون، بل يعم الغائبين والمعدومين أيضًا.

ولم أجد أحدًا [٧] تنبَّه لهذا الوجه الوجيه، وإنما تفطنت به من الفكرة في حال الخطباء، إذ تراهم يخاطبون مَنْ عن يمينهم، ثم يلتفتون عنهم إلى مَنْ يواجههم، ثم يحوِّلون الوجه عنهم إلى مَنْ في يسارهم، حتى يفهم العموم، إنَّ الخطيب لا يختص كلامه بأصحاب اليمين ولا بأصحاب الشمال، بل هو قاصد العموم بوعظه

(١) سورة يس: الآية ٢٢

(٢) سورة الفاتحة: الآية ٥

(٣) سورة الإنسان: الآية ٢

(٤) سورة النحل: الآية ٦٦

(٥) في الأصل: مثل.

(٦) سورة يونس: الآية ٢٢

(٧) في الأصل: أحد.

وخطابه [١] غير إنَّ ضرورة الاتجاه قضت عليهم أَلّا [٢] يواجهوا في اللحظة الواحدة إلا الجهة [٣] الواحدة، فتنبهت من ذلك إلى سر عظيم وهو إنَّ القرآن العظيم هو الكتاب الموجَّه من ربنا سبحانه نحو العموم من خليقته، وصبغة الكلام لا بد وأنْ تكون إحدى ثلاث: إما الغياب، أو الحضور، أو التكلم، فإنْ تمخَّض [٤] من كُلٍّ منها أَوْهَمَ أنه مختص بأهله، وإنْ تنوَّع في حكم دون حكم فأورد جملة من الأحكام بصيغة الغياب وجملة أخرى بصيغة الخطاب أَوْهَمَ أنَّ القرآن بعضه للغائبين وبعضه للحاضرين.

فإذا ٱستعملت الالتفات في حكم واحد كالخطيب، وتحوَّل من صيغة إلى صيغة، ومن أسلوب إلى أسلوب، عرف من ذلك إلغاء ٱمتياز تلك الأساليب، وفهم أنه كتاب عام، وخطاب لا يخص بعض الأنام، وعلم أنَّ الإنشاء القرآني أشبه بمقام خطيب إنساني يستعمل الصيغ والأساليب توسلاً بها إلى الإفهام وتثقيف الأنام. [٥]

---

(١) إنَّ ما ذكره السيد في العلاقة بين الأسباب التي تقدمت وحال الخطيب أظن أنها موافقة لحال الخطابة فقط، أما أسباب الالتفات التي تقدمت فلا علاقة لها بطريقة إيصالها للمتلقي عن طريق الخطابة والكلام، بل مطلقًا، فإنَّ ٱعتماد أسلوب الالتفات من المخاطب قراءةً، أو كتابةً، أو إلقاءً يحقق الغاية التي يرتجيها، فالموضوع يتعلق بأسلوب الكلام، وليس بكيفية أدائه خطابة لتتم المقارنة مع ٱلتفات الخطيب إلى المستمعين.

(٢) في الأصل: أن لا.

(٣) في الأصل: لجهة.

(٤) في الأصل: تمحض.

(٥) تشبيه لطيف جدًّا، يدل على التدبُّر الحقيقي لكتاب الله تعالى، قراءةً وتفكُّرًا، ويمكن للإنسان أنْ تحصل له اللذة الروحية في الاستماع إلى التعاليم الإلهية من غير مللٍ، وبذلك يحس الإنسان أنه جالس بين يدي مربٍّ حكيم، رؤوف رحيم.

هذه بعض مزايا وحكم تحسن الالتفات في بعض العبائر والكلم، وربما أوجبته إيجابًا أدبيًّا، وأنها تجري على تعابير القرآن كما تجري على بيان كل بليغ معبِّر، أو محبِّر.

وسوف نعطي لهذا البحث مجالاً وذكرًا في العناوين المقبلة إنْ شاء الله تعالى.[١]

- المورد السادس:

قال[٢] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾.[٣]

هذا تفنن في الكلام، ويعد من محاسن سنن البلاغة وبديعها، ومن كمال الأدباء في شرع الإنشاء خطابة وكتابة، فيعدلون إلى شاكلة الغيبة، بينما هم في حال الخطاب، ويعدلون على شاكلة التخاطب والحضور بينما هم في حال الإخبار عن الغائبين، ويسمون هذا العدول والانتقال (ٱلتفاتًا)، وهو سائغ وشائع في عرف النوابغ من عرب، ومن عجم.

والتحقيق فيه أنَّ للأشياء في دائرة الوجود مظاهر ومراتب، فقد يظهر الشيء في خارج الأعيان كتحرك الإنسان، وقد يظهر في كاشفه الطبيعي كما هو في المرآة،

(١) لم يحصل الباحث فيما يتعلق بهذا المبحث إلا ما تم توثيقه في هذه الموارد الستة من خلال ٱستقصاء جميع مخطوطات السيد "الشهرستاني".

(٢) مخطوط الدلائل والمسائل ٣٧٣/٨ وهو جواب لسؤال نصه: ((قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ جملةٌ مصوغَةٌ على صورةِ الأنانيَّةِ، وبصيغَةِ المتكلِّمِ وأنَّهُ المنعمُ، فلماذا يقول بعدها: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ فيصوغ الجملةَ على صورةِ الغيريَّةِ، وبصيغةٍ تدلُّ على أنَّ المنعمَ غيرُ المتكلِّمِ)).

(٣) سورة الكوثر: الآيتان ١-٢

وداخل الأذهان كتصور الإنسان، وقد يظهر في كاشفه الوضعي كما في اللفظ والخط كاسم الإنسان، وعلى هذا الرأي أكثر حكمائنا المحققين [1]، غير أنني أستحصلت آراءهم [ف] قالوا وقولهم الحق: إنَّ الموجود اللفظي يكشف عن الموجود الذهني، كما أنَّ الموجود الذهني يكشف عن الموجود العيني، ومن ذلك أتفق المنطقيون على تلازم القضيتين دائمًا، أي القضية الملفوظة وهي (زيدٌ متحركٌ) للقضية المعقولة (تلبُّسُ زيدٍ بالتحَرُّك)، فلا ينشىء القاصد كلامًا لفظيًّا إلا بعد تصوُّره كلامًا عقليًّا يكون هو الأصل والمدار، لترتُّبِ الأحكام والآثار فقالوا:

إِنَّ الكَلامَ لَفِي الفُؤادِ وإِنَّمَا – جُعِلَ اللِّسَانُ عَلى الفُؤادِ دَلِيلاً [2]

فإذا تقرر أنَّ الكلام الذهني والحديث النفسي هو المنشأ الحقيقي لهذا الكلام اللفظي، سَهَّل عليك معرفة السر الفلسفي في تفننات الكلام ومحاسنه البديعية، فإنَّ المُنشىء لا يتفَنَّنُ في ألفاظه قبل كُلِّ شيء كما يزعم، بل إنما يتفنَّنُ قبل كُلِّ شيء في

(١) لقد فصَّل الأصوليون ما يتعلق بالكلام النفسي وتسلسله في الذهن قبل صدوره وما يتعلق به، فضلاً عن الكلاميين والمفسرين. للتفصيل ينظر: الخراساني، محمد كاظم: كفاية الأصول، تح: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، (ط١، مهر، ١٤٠٩هـ، قم): ٦٥ ، الحكيم، محسن: حقائق الأصول، (ط٥، الغدير، قم، ١٤٠٨هـ) ١٤٧/١

(٢) ينسب البيت إلى "الأخطل" كما ذكرت المصادر المتعددة، ولكن لم يذكر في ديوانه المطبوع. ينظر: الفخر الرازي، محمد بن عمر: المحصول في علم الأصول، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ١٩٩٢م) ٢٧/٢ ، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: الدكتور أحمد محمد الخياط، (دار القلم، بيروت، د.ط، د.ت) ٤٤١/١ وغيرهما

معانيه ومقاصده وأحاديثه النفسية [١]، مثاله: إنه إذا قال رأيت القوم إلا زيداً، فلا بد من كونه تصوُّرًا أولاً رويته لجماعة لم يكن زيد فيهم، فَدَعاه معنى عدم رؤيته لزيد أنْ يأتي بصيغة الاستثناء في اللفظ، فإذن كُلُّ تفنُّنٍ في الكلام اللفظي لا بد وأنْ ينشأ من حسن تحوُّلٍ في الكلام الذهني، ومن التفنن (الالتفات).

ولا ريب في أنَّ التحولات الفكرية والتبدلات الذهنية والتحسينات المعنوية هي الموجبة لتغيير أسلوب اللفظ في الكتابة إلى وضع ومن سبك إلى آخر، فلنتصور ذلك تدقيقًا فنرى البليغ يهيِّء معانيه المتناسقة فيجد المعاني صالحة أنْ تصب في بوتقة الخطاب وقالب الأنانية فيصبها، ثم يجد معنًى واحدًا لا يصلح لهذا القالب ذاتًا، أو لا يجد لها الآن مانعًا قويًّا فيحوِّلها [٢] إلى قالب الغيرية، وما الخطابة كالكتابة مثاله، أنه تعالى يجد المقام حَرِيًّا لاطمئنان نبيه بتحقق الكثرة له فيقول: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ ثم يجد مانعًا من قوله: (فصلِّ لنا وٱنحر) لأنه يوهم كونه تعالى في صدد المِنَّة على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وٱستعاضة صلاته عن تلك المِنَّة مع أنه تعالى غني عن العالمين، فيحوِّل الكلام إلى شاكلة أخرى بصورة أنَّ المنعم هو غير المتكلم، فيقول: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، وبتعبير آخر إنَّ آية: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ يجوز أنْ يكون جل القصد منها بيان العطية أولاً وبالذات،

(١) إنَّ هذا التقرير مهم جدًّا في معرفة المعنى في الذهن، فالأمر لا يتعلق باللفظ بقدر تعلقه بتهيئة المعنى المراد إيصاله للمتلقي، فضلاً عن مراعاة التسلسل الذهني في ترتيب المعاني، ومن ثَمَّ جعلها في قالب الألفاظ، فيكون اللفظ جليًّا مؤثِّرًا في المتلقي إذا تطابقت الألفاظ المستعملة لتلك المعاني المرتبة في الذهن، وإنْ لم يحصل ذلك التوافق أو التطابق فإنَّ المعنى يكون غير واضح الدلالة على المراد، فضلاً عن المحسنات اللفظية والبديعية التي تزيد الكلام رونقًا وتأثيرًا.

(٢) في الأصل: فيجوّلها.

كما يجوز أنْ يكون بيان المُعطي والمُنعم، فإذا قال بعدها: (فصل لنا وٱنحر) تعيَّن بعد الإجمال أنَّ المراد كان بيان المُعطي والمُنعم، لكنه قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ ليتعيَّن أنَّ المراد بيان النعمة والعطية، لا خصوص المُعطي والمُنعم، فيكون في هذا[1] الالتفات بيانًا للإجمال، ودفعًا لسوء[2] الاحتمال.[3]

(١) في الأصل: فيهذ.

(٢) في الأصل: لسئو.

(٣) تفسير جيد في بيان علاقة الالتفات بالمعنى، وأثره في النفس، وما في ذلك من أسلوب دقيق من الله تعالى، ولم يذكر المفسرون ما تقدم من تفسير السيد وأثر الالتفات في الآيات الشريفة، ولكن "ٱبن أبي الإصبع" قد ذكر الآية الشريفة وما يتعلق بأسلوب الالتفات فيها. بديع القرآن ٢/٤٤

**المبحث الثالث: علم البيان.**

**إنَّ الموضوعات التي تناولتها مخطوطات السيد "الشهرستاني" في علم البيان كانت ضمن (أربعة) أبواب، وسوف نستعرض ذلك وفقًا لترتيبها في الدراسات البلاغية.**

*** أولاً: التشبيه.**

**لقد ذكر السيد "الشهرستاني" ما يتعلق بالتشبيه والروايات التمثيلية، وكثرة اعتماد القرآن الكريم في خطاباته على ذلك، وأثره في البلاغة القرآنية، فضلاً عن أسلوبه الخاص في إيصال الأفكار المعينة، فذكر تلك الآيات الشريفة التي وردت بهذا الأسلوب، إما بلفظ التشبيه، أو التمثيل، أو لسان الحال، وقد جمعنا ذلك كله في هذا المبحث؛ لتسهيله على الباحثين، والإحاطة به، فضلاً عن الدراسة والتحقيق، وإنْ كان الأولى بحث لسان الحال في مبحث المجاز أو الكناية، ولكنه تَحَدَّث عنه عند بيانه موضوعات الرواية التمثيلية للآيات الشريفة والتشبيه، وإنْ كان قد خالف العلماء في تفسير عدد من الآيات الشريفة، إذ يرى أنها تمثيل يعرضه الله تعالى في كتابه، من غير أنْ تكون له حقيقة واقعًا، وسوف يتم ذكر ذلك في مورده، وقد تم جمع ما يتعلق بهذا المبحث ضمن موارد (سبعة عشر).**

**– المورد الأول:**

**قال [1]: يستعمل بلغاء الأمم، وخطباء العرب والعجم في منشآتهم روايات تمثيلية، ولسان حال عن الحيوان والجماد بعينه في إقناع الجماهير، ولا غرو فإنَّ المحاورات ثلاث [2] أرباعها مجازات، وكنايات، وروايات خيالية، ففي أمثال**

---

(١) مخطوط جمهرة العلوم القرآنية: ٩٤-٩٦

(٢) في الأصل: ثلاثة.

العجم: (به شتر گفتند چرا شاشت بسه؟ گفت چه چيزم مثل همه كسه) [١]، وقال [الإمام] علي (عليه السلام): ((العِلْمُ يَهْتِفُ بِالعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلا ٱرْتَحَلَ)). [٢]

والقرآن الكريم من فرط رغبته في إقناع المخاطبين، وإفهام طبقات الجماهير، كان أحرص على بلوغه الهدف المطلوب، فاستعمل الأمثال والتشابيه في آياته: قال عن نفسه: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون﴾ [٣]، والأمثال القرآنية:

منها: ما يدخل في أبواب التشبيه ويصرح [ب]أدواته، كقوله في آية: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾. [٤]

وفي آية: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا –إلى قوله– كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾. [٥]

وآية: ﴿مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾. [٦]

وآية: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُون﴾. [٧]

---

(١) أي إنَّ الناس تخاطب الجَمَل حول مخالفته للآخرين، فهو يقول في جوابه كل شيء عندي مخالف فلماذا تستشكلون عليَّ.

(٢) الشريف الرضي: نهج البلاغة ٤/٢٣٩

(٣) سورة الزمر: الآية ٢٧

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٦٥

(٥) سورة يونس: الآية ٢٤

(٦) سورة الرعد: الآية ٣٥ وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ٥/١١٤ و ١٦٥، مخطوط مهمات: ١٠

(٧) سورة البقرة: الآية ١٧

وكما في آية النور: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾. (١)

ومنها: ما يدخل في أبواب الاستعارة والمجاز، وهو أكثر من ربع القرآن (٢)، كما في آية الكرسي (٣)، وآية النور (٤)، وآيات الجنة والنار. (٥)

ومنها: ما يسبك سبك القصة وليست بقصة في واقع الأمر، بوجه كنائي أو عنائي، كقصة خلق آدم ومحاورة الملائكة مع الله في خلقه وتفضيله [قال تعالى]: ﴿وَإِذْ قَالَ

---

(١) سورة النور: الآية ٣٥

(٢) إنَّ قوله: ((أكثر من ربع القرآن)) قائم على المسامحة والتقريب لا الحقيقة، ولعله أكثر أو أقل من ذلك.

(٣) وهو قوله تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ﴾. [سورة البقرة: الآية ٢٥٥]

(٤) وهو قوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. [سورة النور: الآية ٣٥]

(٥) وهي آيات كثيرة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [سورة الرعد: الآية ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [سورة محمد: الآية ١٥] وغيرهما

رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً -إلى قوله- وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾. (١)

وآية سجود الملائكة إلا إبليس [قال تعالى]: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ﴾. (٢)

ومحاورة الله مع الملائكة والشياطين (٣) [قال تعالى]: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾. (٤)

وقوله للسموات والأرض: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾. (٥)

---

(١) سورة البقرة: الآيات ٣٠-٣٣

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٤ وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ١١٤/٥

(٣) هكذا ورد في الأصل.

(٤) سورة ق: الآية ٣٠

ناقش "الشريف المرتضى" ما يتعلق بالآية الشريفة وعدم حملها على الحقيقة، وكيفية توجيه الخطاب. ينظر: تنزيه الأنبياء، (دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م): ١٧١ ، ويرى "الشيخ الطوسي" أنَّ الكلام لا يحمل على الحقيقة، بل يحمل على المثَلِ. ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٣٦٩/٩ ، وقال "الزمخشري": ((وسؤالُ جهنمَ وجوابُها من بابِ التخييلِ الذي يُقْصَدُ به تصويرُ المعنى في القلبِ وتثبيتِهِ)). تفسير الكشاف ٣٩٢/٤ ، وقال "الطبرسي" مثل "الطوسي" ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٤٥/٩ ، وقال "أبو حيان الأندلسي" مثل ما تقدم وذكر الأقوال المحتملة. ينظر: البحر المحيط ١٢٦/٨ ، وناقش السيد "الطباطبائي" القائلين بأنَّ الآية هي على لسان الحال وليس الحقيقة وَرَدَّ ذلك. ينظر: الميزان في تفسير القرآن ٣٥٧/١٨ ، وفصَّل القول في عظمة بلاغة الآية الشريفة "الدرويش" وخروجها عن الحقيقة. ينظر: إعراب القرآن وبيانه ٢٧٥/٧-٢٧٦

(٥) سورة فصلت: الآية ١١

وكما في آية "داود" وتمثل المَلَكين: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ﴾[١] إلى قوله [تعالى]: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾. [٢]

وآية "إبراهيم" [قال تعالى]: ﴿فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغًا -إلى قوله- حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ﴾. [٣]

---

الشيخ المفيد: أوائل المقالات: ١٠٣-١٠٤ ، وقال "الشريف المرتضى": ((إنَّ القول في الآية يُصرف إلى غير الحقيقة)). الأمالي ٢/٢٠-٢٣ ، وقال مثل ذلك "الشيخ الطوسي" في تفسيره. ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٩/١١٠ ، وينظر: العز بن عبد السلام: مجاز القرآن: ١٧٨

أما "الزمخشري" فإنه يرى أنَّ الآية تحمل صراحة على التمثيل لا الحقيقة، فقال: ((وهو من المجازِ الذي يُسمى التمثيلُ، ويجوزُ أنْ يكونَ تخييلاً، ويُبنى الأمرُ فيه على أنَّ اللهَ تعالى كَلَّمَ السماءَ والأرضَ وقال لهما: ٱئتيا شئتما ذلكَ أو أبيتماه، فقالتا: أتينا على الطَّوْعِ لا على الكَرْهِ. والغرضُ تصويرُ أثرِ قدرتِهِ في المقدوراتِ لا غير، من غيرِ أنْ يحقِّقَ شيئًا من الخطابِ والجوابِ)). تفسير الكشاف ٤/١٩٤ ، وللمفسرين نقاش كبير.

إنَّ هذه الآية الشريفة، من الآيات التي ناقشها الشيخ "المفيد" في كتابه "أوائل المقالات في تصحيح الاعتقادات" ص ١٠٣ ، وقد قام السيد "هبة الدين الشهرستاني" بتحقيق جزء من الكتاب، فيرى الباحث أنَّ السيد لعله قد تأثَّر بمنهج الشيخ "المفيد" في ذلك، فضلاً عن تأييد تلميذه "الشريف المرتضى" أيضًا، أو أنْ تكون تلك الآراء الصادرة من أعلام الإمامية قد فسحت له المجال في التحقيق في آيات قرآنية أخرى كما ذكرها.

(١) سورة ص: الآية ٢١

(٢) سورة ص: الآية ٣٤.

(٣) سورة الأنعام: الآيات ٧٦-٧٩

وآية كسره الأصنام [قال تعالى]: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ –إلى قوله– قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾. (١)

وآية: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾. (٢)

وآية العبد الصالح الذي علم "موسى" وامتحنه في سورة الكهف: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا –إلى قوله– ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾. (٣)

ومنها: التمثيل بلسان الحال، وهو إسناد المقال إلى ما يناسبها من الحال (٤)، ويكون أشبه بالقائل وليس بقائل، كما في مخاطبة ما (٥) لا يعقل أو لا ينطق، مثل قول العامة:

(١) سورة الأنبياء: الآيات ٥٢–٦٣

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٩

(٣) سورة الكهف: الآيات ٦٥–٨٢

(٤) في الأصل: إلى من يناسبها الحال.

(٥) في الأصل: من.

قَالَـــتِ النَّـــارُ قَـــوْلاً جَمَعَـــتْ كُـــلَّ المَعَـــانِي
بُغْيَتِـــــــــي أَنْ لا أَرَى الهِرَّ وَلا الهِرُّ يَرَانِـــي [١]

ومن هذا الباب كتاب "كليلة ودمنة" [٢] وأشباهه.

ويلحق بذلك مكالمة مَنْ لا يفهم كما في آية: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَـى إِبْرَاهِيمَ﴾. [٣]

---

(١) هذا القول ينسب إلى شاعر، ويُقال عند الانزعاج من شخص غـير مرغـوب في لقائـه، ولكنه ورد هكذا:

قالت الهِرَّةُ قـــــــولاً جامعـــاً كُـــلَّ المَعَـــانِي
أَشْـــــــــتَهي أَنْ لا أَرَى القِـــرْدَ ولا القِـــرْدُ يَرانِـــي

ينظر: الموقع على الإنترنت www.forunm.brg٨.com

(٢) وهو كتاب أَلَّفه الفيلسوف الهندي "بيدبا" لملك الهند "دبشليم"، وجعل فيه من الحكمة والموعظة على لسان البهائم والطيور ، وهو كتاب لطيف جدًّا، وقد طبع طبعات متعـددة، وقد ٱستنسخه "بروزيه" من الهندية إلى الفارسية بأمر ملك كسرى "أنوشروان"، ثم ترجمه "عبد الله بن المقفع" إلى العربية، أوله: باب (الأسد والثور)، وآخـره: بـاب (الحمامـة والثعلب ومالك الحزين). للتفصيل ينظر: ٱبن المقفع، عبد الله: كليلة ودمنة، (دار الكتـب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م).

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٦٩ ، وذكر السيد الآية نفسها في مخطـوط الحواصـل ١١٣/٥ و١٦٥ ، مخطوط مهمات: ١٠

قال الشيخ "الطوسي" في بيان الأقوال وأنه لا يحمل على الحقيقة: ((والثاني: إِنَّـهُ تعـالى حالَ بينَها وبينَ جسمه، فلم تصلْ إليهِ، ولو لم يقلْ سلامًا لأهلكهُ بَرْدُها، ولم يكنْ هناكَ أمرٌ على الحقيقةِ، والمعنى أنه فعل ذلك، كما قال ﴿كُونُـوا قِـرَدَةً خَاسِـئِينَ﴾ أي: صَـيَّرَهُم

وآية: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَـاءُ وَقُـضِيَ الأَمْـرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. (١)

وآية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ﴾. (٢)

وكما في آيات نطق الجوارح [قال تعالى]: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. (٣)

وكما في آية "سليمان" [قال تعالى]: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ٱدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. (٤)

---

كذلكَ، من غيرِ أنْ يأمرهُمْ بذلكَ)). التبيان في تفسير القـرآن ٢٦٣/٧ ، وقـال الـشيخ "الطبرسي": ((قلنا للنارِ ذلكَ وهذا مَثَلٌ، فإنَّ النارَ جمادٌ لا يصحُّ خطابَها، والمراد أنَّا جعلنا النار بردًا عليه وسلامَةً، لا يصيبُهُ من أذاها شيءٌ)). مجمع البيان في تفسير القرآن ٩٨/٧

(١) سورة هود: الآية ٤٤ ، وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ١٦٥/٥

إنَّ الخطاب في الآية الشريفة وكأنَّ المخاطَب يميِّز ذلك ويفهمه فيستجيب للأمـر، قـال "الزمخشري" في بيان هذه الاستجابة: ((كأنَّها عقلاءُ مميِّزونَ قد عرفوا عظمتَهُ، وجلالتَهُ، وثوابَهُ، وعقابَهُ، وقدرتَهُ على كُلِّ مقدورٍ، وتبيَّنوا تحتُّمَ طاعتِهِ عليهِمْ وٱنقيادَهُمْ لـه، وهـم يهابونَهُ ويفزعونَ من التوقُّفِ دون الامتثالِ له)). تفسير الكشاف ٣٧٦/٢

(٢) سورة سبأ: الآية ١٠ ، وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط مهمات: ١٠

(٣) سورة فصلت: الآية ٢١

إنَّ المفسرين يذهبون إلى أنَ المراد بـ(النطق) في الآية هو النطق الحقيقي، وقد ذكر "الفخر الرازي" إلى أنَّ هناك مَنْ ذهب إلى العدول من الحقيقة إلى المجاز عن طريق إمارات تدل على الكلام، ولكنه لم يقبل به. ينظـر: التفـسير الكبـير ٥٥٦/٢٧ ، وقـد أيَّـد الـسيد "الطباطبائي" النطق حقيقة وبيَّن إمكانية ذلك. ينظر: الميزان في تفسير القرآن ٣٨٠/١٧

(٤) سورة النمل: الآية ١٨

وفي آية "الهدهد" [1] [قال تعالى]: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ –إلى قوله– ٱذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾. [2]

وآية: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ﴾. [3]

وآية "النحل" [قال تعالى]: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾. [4]

---

ذكر المفسرون أنَّ قول النملة كان على الحقيقة وقد سمع ذلك منها "سليمان" (عليه السلام)، وقد ذكر الشيخ "الطوسي" في أحد الأقوال فقال: ((وقيل: إنَّهُ ظهرَ من النملةِ أماراتٌ من الرجوعِ إلى بيتِها خوفًا من حطمِ جنودِ سليمانَ إياها، فَأُعلمَ به سليمانُ أنَّها تَحَرَّزت، فعبَّرَ [الله تعالى] عن ذلكَ بالقولِ مجازًا كما قال الشاعر:

ٱمتلأَ الحوضُ وقالَ قَطْنِي – مهلاً رويدًا قَدْ ملأتَ بَطْنِي

ولم يكن هناكَ قولاً من الحوضِ. ويقولون: عيناكَ تشهدُ بسهرِكَ، ويريدونَ بذلكَ أماراتُ السهرِ التي تظهرُ في العينِ)). التبيان في تفسير القرآن ٨/٨٥

(١) في الأصل: وفي آية الهدهد (وجئتك من سبإٍ بنبأ يقين).

(٢) سورة النمل: الآيات ٢٠–٢٨ وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ١١٤/٥ لقد فصَّل "الشريف المرتضى" في كيفية كلام "الهدهد" وحمله على المجاز أو الحقيقة، ومناقشة الآراء، وما يتعلق بخطاب غير العاقل، ومعنى ذلك الكلام والخطاب، وقال مثل ذلك في النمل أيضًا. ينظر: رسائل المرتضى، تق: السيد أحمد الحسيني، (مط سيد الشهداء، قم، ١٤٠٥هـ، د.ط) ٤٢٦/١ و ٣٥٥/١

(٣) سورة النمل: الآية ١٦ وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ١١٤/٥

(٤) سورة النحل: الآية ٦٨ وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ١١٤/٥ و ١٦٥ وأضاف إليها الإيحاء إلى "أم موسى" في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ

وكما في آية عالم الذر [قال تعالى]: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾. (١)

على القول بصحة عالم الذر (٢)، ورواياته المأثورة (٣)، وهذه الآية تشبه الرواية التمثيلية. (٤)

---

فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ﴾. [سورة القصص: الآية ٧]

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٢

(٢) هناك نقاش بين العلماء وتفصيل حول ثبوت هذا العالم وعدمه ومناقشة الروايات الواردة فيه. للتفصيل ينظر: المفيد: تصحيح الاعتقاد: ٣٣-٣٤ ، المفيد: المسائل السرورية: ٣٧ ، ابن شهر آشوب: متشابه القرآن ومختلفه ٨/١ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٣٩٨/١٥-٤٠٢ ، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ٣١١/٨-٣٢٧

(٣) الكليني: الكافي ٧/٢ باب (فطرة الخلق على التوحيد) الحديث ٣ ، المجلسي: بحار الأنوار ٢٧٩/٣-٢٨٠ ، البحراني: البرهان في تفسير القرآن ٢٣٥/٧-٢٤٦

(٤) لقد ناقش العلماء ما يتعلق بالآية الشريفة وإمكانية حملها على التمثيل، قال "الشريف المرتضى" بعد ذكره الأقوال: ((ثم اعلم بعد هذا أنَّ ما ذهبَ إليهِ الفريقُ الثانى لا يُبطل قولَ الفريقِ الأولِ، ولا هو مستنكَرٌ في ذاتهِ، والتمثيلُ غيرُ منكَرٍ في كلامِ أيِّ كلامٍ كانَ، من كلامِ الخالقِ أو البشرِ، وكما أمكنَ حملُ الآيةِ على التمثيلِ يمكنُ حملُ الأحاديثِ، فإنَّها غيرُ صريحةٍ في أنَّ الإخراجَ حقيقةٌ)). الأمالي ٢٠/١-٢٣ ، وقال "الفخر الرازي" بإمكانية حمل الآية على غير الحقيقة نحو المجاز أو الاستعارة. ينظر: التفسير الكبير ٤٠٠/١٥ ، وقال السيد "الطباطبائي" بإمكانية حمل الآية على لسان الحال دون المقال. ينظر: الميزان في تفسير القرآن ٣١٣/٨

**والخلاصة:**

**إنَّ الآيات المزبورة [١] وأشباهها، لا بد وأنْ تحمل على المجاز بعد تعذر الحقيقة [٢]، أو تحمل على التمثيل ولسان الحال، وتنزيل غير القائل منزلة القائل، من باب أنه الفرد الادِّعائي حسب النظرية المنسوبة إلى "السكاكي" وغيره [٣]، أو على قاعدة حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، كما في آية: ﴿وَٱسْأَلِ القَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا**

---

(١) أي المكتوبة التي تقدمت. المعجم الوسيط (الزبر).

(٢) إنَّ العلماء أجازوا العدول من الحقيقة إلى المجاز في المواضع التي يمكن ذلك، والآيات التي تقدمت ليست كلها تُحمل على المجاز كما يقول بذلك السيد "الشهرستاني"، ففي بعضها قد ٱختلفوا بين الحقيقة والمجاز، وفي بعض آخر لم يحملوها إلا على الحقيقة؛ لذلك لم نجعل لهم تعليقًا.

(٣) إنَّ التعبير بالنظرية مسامحة من السيد الشهرستاني، ولكن "السكاكي" له رأيًا خاصًّا فيما يتعلق بالاستعارة وٱستعمالها في بعض الموارد في الحقيقة دون التشبيه. للتفصيل ينظر: مفتاح العلوم: ٣٦٩

وناقش الأصوليون الموضوع نقاشًا مفصَّلاً في باب تخصيص الألفاظ في صفة محددة وحملها على الحقيقة دون المجاز، والادِّعاء بأنَّ هذه الصفة المستعارة هي فرد من أفراد الحقيقة بالنسبة للمستعار منه، وهو من الأبحاث الدقيقة في علم الأصول. ينظر: السبزواري، حسن السيادتي: وسيلة الوصول إلى حقائق الأصول، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط١، ١٤١٩هـ) ٤٣/١ ، الحكيم: حقائق الأصول ٦٤/١

يرى الباحث أنَّ هذه ٱلتفات مهمة من السيد "الشهرستاني" في محاولته الاستعانة بعلوم متعددة في آنٍ واحدٍ من أجل فهم النص القرآني ومناقشته من جوانبه المتعددة، ولا يتم ذلك إلا لمن له ٱطلاع وإحاطة بالعلوم المتنوعة، وهذا ما يجب أنْ يكون عليه المفسِّرُ للقرآن الكريم.

فِيهَا وَالعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [١] أي: أهلها [٢]، أو على سبيل الكناية، وذكر أحد المتلازمين بدلاً عن الآخر.

ولنا مخرج آخر أشفُّ وألطفُ من هذه المخارج السبعة [٣]، وأوسعُ نطاقًا، وأكثرُ مصداقًا، ذلك إشراب معنى البيان والإظهار في صيغ القول فيكون معنى: (قال ربك) أي: أظهر ربك بدلائل الفطرة وآثارها، وكذلك قول الملائكة والجمادات إي: أظهروا بلسان الحال ودلالة الآثار، كما هو الشأن في آية "سليمان" [قال تعالى]: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الأَرْضِ﴾ [٤]، وكما في آية "هابيل" [قال تعالى]: ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [٥]، فمثل هذه الدلالات الطبيعية الموسومة بدلالة الحال، ودلالة العقل، ودلالة الأثر، ودلالة الالتزام هو المتبع في كُلِّ ما سبق ذكره، نظير ما جاء في آيات تسبيح الطيور [قال تعالى]: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾. [٦]

---

(١) سورة يوسف: الآية ٨٢ وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ١١٣/٥ ، المسودات القرآنية: ٣٤٨

(٢) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١٨٠/٦ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٤٦٧/٢ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤٤٢/٥

(٣) وهذه المخارج السبعة التي ذكرها هي: (المجاز، والتمثيل، ولسان الحال، وتنزيل غير القائل منزلة القائل، وحذف المضاف، والكناية، وذكر أحد المتلازمين).

(٤) سورة سبأ: الآية ١٤

(٥) سورة المائدة: الآية ٣١

(٦) سورة النور: الآية ٤١

ومنها آية "إبراهيم" [قال تعالى]: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١)، ودلالةُ الحالِ أصحُّ وأوضحُّ من دلالة المقال عند أهل العلم. (٢)

والحاصل من المجموع: إنَّ التمثيل في الخطاب عبارة عن إتيان المعنى المعقول بلباس المحسوس، والاعتماد في شرح المجهول على الأمر المعلوم عند العموم، فلأجل تفهيم المعاني الدقيقة وتوضيح الحقيقة لدى طبقات الجماهير قد

---

لقد أشار المفسرون إلى بيان ما يتعلق بتسبيح الله تعالى وتنزيهه عما لا يليق به، وأما قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ فإنْ كان العلم يعود على الله تعالى فهو أعلم بسبل انقياد مخلوقاته إليه، وإنْ كان يعود على الطير فلسان الحال ظاهر في ذلك كما ذكره السيد "الشهرستاني". للتفصيل ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٢٤٦/٧ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٥٩/٧ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٤٠٢/٢٤

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٠

لقد ناقش المفسرون ما يتعلق بدعوة "إبراهيم" الطيور بعد تقطيعها بقوله: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ فهل الدعوة كانت على الحقيقة من حيث دعوة العاقل لما لا يعقل، أو على غيرها. للتفصيل ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٣٣٠/٢-٣٣١ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٧٨/٢ ، أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط ٣١١/٢

(٢) إنَّ العلماء أشاروا إلى هذه الحقيقة عند الحديث عنها، قال "الثعالبي": ((قالَ بعضُ بلغاءِ الحكماءِ: لسانُ الحالِ أنطقُ من لسانِ المقالِ)). عبد الملك بن محمد: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م): ٢٧٢ ، وصار ذلك مثلاً قال "الميداني": ((رُبَّ حَالٍ أَفْصَحُ مِنْ لِسَانٍ. هذا كما قيل: "لسانُ الحالِ أبينُ من لسانِ المقالِ")). مجمع الأمثال ٣١٤/١

يلجأ الخطيب والمبلغ إلى ٱستعمال التمثيل، والتشبيه، والتنزيل، وٱستعمال لسان الحال توصلاً إلى الغرض في المآل.[١]

– المورد الثاني:

قال[٢]: ذكر المحققون[٣] كما في تفسير "المراغي"[٤] لآيات آدم في سورة البقرة[٥]، إلى أنَّ هذه لآيات ضرب من التمثيل.[٦]

---

(١) إنَّ القرآن الكريم لما كان كتابًا معجزًا لهداية البشرية كلها فقد ٱستعمل أساليب متعددة من أجل هذه الغاية، سواء الأساليب العقلية أم البيانية أم غيرها، والسيد "الشهرستاني" في صدد بيان وتوضيح لمن يسأل أو يحاول الاعتراض في سبب لجوء القرآن إلى هذه الفنون كالتشبيه والتمثيل وغيرهما.

(٢) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط صفوة المعارف، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٣٦٠

(٣) لم يذكر السيد أسماء أحد من أولئك المحققين، بل ذكر ذلك مطلقًا.

(٤) أحمد بن مصطفى المراغي: أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم في مصر وفي غيرها، له مؤلفات في الشريعة والبلاغة منها: * الحسبة في الإسلام. * علوم البلاغة. * تفسير المراغي. وغيرها توفي بالقاهرة سنة (١٣٧١هـ/١٩٥٢م). الزركلي: الأعلام ٢٥٨/١

(٥) وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً -إلى قوله- قُلْنَا ٱهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. [الآيات ٣٠–٣٨]، وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ١٦٥/٥

(٦) إنَّ الشيخ "المراغي" ذكر ذلك عند بيانه لكيفية تعامل العلماء مع هذه الآيات، فقال بعد كلامه حول حوار الملائكة مع الله تعالى: ((ومن ثم كان للعلماء وفي أمثاله رأيان: أ–رأي المتقدمين منهم وهو تفويض الأمر إلى الله في بيان المراد من كلامه. ب–رأي المتأخرين

منهم وهو تأويل ما آشتبه علينا من قواعد الدين؛ لأنها إنما وضعت على أساس العقل))، وبعد بيانه لهذين الرأيين يقول: ((وعلى هذا فالقصة وردت مورد التمثيل لتقريبها من آذان الخلق، بإفهامهم حال النشأة الآدمية، وما لها ميزة خاصة–بأنْ أخبر الله ملائكته بأنه جاعل في الأرض خليفة– فعجبوا وسألوا الله تعالى بلسان المقال إنْ كانوا ينطقون، أو بلسان الحال بالتوجه إليه تعالى أنْ يفيض عليهم المعرفة)). أحمد مصطفى: تفسير المراغي، (مط مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٦٥هـ١٩٤٦م) ١/٧٥-٧٦

وورد في تفسير "المنار" كلام دقيق حول الموضوع نفسه حيث قال: ((إنَّ أمر الخلقة وكيفية التكوين من الشؤون الإلهية التي يعزُّ الوقوف عليها كما هي، وقد قص الله علينا في هذه الآيات خبر النشأة الإنسانية على نحو ما يؤثر عن أهل الكتاب من قبلنا، ومثَّل لنا المعاني في صور محسوسة، وأبرز لنا الحِكم والأسرار بأسلوب المناظرة والحوار، كما هي سُنَّته في مخاطبة الخلق، وبيان الحق، وقد ذهب الأستاذ [محمد عبده] إلى أنَّ هذه الآيات من المتشابهات التي لا يمكن حملها على الظاهر؛ لأنها بحسب قانون التخاطب إما آستشارة، وذلك محال على الله تعالى، وإما إخبار منه سبحانه للملائكة وآعتراض منهم ومحاجة وجدال، وذلك لا يليق بالله تعالى أيضًا ولا بملائكته، ولا يجامع ما جاء به الدين من وصف الملائكة كَكَوْنِهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم: الآية ٦])). ١/٢٥١-٢٥٢

ويرى الباحث أنَّ هذا الكلام دقيق ومهم جدًّا يحتاج إلى تأمُّل وتدبُّر للتعامل مع بعض آيات القرآن الكريم، ولكن ما يُستغرب له أنَّ الشيخ "محمد عبده" بعد كلامه هذا وذكره لكلام "المراغي" ينقل من رأي السلف والخلف في التعامل مع هذه الآيات فيقول كما ورد في تفسير المنار: ((وأنا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته وعالم الغيب)) ١/٢٥٢ ، ولكن تلميذه الشيخ "محمد رشيد رضا" على الرغم من تمسكه بمذهب السلف وتمجيده له ودعوته إليه صراحة لم يتوقَّف كما حُكي عن أستاذه فقال بعد ذكره ما تقدم: ((وإننا نسير في فهم الآيات على كلا الطريقتين [الخلف والسلف]؛ لأنه لابد للكلام من فائدة يُحمل عليها، لأنَّ الله لم يخاطبنا بما لا

– المورد الثالث:

قال في بيان الآيات الشريفة الأخرى [١] التي وردت بطريقة التشبيه أو الرواية التمثيلية:

[أولاً:] [٢]

منها: قصة "سليمان"، وتنبيه النملة إياه: [قال تعالى]: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ٱدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ

---

نستفيد منه معنى .... أما الملائكة فيقول السلف فيهم: إنهم خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم وبعض عملهم، فيجب علينا الإيمان بهم، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم، فنفوِّض علمها إلى الله تعالى، وأما الخلف فمنهم مَنْ تكلَّم في حقيقة الملائكة، ووضع لهم تعريفًا، ومنهم مَنْ أمسك عن ذلك، وقد ٱتفقوا على أنهم يدركون ويعلمون، والقصة على مذهبهم وردت مورد التمثيل؛ لتقرِّبَ من أفهام الخلق ما تفيدهم معرفته من حال النشأة الآدمية، وما لها من المكانة والخصوصية)). ١/٢٥٢-٢٥٣

يرى الباحث: إننا وإنْ كُنَّا قد فصَّلنا الحديث في نقل ما تقدم من الكلام ولكن ذلك يكمن في أهمية الموضوع وخطره دراسة ونشرًا دون عرضه فقط، وبيان رأي العلماء في هذه المسألة المهمة التي تتعلق بعدد من الآيات القرآنية وقصصها، وإنَّ إشارة السيد "الشهرستاني" إلى ذكر ذلك لم يكن ٱسترسالاً، بل لسعة تأمُّله في كتاب الله تعالى، فضلاً عن ٱطلاعه على الآراء غير المعهودة للمفسرين، حتى عُدَّ ذلك رأيًا له يتبنَّاه كما تقدم وسيأتي في الآيات الشريفة.

(١) قام الباحث بجمع الآيات التي ذكرها السيد ضمن هذا المورد للحفاظ على وحدة السياق.

(٢) مخطوط فوائد هبة الدين: ١٦-١٧ ، مخطوط المسودات القرآنية: ٣٤٩

الصَّالِحِينَ﴾ [١]، وهذه رواية تمثيلية [٢]، تنبِّه على أنَّ الحق لا يختصُّ بصغيرٍ أو كبيرٍ، والكلمة الطيبة تؤخذ من فم الغني والفقير، وأنَّ العلم لا وطن لـه، ولا ٱمتيـاز في قائلها. [٣]

ومنها: قصة [الـ]"خضر" و"موسى" في سورة "الكهف": ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَـا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا –إلى قوله– ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَـسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [٤]، فهي رواية [٥] تنبِّهُ أنَّ النبي لا بد وأنْ تُسَلِّمَ [٦] له أمته تعبُّدًا وجمودًا، وكذا المصلح بين قومه، والمعلم بين تلامذته، لا بد من التسليم والتقليد في بدايـة الأمر، وإلا لا ينتظم للرئيس تنظيم [٧] جماعته.

[ثانيًا:] [٨]

الروايات التمثيلية من القرآن كما في آية فرعون: ﴿فَاليَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾. [٩]

---

(١) سورة النمل: الآيتان ١٨–١٩ وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ١١٤/٥

(٢) قد تقدم ما يتعلق بالآيتين الشريفتين، ولم يذكر المفسرون أنها على سبيل الرواية.

(٣) إنَّ هذا توجيه لطيف منه يؤكِّد منهجه الإصلاحي الذي كان يـدعو إليـه في بيـان سـبل إصلاح الفرد والمجتمع، ٱنطلاقًا من كتاب الله تعالى وما فيه من عِبَرٍ ومواعظ بليغة، تبعث في النفس روح الأمل في الصلاح والإصلاح.

(٤) سورة الكهف: الآيات ٦٥–٨٢

(٥) لم يذكر المفسرون أنها على سبيل الرواية. وذكر الـسيد الآيـة نفـسها في مخطـوط مهمات: ١٠

(٦) في الأصل: يسلم.

(٧) في الأصل: ينظيم.

(٨) مخطوط مهمات: ٦٦

(٩) سورة يونس: الآية ٩٢ ، لم يذكر المفسرون أنها على سبيل الرواية.

وآية: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (١)، وكذلك آيات. (٢)

[ثالثًا:] (٣)

قصة آدم (٤) وإبليس وسجود الملائكة له (٥)، وكذلك آيات نُطْقِ الجوارح (٦)، وآية: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (٧)، وهذا الأسلوب الروائي طريقة الخطباء، والأدباء، والأنبياء، والبلغاء في جميع الأمم، من عرب وعجم، فلا بد للقرآن من سلوكه لإقناع العامة والخاصة.

آية "فرعون" من سورة "يونس": ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ﴾(٨)، [وآية]: ﴿فَاليَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا

(١) سورة فصلت: الآية ١١ ، وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ١١٣/٥ وقد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

(٢) كذا في الأصل، ولعله قطع، أو إشارة إلى آيات أخرى سيذكرها، ولعل ما تقدم منها.

(٣) مخطوط مهمات: ٧٢

(٤) في الأصل: قصة آدم وهو وإبليس.

(٥) وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً -إلى قوله- فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ﴾. [سورة البقرة: الآيات ٣٠-٣٤] قد تقدم ما يتعلق بالآيات الشريفة.

(٦) وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. [سورة فصلت: الآية ٢١] قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

(٧) سورة ق: الآية ٣٠ ، قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

(٨) سورة يونس: الآية ٩١

لَغَافِلُونَ﴾[١]؛ لأنَّ هذا الخطاب من الخالق إلى "فرعون" لا يكون [إلا] كرواية تمثيلية، وصورة من لسان الحال الذي هو أبلغ من المقال. [٢]

[رابعًا:] [٣]

أفسِّرُ [٤] سورة "الكهف" [٥] بأنَّ قصتهم من [٦] أنباء الغيوب التي لم تسجَّل في كتب الشرايع[٧]، ويجوز كونها تمثيلية روائية [٨]، ويغتفر في الأمثال الروائية كونها خلاف الواقع، كاغتفارهم مبالغات الشعراء. [٩]

---

(١) سورة يونس: الآية ٩٢

(٢) قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

(٣) مخطوط مهمات: ٨٣

(٤) في الأصل: فسر.

(٥) أي قصة أصحاب الكهف وهو قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا -إلى قوله- وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾. [سورة الكهف: الآيات ٩-٢٥]

(٦) في الأصل: ما.

(٧) لم يطلع الباحث على قصة أصحاب الكهف في التوراة والإنجيل كما أشار إليها، ولا نعلم ما هو المراد من قوله: (بأنَّ قصتهم من أنباء الغيوب) فأغلب القصص القرآني هي كذلك، وكذلك يرد اعتراض: هل أنَّ هذين الكتابين الموجودين الآن ويعرفان بـ(التوراة والإنجيل) غير مُحَرَّفَين بنقيصة أو زيادة لكي يُستشهد بهما في المقام!! وهل أنَّ جميع القصص القرآنية الأخرى قد وردت فيهما !! وغير ذلك.

(٨) لم يذكر المفسرون مثل هذا ، بل فصَّلوا القول في عقيدتهم، وعددهم، ومكان كهفهم، ومدة غيبتهم.

(٩) ولكن هذا لا ينطبق على القصص القرآني كما في غيره، فإنَّ الله تعالى قد ذكر في كتابه المجيد قصص الأنبياء وأممهم كما وقعت؛ لتكون عِبرة للأمم اللاحقة، وقد أشار إلى

- المورد الرابع:

ومن أحاسن التشابيه ما يحذف فيه أداة التشبيه كالاستعارات، فيصبح المشبَّه فردًا دعائيًّا للمشبَّه به، فيكون قولك: (حبيبي قمرٌ) أبلغ من قولك: (حبيبي كالقمرِ)، حينما الأول ٱستعارة ليس غير، أي: تشبيه محذوف الأداة، وقد وافقنا على هذا التفسير "أبو مسلم محمد بن بحر" (١) و"الأصم" (٢) قبله، وقالا: إنَّ الله أراد بذلك أنَّ الكفر قد تمكَّن من قلوبهم حتى صارت كالمختوم عليه، لا يخرج منه شيء، ولا يدخل فيه شيء، وصاروا بمنزلة مَنْ لا يسمع، ولا يبصر، ولا يعقل (٣)، كقول الشاعر:

---

ذلك بقوله مثلاً: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.[سورة يوسف: الآية ١١١]، فإنَّ هذا الاغتفار في الأمثال الروائية لا ينطبق على القرآن الكريم، وإنِ ٱستعمل القرآن الأسلوب الروائي ولسان الحال، لأغراض متعددة، لعل من أهم ما ينفي ذلك هو ما ٱتفق عليه الأصوليون في أنَّ ظواهر القرآن حجة.

(١) أبو مسلم الأصبهاني محمد بن علي بن محمد بن الحسين، الأديب، المفسر، النحوي، المعتزلي، كان عارفًا بالتفسير والنحو والأدب، صنف التفسير في عشرين مجلدًا، توفي سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٧م). السيوطي: طبقات المفسرين ١/٨٥

(٢) أبو بكر الأصم عبد الرحمن بن كيسان، شيخ المعتزلة، وكان دَيِّنًا وقورًا، صبورًا على الفقر، وله تفسير، وكتاب "خلق القرآن"، وكتاب الحجة والرسل، وكتاب الحركات وغيره، توفي سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م). الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م) ٩/٤٠٢

(٣) ينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/٩٦

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا - ولكِنْ لا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي [١]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ المَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [٢]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [٣]، فهل يتصوَّر الجبري[٤] أنَّ هناك أقفالاً على قلوب الكافرين من الحديد، أو الفولاذ، كلا بل شُبِّهَت بالمقفول والمختوم في عدم خروج الكفر منها، وعدم دخول الإيمان فيها، وإنما أسند الختم إلى الله كمزيد المبالغة في ثبوته وٱنطباعه بمثابة فعل إلهي كما يقال: فلان مجبول على الجود مفطور على السخاء، ولوجوه خمسة ذكرت في [تفسير] "الكشاف". [٥]

(١) البيت ينسب إلى عدد من الشعراء ومنهم "عمرو بن معدي كرب". الزبيدي، عمرو بن معدي كرب: شعر عمرو بن معدي، جمعه ونسقه: مطاع الطرابيشي، (مجمع اللغة العربية بدمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م): ١١٣

(٢) سورة النمل: الآية ٨٠

(٣) سورة محمد: الآية ٢٤

(٤) أي الذي يقول بأنَّ الله قد جبر العباد على الأفعال.

(٥) ذكر "الزمخشري" وجوهًا خمسة في بيان ما يتعلق بإسناد الختم إلى الله تعالى مجازًا وليس حقيقة، وعلاقة ذلك بتنزيهه تعالى عن القبيح. تفسير الكشاف ١/٩٠-٩١ ، وناقش المسألة "الفخر الرازي" في مسائل تسعة. ينظر: التفسير الكبير ٢/٢٩٢-٢٩٣
ولكن للشيخ "الطوسي" تفسير مهم لما يتعلق بالختم إذ يقول: ((أي: شهدَ عليها بأنَّها لا تقبلُ الحقَّ، يقولُ القائلُ: أراكَ تختمُ على كُلِّ ما يقولُ فلانٌ، أي: تشهدُ به وتصدقُهُ، وقد ختمتُ عليكُ بأنَّكَ لا تعلمُ، أي: شهدتُ وذلكَ ٱستعارةٌ)). التبيان في تفسير القرآن ١/٦٣، وللشيخ "الطبرسي" تفصيل في المسألة. ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/٩٦-٩٧

– المورد الخامس:

قال [١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى في المَثَلَيْن: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ المَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالكَافِرِينَ﴾. [٢]

لقد فصَّل السيد القول في ما يتعلق بهذين المَثَلَين في فقرات متعددة نذكرها كما يأتي:

[أولاً]: من مزايا كلام الله الكريم تعويله على الأمثال الحسنى، وحسنها الممتاز، بأنَّ العارف والحكيم على

ٱختلاف مستوياتهم [٣] العلمية والثقافية يستفيدون من التدبُّر [إذ إنَّ] في القرآن معانٍ[٤] جَمَّة، ومرامٍ [٥] مهمة، فتجد بعد تمثيله الهداية الكاملة للمتقين يحسم للناظر في هذين المثلين المتعاقبين الهداية الناقصة، والضلالة الكاملة، ولا ينفك الحال في الهدى والضلال من إحدى ثلاث: إما هدى كامل كالذي في المتقين، أو الهدى الناقص كما في المنافقين، أو الضلال الكامل كما في الكافرين. [٦]

---

(١) مخطوط التفسير المحيط أوراق غير مرقمة.

(٢) سورة البقرة: الآيات ١٧–١٩

(٣) في الأصل: سوياتهم.

(٤) في الأصل: معاني.

(٥) في الأصل: ومرامي.

(٦) إنَّ الآيات الشريفة في أول سورة البقرة (٢–٢٠) قد تناولت مجموعات ثلاث، وذكرت بعض ما يتعلق بصفاتهم، الأولى: المتقون في الآيات (٢–٥)، والثانية: الكافرون في الآيات (٦–٧)، والثالثة: المنافقون في الآيات (٨–٢٠)، وإنَّ هذا الترتيب فيه بيان بديع؛

[ثانيًا]: مَثَّل بالتمثيل البليغ بعد ٱستعارات عن سوء حال المنافقين في آية: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ٱشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١)، فهذه ٱستعارات على ٱستملاح الذوق العربي إياها جدًّا، لا تبلغ مبلغ التشبيه البليغ الوارد في آية: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ لمزيد الوضوح هنا والقنوع، فإنَّ التمثيل يفعل في إقناع العامة ما يفعله البرهان في إقناع الخاصة. (٢)

[ثالثًا]: سبق رأينا في أنَّ المَثَلَين القرآنيين لفريقين أي: للجاهل (٣) المركب وللجاهل البسيط، ويدلنا على ذلك أنه لم يقطع الآمال من الفريق الثاني كما قطعها من الفريق المتقدم؛ إذ قال في هؤلاء: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾(٤)، حينما قال في أولئك: ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (٥) بدون تعليق على المشيئة؛ لأنَّ الجاهل المركب أي المنافق لا يُؤمَّلُ فيه الأمل الموجود في الجاهل البسيط أي الكافر. (٦)

---

إذ ذكر الكافرين بعد المتقين من غير عطف عليهم للتباين والاختلاف بينهما، ولكنه عطف المنافقين على الكافرين للصلة والترابط بينهما. للتفصيل ينظر: السبزواري: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١/٨٨

(١) سورة البقرة: الآية ١٦ سيتم بيان ما يتعلق بالآية الشريفة في موضوع الاستعارة.

(٢) تقدم في باب الدراسة ما يتعلق بأهمية وأثر التمثيل والتشبيه في الكلام في إيصال المعاني، وإبرازها للوجود. ينظر: الفصل الرابع، المبحث الثاني: ١٤٨-١٥١

(٣) في الأصل: لجاهل.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٠

(٥) سورة البقرة: الآية ١٧

(٦) إنَّ السيد أراد في كلامه أنْ يجعل إذهاب نور الإيمان في الآيتين الشريفتين يتعلق مرة بالكافر، وأخرى بالمنافق، ولكن سياق الآيتين الشريفين يدلان على المنافق خاصة دون

[رابعًا]: قال [١]: سبق في تمثيل أنَّ الحكمة [٢] القرآنية، أو السنة الإلهية، قضت ومضت على إيراد الأمثال الحسنى من خلال الآيات والسور، كما قال [تعالى]: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [٣]؛ إذ من أهم وظائف الأنبياء والمصلحين إقناع العامة، وإقناع العامة يكون بالأمثال أكثر، وأشد أثرًا من إقناع العلماء بالبراهين والحجج؛ إذ الأمثال تجعل المعقول كالمحسوس، والبعيد عن الفكر كالقريب منه، والمشكوك [٤] كالقطعي، ولمَّا لم يقنع العوام بشيءٍ مثلِ المثلِ، ضرب القرآن الحكيم المثل بعد المثل؛ لتوضيح سوء حال الكافرين والمنافقين الضالين في سنن الحياة [٥]، والمعارضين لنهضات المصلحين، الذين كَرَّسوا حياتهم لخدمة المجموع، وهؤلاء المعارضون للمصلحين يعارضون إصلاح أحوالهم الشخصية، ويعارضون تقدم أنفسهم، وتقدم المجموع، كمن ضَلُّوا

---

الكافر، وهذا ما ذكره المفسرون في تفاسيرهم. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٩١/١ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ١٠٩/١ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١١٢/١ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٣١٢/٢

(١) تحت عنوان (تمهيد التمثيل لسوء حالة الضالين).

(٢) في الأصل: سبق في تمثيل سبق أنَّ الحكمة.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٩

(٤) في الأصل: والشكوك.

(٥) إنَّ القرآن الكريم كتاب هداية للبشرية كلها، فالأمثال التي ضربها كانت الغاية منها بيان تلك الأحوال للأمم السابقة للإفادة منها، وليس الغاية منها الأشخاص أو الأقوام، وهذا واضح لأدنى متأمِّلٍ في آيات القرآن الكريم وأمثاله.

وأضَلُّوا في مذاهب الحياة، ومنعوا ركبهم من متابعة الدليل، والرجوع إلى سواء السبيل.[١]

[خامسًا]: قال: عارضتان شديدتان في الآية: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾.

أولهما: زيادة (كاف) التشبيه مع الغنى عنه بوجود لفظة (مثل)، بل وزيادة (المثل) أيضًا، فيجوز أنْ يقول: (مثلهم مثل الذي ٱستوقد)، أو (مثل الذي ٱستوقد).[٢]

والثانية: إقامته ﴿الَّذِي﴾ وهي للمفرد مقام الذين؛ لأنَّ المقصود الجمع بدليل قوله: ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ﴾.

والجواب عن الأولى: جواز ٱستعمال (كاف) التشبيه زائدة [٣] كما في آية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٤]، وآية: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ

(١) يرى الباحث أنَّ كلام السيد مهم ودقيق في وصف حال الأمة تجاه المصلحين، ٱستنادًا إلى الآيات الشريفة، وفي ذلك دعوة صريحة للعمل بالمفهوم الحقيقي لكتاب الله تعالى، وليس قراءته قراءة مجردة عن العمل، فذكر الأمثال وتقريب المعاني غير المحسوسة للمحسوس ليس للتلذذ النفسي بالكلام، دون تحريك النفس نحو التأمل، والعمل للصلاح والإصلاح، وهذه هي رسالة الأنبياء والأئمة والمصلحين، بل جميع الناس، وهذا ما رأيناه في سيرته الإصلاحية في شتى مجالات الحياة.

(٢) لقد ٱختلف النحاة في الآية الشريفة، فمنهم من قال إنَّ حرف التشبيه (الكاف) هو الزائد، ومنهم من قال إنَّ كلمة (مثل) هي الزائدة. ينظر: ٱبن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ١/١٧٩ وغيره

(٣) النحاس: إعراب القرآن، (دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٣٠هـ٢٠٠٩م) ٤/١٠٣ ، أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البجاوي، (عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٦م، د.ط): ١٤٧ ، الكرباسي، محمد جعفر بن إبراهيم: إعراب القرآن، (دار الهلال، بيروت، ٢٠١٠م، د.ط) ٧/٢٣١

(٤) سورة الشورى: الآية ١١

يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [١]، خلافًا لـ"الشريف الرضي" [٢] المُنكر لوجود زائد في القرآن حتى (الكاف) [٣] في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

والأَوْلى في الجواب أنَّ (المثل) لمعنى القصة، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾، وآيات أخرى، فيكون المعنى: إنَّ قصة هؤلاء المنافقين كقصة الذي ٱستوقد نارًا [٤]، وكذلك الحال في آية: ﴿حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾ يعني قصة هؤلاء اليهود كقصة الحمار، ويشهد على هذا التفسير قوله: ﴿بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ [٥]، فالمثل بمعنى الحاصل من التشبيه [٦]، والغرض من المَثَلَين وما يسمى (المَغْزَى) من إفراغ المعقول في قالب المحسوس، وعلى هذا التحقيق لا تكون (الكاف) فضلة زائدة، بل هي عمدة في الكلام. [٧]

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٥

(٢) ينظر: حقائق التأويل في متشابه التنزيل: ١٦٥

(٣) إنَّ "الشريف الرضي" لم يذكر شيئًا فيما يتعلق بهذه الآية الشريفة، وورود "الكاف" فيها زائدة أو غير زائدة. المصدر نفسه.

(٤) قال "السبكي" في الآية الشريفة: ((أي: حالهُمْ كحالِ الذي ٱستوقَدَ نارًا، أو صفتُهُم كصفةِ الذي ٱستوقَدَ نارًا، أو شأنُهُم كشأنِ الذي ٱستوقَدَ نارًا)). مجاز القرآن: ٢٦٢ ، وينظر: السكاكي: مفتاح العلوم: ٣٤٨ ، ٱبن أبي الإصبع: بديع القرآن ٦١/٢

(٥) سورة الجمعة: الآية ٥

(٦) ينظر: الفراء: معاني القرآن ١٥/١ ، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٨٥/١ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١١٣/١-١١٤

(٧) إنَّ هذا الرأي للسيد هو موافق للمفسرين الذين لم يقولوا بزيادتها، وإنْ كانوا لم يفصِّلوا الكلام في الآية الشريفة.

[سادسًا]: قال [١]: روح الكلام منطوي على سر التشبيه وهو مجمل في الآية جـدًّا، حتى عُدَّت من المتشابهات وغوامض الآيات؛ إذ شبَّهت (المنافقين) بـ(المستوقِد)، ولهذا المستوقِد أصول شتى لا يُعرف أيُّها المقصود في التشبيه، فهل المُشَبَّهُ به سَيْرُهُ في ظلام حالك، أو في أَوْعَر المسالك، أو غير ذلك، لذلك ٱختلفوا فيه على ما يأتي:

١ – قيل [٢] وجه الشبه ٱستفادة الناس من النار لمطا نجمهـم [٣] وصـياغة الحـلي والاهتداء وغيرها، وفي أثناء العمل إذا ٱنطفت النار، وخابت الآمـال، وخـسرت الأعمال، كهؤلاء المنافقين الذين ظنُّوا في نفاقهم مع المؤمنين آمالاً وأرباحًا.

[٢–] والقول الثاني وقد ٱستقربه وٱستصوبه "أبو الفتوح الرازي" [٤] وحكـاه عـن الضحاك وجماعة: إنَّ ٱستيقاد النار هنا كناية عن نار الفتنة والحرب، وعـلى هـذا شاهد لفظي من القرآن آية: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ﴾ [٥]، ويؤيد هذا الاستنباط إسناد الآية إطفاء نائرة الحرب إلى الله كما أسندت آيتنا مثـل ذلـك في ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِم﴾ [٦] ويؤيده أيضًا تعبير الآية (ٱستوقد) بدل (أوقد) إشـارة إلى إعدادهم وسائل الفتنة، وطلبهم مثارات الفتن، والحروب ضروب: حرب البيـان،

(١) مخطوط التفسير المحيط دون ترقيم تحت عنوان (وجه التشبيه ومغزى الآية)

(٢) قال السيد: هذا عين القول الرابع فراجع. ويقصد بالقول الرابع وهو العنوان الذي تحدث عنه في (مشكلات لفظية وأجوبتها).

(٣) هكذا في الأصل. ولعله لمطالع نجمهم.

(٤) روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، تص: الدكتور محمـدد جعفـر يـاحقي والدكتور محمد مهدي ناصح (المكتبة الرضوية، مشهد، ١٤٠٨هـ، د.ط) ١/١٣٩–١٤٠

(٥) سورة المائدة: الآية ٦٤

(٦) سورة البقرة: الآية ١٧

وحرب الأعصاب، وحرب المال، وحرب الدم [١]، ولكُـلٍّ مقـدمات ووسـائل، يستثيرها أبالسة الفتن، فكأنَّ القرآن الحكيم أنبأ النبي الكـريم بإعـداد المنـافقين وسائل الفتن، ومثارات الحروب قبل الوقوع، ومما يؤيد ذلك تنكير النار هنا، والنار معروفة بالعين والأثر، فإنْ عُرِّفَتْ باللام فالمراد النار المحسوسة، وإذا نُكِّرَتْ فهي نار مخصوصة، وأقرب المجازات نار الحرب.

وعبَّر عنه بالفرد تارة، وبالجمع أخرى، كما في آية: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّـذِي خَاضُـوا﴾ على أنَّ التشبيه تشبيه قصة بقصة.

[سابعًا]: قال [٢]: والمَثَلُ محركة كالشَّبَهِ وَزْنًا ومَعْنًى [٣]، كـذلك المثيـل والـشبيه والمماثل والمشابه، والمِثل بكسر الميم كالشِّبه، فمادة المثل مثل الـشبه، مـشتقاة الشبه مثل المثل، إلا المثال. [٤]

أما المَثل بفتح الميم فقد يأتي بمعنى الشَّبه بفتح الشين، كما يأتي بمعنـى القـصة والشأن الغريب [٥]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِنْ كُـلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [٦]، ولا تخفى لدى العارف حكمة الأمثال التـي يضربها القرآن في آياته، وتجري على ألسنة [٧] البلغاء في خطاباتهم وكتاباتهم، فإنَّ

---

(١) إنَّ هذا التقسيم للحرب جيد منه في توجيه الآية الشريفة، فكل هذه هي حروب ولها آثار على الإنسان والمجتمع.

(٢) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة عنوان (معنى المثل وأهميته)

(٣) في الأصل: ومَعْنًا.

(٤) ٱبن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة (مثل) ، ٱبن منظور: لسان العرب مادة (مثل).

(٥) الراغب الإصفهاني: المفردات في غرب القرآن: ٤٨٢ (مثل).

(٦) سورة الإسراء: الآية ٨٩

(٧) في الأصل: سننه.

المثل يجعل المعقول محسوسًا ملموسًا، ويجعل الغائب كالحاضر قريب، ويجعل الأمر الخيالي كالأمر الواقعي واضح الثبوت، وربما كان تأثير الأمثال المضروبة في إقناع العامة أقوى تأثيرًا من البراهين والقياسات المنطقية عند الحكيم، ومن أجله يتظاهر القرآن في أكثر مواقفه بضرب الأمثال المحسوسة المأنوسة في عرف العرب، فتراه يضرب ها هنا المثل بعد المثل لتوضيح حقائق المنافقين وبواطن أمرهم، فيقول عَزَّ مَنْ قائل: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

[ثامنًا]: قال: شبَّه الجمع بالمفرد، ومن حق التشبيه مماثلة الركنين، وفي الجواب وجهان:

أحدهما: إنه لم يشبِّه أعيان المنافقين بأعيانٍ، وإنما شبَّه فعل المنافقين بفعل المستوقِد، وتشبيه الفعل بالفعل تشبيه مفرد بمفرد، إلا أنه على حذف المضاف، كما في [قوله تعالى:] ﴿وَٱسْأَلِ القَرْيَةَ﴾ (١)، أي: واْسئل أهل القرية، ونظائرها تشبيه الجمع بالمفرد على حذف المضاف كثيرة، كآية: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ﴾ (٢) أي: كدور أعين الذي يغشى عليه، وآية: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٣) أي: كخلق نفس واحدة، وآية: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ (٤) أي: خوض الذي خاضوا.

(١) سورة يوسف: الآية ٨٢

(٢) سورة الأحزاب: الآية ١٩

(٣) سورة لقمان: الآية ٢٨

(٤) سورة التوبة: الآية ٦٩

والجواب الثاني: مَرَّ ذكره. [١]

[تاسعًا]: قال [٢]: وقبل أنْ ندخل في شرح الآية (...) [٣] يستوقف النظر تكرار كلمة (المثل) بزيادة (كاف) التشبيه بين المَثَلَين، وربما أستولد ذلك أعتراضًا لمعترض بأنَّ (الكاف) هنا زائدة وفضلة في الكلام، يجوز الاستغناء عنها بقولنا: ((مثلهم مثل الذي أستوقد نارًا)) بدون ذكر (الكاف)، بل يجوز الاستغناء عن لفظة (المثل) الثانية أيضًا، فنقول: ((مثلهم الذي أستوقد نارًا)) فما الوجه في هذه الزيادات، ولا زوائد في القرآن الحكيم؟

والجواب عن ذلك:

– أولاً: [٤] بأنَّ المذهب المذكور أي عدم وجود الزوائد في أحرف [٥] القرآن وكلماته مذهب جماعة خاصة من أئمة العربية كـ"أبي العباس المبرد" [٦]، و "الشريف الرضي محمد" [٧] ممن أرتأوا عدم وجود الحروف الزائدة في الكتاب

(١) لم يحصل الباحث عليه ضمن أوراق تفسيره.

(٢) مخطوط التفسير المحيط دون ترقيم تحت عنوان (عدم زيادة حروف التشبيه وغيرها).

(٣) كلمة غير معلومة.

(٤) إنَّ السيد ذكر هنا أولاً، ولكن لم نجد ثانيًا وما بعده.

(٥) في الأصل: الأحرف.

(٦) إنَّ "المبرد" يرى أنَّ (الكاف) زائدة في الآية الشريفة، قال: ((الكاف زائدة مؤكدة كتوكيدها في قول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾)). محمد بن يزيد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، (القاهرة، ط٣، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، د.م) ١٤٠/٤ و ٤١٨/٤ ، وينظر: أبن جني: أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، تح: د. حسن الهنداوي، (دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٥م) ٢٩١/١

(٧) قد تقدم ص٣٩٥

العزيز [١] حينما نراها فيه وافرة كـ(الكاف) في آية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [٢]، و(من) في آية: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[٣]، و(ما) في آية: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [٤]، و(الواو) في آية: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [٥]، وآيات أخرى أَقَرُّوا فيها الواو المعجمة [٦]، وسنعطي هذا البحث المهم حقه في آية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[٧]، وليس ٱستدلال هؤلاء بأنَّ الحرف الزائد باطل من الكلام [٨]، وكلام الحكيم العليم: ﴿لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ

(١) وللشيخ "البلاغي" تفصيل مهم في الرد على القول بوجود حروف زائدة في القرآن الكريم. ينظر: آلاء الرحمن في تفسير القرآن ١/٣٧-٤٢

(٢) سورة الشورى: الآية ١١

(٣) سورة فاطر: الآية ٣

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٩

(٥) سورة الزمر: الآية ٧٣

(٦) لقد فصَّل "الشريف الرضي" القول فيما يتعلق بهذه الآيات الشريفة. ينظر: حقائق التأويل في متشابه التنزيل: ١٦٥-١٧٤

(٧) لم يحصل الباحث على بيان ما يتعلق بالآية الشريفة في مخطوطاته كما ذكر السيد.

(٨) يرى "الشريف الرضي" أن الزيادة في الحروف موجودة في كلام العرب ومن ذلك أشعارهم، ولكن ليس في القرآن، إذ يقول: ((إنَّ الزياداتِ والنقائصَ في الكلامِ إنما يضطرُّ إليها، ويحملُ عليها الشعرُ، الذي هو مقيَّدٌ بالأوزانِ والقوافي، وينتهي إلى غاياتٍ ومرام، فإذا نقصتْ أجزاءُ كلامِهِ قبلَ لحاقَ القافيةِ التي هي الغايةُ المطلوبةُ، ٱضطرَّ الإنسانُ إلى أنْ يزيدَ في الحروفِ، فيمدَّ المقصورَ، ويقطعَ الموصولَ وما أشبه ذلك)). حقائق التأويل في متشابه التنزيل: ١٦٦

حَمِيدٍ﴾[١] ٱستدلالاً صحيحًا؛ لأنَّ الزائد شيء، والباطل شيء آخر، والمقصود من الباطل المنفي عن القرآن الحكيم هو الفساد، وما يخالف الحكمة في لفظه أو معناهُنَّ، فالقرآن كتاب حكمة وصلاح وهداية، ولا يحتوي ما ينافيها قط [٢]، فليس

(١) سورة فصلت: الآية ٤٢ في الأصل: لا يأتيه الباطل من بين يديه.

(٢) إنَّ موضوع زيادة الحروف وعدمها في القرآن الكريم من الموضوعات المهمة، والجديرة بالمناقشة، ويمكن الإشارة إليها والإحاطة بها من خلال مناقشة الزيادات الواردة في القرآن الكريم، ويرى الباحث أنَّ المسألة ٱجتهادية وليس هناك قاعدة ثابتة يمكن الرجوع إليها سوى ما ورد على لسان العرب من كلام وشعر؛ لذا نرى مناقشة ذلك في كلام أئمة النحو والمفسرين وٱختلافهم الكبير فيه، فمثلاً لو تتبعنا أقوالهم في آية واحدة كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٥٩] لرأينا ٱختلاف تفاسيرهم وكلامهم، ونحاول ٱستقراء بعض كلماتهم للاطلاع عليها ومناقشتها من قبل الباحثين في الدراسات القرآنية.

قال "الفراء": ((العربُ تجعلُ "ما" صلةً فى المعرفةِ والنكرةِ واحدًا)). معاني القرآن ٢٤٤/١ ، قال "الأخفش": ((يقول "فبرحمة" و "ما" زائدة)) سعيد بن مسعدة: معاني القرآن، تح: الدكتورة هدى محمود قراعة، (مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م) ٢٣٨/١

وقال "النحاس": (("ما" زائدة وخفضت "رحمة" بالباء، ويجوز أنْ تكون "ما" ٱسمًا نكرة خفضًا بالباء، و "رحمة" نعتًا)). إعراب القرآن ١٩٢/١

وقال "الزجاج": ((وزيادةُ الحروفِ في التنزيلِ كثيرٌ، فأقربُ من ذلكَ إلى ما نحنُ فيهِ قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾)). إعراب القرآن، تح: إبراهيم الأبياري، القسم الأول، (دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ط، د.ت): ١٣٧ بل إنه عقد باباً في زيادة الحروف في القرآن عنوانه (الباب الخامس: ما جاء في التنزيل وقد زيدت فيه "لا" و"ما" وفي بعض ذلك ٱختلاف، وفي بعض ذا ٱتفاق)).

وقال "الزجاجي": ((وتكونُ زائدةٌ في موضعينِ، أحدُ الموضعينِ لا تخلُّ فيهِ بـإعرابٍ ولا معنى، كقولِ الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ﴾)). عبد الرحمن بن إسحاق: كتاب حروف المعاني، تح: د. علي توفيق الحمد، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م): ٥٤

وقال "مكي بن أبي طالب": ((﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ رحمةٌ مخفوضةٌ بالباء، وما زائدةٌ للتوكيدِ، وقال "آبن كيسان" "ما" نكرةٌ في موضعِ خفضٍ بالباء)). مشكل إعراب القرآن ١٧٨/١ ، وقال أيضًا: ((وقال "الأخفش" "هو" زائدة كما زيدت "ما" في: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾)). ٣١٤/١

وقال "أبو البقاء العكبري": (("ما" زائدةٌ، وقال "الأخفش" وغيره يجوز أنْ تكونَ نكرةً، بمعنى شيء ورحمة بدل منه)). التبيان في إعراب القرآن: ٣٢١

وقال "الكرباسي": (("ما" زائدة، "رحمة" آسم مجرور بالباء، والتقدير "فبرحمة")). ٥٩٥/١

وأما المفسرون قال الشيخ "الطوسي": ((و"ما" زائدةٌ بإجماعِ المفسرينَ، ذهبَ إليه قتادة، والزجاج، والفراء وجميعُ أهلِ التأويلِ.... قال "الحسن بن علي المغربي" عندي أنَّ معنى "ما" أي، وتقديره: فبأيِّ رحمةٍ من الله، وهذا ضعيفٌ)). التبيان في تفسير القرآن ٣١/٣

وقال "الزمخشري": (("ما" مزيدةٌ للتوكيدِ)). تفسير الكشاف ٤٥٨/١ ، وقال "الطبرسي" مثل قول "الطوسي" المتقدم. مجمع البيان في تفسير القرآن ٤٢٧/٢

وقال "الفخر الرازي": ((ذهبَ الأكثرونَ الى أنَّ "ما" في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ﴾ صلةٌ زائدةٌ، ومثلُهُ في القرآنِ كثيرٌ .... وقال المحققون: دخولُ اللفظِ المهملِ الضائعِ في كلامِ أحكمِ الحاكمينَ غيرُ جائزٍ، وههنا يجوزُ أنْ تكونَ "ما" آستفهامًا للتعجب تقديره: فبأيِّ رحمةٍ من الله لنتَ لهم، وهذا هو الأصوبُ عندي)). التفسير الكبير ٤٠٦/٩-٤٠٧

وقال "أبو حيان الأندلسي": ((و"ما" هنا زائدةٌ للتأكيدِ، وزيادتُها بين الباء وعن ومن والكاف، وبين مجروراتِها شيءٌ معروفٌ في اللسانِ، مقرَّرٌ في علمِ العربيةِ، وذهبَ بعضُ الناسِ إلى أنَّها نكرةٌ تامةٌ، و"رحمة" بدلٌ منها)). البحر المحيط ١٠٣/٣ ، ثم رد كلام "الفخر الرازي" المتقدم بقوله: ((وما قاله المحققونَ صحيحٌ، لكنَّ زيادةَ "ما" للتوكيدِ لا

كالتوراة الرائجة مشتملاً على ذكر معاني غير معقولة أو غير مقبولة من إسناد قبائح الفعال إلى أنبياء الله، بل إلى ربنا المتعال، وليس في قرآننا شيء مما في كتب العهدين من أحكام غير محكمة وآيات غير منتظمة [1]، هذا هو الباطل المنفي من القرآن الحكيم كما سنوضحه في تفسير الآية المذكورة.

---

ينكرُهُ في أماكنِهِ مَنْ له أدنى تعلقٍ بالعربيةِ، فضلاً عن مَنْ يتعاطى تفسيرَ كلامِ الله، وليسَ "ما" في هذا المكانِ مما يتوهمُهُ أحدٌ مهملاً، فلا يحتاجُ ذلكَ إلى تأويلِها بأَنْ يكونَ آستفهامًا للتعجبِ)). ٤٠٦/٩

وناقش "آبن الأثير" ما يتعلق بزيادة الحروف في القرآن الكريم ورد القول بزيادة "ما" في الآية الشريفة. ينظر: المثل السائر ٣٥٨/١

وناقش "الزركشي" ذلك مناقشة مستفيضة وبيَّن آراء الأعلام بالزيادة وعدمها. ينظر: البرهان في علوم القرآن ٤٧/٣-٥٩

وذهب الشيخ "البلاغي" إلى عدم زيادتها. آلاء الرحمن في تفسير القرآن ٣٦١/١

وقد وردت (ما) على عشرة أوجه في القرآن الكريم، منها ما هو زائد كما في الآية الشريفة. ينظر: النيسابوري، إسماعيل بن أحمد: وجوه القرآن، تح وتع: د. نجف عرشي، (مؤسسة الطباعة في الأستانة الرضوية، مشهد، ط٢، ١٤٣٢هـ): ٥١٥-٥١٦

ومن الدراسات الحديثة التي تناولت الموضوع بتفصيل ودراسة ينظر: فدا، هيفاء عثمان: زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، (دار القاهرة، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م).

(١) لقد نسبت كتب اليهود والنصاري –التي يراها أصحابها أنها كتب مقدسة غير محرفة– أباطيل كثيرة لا يمكن أنْ تليق بالأنبياء (عليهم السلام)، فضلاً عن مسائل يَدَّعون بأنها تشريعات سماوية وهي لا تليق بالله تعالى، وقد ذكر العلماء ذلك في مؤلفاتهم ورَدُّوها وبيَّنوا بطلانها بأدلة وبراهين جلية. للتفصيل ينظر: البلاغي، محمد جواد: الرحلة المدرسية، (دار الزهراء، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ١٩٩٣م). البلاغي، محمد جواد:

وأما الحروف المنعوتة بالزيادة فليست من أقسام الباطل الذي ذكرناه، بل ولا هي من الزائد، من قسم الزائد المنعوت باللغو، ولا من الزائد المنعوت بالعبث.

فللزائد أصناف ثلاثة:

١ – الزائد الذي لا معنى له، ويسمى لغوًا.

٢ – الزائد الذي لا وجه له، وإنْ ملك المعنى ويسمى عبثًا.

٣– الزائد الذي يجوز الاستغناء عنه، كقول المستهل: الهلال الهلال، وقول الربئية[١]: الغزال الغزال.

ومن المجمع عليه صحة وجود هذا الثالث في القرآن والشعر [٢]، كما أجمعوا على تنزيه الاثنين من الأول، فيتمركز النزاع في الثاني، ويعود لفظيًّا كما سنذكره في الآية التاسعة من سورة الشورى. [٣]

وسواء جاز أو ٱمتنع فإنَّ الكاف في: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي ٱسْتَوْقَدَ﴾ ليست زائدة؛ لأنَّ المَثَلَ محركة بمعنى القصة [٤]، وتسميه الفُرس (متلاً) [٥]، ويكون المعنى: إنَّ

---

التوحيد والتثليث، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م). الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ٥٩–٦٥

(١) هكذا في الأصل.

(٢) لقد تبين من خلال ما تقدم أنَّ هذ الإجماع غير متحقق.

(٣) أي قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللهُ هُوَ الوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الموْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ولم يحصل الباحث على تفسيرها في مخطوطاته.

(٤) أو الحديث الذي يتحدث عنه، قال "الفراهيدي": ((والمثَلُ: الحديثُ نفسُهُ)). العين باب (المثل).

(٥) أي بمعنى موافق، فيكون حديث أو صفة هؤلاء موافقة لأولئك. القاموس الفارسي–العربي. ينظر: الموقع على الإنترنت www.almaany.com

قصة المنافقين كقصة الذي ٱستوقد نارًا إلخ، فتكون (الكاف) هي الأداة الوحيدة الكافلة للتشبيه، كما سنوضحه في سورة الجمعة في آية: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. (١)

- المورد السادس:

قال (٢) في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. (٣)

في جمل هذه الآية مشكلات:

- أولها: المحاورة بين الله والملائكة لو كانت على وجه الاستشارة، ولا ينبغي لمثله سبحانه أنْ يستشير مثلهم، وعلمهم بالقياس إلى علمه أقل من قطرة تُقاس بالأَوْقِيانوس(٤)، ثم المعارضة منهم وهم لا يعصون الله ما

(١) سورة الجمعة: الآية ٥ لم يتم تفسير الآية من السيد في مخطوطاته.

(٢) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة تحت عنوان (مشكلات الآية).

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٠

(٤) في الأصل: بالأقيانوس.

أَوْقِيانوس: بالفتح ثم السكون وقاف مكسورة وياء وألف ونون وواو وسين، وهو البحر المحيط الذي يحيط بالدنيا جميعها كإحاطة الهالة بالقمر، ويخرج منه شعبتان إحداهما بالمغرب والأخرى بالمشرق، وسمَّاه قوم "البحر الأخضر"، وقد سمَّاه "أرسطاطاليس" في رسالته "بيت الذهب" بهذا الاسم. الحموي: معجم البلدان ٢٨٢/١

أمـــرهم[١]، ومعصومون عند الجمهور [٢]، فوق ما هنالك من مشكلة القول منه وهو المجرَّد، كالقول منهم وهم مجرَّدون.

وجوابنا عن هذه المشكلة جواب شيخنا "المفيد" من أسلافنا والمحققين عن أمثال هذه [٣]، بأنَّ القول قد يسند إلى قائله المستجمع لشرائط الكلام نحو: (قال موســى لقومه)، وقد يسند القول إلى مَنْ لا يحوي الشرائط كلها، كما أســند القــرآن إلى السماء والأرض أنهما: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [٤] بلسان الحال لا بلــسان المقــال، وكقول الشاعر:

ٱمْتَلأَ الحَوْضُ وَقَال قَطْنِي - مَهْلاً رُوَيْدًا قَدْ مَلَأْتَ بَطْنِي [٥]

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَــارًا وَقُودُهَــا النَّــاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾. [سورة التحريم: الآية ٦]

(٢) أي عند جميع المسلمين بنص الآية الشريفة المتقدمة.

(٣) أي إنَّ كُلَّ فعلٍ لا يمكن أنْ يطلق على الله تعالى ولا يليق به فيجب أنْ ينزَّه عنه ويُحمــل على معنى من المعاني التي يفهمها العرب، وهذا ما ثبت في علم العقائد، مثل نسبة الروح إلى الله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [سورة الحجر: الآية ٢٩] وغيرها كالاســتهزاء والختم والقول. للتفصيل ينظر: المفيد: تصحيح الاعتقاد: ١-٥ وما بعدها.

(٤) سورة فصلت: الآية ١١

في الآية الشريفة نرى التشخيص ظاهرًا من خلال تــصوير الآيــة الــسماوات والأرض والجبال ممتلئة حياة وإرادة فتأبى وتشفق، فكأنها بشر أدرك كبر المسؤولية وعظم الأمانة الموكلة إليه، وهناك آيات أخرى متعددة وردت على مثل هذا الأسلوب القرآني البــديع. ينظر: العكيلي: السور المدنية دراسة بلاغية وأسلوبية: ٢٠٢-٢٠٣

(٥) في الأصل: كقول الشاعر ٱمتلأ الحوض. وسيأتي ما يتعلــق بهــذا البيــت في محلــه بالتفصيل ص٤٢٠

فالحوض مما لا يعقل أنْ يتكلم، لا السماء والأرض، وإنما يُنَزَّل حالهنَّ منزلة المتكلم بلسان الحال، فيفهم العاقل من حالهنَّ المقصود بالتمثيل، ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (١)، فالخالق عندما شاء تمثيل إرادته لخلق آدم والغرض منه، وشاء تمثيل ظنون العقلاء حول خلق البشر عَبَّر بهذه الصورة، فنزَّل نفسه منزلة المُخبر لعقلاء ذلك الوقت، ونزَّل الملائكة منزلة هؤلاء في إبداء الرأي المقابل لإرادته، ولسان الحال أَوْفى من لسان المقال في بعض الأحيان.

فالمقام مقام تنزيل وتمثيل وتفاهم بلسان الحال، ومثله سائغ شائع في عرف البلغاء من كُلِّ شَعْبٍ راقٍ، وحتى في عرف الكتاب والسنة، وكم يخاطبون الطلول والديار والفلك والقمر، كقول: (٢)

أَيُّهَا العَيْنَانِ فِيضَا - وَٱسْتَهِلّا لا تَغِيضَا (٣)

(١) سورة إبراهيم: الآية ٢٥

(٢) في الأصل: كقول الشاعر: أيها العينان فيضا.

(٣) قال الشيخ "ٱبن شهر آشوب": ((إنَّ زرَّ النائحةَ رأت فاطمةَ الزهراءَ "عليها السلام" فيما يرى النائمُ أنَّها وقفت على قبرِ [الإمام] الحسينِ تبكي، وأمرتها أنْ تنشدَ:

أَيُّهَا العَيْنَانِ فِيضَا - وَٱسْتَهِلا لا تَغِيضَا
وَٱبْكِيَا بِالطَّفِّ مَيِّتًا - تَرَكَ الصَّدْرَ رَضِيضَا
لَمْ أُمَرِّضْهُ قَتِيلاً - لا ولا كَانَ مَرِيضَا

محمد بن علي: مناقب آل أبي طالب، تص: لجنة من أساتذة النجف، (مط الحيدرية، النجف، ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م، د.ط) ٣/٢٢٠

وفي دعاء [النظر إلى] الهلال: (أَيُّهَا الخَلْقُ المُطِيعُ، الدَّائِبُ السَّرِيعُ) [١]، وآيات تسبيح الطيور وكافة الكائنات [٢]، وليست الملائكة أدنى منهن.

- المورد السابع:

قال [٣] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. [٤]

﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أي التشبيه في الصفات المشتركة التي تجعل المعقول محسوسًا في توضيح النور الإلهي، أي الوحي القرآني ونحوه، بأنْ نتدبَّر النور الحسي الذي هو ينير البيت وأهله في ظلام الليل، ويُسمى المصباح والسراج والفانوس والقنديل، ذلك النور الحسي المتألِّق والمتألِّف من زيت وذبالة، أي الفتيل الذي يشتعل بنار

(١) من دعاء الإمام زين العابدين "عليه السلام" إذا نظر إلى الهلال. زين العابدين، علي بن الحسين (الإمام): الصحيفة السجادية، تق: محمد باقر الصدر، (مط رسول، قم، ط١، ١٤٢٦هـ٢٠٠٦م): ١٦٢

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾. [سورة النور: الآية ٤١] وسوف يأتي ما يتعلق بالآية الشريفة.

(٣) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة. وأشار إلى الآية في مخطوط رؤوس الأقلام: ٦٢

(٤) سورة النور: الآية ٣٥

نوره مستمد من أوكسجين الهواء ولطائف خفية فيه، وفي الزيت المأخوذ من شجرة الزيتون، والكُلُّ موضوع في كُوَّة الجدار ونحوها، مما يحفظ الشعلة عن أنْ تنطفىء بتلاعب الرياح ونحوها.

فالكُوَّة بمنزلة الجسد المحيط بالقلب، وظرف الزيت بمنزلة قلب النبي [صلى الله عليه وآله وسلم]، أو الولي، والزيت بمنزلة المشاعر الحسية والعقلية المحيطة بالقلب، وشعلة النور بمنزلة كلام الله ووحيه المنبثق نوره من قلب النبي لتعليمه وتثقيفه، وزجاجة السراج بمنزلة بيان النبي لوحي الخالق لهداية أصناف الخلائق، وتنوير أفكارهم في سيرهم وسلوكهم في سبل السعادة والاستفادة. (١)

وهذا المثلُ أقربُ وأنسبُ شَبَهٍ لنور الوحي القدسي بالنور الحسي، ويستفاد هذا من حديث علي (عليه السلام) وتلميذه "عبد الله بن عباس" وسائر أهل البيت النبوي، وأهل البيت أدرى بالذي في البيت. (٢)

[وأما قوله:] ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ مزيد من توضيح لتشبيه قدسية الوحي، والنور الإلهي، وقدسية النور الحسي المتوقد من شجرة الزيتون، وتشبيهًا بأنوار الكواكب السماوية الممتازة، مثل الزهرة والمشتري والشعرى وسهيل و .. (٣)

---

(١) لقد وردت معان متعددة لهذا التشبيه، ومنها ما يتعلق بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ودعوته المباركة وعظمتها. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٤٣٧/٧ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٥٠/٧-٢٥٢

(٢) الفيض الكاشاني، محمد محسن: التفسير الصافي، تص و تع و تق: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢) ٤٣٥/٣ ، البحراني: البرهان في تفسير القرآن ٣٨٦/٥-٣٩٢

(٣) ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٤٣٥/٧

– المورد الثامن:

قال [١]: أصل كثير من الآيات في القرآن مبنية على قاعدة المثل السائر (إياكِ أعني وٱسمعي يا جاره) [٢]،

مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا العِدَّةَ﴾. [٣]

وعليه قال الشاعر:

إِنِّي أُوَجِّهُ لِلأَنَامِ مَقَالَتِي – وَأَخُصُّ بِالتَّبْلِيغِ مَنْ هُوَ حَاضِرُ [٤]

لكن أعداء القرآن من المِلل المختلفة غفلوا أو تغافلوا عن هذه القاعدة، الجارية بين البلغاء من كُلِّ لغة، وأخذوا يعترضون على القرآن ٱعتراضات واهية، وما أدراك ما هيه. [٥]

---

(١) مخطوط المسودات القرآنية: ٣٤٨ ، مخطوط الحواصل ١٦٥/٥

(٢) الميداني: مجمع الأمثال ٤٩/١

وهو مثل يُضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئًا غيره، وأول من قاله "سَهْل بن مالك الفَزَاري" في أخت سيد طيء "حارثة بن لأم" عندما أراد زواجها، فجلس بِفناء الخِباء يومًا وهي تسمع كلامه، فجعل ينشد ويقول:

يَا أُخْتَ خَيْرِ البَدْوِ وَالحَضَارَهْ – كَيْفَ تَرَيْنَ فِي فَتَى فَزَارَهْ

أَصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطَارَهْ – إِيَّاكِ أَعْنِي وَٱسْمَعِي يَا جَارَهْ

(٣) سورة الطلاق: الآية ١ ، ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٢٩/١٠ ، وقال آخرون إنما خاطبه (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنه سيد قومه، وإمام الأمة. ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٥٥٤/٤ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٨/١٠

(٤) لم يحصل الباحث على قائله.

(٥) إنَّ عدم الإحاطة بالعقيدة الإسلامية ولغة العرب تؤدي الجاهل بهما إلى التشكيك في بعض المسائل التي تتعلق بالأنبياء (عليهم السلام) وكتبهم المقدسة، فضلاً عن أولئك

– المورد التاسع:

قال [١]: إنَّ كُلَّ ما جاء [٢] في الآثار عنه دالاً [على] إثبات أعضاء، أو أجزاء له محمول حسب أفانين البلاغة على التشبيه، أو المبالغة، أو على الاستعارة، أو الكناية[٣]، مثل آية: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ ٱسْتَوَى﴾. [٤]

وآية: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾. [٥]

و[آية]: ﴿وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾. [٦]

---

الذين هم أعداء الدين، فقد رأينا ذلك من بعضهم، ومن المستشرقين أيضًا لدوافع مختلفة؛ لذلك تصدَّى العلماء إلى بيان الشبهات والشكوك في مؤلفاتهم العقائدية، والتفاسير القرآنية، فمثلاً يمكن الاطلاع على كتاب "تنزيه الأنبياء" للسيد المرتضى، لمعرفة أثر العقيدة واللغة في رد هؤلاء وشكوكهم القائمة على الجهل تارة، وعلى التضليل أخرى، وغيره من المؤلفات، فالسيد "الشهرستاني" يؤكِّد على منهجه في التعامل مع نصوص الشريعة المقدسة، ومنها الآيات الشريفة من خلال الإحاطة التفصيلية بلغة العرب وأسرارها وما يتعلق بها، وهذا ما يمكن ملاحظته بأدنى تأمل في منهجه التفسيري.

(١) مخطوط فوائد هبة الدين ١٢٥/٥–١٢٧

(٢) في الأصل: وكل ما جاء..

(٣) في الأصل: أو على ٱستعارة أو كناية.

لقد ذكر الشيخ "المفيد" عددًا من الموارد التي ذكرها الشيخ "الصدوق" ولها علاقة بصرف ظاهر الآيات الشريفة إلى ما تقدم من فنون البلاغة، وبيَّن أن هذه الآيات لا يمكن تفسيرها على ظاهرها؛ لأنها مخالفة للعقيدة، وأنَّ العرب تستعمل ذلك في كلامها. ينظر: تصحيح الاعتقاد: ١–٣، و ٥–١٠ وغيرها

(٤) سورة طه: الآية ٥

(٥) سورة ص: الآية ٧٥

(٦) سورة الزمر: الآية ٦٧

و[آية]: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾. (١)

و[آية]: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ﴾. (٢)

و[آية]: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾. (٣)

و[آية]: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾ (٤) إلى غير ذلك من آيات متشابهة صيغت على وجوه البلاغة، وتحسين الكلام، جريًا على سنن الخطابة، ونظائرها من عرف العرب [مثل]:

أولاً: شكوى الجميع من يد الزمان، وليس للزمان يد أو جسم.

وثانيًا: حكاية العرف عن يد المنون وأظفار المنية في قولهم: (اخترمت يد المنون فلانًا) (٥)، والمنون هو الموت (٦)، ولا يد له ولا جسد، وقول الشاعر الجاهلي:

وَإِذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَها - أَلْفَيْتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنْفَعِ (٧)

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦٧

(٢) سورة الزخرف: الآية ٨٤

(٣) سورة طه: الآية ٣٩

(٤) سورة الزمر: الآية ٥٦

(٥) وفي ذلك تشبيه الموت بشخص له يد، وقد قامت يده بذلك.

(٦) ابن منظور: لسان العرب مادة (منن).

(٧) البيت من قصيدة لـ"أبي ذؤيب الهذلي" يرثي بنيه الخمسة فيقول فيها:

أَمِنَ المنُونِ ورَيْبِها تَتَوَجَّعُ؟ - وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

أَوْدَى بَنِيَّ وأَعْقَبُونِي غُصَّةً - بَعْدَ الرُّقَادِ وعَبْرَةً لا تُقْلِعُ

وإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظفارَها - أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمةٍ لا تَنْفَعُ

الهذلي، أبو ذؤيب: ديوان الهذليين (شعر أبي ذؤيب و ساعدة بن جؤية)، تح: أحمد الزين ومحمود ابو الوفا، (دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م، د.ط): ١

والمنية ليست جسمًا حتى يكون لها كَفٌّ، ويكون لكَفِّها أظافير. (١)

وثالثًا: كقولهم عن المعاني وأنظمة شؤون الحياة: (خفي علينا وحيه كذا)، و (ٱتضح وجه المسألة)، و(ٱختلف أوجه الكلام) (٢)، في حين أنَّ غير الحيوان لا ينسب إليه وجه بالحقيقة اللغوية، فما ذلك إلا على التشبيه والتجوز؛ تحسينًا، للعبائر وتعبيرًا عن المعاني عما في الضمائر.

ورابعًا: إنَّ العين في لسان العرب تأتي على سبعين معنى (٣)، ومن جملتها عضو البصر، فلماذا ٱختار الجسم هذا الواحد [من المعاني] وترك الأكثر، في حين إنَّ العرف يستعملون التجوز والتشبيه في العين من بقية الأسماء، ولهذا تعددت له المعاني، فكثيرًا ما يقولون: (حقق أمر فلان بعين الميزان، وبعين التدقيق، وبعين الحقيقة، لا بعين المسامحة)، ومنه قول الشاعر:

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ – كَمَا إِنَّ عَيْنَ السَّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيَا (٤)

(١) في البيت ٱستعارة وقد فصل العلماء فيها. ينظر: ٱبن سنان الخفاجي: سر الفصاحة: ١٢٥ ، القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٣٥

(٢) إنَّ هذه الكلمات تستعمل في المحاورات العامة على وجه من وجوه البلاغة مجازًا لا حقيقة، وفي كلام الناس كثير من هذه الأمثلة، مما يدلُّ على أنَّ هذه الأساليب واضحة ومفهومة لدى المخاطبات، والقرآن الكريم قد أتى بألفاظ ليست غريبة عن محاوراتهم.

(٣) لقد فصَّل العلماء الأعلام في معاني العين التي تستعملها العرب تفصيلاً كبيرًا يدل على سعة ٱستعمالهم لها. للتفصيل ينظر: ٱبن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة (عين) ، ٱبن منظور: لسان العرب مادة (عين).

(٤) البيت لـ"عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب" من قصيدة في "الفضيل ٱبن السائب" يقول فيها:

[وغير ذلك] كثير جدًّا في [١] كلام البلغاء، وغير محصورة.

كذلك الاستعارة في عرف البلاغة إقامة المشبه به مقام المشبه، والمشبه بـه مقـام المشبه[٢]، وبعبارة سطحية حذف المشبه وأداة الـشبه، والاكتفـاء بالمـشبه بـه، كقولك: (هو البحر)، في مكان (هو كالبحر)، أو كقولك عن غزال: (صـادَ قلبـي ونفر) بدل (عن غلام كغزال) وهكذا.

- المورد العاشر:

قال [٣]: إنَّ أكثرها [الآيات القرآنية] ضربُ مثلٍ [٤]، والمثلُ يُراد به تصوير المعنـى البعيد وتقريبه، ولا يلزم منه أنْ يكون محققًا، ومن الأمثال الجارية أنَّ الشيء الفلاني

---

رَأَيْتُ فُضَيْلاً كَـانَ شَـيْئًا مُلَفَّعًـا - فَكَشَّفَهُ التَّمْحِيصُ حَتَّى بَـدَا لِيَـا
وَأَنْتَ أَخِي ما لَمْ تَكُنْ لِيَ حاجَـةٌ - فَإِنْ عَرَضَتْ أَيْقَنْتُ أَنْ لا أَخَا لِيَـا
وَلَسْتَ بَراءٍ عَيْبَ ذِي الـوُدِّ كُلّـهُ - وَلا بَعْضَ مَا فِيهِ إِذا كُنْـتَ رَاضِـيَا
فَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَـةٌ - وَلكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيا

الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ٢٦٧ ، القلقشندي: صبح الأعـشى في صناعة الإنشا ١٩٦/٩

(١) في الأصل: وفي.

(٢) تقدم تعريف الاستعارة وما يتعلق بها في باب الدراسة، الفصل الرابع، المبحث الثـاني: ١٥٣-١٥٤

(٣) مخطوط نتائج الحلوم: ٢٣٢ تحت عنوان (لحل مشاكل القرآن).

(٤) في الأصل: المثل.

مثال وتشبيه، كما في قصص "آدم" و"عيسى" وأصحاب "الكهف" ونحوهم، فأكثرها أمثال بأساليب روائية شائعة. (١)

– المورد الحادي عشر:

قال (٢) فيما يتعلق بقوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾. (٣)

قد أطال المفسرون كلامهم في هذا الصدد (٤)، وأدعى بعضهم أنها استعارة تخيلية بغرض تهويل الأمر في نظر المخاطبين (٥)، بأي معنى تمركز في حيال خيالهم.

ويجوز أنْ يراد من رؤوس الشياطين جبل عجيب الشكل في أرض الحجاز نص عليه مؤلف كتاب "مراصد الاطلاع (٦)" مدعيًا أنَّ جبلاً في الحجاز يسمى "رؤوس

(١) قد تقدم ما يتعلق بالموضوع ورأي السيد الشهرستاني فيه.

(٢) مخطوط الدلائل والمسائل ٤٣٤/٧ ، وهو جواب لسؤال نصه: ((وفي القرآن الكريم آية تصف شجرة من الزقوم والحميم في الجحيم: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [سورة الصافات: الآية ٦٥] فكيف يصح تشبيه شيء غير معلوم بأمر غير معلوم، وإنَّ العرب لم تَرَ رؤوس الشياطين حتى تعرف منه حال المشبه)).

(٣) سورة الصافات: الآية ٦٥

(٤) ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦٣٥/٢٢ ، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٥٠٢/٨ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٤٨/٤ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٣١٠/٨

(٥) قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة في باب الدراسة، الفصل الرابع، المبحث الثاني: ١٤٨

(٦) في الأصل: مراصد الاصلاع.

"رؤوس الشياطين" لتشعب رأس الجبل إلى شعب غريبة الشكل [١]، وبناءً عليه محتمل تشبيه القرآن مطلع الشجرة أو طلعها وثمرها بأعلى هذا الجبل.

غير إنَّ الظاهر أنَّ الشيطان كناية عن المؤذي الشرير، ورأس الشيء كناية عن أصل قوته ومجموعة قواه، فكأنَّ القرآن يشبِّه طلع شجرة الزقوم في الأذى والألم برأس الحية، وأصل الشر ومركز الآلام، والله العَلَّام.

- المورد الثاني عشر:

قال [٢]: لا بدعة في إكثار القرآن من خطاب مَنْ لا يعقل أو لسان حال من [لا يعقل]، فكثير في الكتاب والسنة، وكثير في حوار الألسنة وشعر البلغاء.

فمنها: قول "ٱمرئ القيس" في معلقته الأولى:

أَلا أَيُّهَا اللَيْلُ الطَّوِيلُ أَلا ٱنْجَلِي - بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكِ بِأَمْثَلِ [٣]

وكم فيها [٤] من خطابات للزمان والمكان ولسان حال غير الإنسان.

---

(١) لم يرد ذلك في كتاب "مراصد الاطلاع" بل ورد في معجم البلدان. ينظر: الحموي ١٩/٣ ، وذكر "ٱبن قتيبة" ذلك من قبل أيضًا.

(٢) مخطوط الحواصل ١١٣/٥

(٣) ٱمرؤ القيس، حُنْدُج بن حُجْر: ديوان ٱمرىء القيس، تص: مصطفى عبد الشافي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م): ١١٧

وقصيدته هذه التي يقول في مطلعها:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ - بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فحَوْمَلِ

(٤) أي الحوارات التي تجري على الألسن، أي شخَّص الليل وجعله عاقلاً مستمعًا ناطقًا.

ومنها: قول [ال]"طرماح بن عدي":

يَا نَاقَتِي لا تَذْعَرِي مِنْ زَجْـرِي – وَشمِّرِي قَبْـلَ طُلُـوعِ الفَجْـرِ [١]

ومنها: الشعر المشهور في خطاب الفَرَس:

عَدَسْ ما لِعَبَّـادٍ عليـكِ إمـارَةٌ – نَجَوْتِ وهذَا تَحْمِلِـينَ طَلِيـقُ [٢]

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٣٧٨/٤٤ "الطرماح بن عدي" من أصحاب أمير المؤمنين، وله مواقف في نصرته، وهذه الأبيات قالها وهو يسير بالإمام الحسين (عليه السلام) وقافلتـه نحو كربلاء، والتي يقول فيها:

يَا نَاقَتِي لا تَذْعَرِي مِـنْ زَجْـرِي – وَشـمِّرِي قَبْـلَ طُلُـوعِ الفَجْـرِ
بِخَيْـرِ رُكْبَـانٍ وَخَيْـرِ سَـفَرِ – حَتَّـى تُحَلَّـى بِكَـرِيمِ الخَبْـرِ
الماجِدِ الحُـرِّ رَحَيـبِ الـصَّدْرِ – أَتَـى بِـهِ اللهُ لِخَيْـرِ أَمْـرِ

في الأصل:

يَا نَاقَتِي لا تَذْعَرِي مِـنْ زَجْـرِي – وَاسْـرِي بِنَا قَبْـلَ طُلُـوعِ الفَجْـرِ

(٢) الحميري، يزيد بن مفرِّغ: ديوان يزيد بن مفرِّغ، تح: الدكتور عبد القدوس أبـو صـالح، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م): ١٧٠

والبيت من قصيدة يخاطب الشاعر بغلة قد ركب عليها بعد إخراجه مـن الـسجن بـأمر "معاوية بن أبي سفيان" والتي يقول فيها:

عَدَسْ مـا لِعَبَّـادٍ عليـكِ إمـارَةٌ – نَجَـوْتِ وهـذَا تَحْمِلِـينَ طَلِيـقُ
طَلِيقُ الذي نَجَّى منَ الكَرْبِ بَعْدَما – تَلاَحَـمَ في دَرْبٍ عليـكِ مَـضِيقُ
ذَرِي وتَنَاسَـيْ مـا لَقِيـتِ فإِنَّـهُ – لِكُـلِّ أُنَـاسٍ خَبْطَـةٌ وحَرِيـقُ

"عدس" زجر للبغلة، و"عَبَّاد" هو المأمور عليه بالسجن وللأبيات قصة مشهورة للتفصيل ينظر الديوان، وقد استشهد النحويون بالبيت على أنَّ المراد من اسم الإشارة (وهـذا) أي (والذي) وفيه تفصيل.

ومنها آية: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [١]، وآية [٢] نطق الجوارح [قال تعالى:] ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. [٣]

حتى قالوا: (لسانُ الحالِ أبلغُ من مقالي فَسَمعاً يا فتى للسانِ حالي) [٤]
ومنها: سَلْ كربلاء كم حَوَتْ منهم بدور حدى) إلخ .. ويقول الآخر: (سَلْ كربلاء الطف منهم أين بالأمس طنب وأين أستقلوا اليوم من عرصة الطف)، ومنها آية ...[٥]

– المورد الثالث عشر:

قال في بيان بعض الآيات وكلام العرب بلسان الحال: [٦]

(١) سورة يوسف: الآية ٨٢ وقد تقدم ذكرها.

(٢) في الأصل: وآيات. أو لعله يقصد الآية الأخرى كذلك وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾. [سورة فصلت: الآية ٢١]

(٣) سورة يس: الآية ٦٥

لقد ذكر المفسرون أقوالاً في بيان كيفية تحدُّث الجوارح بين أنها تتحدث بقدرة الله تعالى، أو من خلال ظهور علامات تدل على الحديث. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٤٧١/٨ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٨٥/٨ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٣٠٢/٢٦

(٤) لم يحصل الباحث على قائل هذا البيت، وقال "الثعالبي": ((قال بعض الحكماء: لسان الحال أنطق من لسان المقال)). ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ٢٧٢

(٥) ذكر السيد آيات ثلاث قد تكررت فيما سبق، وتمت الإشارة إليها في مواردها.

(٦) مخطوط الحواصل ١١٤/٥

فإذا كانت سيرة القرآن والبلغاء جارية على لسان الحال، وتنزيل غير العاقل مكـــان

العاقل، وغير الناطق مكان الناطق، فربما قِيس على ذلك حكاية آدم .... [١]

وآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾. [٢]

وقال الشاعر:

سَلْ عَنْهُمُ الدِّيَارَ وَالرُّبُوعَا - إِذْ لَيْسَ الأَصْلُ لَنَا رُجُوعَا [٣]

فالسؤال من الديار والربوع تنزيل مَنْ لا يعقل منزلة مَنْ يعقل، وهكذا حَدِّث عن البحرِ ولا حرج.

ٱمْتَلأَ الحَوْضُ وَقَال قَطْنِي [٤] - مَهْلاً رُوَيْدًا قَدْ مَلَأْتَ بَطْنِي [٥]

---

(١) ذكر السيد آيات سبعة قد تكررت فيما سبق، وتمت الإشارة إليها في مواردها.

(٢) سورة الزلزلة: الآية ٥

إنَّ المفسرين قد ذكروا بأنَّ نسبة الحديث للأرض يمكن أنْ يكون مجازًا، ويمكن أنْ يكون حقيقة من خلال إيجاد قوة فيها للحديث. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٣٩٣/١٠ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٧٩١/٤ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤١٩/١٠

(٣) لم يحصل الباحث على قائله.

(٤) قَطْنِي أي: حسبك أو كفاني، قال "الفراهيدي": ((قَدْ وقَطْ لغتانِ في "حَسْب" لم يَتَمكَّنا في التَّصريف، فإذا أَضَفْتَهما الى نَفسِكَ قَوِيَتا بالنُّونِ، فقُلْتَ: قَدْني وقَطْني، كما قَوَّوا عَنِّي ومِنِّي وَلَدُنِّي بنُونٍ أخرى، قال أهل الكوفة: معنىَ "قَطْني" كَفاني)). العين مادة (قط). وينظر: ٱبن منظور: لسان العرب مادة (قطط).

وورد عن "ٱبن هشام": ((إنَّ "قط" تأتي لوجوه ثلاثة منها: ٱسم فعل بمعني يكفي، فيقال: "قَطْنِي" –بنون الوقاية– كما يقال: يكفيني)). ١٧٦/١

(٥) إنَّ البيت قد ذكر في مصادر متعددة ولم يذكر ٱسم الشاعر، بل ورد قولهم: قال الشاعر أو الراجز. وقد ورد (مهلاً رويدًا)، و(سَلًّا رويدًا)، و (حسبي رويدًا) ينظر: الفراهيدي مادة (قط) ، ٱبن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة (قط).

– المورد الرابع عشر:

قال [١]: أفسِّرُ [٢] آية: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [٣] بجواز أنْ تجمع بين الغرضين غرض البشرى للمؤمنين المجاهدين وغرض بيان الحقيقة في نزول الملائكة [٤] مترادفين [٥]، أو إنها بشرى ظاهرية غير حقيقية، وعادة البلغاء الخطباء تصوير المعاني الجذابة للقلوب للمصلحة العامة ولو على خلاف الحقيقة. [٦]

(١) مخطوط مهمات: ١٤

(٢) في الأصل: وفسر.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٩

(٤) في الأصل: وفسر.

(٥) لقد ذكر المفسرون ما يتعلق بالآية الشريفة ونزول الملائكة في نصرة المؤمنين، وبيان البشرى في ذلك، وأما فيما يتعلق بمشاركتهم في قتال المشركين فقد ٱختلفوا وهناك آراء في المشاركة وعدمها، وإنْ كانت الروايات التأريخية التي تتحدث عن معركة "بدر" قد بيَّنت عدد قتلى المشركين وما قام به المسلمون في قتل هؤلاء، وكذلك فيما يتعلق بالعدد. للتفصيل ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٢/١٩٠-١٩٢ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤/٤٣٧ ، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ٩/٢٠

(٦) لم يذكر المفسرون مثل هذا المعنى، سوى ما ذكره السيد، بل قد ٱشتهر وتواتر تأريخيًّا نصرة الملائكة للمسلمين في معركة بدر الكبرى.

– المورد الخامس عشر:

قال [١]: كثير من الآيات تفسر على حذف المضاف [٢]، قال تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [٣]، و[قال تعالى:] ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [٤]، و[قال تعالى:] ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [٥]، وقد يكثرُ المُقَدَّرُ، ومثله قول الشاعر يدعو على قوم شربوا لبن إبله وساقوها:

وَإِنِّي لَأَرْجُو مِلْحَهَا فِي بُطُونِهِمْ – وَمَا بَسَطَتْ مِنْ جِلْدِ أَشْعَثَ أَغْبَرا [٦]

أراد عقوبة كفران ملح لبنها.

---

(١) مخطوط المسودات القرآنية: ٣٤٨

(٢) لقد وردت آيات متعددة في حذف المضاف وإقامة المضاف إليه في القرآن الكريم، قال "الزركشي": ((وهو كثير، وقال "ابن جني" وفي القرآن زهاء ألف موضع)). البرهان في علوم القرآن ٣/٩٥ وذكر عدد من الأمثلة على ذلك ينظر: ٣/٩٦-٩٨ وينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/١٨٤

(٣) سورة يوسف: الآية ٨٢ ، أي: سَلْ أهل القرية التي كُنَّا فيها. الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٦/١٨٠

(٤) سورة البقرة: الآية ٩٣ ، أي: وأُشربوا في قلوبهم حب العجل، والحرص على عبادته. الزمخشري: تفسير الكشاف ١/١٩٢

(٥) سورة التوبة: الآية ١١٠ ، أي: لا يزال بناء المبني الذي بَنَوْهُ. الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٥/١٢٧

(٦) البيت لـ"أبي الطمحان القَيني". التوحيدي، علي بن محمد بن العباس: الإمتاع والمؤانسة، (المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ) ١/٣٢٩ ، وينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة (ملح).

ومنه كلما يقدر فيه لفظ المخافة كآيــة: ﴿إِنَّ اللهَ يُمْــسِكُ الــسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ (١)، أي مخافة أنْ تزولا، وهو من وضع المثبت مكان المنفي، وقال "ٱمــرؤ القيس":

فَقُلْتُ يَمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا - [وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي] (٢)

أي: لا أبرح قاعدًا. (٣)

- المورد السادس عشر:

قال (٤) في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَٱسْأَلِ القَرْيَةَ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿قَالَــتْ نَمْلَةٌ﴾ (٦)، وقوله تعالى: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (٧)، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾. (٨)

(١) سورة فاطر: الآية ٤١

(٢) ديوان ٱمرىء القيس: ١٢٥

(٣) ٱبن الأثير: المثل السائر ١٠٤/٢

(٤) مخطوط المسودات القرآنية: ١٩٤-١٩٥

(٥) سورة يوسف: الآية ٨٢ ، قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

(٦) سورة النمل: الآية ١٨ ، قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

(٧) سورة فصلت: الآية ١١ ، قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

(٨) سورة يس: الآية ٧١

لقد ذكر المفسرون أنَّ اليد ليس المراد بها الجارحة، فالمعنى لا يحمل على حقيقة اليــد الجارحة بل المعاني الأخرى لليد، وقد ذكر "الشيخ الطوسي" ٱنصرافها إلى معانٍ أربعــة. ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٤٧٥/٨ ، وذُكِرَ بأنَّ الآية لا تنصرف إلى ظاهرهــا ينظــر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٣٠/٤ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٣٠٦/٢٦ وغيرهما

هذا التعبير مصوغ على شاكلة التجوُّز في الخطاب وذلك مما يستحسنه العرف في محاوراتهم ولا سيما العرب [١]، والقرآن المجيد إذ كان مُنَزَّلاً على لسان العرب بغرض إرشادهم وإصلاح شؤونهم، فلا غرو إذا جرى في التحاور مجراهم، واستعمل التجوُّز والتشبيه في ألفاظه ومعانيه، وخاطب الجمادات والجدران والطلول، وعامل غير المعقول [٢] معاملة هذا المعقول [٣]، فقد كان العرب بل العرف البشري جاريًا على هذا المنوال، ويسمونه أحيانًا (لسان الحال).

قَالَتْ لَهُ الطَّيْرُ تَقَدَّمْ رَاشِدًا - إِنَّكَ لا تَرْجِعُ إِلا حَامِدًا [٤]

قال "أبو النجم":

حينما يستحيل على الطير تفقه مثل ذلك، فضلاً من أنْ تقول.

(١) إنَّ العرب كانت تستعمل هذا الفن في كلامها مطلقًا؛ سواء أكان شعرًا أم نثرًا وقد ذكر الأعلام ذلك في مؤلفاتهم، فضلاً عن المفسرين. للتفصيل ينظر: أبو هلال العسكري: دلائل الإعجاز: ٢٢٦ ، القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٠٨ وغيرهما

(٢) في الأصل: وعامل غير دون المعقول.

(٣) قال "ابن الجوزي": ((فنزلَ القرآنُ على عادةِ العربِ في كلامِهم، فمن عادتهِم التجوُّزُ، وفي القرآن: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٦])). المدهش، تص و تع: الدكتور مروان قباني، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م): ٣٦

(٤) وهو من الأبيات التي يستشهد بها في هذا المقام ينظر: ابن جني: الخصائص ٢٢/١

وأنشد "علي بن عيسى":

وَقَالَتْ لَهُ العَيْنَانِ سَمْعًا وَطَاعَــةً – وَحَدَّرَتَا [١] كَالــدُّرِّ لَمَّــا يَثْقُــبِ [٢]

وليس للعين لسان المقال، غير لسان الحال الناطق بالفعل.

وأورد "فخر الدين الرازي" المثل المشهور: قالَ الجِدَارُ للوَتَدِ [٣] لِمَ تُشْقِنِي، قَــالَ: سَلْ مَنْ يَدُقُّنِي [٤]، ومن أين للمسمار، أو الجدار شعور وإشعار، أو إدراك أو إظهار.

وأنشد شيخنا "المفيد" وغيره: [٥]

ٱمْتَلأَ الحَــوْضُ وَقَــالَ قِطْنِــي – مَهْــلاً رُوَيْــدًا قَــدْ مَــلَأتَ بَطْنِــي

وأَنَّى للحوض والروض فقه، أو شكوى من الفيض، غير لسان الحال والاســتعارة، والكناية عند الفصيح أبلغ من التصريح، فكأنه شبَّه جوف الحوض بــبطن إنــسان أضره الامتلاء، فصرخ هاتفًا بذاك المقال.

ومن شعر "عنترة":

(١) في الأصل: وحدرنا.

(٢) ٱبن جني: الخصائص ٢٢/١

(٣) في الأصل: للمسمار.

(٤) التفسير الكبير ٢٧/٤

(٥) المفيد: المسائل السرورية ٥١-٥٢ ، الشريف المرتضى: رسائل الــشريف المرتــضى (المجموعة الأولى / جوابات المسائل الرازية)، تق: السيد أحمد الحسيني، (مــط ســيد الشهداء، قم، ١٤٠٥هـ، د.ط): ١١٥ وقد تقدم ما يتعلق بالبيت الشعري.

شَكَا [١] نَحْرُهَا مِنْ عِقْدِهَا مُتَظَلِّمًا – فَوَا حَرَبًا مِنْ ذَلِكَ النَّحْرِ وَالعِقْدِ [٢]

وهل يصدِّقُ عاقلٌ [٣] أنْ يتكلم النحر بالشكوى من العقد.

نعم قد يتكلم النحر وبلسان يفهمه كُلُّ إنسان من أي عنصر كان، ومن أبناء أي لسان وتلك اللغة هي (لسان الحال)، التي تعد أبلغ وأوفى من لسان المقال، وأصدق منه، وأفعل من جميع الأحوال.

وقال الشاعر في الفَرَس: [٤]

فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بِلَبَانِهِ – وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرةٍ وَتَحَمْحُمِ [٥]

---

(١) في الأصل: شكى.

(٢) الخطيب التبريزي: شرح ديوان عنترة بن شداد، تق: مجيد طراد، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م): ٦١ وهو من قصيدة يقول فيها:

وَبَيْنَ ثَنَايَاهَا إِذَا مَا تَبَسَّمتْ – مُدِيرُ مُدَامٍ يَمْزُجُ الرَّاحَ بِالشَّهْدِ
شَكَا نَحْرُهَا مِنْ عِقْدِهَا مُتَظَلِّمًا – فَوَا حَرَبًا مِنْ ذَلِكَ النَّحْرِ وَالعِقْدِ
فَهَلْ تَسْمَحُ الأَيَّامُ يَا ٱبْنَةَ مَالِكٍ – بِوَصْلٍ يُدَاوِي القَلْبَ مِنْ أَلَمِ الصَدِّ

في الأصل:

شَكَا نَحْرُهَا مِنْ عِقْدِهَا فَتَظَلَّمَتْ – فَوَا عَجَبًا مِنْ ذَلِكَ النَّحْرِ وَالعِقْدِ

(٣) في الأصل: عاقلاً.

(٤) في الأصل: تبكي بعبرة وتحميم.

(٥) المصدر نفسه: ٢١٧ البيت من قصيدة لـ"عنترة بن شداد" يقول فيها:

مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ – وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسَرْبَلَ بِالدَّمِ
فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بِلَبَانِهِ – وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرة وَتَحَمْحُمِ
لَوْ كانَ يَدْرِي ما المحاوَرَةُ ٱشْتكى – أَوْ كانَ يَدْرِي ما جَوابَ تَكَلُّمِي

ومن ذلك: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ ومقال الهدهد: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ﴾ ومقال ذي الجناح [١] ومن قبيل ذلك: خطابات الديار، والشمس، والقمر، والدهر، والطير، ونسبة أفعال إرادية إليهنَّ. [٢]

نحو:

مَدِينَـــةُ جَـــدِّنَا لا تَقْبَلِينَـــا – [فَبِالحَسَرَاتِ وَالأَحْزَانِ جِينَا] [٣]

و﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾. [٤]

و: أَيُّهَا الخَلْقُ المُطِيعُ. [٥]

(١) لعله يقصد تسبيح الطير في قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾.

(٢) إنَّ خطاب كُلِّ ما تقدم قد ورد في كلام العرب نثرًا وشـــعرًا، وهـــي مـــسألة طبيعيـــة في مخاطبة من لا يعقل في محاوراتهم.

(٣) الشهرستاني، هبة الدين: نهضة الحسين، (مط النعمان، النجف، ١٩٥٨م، د.ط): ٤٠ هذه الأبيات تنسب إلى السيدة "زينب بنت أمير المؤمنين" (عليها السلام) عندما رجعـــوا من السبي إلى المدينة المنورة بعد أستشهاد الإمام "الحسين" (عليه السلام) وأهـــل بيتـــه وأصحابه في يوم عاشوراء بكربلاء.

(٤) سورة سبأ: الآية ١٠

(٥) مقطع من دعاء الإمام "علي بن الحسين السجاد" (عليه السلام) عند رؤيتـــه الهـــلال، إذ يقول: ((أيها الخلقُ المطيعُ، الدائبُ السريعُ، المتردِّدُ في منازلِ التقديرِ، آمنتُ بِمَـــنْ نَـــوَّرَ بكَ الظُّلَمَ، وأوضَحَ بكَ البُهَمَ، وجعلكَ آيةً من آياتِ مُلْكِهِ، المتصرِّفُ في فلكِ التـــدبيرِ)). زين العابدين، الصحيفة السجادية: ١٦٢

و:

يَا دَهْرُ أُفٍّ لَكَ مِــنْ خَليــلِ - [كَمْ لَكَ بِالإِشْرَاقِ وَالأَصِيلِ] (١)

و:

مَعَالِمُهَا تَبْكِي عَلى عُلَمَائِهَــا - [وَزَائِرُهَا يَبْكِي لِفَقْدِ مَزُورِهَا] (٢)

و:

[هذا الَّذِي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ] - وَالبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ (٣)

وقال الشاعر:

الشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِــفَةٍ - تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومُ اللَّيْلِ وَالقَمَرَا (٤)

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى (ت٦٦٤هـ/١٢٦٦م): الملهوف على قتلى الطفوف، تح و تق: الشيخ فارس الحسون، (مط أسوة، قم، ط٤، ١٤٢٥هـ): ١٤٠

(٢) البيت من قصيدة للشاعر "علاء الدين الحلي الشهيفي" المعروف بـ(ابن الشهفية). الأميني، عبد الحسين أحمد: الغدير في الكتاب والسنة والأدب، (دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت) ٣٦٧/٦

(٣) الفرزدق، هَمَّام بن غالب: ديوان الفرزدق، شرح وضبط و تق: علي فاعور، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ١٩٨٧م): ٥١١

(٤) جرير بن عطية: ديوان جرير، تع: كرم البستاني، (دار بيروت، بيروت، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م): ٢٣٥

وقال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (٣) وفي الجملة الأخيرة دلالة على أنَّ النطق دلالة الحال؛ لأنَّ الله تعالى لم ينطق كُلَّ شيء باللسان غير الإنسان، وقال تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٥)، و[قال تعالى:] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ

(١) سورة الدخان: الآية ٢٩

ذكر المفسرون أنَّ البكاء في الآية الشريفة ليس متعلقًا بالسماء والأرض، بل بأهلها، أو هناك معانٍ أخرى على غير الحقيقة. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٢٣٣/٩ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٢٨٠/٤ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٦٦٠/٢٧

وفي ذلك نقل "الزمخشري" في تفسيره ما روي: ((مَا مِنْ مؤمنٍ ماتَ في غربةٍ غابَتْ فيهِ بواكيهِ، إلا بَكَتْ عليهِ السماءُ والأرضُ)). تفسير الكشاف ٢٨٠/٤

(٢) سورة يس: الآية ٦٥ ، قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

(٣) سورة فصلت: الآية ٢١ ، قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

(٤) سورة الحديد: الآية ١٨

إنَّ إقراض الله تعالى لا ينصرف إلى الحقيقة المعهودة منه، بل هو مجاز، فقد ذكر "الشيخ الطوسي" أنَّ إقراضه أي الإنفاق في طاعته، وسبيل مرضاته. ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٥٢٩/٩ وناقش أيضًا "الفخر الرازي" ذلك في تفسيره. ينظر: التفسير الكبير ٤٦١/٢٩–٤٦٢ ، وقال "السبكي" في بيان الآية الشريفة: ((شَبَّهَ الأعمالَ الصالحةَ والإنفاقَ في سبيلِ الله بـ(المال المقرَض)، وشبَّهَ الجزاءَ المضاعَفَ على ذلكَ بـ(بذل القرض))): مجاز القرآن: ٢٠٨

(٥) سورة الذاريات: الآية ٤٧

مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [١]، و[قال تعالى:] ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾[٢] و[قال تعالى:] ﴿وَٱصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [٣]، و[قال تعالى:] ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [٤]، و[قال تعالى:] ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٥]، و[قال تعالى:] ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ

(١) سورة يس: الآية ٧١ ، قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

(٢) سورة القمر: الآية ١٤

إنَّ المفسرين ذكروا آراء متعددة لبيان المراد بـ(أعيننا) ينظر: الطبري: جامع البيان عن تاويل آي القرآن ١٣١/٢٥ ، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٤٤٨/٩ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢٩٨/٢٩

(٣) سورة هود: الآية ٣٧

إنَّ "الشيخ الطبرسي" ذكر أقوالاً متعددة في المراد من (العين) وكلها لا تحمل على الحقيقة وهي آلة البصر. ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٧٠/٥ ، وناقش "الفخر الرازي" ذلك نقاشًا علميًّا، وبيَّن ٱستحالة أنْ يكون المراد بها الجارحة؛ لاستلزام ذلك التجسيم للخالق وهذا محال على الله تعالى. ينظر: التفسير الكبير ٣٤٤/١٧

(٤) سورة طه: الآية ٣٩

ذكر المفسرون أنَّه ليس المراد بالعين الجارحة، بل شدة العناية منه تعالى. ينظر: أبو عبيدة: مجاز القرآن ١٩/٢ ، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١٧٣/٧ ، ٱبن الجوزي: زاد المسير ٢٨٤/٥

(٥) سورة الفتح: الآية ١٠

ذكر المفسرون وغيرهم أنَّه ليس المراد باليد الجارحة؛ لتنزيهه سبحانه عن التجسيم، وإنما معانيها الأخرى. ينظر: الفراء: معاني القرآن ٦٥/٣ ، الزجاج: إبراهيم بن السري: معاني القرآن وإعرابه، تع: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، (دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ١٩٨٨م) ٢٢/٥ ، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٣١٩/٩ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٣٣٧/٤

تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[١]، ومن شواهد المجاز إفراد اليد في موضعٍ[٢]، وتثنيته في ثانٍ[٣]، وجمعه في ثالثٍ[٤]، وكذا العين[٥]، و[قال تعالى:] ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[٦]، و[قال تعالى:] ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا

(١) سورة ص: الآية ٧٥

قال "الزمخشري": ((فإنْ قلتَ: ما وجهُ قولِهِ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، قلتُ: قد سبق لنا أنّ ذا اليدينِ يباشِرُ أكثرَ أعمالِهِ بيديهِ، فغلبَتِ العملُ باليدينِ على سائِرِ الأعمالِ التي تُباشَرُ بغيرِهما، حتى قيلَ في عملِ القلبِ: هو مما عملتْ يداكَ، وحتى لم يبقَ فرقٌ بينَ قولِكَ: هذا مما عملتُهُ، وهذا مما عملتْهُ يداكَ)). تفسير الكشاف ١٠٧/٤

(٢) كما في قوله تعالى في (سورة الفتح: الآية ١٠) التي تقدمت.

(٣) كما في قوله تعالى في (سورة ص: الآية ٧٥) التي تقدمت.

(٤) قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾. سورة الذاريات: الآية ٤٧ والآية غير صريحة في نسبة الأيادي إلى الله تعالى، ولليد معانٍ ستة وردت في القرآن الكريم، يراد بها الحقيقة تارة، والمجاز تارة أخرى. ينظر: النيسابوري: وجوه القرآن: ٥٩٠-٥٩١

(٥) قال تعالى في الإفراد: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ سورة طه: الآية ٣٩
وقال تعالى في التثنية: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ سورة البلد: الآية ٨ ولكن لم ترد العين في التثنية نسبتها إلى الله تعالى.
وقال تعالى في الجمع: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ سورة الطور: الآية ٤٨
وللعين معانٍ أربعة وردت في القرآن الكريم، يراد بها الحقيقة تارة، والمجاز تارة أخرى. ينظر: النيسابوري: وجوه القرآن: ٤١٢-٤١٣

(٦) سورة البقرة: الآية ١١٥

ذكر المفسرون أنَّه ليس المراد بالوجه الجارحة؛ لتنزيهه سبحانه عن التجسيم، بل المعاني الأخرى مثل: القبلة، والقصد وغيرهما. ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٢٠٦/١ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٥٩/١ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢١/٤-٢٢

يَسْتَطِيعُون﴾ [١]، و[قال تعالى:] ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ [٢] كناية تهديدية شايعة كآية: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾. [٣]

فلو جمعنا كنايات القرآن لزم أنْ نُشَبِّه الباري بإنسانٍ ذي وجه وأيدٍ [٤] كثيرة، كلها يمين، وأعين كثيرة، وجنب واحد، وأذن واحدة، وساق ورجل واحدة، وهذا يكون أقبح شيء، كمعشوقة الشعراء الخيالية، في حين أنَّ وجهه يملأ العالم [٥] للآية: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله﴾، فلا يترك محلاً لساقه [و] أيديه وجنبه.

---

(١) سورة القلم: الآية ٤٢ سيأتي بيان ما يتعلق بالآية.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٣١

ذكر المفسرون أنَّ الآية في مقام الوعيد والتهديد، وليس المراد بـ(التفرُّغ) هو وجوده في حيِّز من المكان؛ لتنزيهه سبحانه عن التجسيم. ينظر: الفراء: معاني القرآن ١١٦/٣ ، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٤٧٣/٩ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٤٤٨/٤

ومن لطيف ما ورد في بيان الآية الشريفة قول "السبكي": ((وهو مجازٌ عن مبالغتِهِ في حسابِ الثقلينِ، ومجازاتِهم على أفعالِهم، فإنَّ مَنْ كَثُرَتْ أشغالُهُ لم يتأتَّ منه مع الاشتغالِ بها المبالغةُ فيما يريدُ من أفعالِهِ، ومَنْ تفرَّغَ لشيءٍ أتى به بكمالِهِ؛ إذ لا شاغلٌ لَهُ عنه، ولا مانعٌ لَهُ منه)). مجاز القرآن: ٢٥١

(٣) سورة المدثر: الآية ١١

ذكر المفسرون أنَّ الآية في مقام الوعيد والتهديد، وما المراد بـ(وحيدًا) ومعاني انصراف اللفظ إليها. ينظر: الفراء: معاني القرآن ٢٠١/٣ ، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١٧٥/١٠ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٦٤٩/٤

(٤) في الأصل: أيدي.

(٥) إنَّ قوله: (وجهه يملأ العالم) تعبير لطيف جدًّا، يدل على كمال توحيده في عدم انقطاعه تعالى عن خلقه، فلا يخلو منه زمان أو مكان، ففي أي لحظة، وفي أي بقعة يتوجه العبد إلى مولاه يراه عنده، وفي ذلك أعظم تجليات العرفان الإلهي.

وقد تَسَتَّرَ بعض الحنابلة المجسمة كـ"ابن تيمية" ومَنْ تقدم عليه عن هذه الفضائح بقولهم: إنَّ يمينه تليق بذاته، وله عين تليق بذاته. (١)

وقد ذكر لي يومًا نقيب أشراف بغداد ورئيسنا في الوزارة [عبد الرحمن النقيب] (٢) اعتقاده بذلك (٣)، فأجبته أنْ لا ينفعكم هذا التخلُّص؛ إذ يلزمكم أنْ تقولوا فيه بطن تليق بذاته، وفرج تليق بذاته، وبول يليق بذاته، ودم يليق (٤) بذاته، وهكذا من الكفريات، والعياذ بالله منها.

قال: فكيف التخلص.

قلت: بالمجاز والاستعارة المشحون منهما القرآن، وبهما يمدح كلام البلغاء، والتجوُّز لا يستدعي شيئًا معيبًا، ولا يحتاج إلى تقدير ما يليق بذاته، ألا ترى أنَّ مَنْ

(١) ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: شرح العقيدة الأصفهانية، تح: إبراهيم سعيداي، (مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ): ٤٩-٥١ ، ابن تيمية: التدمرية، تح: الدكتور محمد بن عودة السعودي، (مكتبة العبيكان، الرياض، ط٦، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م): ٣١-٣٢ وغيرهما من مؤلفاته

(٢) عبد الرحمن بن علي بن سلمان القادري الكيلاني، نقيب أشراف بغداد، ولد سنة (١٢٦١هـ/١٨٤٥م) في بغداد، ترأس وزارة العراق الأولى في زمن الملك فيصل الأول سنة (١٩٢٠م)، أمضى المعاهدة الأولى مع البريطانيين في عهد الملك فيصل الأول، توفي سنة (١٣٤٥هـ/١٩٢٧م). الزركلي: الأعلام ٣١٩/٢ ، الخطاب: رجاء حسين: عبد الرحمن النقيب حياته الخاصة وآراؤه السياسية وعلاقته بمعاصريه، (المكتبة العالمية، بغداد، ط١، د.ت): ٩

(٣) أي: بالتجسيم.

(٤) في الأصل: يلق.

يقول: (وإذا المنية أنشبت أظفارها) [١] لا يُقَدِّر ظفرًا يليق بالمنية، وإنما يتخيل الظفر بمعنى أوسع وأعم مما نتصوره للإنسان، وهو آلة التعلق وواسطة التأثير، ولا ريب في ثبوتها للمنية حقيقة.

إذن فالواجب أنْ نتجوَّز في جميع مجازات القرآن بالتوسُّع، والتصرُّف في المستعار، أي الظفر واليد، لا في المستعار له وهو المنية والله تعالى، فلا يبقى ثمة إشكال. [٢]

- المورد السابع عشر:

قال [٣]: أُفسِّرُ [٤] آية: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي* وَٱدْخُلِي جَنَّتِي﴾ [٥] بأنها خطاب على سبيل الرواية التمثيلية بلسان الحال [٦]، بالرجوع إلى الله تائبًا، أو متوكِّلاً عليه، أو فانيًا فيه وميتًا.

---

(١) تقدم ما يتعلق بهذا الشطر من البيت.

(٢) إنَّ هذه مسألة مهمة جدًّا يجب الالتفات إليها عند دراسة الآيات القرآنية، أو الأحاديث الشريفة التي تضمنت ذكر الجوارح، بعد أنْ ثبت في علم الكلام تنزيهه تعالى عما لا يليق به من التشبيه والتجسيم وغيرهما.

(٣) مخطوط الحواصل ٥/٢٣٠

(٤) في الأصل: فسر.

(٥) سورة الفجر: الآيات ٢٧-٣٠ وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ٥/١١٤

(٦) لم يذكر المفسرون مثل هذا.

*** ثانيًا: الاستعارة.**

لقد ذكر السيد "الشهرستاني" ما يتعلق بأهمية الاستعارة وأثرها في البلاغة عمومًا، وفي الآيات القرآنية بشكل خاص، ونذكر ذلك ضمن موارد (ثلاثة).

**- المورد الأول:**

قال [١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. [٢]

إنَّ أصل الصراط [٣] من سرط بالسين بمعنى المرور بالزلق؛ ولذلك يقال لابتلاع الطعام سَرْطًا، ويسمى البلعوم مِسْرِاطًا [٤]، ويسمى المسلك المسرّح الذي يعين سالكه في الحركة سراطًا تشبيهًا له بـ(البلعوم) الذي يمر الزاد منه بلطف وسرعة [٥]، كما سُمِّي مثل هذا السبيل لقمًا؛ لأنه يلتقم السابلة. [٦]

قال "الراغب": سُمِّي بـ(الصراط) بناء على تَوَهُّم أنه يبتلعُ سالِكَهُ، أو يبتلِعُهُ سالِكُهُ[٧]، كما يقال: أكلته المفازة إذا أضمر به، أو أكل المفازة إذا قطعها. [٨]

---

(١) مخطوط المسودات القرآنية: ١٧٩ ، وأشار إلى ذلك إجمالاً في تفسيره. ينظر: مخطوط التفسير المحيط: ٦

(٢) سورة الفاتحة: الآية ٦

(٣) في الأصل: ومنها الصراط أصله من سرط.

(٤) ابن منظور: لسان العرب (سرط).

(٥) الزمخشري: تفسير الكشاف ٥٧/١

(٦) الزبيدي: تاج العروس (سرط).

(٧) الصحيح "تصوُّرًا أنه يبتلعه"، وليس "توهُّمًا" كما ورد في المتن. الأصفهاني: المفردات غريب القرآن: ٢٣٧ (سرط).

(٨) المفازة: الصحراء. المعجم الوسيط (المفازة). ويراد به أسرع في قطع المسافة الطويلة في الصحراء التي تحتاج إلى وقت طويل لاجتيازها.

وقد [١] ٱستعمل القرآن ٱسم السراط في الموصِل للحق بالحق ٱستعارةً وتمثيلاً له بالسراط، من جهة أنه يعينُ سالكه في الحركة ويمرُّ السالك منه بلطفٍ وسرعةٍ فتدبر وٱغتنم. [٢]

– المورد الثاني:

قال [٣] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ٱشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. [٤]

ٱستعار القرآن لاختيار هؤلاء الغواية بدلاً عن الهداية على غرار قوله سبحانه في [قوم] "ثمود": ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى﴾ [٥] فعبَّر في هذه عن الاختيار بالاستحباب، وفي آيتنا بالشراء، وهذه [الشراء] أبلغ منها ومن كلمة الاستبدال التي هي أوسع شمولاً من الشراء [٦]، فتوهَّم المفسرون للشراء

(١) في الأصل: وقد قارب الحق، ولما يلحق فالحق ما سبق وقد ٱستعمل.

(٢) ينظر: الدرويش: إعراب القرآن وبيانه ٣٣/١

(٣) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٦

(٥) سورة فصلت: الآية ١٧

(٦) إنَّ هناك فرقًا واضحًا بين الشراء والاستبدال، وإنَّ ٱستعمال لفظ الشراء الدال على المعاملة بين طرفين في غاية الدقة في أداء المعنى المراد، قال "الدرويش" بعد بيانه للفرق بين المصطلحين: ((إذا عرفتَ هذا أدركتَ السرَّ في ٱختيارِ "ٱشتروا" على "ٱستبدلوا"، وتبينتَ أنَّ القرآنَ –وهو أعلى درج البلاغة– لا يختارُ لفظًا على لفظٍ من شأنه أنْ يقومَ مقامَهُ إلا لحكمةٍ في ذلكَ، وخصوصيةٍ لا توجدُ في غيرِهِ)). إعراب القرآن وبيانه ٥٥/١–٥٦

بالاستبدال[١]، ولو فسروها بالاستملاك لكان أوجه [٢]، والشراء في العرف والشريعة ٱستملاك شيء غير مملوك لك بثمن مملوك لك [٣]، ومن هنا نشأت ٱستعارات حِسان في الآية. [٤]

- المورد الثالث:

قال [٥] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾.[٦]

(١) إنَّ للمفسرين رأيًا لطيفًا في المسألة وقد بَيَّنوا ذلك في تفاسيرهم؛ إذ حقيقة الشراء من جانب –كما ذكروا– هو ٱستبدال المال بشيء آخر وهو المشترَى. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٨٣/١ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ١٠٧/١ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٣١١/٢

(٢) يرى الباحث أنَّ الاستملاك يعني المِلكية، ولا توجد مِلكية حقيقية أو إضافية في الموضوع؛ لذلك أنَّ لفظ (الشراء) هو أكثر دقة؛ لأنَّ الإنسان يدفع مالاً في طريق ضلالة مع علمه أنَّ هذا الشيء هو ليس له، وهذا خسران كبير، فالملكية تكون حينئذٍ لأيِّ شيءٍ والأمر غير ماديٍّ لِيُمَلَّك !!، فضلاً عن أنَّ العرب تطلق لفظ الشراء على كُلِّ مَنْ ترك شيئًا وتمسَّك بغيره. ينظر: لسان العرب مادة (شرى).

(٣) وهناك شروط معلومة يجب أن تتوافر في البيع والشراء فصَّلها الفقهاء في كتبهم. ينظر: المحقق الحلي، جعفر بن الحسن: شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، تع: السيد صادق الشيرازي، (دار القارىء، بيروت، ط١١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م) ٢٧٧/٢–٢٧٨ وغيره

(٤) في الآية الشريفة صورة واضحة تحاول زيادة بيان ضلال المشركين، والتأكيد على ذلك، وهذه دعوة من الله تعالى لعباده في ٱختيار التجارة الرابحة في الدنيا والآخرة، وللتفصيل في بيان أثر هذه الصورة القرآنية ينظر: السلامي، بنائية الصورة القرآنية: ١٧٧

(٥) مخطوط نتائج الحلوم: ٢٩٥

(٦) سورة النبأ: الآية ٢٤

يمكن أنْ يكون (برد) بمعنى الثلج [١]، أو بمعنى النوم [٢]، وفي الإذاقة ٱستعارة فٱغتنم. [٣]

* ثالثًا: المجاز.

إنَّ المجاز من أهم مباحث علم البيان في البلاغة العربية، وقد تضمن القرآن الكريم ذلك كثيراً، وكانت العرب تشتهر بذلك في كلماتهم، وأراد القرآن إقامة الحجة عليهم بعجزهم عن الإتيان بكلام من مفردات وفنون كلامهم، وتكمن أهمية المجاز في القرآن الكريم في الآيات التي لها علاقة بالعقيدة الإسلامية وخصوصًا ما يتعلق بمبحث توحيد الله تعالى، وقد أشار السيد "الشهرستاني" إلى

(١) أي الماء البارد الذي يطفىء حرارة نار جهنم وينفِّس عنهم ذلك. الزمخشري: تفسير الكشاف ٦٨٩/٤

(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢٨٢/٢ ، الفراء: معاني القرآن ٢٢٨/٣ ، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٢٤٤/١٠

(٣) إنَّ السيد يرى أنَّ لفظ (الذوق) في الآية هو تعبير مجازيٌّ وليس حقيقيًّا، ولم يذكر ذلك المفسرون وفق ٱستقصاء التفاسير من قبل الباحث، وهو وجه لطيف يمكن الركون إليه في نفي أي راحة عن الطغاة تسكِّن آلامهم؛ لأنهم يمنَّون الموت في ذلك الموقف تسكينًا وقطعًا لآلامهم من العذاب كما قال تعالى في وصف ذلك الموقف: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [سورة الزخرف: الآية ٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ [سورة غافر: الآية ٤٩]، ولكن يرى بعض أنَّ صرف (البرد) إلى معنى النوم فيه تكلُّف، وإنَّ المعنى المعهود للماء البارد أكثر نسقًا في سياق الآية مع قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ﴾. ينظر: الدرويش: إعراب القرآن وبيانه ١٩٩/٨

ذلك في موضوعات متعددة عند حديثه عن الفنون الأخرى، ولكننا نذكر هنا ما يختص به، وقد كان في موارد (أربعة).

- المورد الأول:

قال [١]: لا شك في كثرة الكنايات والاستعارات والمجازات العقلية واللفظية في محاورات العرب، وفي غيرهم من العرف، ولا شك في أنَّ القرآن كان نزل على نهج المحاورات العرفية في ذلك العصر، فلا شك في اشتماله على المجازات العقلية واللغوية.

وإلى هنا نتوافق مع المفسرين والمؤوِّلين [٢]، لكنه نفترق في أننا نقتصر فيها على ما إذا كانت له قرائن لفظية وعقلية بديهية [٣]، والمؤوِّلون يعتمدون حتى على القرائن الفكرية البعيدة حسبما يشتهون [٤]، ولا شك أنَّ الكتاب الهادي للعموم لا يجوز له أنْ يترك القرينة اللفظية، إلا فيما كان وضوح أمره من البداهة، بحيث يستغني عنه حتى العوام، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [٥]، وكما قيل في قول الشاعر:

---

(١) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط البندريات، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ١٦

(٢) في الأصل: والمأولين.

(٣) إنَّ القرينة مسألة مهمة في صرف اللفظ من معناه الحقيقي الظاهري إلى المعنى المجازي الذي يريده المستعمل له، مع كون تلك القرينة معروفة لدى المتلقي.

(٤) أي إنَّ هؤلاء يفسِّرون النص على وفق ما يريدونه، ادعاء منهم بوجود قرينة تصرف اللفظ عن معناه إلى المعنى الذي يريدونه، وفي ذلك إشارة إلى تفاسير الباطنية أو المتصوفة، وغرابة تفسيرهم، وهذا لا يكون في كتاب الله تعالى؛ لأنه كتاب هداية للبشرية كلها، ويجب أنْ يكون ظاهرًا للجميع، من غير لَبْسٍ أو تعقيد.

(٥) سورة الفتح: الآية ١٠ تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

فَإِنَّ تَميمًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَلِدَ الحَصَى – أَقَامَ زَمَانًا وَهُوَ فِي النَّاسِ واحِدُ [١]

و[قوله تعالى]: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [٢]، و[قوله تعالى]: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾[٣]، و[قوله تعالى]: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. [٤]

(١) البيت من قصيدة لـ"الفرزدق" وقد عيَّرتْهُ امرأته "النوار" بأنه لا يولد له ولد، ولا يوجد ذلك في ديوانه المطبوع. ينظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٤٧٣/١

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٦

إنَّ البياض والسواد في الآية الشريفة يمكن أنْ يراد به الحقيقة أو المجاز، وهناك قرائن عليهما، وقد رجح المفسرون الحقيقة فيهما على المجاز. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٥٥٢/٢ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٦٠/٢ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٣١٨/٨

(٣) سورة الإنشقاق: الآية ١٠

لم يذكر المفسرون إرادة المعنى المجازي دون الحقيقي لـ(الظهر) في قوله تعالى: ﴿وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾. ينظر: الفراء: معاني القرآن ٢٥٠/٣ ، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٣١٠/١٠ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٧٢٧/٤ وغيرهم

ولعل السيد "الشهرستاني" قد صرف المعنى إلى المجازي بقرينة أنَّ الإنسان إذا كان قد عمل عملاً قبيحًا يحاول أنْ يخفيه عن الآخرين؛ لذلك عبَّر تعالى بـ(الظهر) مقابل اليمين، دون قوله بشماله، وأرى أنَّ في ذلك وجه يمكن القول به دون تكلُّف.

(٤) سورة هود: الآية ١١٩

لم يذكر المفسرون للآية الشريفة سوى المعنى الحقيقي لها، ولا نعلم سبب المجاز في الآية كما يراه السيد "الشهرستاني"، ولعله أراد أنَّ (الإملاء) لجهنم هو مبالغة في الكثرة والازدحام بالنسبة للداخلين إلى النار.

– المورد الثاني:

قال [١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾. [٢]

قال [الشيخ] "المفيد" في [كتاب] "تصحيح الاعتقاد": إنَّ المراد من الخداع والمكر الجزاء عليهما، فإنَّ العرب قد تسمي الجزاء باسم العمل، كما تسمي المؤثر بأسم الأثر[٣]، ونظيره في القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [٤] فسمَّى مال اليتيم المأكول ظلمًا نارًا وهو الجزاء له. [٥]

أقول: وهذا عند أهل البيان من المجاز بأعتبار ما يكون [٦]، وبعلاقة الأَول كما في آية: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [٧]، ويأتي تمام القول في آية: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ

(١) مخطوط التفسير المحيط: ٣

(٢) سورة البقرة: الآية ٩

(٣) ص٥

(٤) سورة النساء: الآية ١٠

(٥) ينظر ما يتعلق بذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٧٤]: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٨٨/٢ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢٠٥/٥

(٦) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٠٩

(٧) سورة يوسف: الآية ٣٦ ، قال "الزمخشري": ((يعني عنبًا ، تسمية للعنب بما يؤول إليه)). ٤٤٢/٢ ، وينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤٠١/٥ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٤٥٤/١٨

يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (١)، وآية: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِين﴾ (٢)، فالمكر من الله الجزاء، ومن العبد العمل، كذلك الخداع. (٣)

- المورد الثالث:

قال (٤) في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اْشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. (٥)

يتفنن القرآن كأبلغ خطيب في حكاياته وكناياته، وأنواع مجازاته وٱستعاراته، كما ٱستعار عن ٱستبدال الهدى بالضلالة في لفظة الشراء والتجارة، وإرداف ذلك بمناسباتها من ربح وخسارة (٦) في الاتجار على شاكلة الاستعارة المرشحة، وهي على أقصى حدود البلاغة (٧)، ولما كان التاجر جُلَّ أُمنيته في الربح، وكُلُّ أُمنيته في ٱستبقاء رأس المال، قضى ربك على المنافقين بخسارٍ ليس ما دونه خسار، وهو

(١) سورة النساء: الآية ١٤٢ ، لم يتم الحصول عليه في مخطوطاته.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٤ ، لم يتم الحصول عليه في مخطوطاته.

(٣) ومن لطيف ما ورد حول هذه الآية الشريفة ما قاله الشيخ "العز بن عبد السلام": ((معنى ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: يعاملونَهُ معاملَةَ الخادعِ، فهو مجازُ تمثيلٍ؛ إذ أشبهَتْ معاملتهُمُ الربَّ معاملَةَ الخادِعِ للمخدوعِ، ومخادعتهُمُ الذين آمنوا حقيقةٌ، فقد جمعَ في ﴿يُخَادِعُونَ﴾ بين حقيقةِ المخادعَةِ ومجازِها)). مجاز القرآن: ٢٥٧

(٤) مخطوط التفسير المحيط: ٥ تحت عنوان (وجوه بلاغة الآية)

(٥) سورة البقرة: الآية ١٦

(٦) في الأصل: وخسار.

(٧) قال "الدرويش": ((في هاتين الآيتين [هذه الآية والتي بعدها] من فنون البلاغة ما تضيق عنه الصحف)). ١/٥٥

حرمانهم من الأُمنيتين، فلا هنالك ربح يبقى، ولا رأس مال، وهذا مظهر آخر من مظاهر ٱستهزاء الله بالمنافقين الذين أمَّلوا من وراء نفاقهم ٱزدياد منافعهم المادية والمعنوية، لكنهم خسروا جميعًا، وإسناد الربح إلى التجارة ضرب لطيف من سبك المجاز من المجاز. (١)

فالتجارة هنا مجاز لفظي، وإسناد الربح إلى التجارة دون التاجر مجاز عقلي، وكلاهما سائغ شائع، حتى قيل: تجارة رابحة، وتجارة لن تبور، [كما قال تعالى:] ﴿وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيم﴾ (٢) [وقال تعالى:] ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾. (٣)

– المورد الرابع:

قال (٤) في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾. (٥)

وحقيقة الصم مَنْ لا يسمع شيئًا من بطلان القوة أو الآلة منه (٦)، وقد أوضح ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

(١) ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ١٠٧/١ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٣١١/٢ ، الدرويش: إعراب القرآن وبيانه ٥٥/١

(٢) سورة النحل: الآية ٦٠

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٥

(٤) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٨

(٦) ٱبن منظور: لسان العرب مادة (صمم).

أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾[١]، والأبكم مَنْ لا ينطق كذلك فهو أشد من الأخرس، وقيل: مَنْ لا يعقل كالبهائم، والأعمى مَنْ لا يبصر شيئًا، لبطلان قوة العصب، أو بطلان آلة من العين منذ الولادة أو لعارض بعدها، ويستعمل للأصم على سبيل المجاز في مَنْ لا يصغي إلى قول لعدم ميله إلى فهمه حقًّا كان أو باطلاً، وكذا الأبكم في مَنْ لا يتكلم في مواقع الكلام كالأخرس.

أما الأعمى فيستعمل مجازًا في مَنْ يرى الصواب ولا يعمل به، كالذي لا يبصره، وهذه الآية من المجازات المشهورة في القرآن بداهة أنَّ المشركين لم يكونوا صُمَّ الأذان، ولا خُرْسَ الألسن، ولا عُمْيَ الأبصار، وإنما وصفوا بذلك لعدم ترتيبهم الأثر على ما سمعوه، أو عقلوه، أو أبصروه، فعوملوا معاملة من لا آلة له كما سبقت الإشارة إليه في آية: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم﴾ وكما يأتي في آية أخرى، ٱستعار هذه العيوب لهم لليأس عن أية فائدة لهم في المجتمع.[٢]

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٩

(٢) ينظر: ٱبن أبي الإصبع: بديع القرآن ٢/٨٦

* رابعًا: الكناية.

لقد ذكر السيد "الشهرستاني" ما يتعلق بالكناية وأثرها في نظم الآيات القرآنية، وأهمية أستعمالها في بيان بلاغة القرآن الكريم، مجاراة لكلام العرب المتضمن للكناية، ونذكر ذلك ضمن موارد (أثني عشر).

- المورد الأول:

قال [١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم﴾. [٢]

عادة القرآن في إنشاء الكلم على أساليب البلغاء، فلا تحصى مجازاته وكناياته، كما لا تحصى أمثاله وتشبيهاته، فما سبيل آية: ﴿ختم اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أو [آية:] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [٣] إلا سبيل ما يتلوها من قوله: ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ حين لا ترى غشاوة، أو سبيل قوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [٤] حينما لم يكن الكافرون صُمًّا وبُكْمًا وعُمْيًا في ظاهر الحس، وحقيقة اللفظ أنه [٥] جرى القرآن فيهم مجرى البلغاء الذين يُنَزِّلون مَنْ لا يعمل الحق إذا سمعه منزلة الأصم، ومن لا يجتنب الخطر إذا

(١) مخطوط تفسير المحيط أوراق مخطوطة غير مرقمة.

(٢) سورة البقرة: الآية ٧

(٣) سورة النحل: الآية ١٠٨

(٤) سورة البقرة: الآية ١٨

(٥) في الأصل: وإنما.

رآه منزلة الأعمى، ومن لا ينطق بالحق إذا أعتقده منزلة الأبكم [١]، كما يقولون: ((الساكِتُ عن الحَقِّ شيطانُ أخرسُ)) [٢]، كذلك القرآن في تسجيل الغباوة على الكافرين، والمبالغة في معارضتهم للحق والحقائق، يجري مجرى التنزيل والتشبيه بأنهم كالذين ختم الله على قلوبهم لو صح هناك ختم حِسِّي، أو كالذين طُبِعَ على قلوبهم لو صح على القلب طابع حِسِّي، كما قال في من [٣] لا يتذكر من نصائح المصلحين: ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [٤] حينما لا وقر في أذنيه، ولا فيهم أخرس، أو أصم. [٥]

(١) ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٨٩/١ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ١١٢/١ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١١٥/١

(٢) هذه مقولة مشهورة وليست بحديث، وقد ذكرت في موارد متعددة، فقد ورد عن "النووي" بروايته عن "أبي القاسم القشيري" قوله [أي القشيري]: ((وَسَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ الدَّقَّاقَ [ت٤٠٦هـ/١٠١٥م] يَقُولُ: مَنْ سَكَتَ عَنِ الحَقِّ فَهُوَ شَيْطَانُ أَخْرَسُ)). يحيى بن شرف: شرح صحيح مسلم، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، د.ط). ٢٠/٢

(٣) في الأصل: فيمن.

(٤) سورة لقمان: الآية ٧

(٥) ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٤٩٨/٣ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٧٧/٨

**- المورد الثاني:**

**قال [١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الخَاشِعِينَ﴾. [٢]**

**إنَّ هناك تناسبًا [٣] بين الصبر والصلاة [٤]، فالصبر كناية عن الجهاد [٥]، فهو [٦] خير آلة للاستفادات الأممية، والصلاة خير وسيلة للاستفادات الروحية. [٧]**

---

(١) مخطوط الحواصل ١٤٩/٥

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٥

(٣) في الأصل: تناسب.

(٤) في الأصل: فسر آية (واستعينوا بالصبر والصلاة) والتناسب بينهما أنَّ الصبر.

(٥) إنَّ جميع التفاسير قد ذكرت أنَّ المراد بـ(الصبر) في الآية الشريفة في بعض تفاسيره هو (الصوم)، اعتمادًا على روايات كثيرة وردت في ذلك عن النبي وآله (عليهم السلام)، ولم يُذكر فيها الجهاد مطلقًا. ينظر: العياشي: تفسير العياشي ٦٢/١ ، القمي: تفسير القمي ٤٦/١ ، الطبري: جامع البيان ١١/٢ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ١٦٢/١

أما ما ذكره بأنَّ المراد به (الجهاد) فيمكن ذلك من حيث المصاديق للمفهوم، لا من حيث التفسير للآية، فالجهاد يعد من مصاديق الصبر، بل من أعظم مصاديقه؛ لما فيه من المعاناة الكبيرة وما يحتاج ذلك إلى الصبر على جهاد النفس.

(٦) في الأصل: فهي.

(٧) إنَّ هذا بيان مهم منه في الإفادة من العبادات التي وردت في الشريعة المقدسة في حياة الفرد والمجتمع من الناحية العملية؛ لئلا تبقى العبادة لأجل العبادة، بل بعث روح العمل مع العبادة، فالجهاد عِزٌّ للإسلام كما روي في خطبة "الزهراء" (عليها السلام)، فهو عِزٌّ للإسلام والمسلمين سواء أكان الأصغر منه، أم الأكبر، وأما الصلاة فلا يخفى عظمتها في تهذيب الروح للفرد وأثره في بناء المجتمع، ويمكن الاطلاع على الآيات والروايات التي وردت في بيان أثرهما في البناء الإنساني.

- المورد الثالث:

قال [١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿فاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾. [٢]

وقعت [٣] لكثير من قدماء المفسرين خطيئات في تمييز الحقائق من وجوه المجاز، وضروب الكناية والتمثيل، فأنشأوا من سوء التفسير أباطيل وأضاليل [٤]، في

(١) مخطوط الدلائل والمسائل ١٤١/٥ ، وهو جواب لسؤال نصه: ((هل صح ما جاء في تفسير [قوله تعالى:] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: الآية ٥٤] من أنَّ بني إسرائيل أمرهم الله أنْ يقتلوا أنفسهم بعضهم بعضًا وموسى (عليه السلام) وهارون ينظران إليهم .. إلخ، وكيف يجوز في شريعة العقل أنْ يأمر الله أو الأنبياء أممهم أنْ يقتل بعضهم بعضًا، أو يقتل أحدهم نفسه)).

(٢) سورة البقرة: الآية ٥٤

(٣) في الأصل: وقع.

(٤) إنَّ أغلب التفاسير لهذه الآية الشريفة تذكر أنَّ المراد بالقتل هو القتل الحقيقي، دون المجازي وقد أشارت إلى ذلك التفاسير، فضلاً عن الروايات التي يروونها في أنَّ ذلك توبة لهم، والسؤال الذي يَرِدُ في المقام هل أنَّ عقوبة عبادة العجل هو القتل بالطريقة التي تذكرها الروايات المختلفة، فيكون عدد المقتولين في رواية سبعين ألفًا، وأقلُّها عشرة آلاف، وما في ذلك من سفك للدماء الكثيرة، فالأمر يحتاج إلى تأمل وتدبُّرٍ، وقد فصَّل المفسرون في الآية بما يتعارض مع ما ذُكِر في المتن للسيد "الشهرستاني". ينظر: الزمخشري: الكشاف ١٦٨/١ ، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٢٤٦/١-٢٤٧ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢١٨/١-٢١٩ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٥١٦/٣-٥١٧ ، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ١٨٩/١ ، السبزواري: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢٤٠/١

شروح[١] ما أنزل الله بها من سلطان، مَثَلَهُم مثل من أَمَرَهُ سيده أنْ يقطع لسان شاعر قد هجاه، فأخذ سكينًا وذهب ليقطع لحمة اللسان من فمه، ولم يعرف أنَّ قطع اللسان كناية عن الإحسان إليه، فإنَّ الإحسانَ يقطعُ اللسانَ[٢]، وبالبرِّ يُستعبدُ الحُرُّ[٣]، وخيرُ غطاءٍ للخَطَّاءِ عطاءٌ.[٤]

نعم ذاك كهذا المفسر الجاهل سمع أمر الله لبني إسرائيل بقتل أنفسهم فأختلق من نفسه هذه القضية الفظيعة، وبني على أوهامه علالي وقصورًا[٥]، ولم يدرِ أنَّ النفس كثيرًا ما تستعمل في إرادة القلب، وشهوة العاطفة، فتقول لِمُحِبِّكَ: (هل لك نفس في شراء هذه)، وقال شاعرهم:

فَبَاتَتْ له نَفْسَانِ شَتَّى هُمُومُها – فنَفْسٌ تُعَزِّيهَا ونفْسٌ تَلُومُها[٦]

---

(١) في الأصل: شرح.

(٢) البحراني، ميثم بن علي: شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب "عليه السلام"، تص وتع: مير جلال الدين الحسيني الأرموي، (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، د.ط، د.مط، د.ت): ١٨٤

(٣) المصدر نفسه: ١٤١

(٤) أظن أنها من كلمات السيد "الشهرستاني".

(٥) لا أعلم هل يقصد السيد مفسِّرًا معيَّنًا يوجِّه إليه الانتقاد والتجريح، لكننا قد تتبعنا أغلب التفاسير فكان تفسيرهم للتوبة قائمًا على القتل الحقيقي الواقعي.

(٦) في الأصل: فباءَتْ لها نفسانِ شتى همومِها – فنفسٌ تُعَزِّيه وأُخرى تلومُها

البيت لـ"الممزق العبدي" وقيل لـ"معقر بن حمار البارقي" إذ يقول:

أَلاَ مَنْ لِعَيْنٍ قَدْ نَآهَا حَمِيمُهَا – وَأَرَّقَنِي بَعْدَ المنَامِ هُمُومُهَا

فَبَاتَتْ له نَفْسَانِ شَتَّى هُمُومُها – فنَفْسٌ تُعَزِّيهَا ونفْسٌ تَلُومُها

الشريف المرتضى: الأمالي ٢/٧

أي إرادة وإرادة، وقد أمر الله أبناء [بني] إسرائيل أنْ يقتلوا أنفسهم أي إرادات قبيحة لهم، وشهوات عاطفية فيهم كانوا يجنحون إليها، ويتـدللون بهـا عـلى موسـى وهارون، فأراد أنْ يسلك بهم سبل الرياضة الباطنية، وتصفية النفس حتـى يفـوزوا بحظوي [١] السعادات الباقية، والدرجات الراقية. [٢]

(١) حظوي أي القرب من الشيء والمنزلة. ٱبن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة (حظوي)

(٢) إنَّ الباحث يحاول –بإيجاز– بيان مسألتين تتعلقـان بالآيـة الـشريفة، وإنكـار الـسيد "الشهرستاني" للقتل بالطريقة المعهودة لإتمام الفائدة للباحثين:

١– إنَّ القاضي "عبد الجبار" قد أنكر القتل في الآية الشريفة كما نُقِلَ عنه ذلك، قال "الآلوسي" في تفسيره: ((وأنكر القاضي "عبد الجبار" أنْ يكونَ اللهُ تعالى أمـرَ بنـي إسرائيـلَ بقتـلِ أنفسهِم وقال: لا يجوزُ ذلكَ عقلاً إذ الأمرُ لمصلحةِ المكلَّفِ، وليسَ بعـد القتـلِ حـالُ تكليفٍ ليكونَ فيه مصلحةٌ)). روح المعاني ١/٢٦٠ ، وكذلك قد ورد في بعض التفاسير للقتل هو الاستسلام للقتل، وليس القتل الفعلي، قال "أبو حيان الأندلـسي" في تفـسيره: ((في المسألة] ثلاثة أقوال: قتلُ الذينَ عبدوا العجلَ. وقال ٱبـن إسـحاق: أُمِـروا بـأنْ يستسلموا للقتلِ، وسُمِّيَ الاستسلام للقتل قتلاً على سبيل المجاز. وقيل: معنـى فـاقتلوا أنفسكم ذَلِّلوا أهواءَكُم، وقد قدمنا أنَّ التقتيلَ بمعنى التذليل. فتلخَّصَ في قوله: ﴿فَاقْتُلُوا﴾ ثلاثة أقوال: الأول: الأمر بقتل أنفسهم. الثاني: الاستـسلام للقتـل. والثالـث: التـذليل للأهواء. والأولُ هو الظاهرُ، وهو الذي نقلَهُ أكثرُ الناسِ)). البحر المحيط ١/٣٦٧

٢– هناك قراءات أخرى للآية وردت عن غير القُرَّاء العشرة، ذكر "ٱبن جني" أنه رويـت عـن قتادة قراءة: ((فَاقتالوا أنفسكم)) من الاستقالة، أي يسأل ربه عزوجل أنْ يعفو عن نفـسه. ولكن على هذه القراءة يرى "ٱبن جني" أنَّ "قتادة" له وجه في قراءتـه هـذه لـو كانـت ((فٱقتالوا لأنفسكم)) أي: ٱستقيلوا لها، وٱستصفحوا عنها. ٱبن جني، أبو الفـتح عـثمان: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: عـلي النجـدي ناصـف، (الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القـاهرة، ١٤١٥هـ١٩٩٤م، د.ط) ١/٨٣–

- المورد الرابع:

قال [١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.[٢]

المَنُّ ٱسم طعام نباتي شهي، كثير الفوائد، والأصناف، والمشهور بين الأطباء وغيرهم أنَّ المَنَّ يتولد على أوراق الشجر [٣] من الذي يقال له: مَنِّ السِّما، وفي اللغات الإفرنجية يطلق عليه ٱسم (من) أيضًا [٤]، الأمر الذي يزيد قِدم هذا الاسم، وقِدم عهد ٱستعماله، وجاء ذكره في العهد القديم [٥]، ومن أصنافه ترنجبين وجزنجبين وشيرخشت [٦]، وتعمل منه حلويات لطيفة في أصفهان وإيران والعراق.

---

٨٤ ، وكذلك وردت قراءة ((فأقيلوا أنفسكم))، وقراءة ((فاقَّيَّلوا أنفسكم)). الخطيب: معجم القراءات ١٠٢/١

(١) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط خير الدلائل في أجوبة المسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٤٩ وهو جواب لسؤال نصه: ((ما هو المن والسلوى النازل على قوم موسى)).

(٢) سورة البقرة: الآية ٥٧

(٣) الراغب الأصفهاني: المفردات غريب القرآن: ٤٩٥ (منن) ، ٱبن منظور: لسان العرب مادة (منن) ، المعجم الوسيط (المنُّ).

(٤) the manna . ينظر: الموقع على الإنترنت www.almaany.com quran

(٥) العهد القديم: سفر الخروج، (دار الكتاب المقدس، ١٩٨٠م، د.ط، د.م) الأصحاح السادس عشر: ٨٧

(٦) ذكر المفسرون واللغويون أنَّ منه "الترنجبين" دون غيرهما من النَّوْعَين الآخرين. ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩٣/٢ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ١٧٠/١، ٱبن منظور: لسان العرب مادة (منن) وغيرهم.

وأما السَّلوى فاسم لطير شهي اللحم [١]، ونزولهما كناية عن الإنعام عليهم بهما [٢]، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [٣]، فليس المراد إنزال الحديد على الأرض من السماوات العُلا [٤]، وإنما الإنزال كناية عن الإنعام به على أهل الأرض. [٥]

(١) السجستاني: غريب القرآن: ١٠٧ (السلوى) ، الراغب الأصفهاني: المفردات غريب القرآن: ٢٤٩ (سلا) ، ابن منظور: لسان العرب مادة (سلا) ، المعجم الوسيط (السلوى).

(٢) إنَّ المفسرين جميعهم قد ذكروا أنَّ من النِّعَم التي أنعم الله تعالى بها على بني إسرائيل هو (المنُّ) الذي هو نوع من الحلوى، و(السلوى) الذي هو نوع من الطائر كما ذكرت آيات متعددة ذلك، وهذا ما كان أيام تيه بني إسرائيل، فـ(المنُّ والسلوى) كانا طعامًا أنزله الله تعالى عليهم نزولاً حقيقيًّا، وليس مجازًا، وكلام السيد "الشهرستاني" يُحتمل فيه أنَّ الله تعالى لم ينزل عليهم ذلك من السماء، وإنما هو موجود بينهم وقد هيَّأه الله لهم، وإنما استعمل لفظ (الإنزال) للعناية والاهتمام بالأمر، فإنْ صَحَّ هذا التوجيه لكلامه أو كان هو ما يقصده، فإنَّه توجيه منه لطيف جدًّا وإنْ لم نطَّلع على مثله للمفسرين؛ لأنَّ (المنَّ) هي الحلوى التي توجد على الأشجار كالعسل فتكون غذاءً، و(السلوى) هو طائر موجود كالطيور الأخرى، ولكنَّ الله سخَّرهما لهم أيام المحنة والشدة إنعامًا عليهم، وليس الإنزال كما يُفهم من الأعلى إلى الأسفل.

(٣) سورة الحديد: الآية ٢٥

(٤) في الأصل: العلى.

(٥) إنَّ المفسرين قد ذكروا أنَّ الله تعالى قد أنزل الحديد من السماء اعتمادًا على روايات في ذلك، وكذلك ذكروا أنَّه يمكن أنْ يكون المراد من الإنزال هو التهيئة والتنشئة من الأرض وهذا هو الأقرب للمعنى الحقيقي، والذي يرجحه السيد، فاستعمال لفظ (الإنزال) للعناية والاهتمام بالموضوع لا انطباق المعنى على لفظه حقيقة. للتفصيل في الأقوال ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٤٧٨/٤ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤٠١/٩

– المورد الخامس:

قال [١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾. [٢]

[إنَّ الملامسة] كناية عن الجماع بألفاظ مؤدبة [٣]، بقرينة ما جاء في قوله تعالى [٤]: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [٥]، فإنَّ المَسَّ هنا كناية عن الجماع بالإجماع [٦]، فغلط "الشافعي" إذ جعل المس واللمس في آية التيمم على معناه اللغوي، فحكم بنقض الوضوء من لمس ٱمرأة وإنْ كانت من المحارم. [٧]

---

(١) مخطوط الحواصل ١٨/٥

(٢) سورة النساء: الآية ٤٣

(٣) إنَّ فقهاء أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) يذهبون إلى ذلك إجماعًا بلا خلاف، وقد أكَّد ذلك شيخ الطائفة "الطوسي" بقوله: ((وقوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ كناية عن الجماع لا غير، بدليل إجماع الفرقة عليه))، وأما غيرهم من المذاهب الأخرى فقد ٱختلفوا في ذلك على أقوال متعددة، وقد فصَّل الشيخ "الطوسي" ذلك ببيان تامٍّ. الخلاف، تح: جماعة من المحققين في مؤسسة النشر الإسلامي، (مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم، ١٤٠٧هـ، د.ط) ١١٢/١-١١٤

(٤) في الأصل: بقرينة ما جاء في آية النساء.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٣٧

(٦) ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٢٧٢/٢ ، الزمخشري: الكشاف ٣١٣/١ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٢٥/٢ ، ٱبن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ٢٨٠/١ ، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ٢٤٩/١

(٧) الشافعي، محمد بن إدريس: الأم، (دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م) ٢٩/١ عنوان (الوضوء من الملامسة والغائط).

– المورد السادس:

قال [١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾. [٢]

مما أفسد التفاسير القرآنية والحديثية أنهم أخذوا الكنايات العرفية فيها حقائق لغوية، مثل قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ فإنَّ العُرف يُكَنُّون عن فَوَران الغيظ وٱنتهاء الغضب بقولهم: فار التنُّور، وٱمتلأ إنائي، وٱنفجر البركان، وتفطَّر قلبي، وغلغل صدري، فٱتخذه المفسرون حقيقة وقالوا: إنَّه كان هناك تَنُّورٌ[٣] يفور بالماء. [٤]

(١) أوراق مخطوطة ملحقة بمخطوط حديث مع الدعاة.

(٢) سورة هود: الآية ٤٠

(٣) في الأصل: تنورًا.

(٤) إنَّ أغلب التفاسير تشير إلى أنَّ المراد بـ(التنور) هو التنور المعهود والمعروف للناس، أي يتم تفسيره على الحقيقة، وقد ذكر بعضهم أنَّ المراد بقوله: ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ هو ٱشتداد الأمر الإلهي من دون ترجيحه على المعنى الأصلي المتقدم، ولكن عند مراجعة الأقوال الواردة في تفسير (التنور) وٱختلافهم فيه، وغرابة بعضها، يرى الباحث أنه يمكن القول: إنَّ ما يذهب إليه السيد "الشهرستاني" له وجهة راجحة، كما يقال عند الحرب: حمى الوطيس وقد أشار بعض المفسرين لحالة ٱشتداد المعركة في الحرب. للتفصيل ينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٧٨/٥ ، ٱبن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ١٠٥/٤ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٣٤٦/١٧-٣٤٧ ، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ٢١٧/١٢

ومثل ما جاء في أنه "لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها" [١]، أو "جعلنا عاليها سافلها"، أو "دمرناهم تدميرًا"، أو نحو ذلك مما يُكَنَّى [٢] به عن حدوث الفوضى في الأمة، وموتها الاجتماعي. [٣]

- المورد السابع:

قال [٤] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾. [٥]

(١) إشارة إلى الأحاديث الواردة في وجوب وجود الإمام المعصوم حجة لله على عباده في الأرض، ففي الحديث: ((عن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبد الله [الصادق] "عليه السلام": أتبقى الأرضُ بغيرِ إمامٍ؟ قال: لو بقيتِ الأرضُ بغيرِ إمامٍ لساخَتْ [أي ٱنخسفت بأهلها وذهبت بهم])). الكليني: الكافي ١٧٩/١ باب (إنه لو لم يبق في الأرض إلا رجلان لكان أحدهما الحجة) ١٠ وقد ذكر ثلاثة عشر حديثًا في ذلك.

(٢) في الأصل: يكنا.

(٣) تعبير مهم من السيد "الشهرستاني" بـ(الموت الاجتماعي) وذلك عند حدوث الفوضى في المجتمع على ٱختلاف أشكالها، ومَنْ يقرأ سيرته الإصلاحية يرى معاناته الكبيرة من موت المجتمع وعدم ٱهتمامه بدعوات المصلحين، وأنَّ لهذا الموت أثرًا بالغًا في التأخر والتقهقر، وهذا مصداق لقوله تعالى لإصلاح الأمة، وبعثها من موتها: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم﴾. [سورة الرعد: الآية ١١]

(٤) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط فوائد هبة الدين، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة) ٩٤/٥ ، الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط مختارات هبة الدين، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٣٨

(٥) سورة الإسراء: الآية ٢٩

قد عرفت أنَّ القرآن يفسِّر بعضه بعضًا، ففي سورة الإسراء [١] [قوله تعالى:] ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ يؤدِّبُ الله الإنسان على ٱعتداله في صرف ماله، بحيث لا يبخل بماله في سبيل الخير، ولا يسرف في الصرف[٢]؛ إذ عاقبة البخل الذل، فجاءت مغلَّة اليد كناية عن البخل، كما جاءت مبالغة بسط الكف كناية عن السرف في الصرف [٣]، وهما معًا مكروهان[٤]، ومذكوران لا على سبيل الحقيقة بالإجماع، فليس المنهي عنه بسط إليه، وسبيل هذه الآية سبيل قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا

(١) في الأصل: سورة إسرائيل. وهو ٱسم من أسماء السورة، ولن ثبَّتنا ما موجود في المصاحف اليوم.

(٢) قال الشيخ "النراقي": ((البخل هو الإمساك حيث ينبغي البذل. والإسراف هو البذل حيث ينبغي الإمساك. وكلاهما مذمومان، والمحمود الوسط وهو الجود والسخاء)). محمد مهدي: جامع السعادات، تص و تع: السيد محمد كلانتر، تق: الشيخ محمد رضا المظفر، (مط الآداب، النجف، ط٤، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م) ١١٢/٢

(٣) في الآية كنايتان، تتمثل الأولى في البخل، والثانية في الإسراف، وفي ذلك صورة بلاغية عظيمة أراد القرآن أنْ يعرض من خلالها حالتين مكروهتين من أحوال الإنسان في تصرفه بالأموال، وهذا ما أشار إليه العلماء والمفسرون في مؤلفاتهم. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٤٧٠/٦ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٦٢٠/٢ وغيرهما من التفاسير.

(٤) لقد أكدَّت الشريعة المقدسة على كراهة البخل والإسراف، وأنْ يكون حَدُّ ٱعتدال بين الإفراط وهو البخل والتفريط وهو الإسراف، وقد ناقش ذلك علماء الأخلاق في مؤلفاتهم وما يتعلق بذلك وأثره على النفس وتهذيبها، فضلاً عن الروايات الواردة في ذلك. للتفصيل ينظر: النراقي: جامع السعادات ١١٢/٢ ، الشيرازي، ناصر مكارم: الأخلاق في القرآن، (مؤسسة أم أبيها، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م) ٢٣٧/٢

قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (١)، فظاهر منها إرادة البخل من مغلة اليد، وكذا الإنعام من بسطها على سبيل التمثيل والكناية.

- المورد الثامن:

قال (٢) في قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾. (٣)

ينبغي لتنزيه "مريم" وطهارة مولد ولدها "عيسى" أنْ يعمد القرآن على أوضح التعابير التي لا يبقى معها أدنى شك، فلو قال: (أحصنت نفسها) أو نحو ذلك، لجاز للمُرتاب أنْ يقول: نعم، هي حفظت نفسها عن الموت، أو الجرح، أو السبِّ، لكنما في التعبير القرآني (٤) مجرَّد عن كُلِّ ريب.

فإنْ قلت: هذا التوجيه وجيه في "مريم" ولا يتجه في "فاطمة"، إذ يقول أبوها [صلى الله عليه وآله وسلم]: (إنَّ مريم ٱبنة عمران أحصنت فرجها فحرَّم الله ذريَّتها على النار، وكذلك ٱبنتي فاطمة أحصنت فرجها فحرَّم الله ذريَّتها على النار) (٥)، بينما لم

(١) سورة المائدة: الآية ٦٤

(٢) مخطوط مهمات ١٢٩/١١ وهو جواب لسؤال نصه: ((كيف يصرِّحُ القرآن بٱسم الفرج وباب مدخل الرحم، حينما القرآن يستعمل الكنايات البعيدة تأدُّبًا في أمثال هذه الموارد)).

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩١

(٤) أي قوله تعالى: ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾.

(٥) بعد مراجعة الباحث لموسوعات الأحاديث الشريفة لم ترد رواية بهذا النص تقارن بين "مريم" و"فاطمة" (عليهما السلام)، وإنما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: ((إنَّ فاطمةَ أحصنَتْ فرجَها فحرَّمَ اللهُ ذُرِّيَتَها على النارِ)). الشيخ الصدوق: معاني الأخبار،

يحم [١] حول هذه أدنى ريبة، ولا أقلَّ قولة، ولا هذا من آمتيازات "الزهراء" على النساء. [٢]

قلت: إنْ صَحَّتِ الرواية [٣] فالهدف فيها مجرد المشابهة والمساواة في المقام [٤]، لا في عموم المنزلة.

---

تص: علي أكبر الغفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٣٧٩هـ، د.ط): ١٠٦ ، الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين ١٥٢/٣

(١) هكذا في الأصل. أي: يحوم.

(٢) إنَّ السيد يقصد بعدمية الامتياز من ناحية أنَّ "فاطمة" (عليها السلام) كانت قد تزوَّجت فأنجبت بذلك ذرية، أما "مريم" (عليها السلام) فلم تتزوج مطلقًا ومع ذلك كانت لها ذرية، قال "الزمخشري": ((أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا إحصانًا كُليًّا من الحلال والحرام جميعًا كما قالت: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [سورة مريم: الآية ٢٠])). تفسير الكشاف ١٣٤/٣

(٣) إنَّ قوله هذا يدل على عدم جزمه بصحة الرواية، ولم يتحقق منها سندًا أو متنًا، وقد ذكرنا فيما تقدم عدم وجود رواية بهذا النص، ولكن مع ذلك فالمضمون متحقق في المقام بينهما.

(٤) والمراد أنَّ التشابه في جوانب متعددة من مقامهما، فـ"مريم" (عليها السلام) كانت سيدة نساء عالَمِها، و"فاطمة" (عليها السلام) هي سيدة نساء العالمين، و"مريم" كانت وعاءً لحجة الله في الأرض "عيسى" (عليه السلام)، و"فاطمة" كانت وعاءً لحُجَّتَي الله في الأرض "الحسن والحسين" (عليهما السلام)، وغير ذلك من تشابه المقامات كما بيَّنت الروايات الشريفة.

– المورد التاسع:

قال [١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾. [٢]

إنَّ السجود في الآية الشريفة [٣] كناية عن الخضوع لنواميسه، وإطاعته التكوينية. [٤]

– المورد العاشر:

قال [٥] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾. [٦]

---

(١) مخطوط الحواصل ٥/١١٠

(٢) سورة الحج: الآية ١٨

(٣) في الأصل: فسر في سورة الحج آية (ألم تر أنَّ اللهَ يسجدُ له) إلى قوله (والشجر والدواب إلخ ..) فالسجود هذا كناية عن الخضوع لنواميسه وإطاعته التكوينية.

(٤) إنَّ الآية الشريفة تؤكد المعنى اللغوي للسجود وهو الخضوع والتذلل والتواضع، والاصطلاحي له بوضع الجبهة على الأرض خضوعًا لله تعالى وهو ما يقوم به الإنسان، وقد أكَّد ذلك جميع المفسرين وإنْ لم يذكروا لفظ (الكناية) ولكنه ظاهر من تفسيرهم، ولهم فيه تفصيل، فما ذكره السيد وجيه، وفي محله، ولا سيما تعبيره بـ(الطاعة التكوينية) التي تشمل المخلوقات كلها، وإنَّ ٱستعمال القرآن الكريم للفظ (السجود) فيه غاية الدقة في ٱمتثال المخلوقات وخضوعها لخالقها، سواء أكان ذلك ظاهرًا، أم غير ظاهر.

(٥) مخطوط الحواصل ٢/٢٢٤

(٦) سورة الفرقان: الآية ٦٣

إنَّ ﴿هَوْنًا﴾ في الآية الشريفة [١] بمعنى (...) [٢]، كناية عن عُشَّاق السلام العام. [٣]

- المورد الحادي عشر:

قال [٤] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾. [٥]

أجمع أهل العلم على أنَّ القرآن يجري مجرى بلغاء العرب في تحسين كلامه بمزايا الإطناب والإيجار، وباستعمال التشبيه والكناية والمجاز، والبلاغة العربية تستعمل

(١) في الأصل: فسر آية (وعباد الرحمن الذي يمشون على الأرض هوناً إلخ) بأنَّ هون بمعنى ( ) كناية عن عشاق السلام العام.

(٢) كلمة غير معلومة.

(٣) إنَّ الآية الشريفة تذكر صفات فئة خاصة من الناس، وقد أُطلق عليهم (عباد الرحمن) عناية بهم؛ لِما هم عليه من تلك الصفات التسع التي وصفها القرآن الكريم، وكانت أُولاها التذلل والخضوع والسكينة والاطمئنان، كما أشار إليها المفسرون، وبما أنَّ مَنِ اتَّصف بهذه الصفات في نفسه والمجتمع فهو ممن يدعو للسلم والأمان، وفي ذلك دعوة للإصلاح والسلام في المجتمع من خلال أولئك، ولَمَّا كانت دعوة القرآن عالمية فيمكن أنْ يكون ذلك تعبيرًا عن السلم والأمان العالمي الذي يدعو إليه الله تعالى البشرية، فالسيد "الشهرستاني" يرى –وهو الواقع– أنَّ القرآن كتاب إصلاح وهداية للبشرية كلها، وأمن وسلام ويمكن جمع العالم تحت ظله.

(٤) مخطوط الدلائل والمسائل ٢٧٢/٥ وهو جواب لسؤال نصه: ((ما معنى آية ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾)).

(٥) سورة القلم: الآية ٤٢

كشف الساق كناية عن وضوح الأمر تارة، وعن صعوبته أخرى [١]؛ لأنَّ السالك إذا ٱعترضه طين [في] طريق، أو غمرة ماء ٱستقبل أَوْحَالَها بتشمير ثيابه عن ساقيه، حتى تسهل عليه العبرة، ولمَّا كان القرآن قصده تهديد العصاة، ألمع [٢] إلى صعوبة مسلكهم في الحياة الأخرى، وٱعتراضهم الشدائد في عبرتهم. [٣]

وكذلك يأتي كشف الساق كناية عن [ال]وضوح [٤]، فإنَّ عرب الحجاز كثيرًا ما كانوا يساومون البيع على الجواري، فيكشفون عن ساقهنَّ قبل الشراء أو بعده؛ ليعرفوا محاسنها من عيوبها والمساوىء، ولما كان العصاة تتضح لديهم الحقائق في الآخرة، وتُبلى السرائر، وتنجلي عليهم الضمائر، صار ٱستعمال كشف الساق بطبع الحال واقعًا في أحسن مواقعه.

---

(١) لقد ذكر العلماء أنَّ الآية الشريفة تبين حالة الشدة التي يمر بها الإنسان عمومًا، والكافرون يوم القيامة خصوصًا، بل تعد من الألفاظ التي تستعمل في كلمات العرب ومنها في الحرب لشدتها، وأشعار العرب دليل على ذلك، وليس المراد بها حقيقة الساق وهي الجارحة ينظر: ٱبن قتيبة الدينوري: تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، (دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت): ٨٨ ، الفراء: معاني القرآن ١٧٢/٣ ، النيسابوري،: وجوه القرآن: ٣٢١

(٢) أي أَشار، وقيل: أَشار لِلإِنذار. ٱبن منظور: لسان العرب مادة (لمع).

(٣) قال الشيخ "الطوسي" في تفسيره: ((فالمعنى يومَ يشتدُّ الأمرُ كما يشتدُّ ما يُحتاجُ فيه إلى أنْ يقومَ على ساقٍ، وفي الدعوةِ للسجودِ توبيخٌ لهم على أنَّ شدةَ الأمرِ وصعوبةَ الحالِ تدعوهُم إلى السجودِ)). التبيان في تفسير القرآن ٨٧/١٠

وفي ذلك إيحاء نفسي إلى شدة ذلك الموقف وهوله يوم القيامة، وما فيه من عظمة العذاب، كما وصف الله تعالى ذلك في آيات متعددة منها قوله عزوجل: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾. [سورة الفجر: الآيتان ٢٥-٢٦]

(٤) ينظر: المفيد: تصحيح الاعتقاد: ٢

فلا تدل الآية على تجسيم الله تعالى، أو تشبيهه بخلقه في أعضائه، ولا ضرورة للناس أنْ يؤوِّلوا [١] ذلك بالساق المناسب لشأنه، تعالى عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا. [٢]

- المورد الثاني عشر:

قال [٣] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾. [٤]

---

(١) في الأصل: يؤلوا.

(٢) إنَّ السيد يشير إلى تلك الآراء التي تقول بتجسيم الله تعالى جمودًا على ظواهر بعض الآيات التي تشير إلى الجوارح، فضلاً عن روايات مختلقة في ذلك، بل أدى الافتراء بهم إلى تحديد الساق اليمنى لله تعالى، وهذا ما رواه "مقاتل بن سليمان" في تفسير الآية في أحد قوليه عن "آبن مسعود"، إذ قال: ((يعني فيضيءُ نورُ ساقِهِ، وذلك قوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [سورة الزمر: الآية ٦٩] يعني نورَ ساقِهِ اليمين)) تفسير مقاتل بن سليمان، دراسة و تح: الدكتور عبد الله محمود شحاته، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م) ٤٠٩/٤ ، وقد رَدَّ "الزمخشري" ذلك بقوله: ((وأما مَنْ شبَّه فلضيقِ عطنِهِ، وقِلَّةِ نظرِهِ في علمِ البيانِ، والذي غَرَّهُ حديثُ آبنِ مسعودٍ: يكشفُ الرحمنُ عن ساقِهِ ....)). تفسير الكشاف ٥٩٨/٤ ، وكذلك رَدَّ "الفخر الرازي" ذلك بقوله: ((والقول الرابع: وهو آختيارُ المشبهَةِ أنَّهُ ساقُ الله، تعالى اللهُ عنه، روي عن آبنِ مسعودٍ عنه "عليه الصلاة والسلام" ....، وآعلمْ أنَّ هذا القولَ باطِلٌ لوجوهٍ)). التفسير الكبير ٦١٣/٣٠-٦١٤

أما الرواية التي ذكرها "البخاري" في كتابه حول ساق الله تعالى فهي: ((عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ "رضى الله عنه" قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ "صلى الله عليه [وآله] وسلم" يَقُولُ: يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ في الدُّنْيَا رِئَاءً وَسُمْعَةً ، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا)) ١٨٢/٨ وذكر مثلها غيره.

(٣) مخطوط نتائج الحلوم: ٦٣

(٤) سورة المسد: الآية ١

قال أهل البيان كما في باب العلم من [كتاب] "المطول" عدل عن ٱسمه إلى لقبه للكناية عن أنه جهنمي. (١)

أقول: يخطر ببالي وجهٌ، ولعله أَوْجُهٌ (٢)، وهو أنَّ ٱسمه لَمَّا كان "عبد العزّى" كره الله تعالى أنْ يسميه بذلك الاسم المكروه عند أهل الحق؛ لما فيه من إثبات العبودية للصنم وهو باطل (٣)، أو أنه لاشتهاره بهذه الكنية دون ٱسمه (٤)، أو بأنَّ ذكر اللهب يناسب في إضرامه نيران الفتن والفساد (٥)، أو أنه يناسب عمل زوجته من إضرامها النار في طريق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (٦)، أو أنه يناسب ما بعده من ذكر الحطب وهو نوع من البديع، أو أنه لملاحظة الرَّوِيِّ في السورة (...) (٧)، والكل محتمل. (٨)

---

(١) التفتازاني، مسعود بن عمر: المطوَّل، تح: د. عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٣٤هـ٢٠١٣م): ٢١٧

(٢) وهي أوجه ستة محتملة في الآية الشريفة، منها ما ذكرها المفسرون قبله، ومنها ما لم يذكره أحد، وسوف نبين ذلك.

(٣) لقد ذكر هذا المعنى "الطبرسي" في أحد الأقوال. مجمع البيان في تفسير القرآن ٤٧٦/١٠

(٤) لقد ذكر هذا المعنى "الزمخشري" و "الطبرسي" في أحد الأقوال. تفسير الكشاف ٨٢٠/٤ ، مجمع البيان في تفسير القرآن ٤٧٦/١٠

(٥) ذكر قريب من هذا المعنى "الزمخشري" في أحد أقواله. تفسير الكشاف ٨٢٠/٤

(٦) إنَّ هذا الوجه الرابع واللذين بعده لم يذكرها أحد من المفسرين على وفق ٱستقراء الباحث للتفاسير المشهورة.

(٧) كلمة غير معلومة، ولعلها "فتأمل".

(٨) إنَّ المفسرين قد ذكروا أوجه متعددة في ذلك، فذكر "الزمخشري" ثلاثة أوجه، وذكر "الطبرسي" ثلاثة أوجه بٱختلاف واحد عما تقدم، أما "الفخر الرازي" فذكر كلام

## المبحث الرابع: علم البديع.

### المطلب الأول / المحسنات المعنوية.

*** أولاً: المشاكلة والمقابلة.** [١]

إنَّ المشاكلة والمقابلة هما من المحاسن البديعية في البلاغة العربية، وقد تضمن القرآن الكريم هذين النوعين في نظم آياته؛ للتأكيد على مجاراته وتحديه للغة العرب، والسيد الشهرستاني قد أشار إشارة إجمالية إلى ذلك في مخطوطاته، وقد جمعت في (موردين)، بيَّن فيه أثر هذين النوعين على المتلقي، فضلاً عن ذكر عددٍ من الآيات الشريفة وردت في ذلك.

– المورد الأول:

قال [٢]: جرت محاورات البلغاء على المشاكلة بالمقابلة في الكلمات، وقد تسمى المزاوجة [٣]، فيؤتى بلفظ من جنس لفظة قبلها وإنْ لم تكن بمعناها [٤] من جميع

---

"الزمخشري" كله، وأما غير هؤلاء من المفسرين فقد ذكروا نص هذه الأوجه أو مثلها. الزمخشري: تفسير الكشاف ٤/٨٢٠ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسي القرآن ١٠/٤٧٦، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٣٢/٣٥٠

(١) لقد جمعتُ المقابلة والمشاكلة في عنوان واحد؛ لأنَّ السيد "الشهرستاني" ذكر ذلك في المورد المراد تحقيقه، وإنْ كانا موضوعَيْنِ منفصلَيْنِ في علوم البلاغة.

(٢) مخطوط جمهرة العلوم القرآنية: ٤٦

(٣) المزاوجة وهو أنْ يساوي بين معنيين في الشرط والجزاء. الخطيب القزويني: الإيضاح في معاني البلاغة: ٢٦٥ ، وينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/٢٨٢ والعلماء لم يطلقوا على المشاكلة المزاوجة كما ذكر السيد، بل كُلٌّ له تعريفه ونوعه.

(٤) في الأصل: بمهناها.

الجهات، بل يقنعون فيها ببعض المناسبات كقولهم: (دِنَّاهُمْ كَمَا دانُوا) [١]، فإنَّ الأولى حقيقة والثانية مجاز [٢]؛ لأنَّ الذين بدؤوا بالسيئة [٣] لم يكونوا قد دانوا إلا بضرب من المجاز [٤]، كذلك قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [٥]، فإنَّ السيئة الثانية لا تكون إلا بالتجوُّز [٦]، قال [٧] "عمرو بن كلثوم":

---

(١) صدر بيت من قصيدة للشاعر "شهل بن شيبان" المعروف بـ(الفِنْد الزماني) قالها في حرب البسوس ومنها:

صَفَحْنَا عَنْ بَنِي ذَهْلٍ - وَقُلْنَا القَوْمُ إِخْوَانُ
عَسَى الأَيَّامُ أَنْ يُرْجِعْ - نَ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا
فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ - فَأَمْسَى وَهُوَ عُرْيَانُ
وَلَمْ يَبْقَ سُوى العُدْوَا - نِ دِنَّاهُمْ كَمَا دَانُوا

المرزوقي، أحمد بن محمد شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تع: غريد الشيخ، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٢م): ٢٧

(٢) في الأصل: مجازًا.

(٣) في الأصل: الذي بادءوا بالسئة.

(٤) قال الشيخ "أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي": ((وأما قوله: دِنَّاهم كما دانوا، والأولُ ليسَ بجزاءٍ، فهذا لميلِهِمْ إلى المطابقَةِ والموافَقَةِ، وإخراجِ اللفظِ في معرضِ صاحبِهِ؛ ليعلمَ أَنَّهُ جزاؤُهُ على حَدِّهِ وقدرِهِ، أو ٱبتداؤُهُ، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [سورة النساء: الآية ١٤٢] وما أشبهه)). شرح ديوان الحماسة: ٢٩

(٥) سورة الشورى: الآية ٤٠

(٦) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط ٥١٠/٧ ، القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٠٨

(٧) في الأصل: قول.

أَلا لا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنا - فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا [١]

فإنَّ الجهل هنا بمعنى الاعتداء بلا سبب، ولا يكون الجهل الثاني بهذا المعنى، فهو مجاز. [٢]

وعلى هذا المبنى يُبنى الجواب عن آياتٍ في الكتاب: [٣]

- في [سورة] البقرة: ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. [٤]
- وفي [سورة] النساء: ﴿إِنَّ المُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾. [٥]
- وفي [سورة] الأنفال: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ﴾. [٦]

---

(١) ديوان عمرو بن كلثوم: جمع وشرح وتح: الدكتور إميل بديع يعقوب، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١م): ٧٨

وهو من قصيدة يقول فيها:

إذا مَا المُلْكُ سامَ النَّاسَ خَسْفًا - أَبَيْنَا أَنْ نُقِرَّ الخَسْفَ فِينَا

أَلا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنا - فَنَجهَلَ فوقَ جَهْلِ الجاهِلينَا

وَنَعْدُو حَيْثُ لا يُعْدَى عَلَيْنَا - وَنَضْرِبُ بِالمواسِي مَنْ يَلينَا

(٢) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٠٨

(٣) إنَّ السيد "الشهرستاني" ذكر آيات سبع أمثلة على الموضوع، والقرآن فيه آيات كثيرة متعددة.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٥ ، ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٨٠/١ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ١٠٤/١

(٥) سورة النساء: الآية ١٤٢ ، ينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٢١/٣ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢٤٨/١١

(٦) سورة الأنفال: الآية ٣٠ ، ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١٠٩/٥ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٧٨/١٥

- وفي [سورة] التوبة: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. (١)
- وفي [سورة] الرعد: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾. (٢)
- وفي [سورة] النمل: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. (٣)
- وفي [سورة] الطارق: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾. (٤)

- المورد الثاني:

قال (٥) في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. (٦)

القرآن قابل ٱستهزاء المنافقين بٱستهزاء الله بهم من باب المشاكلة في مقابلة الكلمة بمثلها، وهو ضرب من البلاغة عند الأمم، نحو: "كما تُدين تُدان"، و"دنَّاهم كما

(١) سورة التوبة: الآية ٧٩ ، ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٢٦٧/٥ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٩٦/٥

(٢) سورة الرعد: الآية ٤٢ ، ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٢٦٧/٦ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٥٣/٦

(٣) سورة النمل: الآية ٥٠ ، ينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٩٢/٧ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٥٦١/٢٤

(٤) سورة الطارق: الآيتان ١٥-١٦ ، ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٣٢٧/١٠ ، أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط ٤٥١/٨

(٥) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة تحت عنوان (المشاكلة في الاستهزاء وتوجيه الاستهزاء الإلهي).

(٦) سورة البقرة: الآيتان ١٤-١٥

دانوا"، فالدينونة في الثاني مجاز حسَّنها التشاكل، [وقوله تعالى:] ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[١]، غير إنَّ الإشكال في نسبة طلب الهزؤ لله المتعال، والجواب عنه وعن أمثاله ما مَرَّ في آية: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٢] أي: إنَّه سبحانه يصنع صنع المستهزىء بهم، فيكشف أسرارهم، ويحطُّ أقدارهم، ويحبط مساعيهم، أو يمهلهم ويمدُّهم في طغيانهم، حتى إذا أَمِنوا عذابه نَكَّل بهم على غَرَّة، وأسقطهم في هُوَّة سحيقة من الذل والبوار، وإلى الدرك الأسفل من النار.

(١) سورة الشورى: الآية ٤٠ وقد ورد في الأصل: راجع أصول تفسيرنا ص٤٦ ولكن لم يحصل الباحث على تفسير يتعلق بالآية الشريفة.

قال "الدرويش" في بلاغة الآية: ((جناس المزاوجة اللفظي، فإنَّ السيئة الثانية ليست بسيئة، وإنما هي مجازاة عن السيئة، سُمِّيَت بٱسمها لقصد المزاوجة، وبعضهم يعبِّر عنها بالمشاكلة)). إعراب القرآن الكريم وبيانه ٤٧/٧

(٢) سورة البقرة: الآية ٩ قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة في المورد الثاني من المجاز ص٢٦٤

*** ثانيًا: المبالغة.**

إنَّ السيد "الشهرستاني" قد ذكر ما يتعلق بالمبالغة وأثرها في بلاغة الآيات القرآنية في عدد من مخطوطاته، فهو يرى أنَّ المبالغة من أهم أساليب البلاغة التي تضمنها القرآن الكريم في تَحَدِّيه الآخرين بأنْ يأتوا بمثله، فضلاً عن اشتهاره في كلام العرب، وقد تضمَّنت السُّنَّة الشريفة ذلك أيضًا، فيقول: ((أرى جوازَ المبالغةِ في كتابِ اللهِ وسنةِ نبيهِ وكلماتِ الأئمة (عليهم السلام)، بدليلِ أنَّ المبالغةَ من محسناتِ النظمِ والنثرِ ومن شواهدِ البلاغةِ، وبدليلِ كثرةِ المجازِ والاستعارةِ في الآياتِ والرواياتِ)) [(١)]، وقد جمعت في موارد (سبعة).

**– المورد الأول:**

قال [(٢)]: اعتقاد جمهور المفسرين أنه لا توجد في آي القرآن مضامين مبُالغ فيها، زعمًا منهم أنَّ المبالغة نوع من الكذب في كلام الله [وهو] منزه منه، غير إنهم أخطأوا في عَدِّ المبالغة من أقسام الكذب، ولو عُدَّت من الكذب [(٣)] لكانت المجازات العقلية واللغوية والاستعارات والكنايات [كذلك]، ولو نزلنا عن المبالغة لوجب تنزيهه من كُلِّ هذه، وتجرَّد القرآن عندئذٍ من أثواب [(٤)] البلاغة، وليس شيء من هذه التوالي بصحيح. [(٥)]

---

(١) مخطوط مهمات ٢٢/٥-٢٥ لقد ذكر عددًا من الروايات الشريفة التي يرى أنَّ فيها من أساليب المبالغة، ولم يذكرها الباحث لعدم علاقتها بالقرآن الكريم.

(٢) مخطوط فوائد هبة الدين ١٤٤/٥-١٤٦

(٣) في الأصل: ولو عد الكذب.

(٤) أثواب جمع ثوب. الفراهيدي: العين (ثوب).

(٥) في الأصل: بصح.

إنَّ مَنْ عَدَّوا [١] المبالغة من أقسام الكذب قد بالغوا في تفسير حقيقة الكذب، حتى أخرجوها عن حدودها وجَرَّدوها عن قيودها، فإنَّ من حدود الكذب كون الكلام دالاً على خلاف الحق [٢]، وليس المجاز والمبالغة دالاً على خلاف الحق، [فهي] باقية نحو إيهام، وذلك الإيهام غير خفي على سامعيه، مثاله إنَّ قولك: (جاءني أسد يرمي، أو رأيت أسدًا في الحمام) لو كان مقولاً بٱعتقاد الحكم على الحيوان المفترس، أو بقصد إفهام ذلك للسامعين، أو مع العلم بأنَّ سامعيه لا يفهمون منه سوى ذلك، كان لعدِّه من الكذب وجهًا، أما علم القائل بأنَّ المتكلم والمخاطب لا يقصدان منه سوى الرجل الشجاع بضميمة تشبيه، أو (...) [٣] إلى الحيوان المفترس، فلا تماس بينه وبين الكذب، كذلك المبالغة.

أترى أنَّ الحسين السبط (عليه السلام) لما قال لولده عن حرب أعدائه: فاضت الأرض بالدماء منا ومنهم، هل قصد حقيقة فيضان الأرض بالدم، أو هل فهم مخاطبه هذا المعنى، لتمنى الكذب على الإمام "والعياذ بالله"، كلا بل عرف المخاطب مبالغة المتكلم لتعظيم الخطب، وليس شيوع المبالغات في كلام البلغاء والشعراء والعلماء والأولياء فحسب، بل كثير أيضًا في كلام الأنبياء في كتبهم السماوية، إذن فلا بِدْعَ أنْ أتى القرآن بها، فإنَّ القرآن أبلغ كتاب، وينحو سنن البلاغة، وضربًا من محاسن الكلام.

---

(١) في الأصل: عدو.

(٢) قال "الجرجاني": ((الصدق هو مطابقة الحكم للواقع، والكذب ضده)). التعريفات: ٥٨ ، وقال الشيخ "النراقي": ((الكذب أي الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه)). جامع السعادات ٣٢٨/٢

(٣) كلمة غير معلومة.

[ومن تلك الآيات قوله:] ﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [١] فسواء كانت (من) بيانية أو (...) [٢]، أو غيرهما، فلا يتم، فظاهرها المبالغة في ميل الإنسان إلى ٱستقبال الكمال عن ٱستعجال.

ومنها آية: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [٣] فإنَّ "بلقيس" أو ملكة "سبأ" لم تَكُ مالكة من مخلوقات الله إلا بعضها، ولم تَكُ قد أوتيت كثيرًا من الأشياء، ولكن الكلام مبالغة. [٤]

وفي آية: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [٥] هو نظير كـ(فَرْوَتِهِم) [٦] باطنها حاجتهم الخشناء، وظاهرها عقيدتهم الحسناء.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٧

(٢) كلمة غير معلومة.

(٣) سورة النمل: الآية ٢٣

(٤) ذكر "الشيخ الطوسي أنَّ الآية في مقام المبالغة فقال: ((أُعطيَتْ كُلَّ شيءٍ، لفظُهُ لفظُ العموم، والمرادُ به المبالغَةُ في كثرةِ ما أُوتيت من نِعَمِ الدنيا، وسعةِ الملكِ، وقيل: إنَّها أُوتيت كُلَّ شيءٍ يُؤتى الملوك)). التبيان في تفسير القرآن ٨٩/٨ ، وينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٧٦/٧

(٥) سورة الحديد: الآية ١٣

(٦) الفَرْو والفَرْوَةُ الذي يلبس، فإذا كان الفرو ذا الجبة يسمى الفروة. ٱبن منظور: لسان العرب مادة (فرا).

– المورد الثاني:

قال [١]: قد فَصَّلْتُ القول في "مختاراتي" وفي "الدلائل" [٢] وغيرها أنَّ المبالغة من فنون البلاغة، ويستحسنها بلغاء الأمم عمومًا، وبلغاء العرب خصوصًا، والقرآن يستعمل سنن البلاغة المشروعة لدى البلغاء كخطيب، وقد تعدد في القرآن مورد ٱستعمال المبالغة، كما في [٣] قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ [٤]، وقوله تعالى: [٥] ﴿إِنِّي وَجَدْتُ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [٦]، وقوله تعالى: [٧] ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى العِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [٨]، فذلك مبالغة وليس في الحقيقية كُلُّ العباد يستهزؤن بالرسول، ولا كُلُّ رسول نال الاستهزاء من عامة أمته.[٩]

(١) مخطوط الدلائل والمسائل ٥/٧٠ ، وهو جواب سؤال نصه: ((هل يشتمل القرآن على المبالغات)).

(٢) إشارة إلى الكتابين المخطوطين (مختارات هبة الدين، والدلائل والمسائل) وهما موجودان في خزانة مكتبة الجوادين العامة في الصحن الكاظمي الشريف.

(٣) في الأصل: كما في آية الأنعام (ثمرات كلشى).

(٤) سورة القصص: الآية ٥٧

(٥) في الأصل: وآية بلقيس (وأوتيت من كلش).

(٦) سورة النمل: الآية ٢٣

(٧) في الأصل: وآية يس.

(٨) سورة يس: الآية ٣٠

(٩) إنَّ الآية الشريفة ليست في مقام بيان المبالغة بقدر بيان ما يتعلق بطبيعة المجتمعات في تعاملها مع الأنبياء الذين بُعِثوا إليهم، فأغلبهم كانوا يحاربون أنبياءهم ويقتلونهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى عداء الأمم لأنبيائها وخصوصًا بني إسرائيل، فضلاً عن ذلك فإنَّ إطلاق لفظ ﴿العِبَاد﴾ تحتاج إلى بيان ما يتعلق بها، قال "الفخر الرازي": ((الألف واللام

– المورد الثالث:

قال [١]: يخال البعض عدم وجود المبالغة في آيات الذكر الحكيم [٢]، بزعم أنها ضرب من الكذب، والقرآن منزَّه عنه، وقد دَحَضنا هذه الشبهة وأثبتنا أنَّ سبيل المبالغة في هذا الشأن سبيل الاستعارات والكنايات، فيغتفر فيها من مخالفة الحقيقة طلبًا للبلاغة، وإنَّ قرائن الحال تكفلت بيان الحقيقة.

وإليك بعض الآيات التي تظهر فيها المبالغة في بادىء النظر، ومنها [قوله تعالى]: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [٣]، في حين أنَّ الآجال قد تتأخر بالصدقة، أو صلة الرحم أو غيرهما. [٤]

---

في ﴿العِبَاد﴾ يحتمل وجهين، أحدهما: للمعهود وهم الذين أخذتهم الصيحة فيا حسرة على أولئك. وثانيهما: لتعريف الجنس جنس الكفار المكذبين)). التفسير الكبير ٢٦٩/٢٦ وفي الحالين ينطبق عليهم الاستهزاء ويصدر منهم حقيقة وليست مبالغة.

(١) مخطوط الحواصل ١٠٩/٥

(٢) في الأصل: آية ذكر الحكيم.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٣٤

(٤) وفي ذلك إشارة للأحاديث الشريفة الواردة في فضل الصدقة وصلة الرحم، وآثارهما في زيادة العمر، وتغيير الأجل.

روي عن الإمام الباقر (عليه السلام): ((البِرُّ وَالصَّدَقَةُ يَنْفِيَانِ الفَقْرَ، وَيَزِيدَانِ في العُمْرِ، وَيَدْفِعَانِ تِسْعِينَ مِيتَةَ السُّوءِ)). الكليني: الكافي ٢/٤ باب (فضل الصدقة) الحديث ٢ ، وفي رواية عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): ((صِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الجُوَارِ يُعَمِّرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ في الأَعْمَارِ)). المصدر نفسه ١٥٢/٢ باب (صلة الرحم) الحديث ١٤

ومنها في سورة يوسف: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (١)، بينما الحقيقة جرحهنَّ جلود أيديهنَّ. (٢)

ومنها في سورة الحج: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾. (٣)

ومنها آية: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾. (٤)

ومنها آية: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

---

(١) سورة يوسف: الآية ٣١

(٢) قال "الزمخشري": ((أي: جَرَحْنَها، كما تقول: كنتُ أقطعُ اللحمَ فقطعتُ يدي، تريد: جرحتها)). تفسير الكشاف ٤٣٨/٢

(٣) سورة الحج: الآية ٢

إنَّ الآية الشريفة بصدد بيان علامات القيامة، ويمكن حملها على الحقيقة لما في ذلك اليوم من هولٍ عظيم كما تصفه الآيات والروايات، فالخوف مما سيراه الإنسان يترتب عليه ذلك، على الرغم من العلاقة المادية والمعنوية الوثيقة بين المرضعة ورضيعها، والحامل وحملها، ولكن يمكن حمل الآية على ضرب من ضروب البلاغة في تقريب المعنى العظيم لذلك اليوم وشدته. ينظر: أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط ٣٢٥/٦ ، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ٣٤١/١٧

(٤) سورة الكهف: الآية ١٠٩

إنَّ في الآية الشريفة إشارة إلى مقام علم الله تعالى المطلق على ما سواه، فهو مطلق غير متناهٍ، والبحر على عظمته فهو محدود بالنسبة له، وحملها على الحقيقة أَولى من حملها على المبالغة، على الرغم من وجود حرف (لو) الذي هو امتناع لوجود.

مُرْدِفِينَ﴾ [١]، ثم يقول [تعالى]: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[٢]

ومنها [آية]: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [٣]، مع وجود الشفاعة والتوبة والعفو والرحمة.[٤]

[وذكر السيد آيات أخرى منها]: [٥]

[آية]: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾. [٦]

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٩

(٢) سورة الأنفال: الآية ١٠

لقد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة، ولكن لا يعلم الباحث ما سبب رؤية السيد الشهرستاني أنَّ الآية في بيان ضرب من المبالغة دون الحقيقة، والتفاسير كلها تؤكِّد هذا المعنى الحقيقي في نصر الله تعالى للنبي بالملائكة، فهل يقصد المبالغة في أصل الموضوع من حيث نصر الملائكة للمؤمنين، أم من حيث العدد وهو الألف، فالمفسرون ذكروا ما يتعلق بالموضوع والعدد على وفق الروايات التفسيرية. للتفصيل ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ١٩١/٢ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤٣٧/٤

(٣) سورة الزلزلة: الآية ٨

(٤) إنَّ الآية الشريفة في مقام بيان عدم ضياع أي عمل يعمله الإنسان يوم القيامة مهما كان صغيرًا، وهذه حقيقة وليست مبالغة، فالحساب سيكون على وفق ذلك يوم القيامة آبتداءً لا آنتهاءً، لوجود موارد العفو والرحمة يومذاك، فضلاً عن الشفاعة التي أكَّدت الشريعة المقدسة عليها، أما لو كان السيد يقصد أنَّ الإنسان مع توبته في الدنيا وقبولها فلماذا يرى أعماله السيئة في الآخرة باقية ففي ذلك كلام، ولا أظن أنَ هذا ما يريده وهو المتدبِّر لكلام الله تعالى فيما يتعلق بمحو السيئات في موارد التوبة مطلقًا، وفي تبديلها حسنات في موارد أخرى.

(٥) مخطوط الحواصل ١٣٣/٤

(٦) سورة النحل: الآية ٦١

وآية: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾. (١)
وآية: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. (٢)
وآية: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾. (٣)

– المورد الرابع:

قال (٤): سبق بيان ٱختياري ٱستعمال القرآن جميع تفننات البلغاء، وأنه لا يترك من محاسن أساليب البلاغة شيئًا، ومن جملة ما ٱستعمله كافة بلغاء الأمم ٱستعظام بعض الأمور، والمبالغة فيها أحيانًا إذا ٱقتضى المقام ذلك، فمن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ (٥)، وفي تعميم الثمرات إلى هذه الدرجة مبالغة ظاهرة إذ ليس النحل يأكل من كل الثمرات. (٦)

(١) سورة ق: الآية ٦
(٢) سورة الزخرف: الآية ٧١
(٣) سورة هود: الآية ١٠٧
(٤) مخطوط فوائد هبة الدين ٥٣/٥
(٥) سورة النحل: الآيتان ٦٨–٦٩
(٦) إنَّ المفسرين قد ٱختلفوا على تفسيرين للآية الشريفة، فمنهم مَنْ ذهب إلى القول: إنَّ المراد من ﴿كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ الثمرات التي تشتهيها، وتأكل منها، والقول الثاني: جميع الثمرات فإنها يمكنها أنْ تأكل من أزهارها وأوراقها. ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٥٥٧/٢ ، الطبرسي: البيان في تفسير القرآن ١٧٦/٦ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢٣٧/٢٠ ، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ٢٩٢/١٤
وعلى أساس ما تقدم من القولين فلا تكون في الآية مبالغة كما يرى السيد "الشهرستاني"، إلا إذا أراد القول بأنَّ النحل لا تأكل من أي ثمرة أو شجرة، بل إنَّ هناك ثمارًا خاصة تأكل منها، فلعل في ذلك وجه.

ومن ذلك قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلَائِكَةِ﴾. (١)

- المورد الخامس:

قال (٢): إنَّ المبالغة ضرب من الكذب بالدقة الفلسفية (٣)، وليست من أنواع الكذب

(١) سورة البقرة: الآية ٣١

إنَّ المبالغة التي يريد أنْ يشير إليها السيد "الشهرستاني" تكون في قوله تعالى: ﴿الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ فإنَّ الله تعالى عبَّر بـ﴿كُلَّهَا﴾ للمبالغة لا الحقيقة، وعند الرجوع إلى أقوال المفسرين لم نَرَ أنهم تعرَّضوا إلى ذلك، على الرغم من إسهابهم في تفسير المراد بالأسماء، آعتمادًا على روايات متعددة فيها، وما يتعلق بذلك من حيث إنَّ الإسماء توقيفية من الله تعالى أو لا؟ وإنَّ الملائكة كانت تعلم تلك الأسماء أو لا؟ وإنَّ الله إذا كان قد علَّم آدم ولم يُعَلِّم الملائكة فما هو آمتيازه عليها؟ وهل المراد تعليمه الأسماء أو مسميات الأسماء؟ وغير ذلك من الموضوعات، ولكن المستفاد إجمالاً من التفاسير أنه تعالى أراد الحقيقة لا المبالغة كما يرى السيد "الشهرستاني". للتفصيل ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ١٥٤/٢-١٥٥ ، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٥٢/١ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٣٩٧/٢ ، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ١١٨/١، السبزواري: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٥٤/١

(٢) مخطوط خير الدلائل في أجوبة المسائل: ٢٤١ ، وهو جواب لسؤال نصه: ((بَلَغنا عنكم القول بوجود آيات قرآنية جارية على أسلوب المبالغة مع أنَّ المبالغة ضرب من الكذب فكيف يجوز مثل ذلك في كلام الله؟)).

(٣) أي لو تتبعنا كُلَّ جزء من أجزاء الكلام قياسًا للكل فإننا نرى وقوع مخالفة في ذلك الجزء للواقع من حيث الجزئية وليس الكلية.

بالنظرة العرفية [١] كما أنَّ الاستعارة أو الكناية أو ما أشبه ذلك محسوب من أنواع الكذب في نظر الفيلسوف، ولا يعد كذبًا قط في نظر العرف، أَلا ترى الاستعارة في قولك: "زيد أسد" أو "حبيبتي قمر" يعده المدققون كذبًا في نظر الحقيقة؛ لأنه خلاف الواقع، ونفس الأمر إذ ليس زيد [٢] أسدًا، بل إنسان، وليس الحبيب قمرًا سماويًّا، بل حَيٌّ أرضيٌّ، ولكن العرف لا يُعِدُّ ذلك كذبًا في نظر المجاز، وكذلك الكنايات وبقية أقسام المجاز. [٣]

ولو جاز تعداد ذلك في خريطة الأكاذيب لزم تعداد القرآن كله كذبًا (وحاشاه)، ولزم تعداد أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة من آله وأصحابه في خريطة الأكاذيب؛ لاشتماله على أنواع المجاز والكناية والاستعارة والمبالغة، كقول علي (عليه السلام) في النهي عن الفُرْقَة: ((أَلا وَمَنْ دَعَاكُمْ إِلى هَذا الشِّعارِ فَاقْتُلُوهُ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عَمَامَتِي هَذِهِ)) [٤]، فإنَّ ذلك مبالغة صريحة من مجانبة الفُرْقَة، وتشجيع أصحابه على الإِلفة، وليست مقصورة بحقيقة الكَلِم البتة.

---

(١) أي إنَّ المتحدِّث لا يقصد من كلامه مخالفة الواقع؛ ليطلق عليه كذبًا، وإنما يريد إيصال معنًى عامًّا تنطبق أكثر أجزائه في الواقع، وقد تسالم على ذلك العرف والعقلاء فلم يعدُّوه مخالفًا للواقع، وإنما يريد معنًى آخر غير الواقع المحسوس أو المشهود.

(٢) في الأصل: زيدا.

(٣) يرى الباحث أنَّ ما ذكره السيد هو الواقع والصواب؛ لأنَّ كلام العرب قد اشتمل على هذه الموضوعات، بل عُدَّ الكلام بليغًا إذا تضمن مثل هذه الفنون البلاغية عندهم، فضلاً عن استعمال القرآن الكريم لذلك، فكان تقريرًا لجواز ذلك وتأييدًا له.

(٤) الشريف الرضي: نهج البلاغة ١٢/٢ ، والمراد بـ(الشعار) وهو شعار الخوارج (لا حُكْمَ إلا لله) الذي عُرِفوا به تضليلاً للناس يوم معركة صفين، عند رفع القاسطين من جيش "معاوية بن أبي سفيان" المصاحف في أواخر المعركة.

والخلاصة: إنَّ المبالغة سبيلها الاستعارة والكناية، فإنْ كانت من مقولة الكذب فهاتان أيضًا من الكذب[١]، وإنْ كانت من غير الكذب فالمبالغة أيضًا من غير مقولة الكذب [٢]، كما أنَّ سبيل القرآن سبيل كلام النبي والمعصومين من آله، فإنْ كانت [كذبًا فـ] المبالغة تشين أيضًا سمعة كلام النبي والأئمة إذا ٱشتملَ على وجه المبالغة، وإلا فلا، إذ لاريب في وجود المبالغة بكثرة في آيات القرآن، وفي أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي كلام الأئمة وأصحابه، وفي كلمات أكثر البشر.

ولا يُعِدُّ العرف العام من كل قوم مبالغات الكلام كذبًا، كما لا يعد الاستعارة والكناية من أقسام الكذب أبدًا، والسر في ذلك وجود القرينة في الكلام، ووجود شواهد الحال والمقام، وهذا هو الذي يصون الكلام من وصمة الكذب، فالقرينة في آية: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ المَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ [٣] تصونه من الكذب وتدخله في [٤] باب الاستعارة [٥]، كذلك القرينة في آية: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [٦] تصونها من الكذب وتدخله في باب المبالغة. [٧]

---

(١) أي الاستعارة والكناية.

(٢) وهما في الحقيقة ليستا من الكذب لكون القرآن الكريم قد ٱشتمل في كثير من الآيات الشريفة عليهما.

(٣) سورة يس: الآية ٣٣

(٤) في الأصل: من.

(٥) إنَّ الأرض عُدَّتْ ميتة؛ لأنها لا يعيش فيها النبات وإحياؤها بٱخضرارها، فهي من هذا الباب أطلق عليها ٱستعارة الموت والحياة، على طريقة الاستعارة المكنية؛ إذ شبَّه الأرض بإنسان فحذفه، وأبقى لازِمَيْهِ الموت والحياة.

(٦) سورة النمل: الآية ٢٣

(٧) قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

– المورد السادس:

قال [١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. [٢]

أعلم أنَّ البُلغاء يتفاضلون في التجوُّز والمبالغة على سبك بديع من سعة التصوُّر،

وَتَحَدَّثَ المَاءُ الزُّلالُ مَعَ الحَصَى – فَسَرَى النَّسِيمُ عَلَيْهِ يَسْمَعُ مَا جَرَى [٣]

وطيران الفكر في سماء الخيال، فالآية كقوله:

وقال مجنون "ليلى":

فَلَوْ أَنَّ مَا بي بِالحَصَا فَلَقَ الحَصَى – وَبِالصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ لانْصَدَعَ الصَّخْرُ [٤]

---

(١) مخطوط المسودات القرآنية: ٦٩

(٢) سورة الحشر: الآية ٢١

(٣) البيت لـ"أبي الحكم مالك بن المرحل المالقي" (ت٦٩٩هـ/١٣٠٠م) ويقول بعد ذاك:

فَكَأَنَّ فَوْقَ الماءِ وَشْياً ظَاهِرًا – وَكَأَنَّ تَحْتَ الماءِ سِرًّا مُضْمَرًا

الحموي، علي بن عبد الله: خزانة الأدب، تح: عصام شعيتو، (دار الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م) ٣٨٦/١ ، الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر: ريحانة الألِبَّا وزهرة الحياة الدنيا، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، (مط عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٨٦هـ ١٩٦٧م، د.م) ٧٤/١

(٤) ويقول بعدها في رائعته:

وَلَوْ أَنَّ مَا بي بِالوحوشِ لَمَا رَعَتْ – وَلا سَاغَهَا الماءُ النَّمِيرُ وَلا الزَّهْرُ

وَلَوْ أَنَّ مَا بي بِالبِحَارِ لَمَا جَرَى – بِأَمْوَاجِهَا بَحْرٌ إذا زَخَرَ البَحْرُ

وقال "عنترة":

شَكَا نَحْرُهَا مِنْ عِقْدِهَا فَتَظَلَّمَــتْ - فَوَاعَجَبًا مِنْ ذلِكَ العِقْدِ والنَّحْرِ [١]

والغرض المبالغة في قسوة القلوب التي نزل [٢] عليها القرآن [٣]، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾. [٤]

- المورد السابع:

قال [٥]: جاء في القرآن ذِكْرُ الأرض في مواقع على وجه المبالغة، فيتوهَّمُ منها الناظر معنى مجموع الكرة الأرضية فيستغرب، كما في آية: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَــى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [٦]، وفي آية: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَــأْجُوجَ مُفْــسِدُونَ فِــي

---

قيس بن الملوح: ديوان قيس، دراسة وتع: يسرى عبد الغني، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ١٩٩٩م): ٨٥

(١) تقدم ما يتعلق به ص٤٢٥

(٢) في الأصل: نزلت.

(٣) لقد أكَّد المفسرون هذا المعنى في أنَّ المراد من الآية الشريفة بيــان مــا يتعلــق بقــسوة القلوب التي نزل عليها القرآن مقارنة مع الحجــارة، وخــضوعها التكــويني لله تعــالى. للتفصيل ينظر: الطوسي: التبيان في علوم القرآن ٥٧٢/٩ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٥٠٨/٤ ، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٥١٢/٢٩

(٤) سورة البقرة: الآية ٧٤

(٥) مخطوط فوائد هبة الدين ١١٣/٥ – ١١٤

(٦) سورة نوح: الآية ٢٦

الأَرْض﴾ [١]، فليس المعنى مجموع كرة الأرض حقيقة، بل إنَّ ذلك ضرب من المبالغة، كما في شعر "عنترة العبسي" الجاهلي:

ملأْتُ الأَرضَ خوْفًا منْ حُسامِي – وَخَصْمِي لَمْ يَجِدْ فيها أَتِّسَاعا
إِذا الأَبْطالُ فَرَّتْ خوْفَ بَأْسِي – تَرَى الأَقْطَارَ باعًا [٢] أَوْ ذِراعا [٣]

والقرآن نزل [٤] على لغة العرب وأساليبهم في محاوراتهم، ولكن الوجه عندي في معنى الأرض بهذه الأبيات أنَّ لام التعريف فيها للعهد، ويشير إلى المعهود لدى

---

إنَّ في هذه الآية الشريفة يمكن أنْ يكون المراد من الأرض كلها؛ لأنَّ دعوته كانت لأهل الأرض جميعًا، وقد أشارت بعض التفاسير لهذا، وقد ناقش "الآلوسي" في تفسيره المراد من "الأرض" هل يُراد بها كلها، أو قطعة منها. للتفصيل ينظر: الآلوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٢٩/٨٠ ، الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٩/٥٠

ولكن في الحالتين فإنَّ الدعوة على الكافرين بالله تعالى ورسالة الأنبياء (عليهم السلام) وعدائهم لها مما يستوجب الدعاء عليهم عند إظهار كفرهم وعنادهم، فلا إشكال فيه، وأما ما يتعلق بهذا المورد من دعاء نوح (عليه السلام) بهذه الدعوة فقد فصَّل المفسرون القول في كيفية علم "نوح" بأنهم لا يلدوا إلا الفاجر والكافر.

(١) سورة الكهف: الآية ٩٤

(٢) الباع هو قَدْرُ مَدِّ اليدينِ وما بينهما من البدن. ٱبن منظور: لسان العرب مادة (بوع). والذراع معروف وهو أقصر من الباع وكلاهما يستعمل في قياس الطول.

(٣) شرح ديوان عنترة: ٩٠

(٤) في الأصل: فنزل.

المخاطب من أقسام الأرض [١]، كما هو في آية يوسف: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [٢] أي أرض مصر لا الأرض كلها، وكذلك في آية: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء﴾ [٣] أي أرض مصر. [٤]

(١) إنَّ سياق الكلام يحتمل الوجهين للأرض، المكان المعهود لدى الشاعر كما يرى السيد "الشهرستاني"، ومطلق الأرض للمبالغة فيها وهو الأوجه ظاهرًا؛ لأنَّ الشاعر في مقام بيان شجاعته وكيفية فرار عدوه عند المنازلة، وكأنَّ أي مكان في الأرض كلها لا يمكن لها أنْ تحميه من سيفي وشجاعتي، وهذا ظاهر من قصيدته في هذين البيتين وفي أبياتها الأخرى وتفاخره في إظهار شجاعته، ومثل هذا كثير لدى الشعراء.

(٢) سورة يوسف: الآية ٥٥

(٣) سورة يوسف: الآية ٥٦

(٤) إنَّ هذا ظاهر من سياق الآية الشريفة؛ إذ إنَّ "يوسف" (عليه السلام) في الآية الشريفة يخاطب الملك في أرض مصر، وقد ذكر المفسرون ذلك تصريحًا وتلويحًا. للتفصيل ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١٥٧/٦ ، الزمخشري: تفسير الكشاف ٤٥٥/٢، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤١٩/٥

**المطلب الثاني / المحسنات اللفظية.**

*** أولاً: الجناس.**

إنَّ الجناس من المحاسن البديعية في البلاغة العربية، وقد تضمَّن القرآن الكريم ذلك في نظم آياته، والسيد "الشهرستاني" قد أشار إشارة إجمالية إلى ذلك في مخطوطاته، وقد جمعت في مورد واحد.

قال [١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى عن "طالوت": ﴿إِنَّ اللهَ اْصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ وَالجِسْمِ﴾. [٢]

فإنها –الآية– لم تراعِ السجع وحده، ولا مناسبات البسطة فقط، بل جناس المعنى أيضًا [٣]؛ إذ العلوم البسيطة تسمن [٤] صاحبها.

*** ثانيًا: السجع.**

إنَّ السجع من المحاسن البديعية في البلاغة العربية، وقد تضمَّن القرآن الكريم كثيرًا من ذلك، والسيد "الشهرستاني" قد أشار إلى ذلك في موردين.

---

(١) مخطوط مهمات ٥٥/٩

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٧

(٣) أي التجانس في الزيادة من حيث الجسم والعلم، وهذا ما بينه المفسرون في تفاسيرهم، قال الشيخ "الطبرسي": (("وزاده بسطة" أي فضيلة وسعة "في العلم و الجسم" وكانَ أعلمَ بني إسرائيلَ في وقتِهِ، وأجملَهُمْ، وأتمَّهُمْ وأعظَمَهُمْ جسمًا، وأقواهُمْ شجاعَةً)). مجمع البيان في تفسير القرآن ١٤٢/٢ ، وينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير ٥٠٥/٦

(٤) في الأصل: يسمن.

– المورد الأول:

قال [١]: [أولاً]: ليس في القرآن ٱلتزام في الأسجاع ولا بعدمها، بل سارت آياته على سيرة التفنُّن، وعدم التقييد بشيء، فترى في بعض آياته نحو آية الوضوء والغسل والتيمم [٢]، لا يلتزم بأيِّ سجع، أو رويٍّ، بينما في ألوف من الآيات تجد فيها الأسجاع العالية.

وثانيًا: إنَّ روحية عصره ومصره، أو بالأحرى طبيعة بلغاء العرب وكهنة (...) [٣] من أبناء الضاد جرت على أسجاع في إنشاء الخطب والكتب. [٤]

وثالثًا: إنَّ لحسن الأسجاع عذوبتها للطباع ضرورته لا تنكر، بل هي المُحْدِثة لطرب أشهى من أوتار النغم، وموسيقى وقيثارة الكلام.

---

(١) أوراق مخطوطة: ١١١ ، وهو جواب لسؤال نصه: ((لماذا يلتزم القرآن بالأسجاع ؟)).

(٢) والمراد به قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[سورة المائدة: الآية ٦]

(٣) كلمة غير معلومة.

(٤) إنَّ هناك أمثلة كثيرة من أحاديث النبي وأهل بيته (عليهم السلام) وخطبهم، قد جمعت في كتب السيرة والتأريخ، وما ورد في نهج البلاغة من كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام)، فضلاً عن كلام العرب في خطبهم ونثرهم، وقد جمعت بعضها في مؤلفات خاصة بأجزاء، فمثلاً ينظر: صفوت، أحمد زكي: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، (المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، د.ت)، بل إنَّ للنساء أثرًا في التراث الإسلامي والعربي كذلك فمثلاً ينظر: ٱبن طيفور، أبو الفضل بن أبي طاهر: بلاغات النساء، (مكتبة بصيرتي، قم، د.ط، د.مط).

– المورد الثاني:

قال [١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾. [٢]

ينتهي السجع في هذه الآيات بالواو والنون تارة [٣]، وبالياء والنون أخرى [٤]، وبالياء والراء [٥]، أو غيرهما أحيانًا [٦]، بينما الجمال اللفظي في الشعر يقتضي بالتحاد السجع.

والجواب: إنَّ الخاتمة في الآية غير الخاتمة في الكلمة، وهذه غير خاتمة الصوت، فللصوت خاتمة في السمع كخاتمة رنة الجرس، يتطلب مثيله في الصوت، وأحرى به أنْ يسمى (سجعًا)، أما خاتمة الكلمة فهي حرف أو حرفان يتشابهان في المخرج، أو يتشابهان في الصوت الخارج، فالواو والنون إخوان مع الواو والميم في خارج

(١) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة.

(٢) سورة البقرة: الآيتان ٢٣-٢٤

(٣) مثل قوله تعالى في السورة نفسها: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الآية ٢١] ، و﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية ٢٢]، و﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية ٢٥] وغيرها.

(٤) مثل قوله تعالى في السورة نفسها للآيتين ٢٣، ٢٤ و﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الفَاسِقِينَ﴾ [الآية ٢٦] وغيرها.

(٥) مثل قوله تعالى في السورة نفسها: ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية ٢٠] وغيرها.

(٦) مثل قوله تعالى في السورة نفسها: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢٩] و﴿إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾ [الآية ٣٢]، و﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الآية ٣٦] وغيرها.

الفم [١]، وإن ٱختلفا في مخرج الفم [٢]، وأحرى بهذا أنْ يسمى (رَوِيًّا)، وهناك شيء ثالث جدير بأنْ يسمى (القافية)، وهو الحرف الأخير من كل آية، أو شعر، أو جملة منثورة، وقد جرى الأسلوب في القرآن على رعاية السجع في الغالب، وٱتحاد رنة الصوت في خارج الفم، فلا تختلف رنة الصوت إذا ٱنتهت الآية بقدير، أو رحيم، أو مؤمنون، أو مهين أو غيرها. [٣]

(١) أي يشتركان في الصفة وهي الغنة كما في حَرْفَي النون والميم، وقرب الواو منهما. الجريسي، محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد في تجويد القرآن المجيد، تص: عبد الله محمود محمد عمر، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م): ٤٠-٤١

(٢) إنَّ مخرج حَرْفَي الواو والميم من الشفتين، ومخرج النون من بين طرف اللسان ومنبت الثنايا. المصدر نفسه.

(٣) إنَّ ما ذكره السيد له علاقة بموضوع الفاصلة القرآنية ودلالتها، وأثرها في النفس، وقد تناولت الدراسات القرآنية هذا بتفصيل؛ لأثره في الصورة الإعجازية لتركيب الجملة في الآيات القرآنية، وتأثير صوت كُلِّ حرف من حروف الفاصلة، والتوافق الصوتي بين الفواصل، وما يحدثه من إيقاعٍ في السجع، فكان أكثر الحروف ٱستعمالاً حرف النون فقد بلغت نسبته حوالي (٥١٪) من آياته، تلاها حرف الميم بحوالي (١٢.٥٪)، تلاها الراء (١١.٠٤٪) .... للتفصيل ينظر: الدكتور السيد خضر: الفواصل القرآنية –دراسة بلاغية، كلية المعلمين بالرياض ص٢-٣

**خاتمة البحث:**

بعد توفيق الله تعالى في إتمام الأطروحة جمعًا ودراسةً وتحقيقًا لجهود السيد "هبة الدين الحسيني الشهرستاني" في علوم القرآن هناك نتائج متعددة قد توصَّل إليها البحث، من أهمها:

– إنَّ علومَ القرآنِ الكريمِ هي من أوائلِ العلومِ التي ٱعتنى بها المسلمونَ دراسةً وتأليفًا، وقد نشأَتْ منذُ زمنِ نزولِ الوحيِ المبينِ، وكانَتْ منزلةُ أهلِ بيتِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابِهِ تتفاوتُ فيما بينهم في ذلك، حتى ٱشتهرَتْ مجموعَةٌ منهم في تفسيرِهِ، وتأويلِهِ، ومعرفَةِ أسرارِهِ.

– إنَّ العلومَ الأربعةَ التي تناولتها الدراسَةُ هي من أهَمِّ علومِ القرآنِ الكريمِ؛ لعلاقتِها الوثيقَةِ في صيانةِ النصِّ القرآنيِّ، وإثباتِ صدورِهِ عن الله تعالى، وفَهْمِ أسرارِهِ، وٱستنباطِ أحكامِهِ، فكانَ التأليفُ فيها مُبَكِّرًا، ومُتَعَدِّدًا على مَرِّ العصورِ إلى يومِنا.

– إنَّ كثيرًا من الاختلافاتِ الواردةِ في فَهْمِ النصِّ القرآنيِّ بين المسلمينَ هي قائِمَةٌ على ٱختلافِ عقائدِهِمْ ومذاهبِهِمْ، وخصوصًا ما يتعلَّقُ بمباحِثِ توحيدِ الله تعالى، وتنزيهِهِ عَمَّا لا يليقُ بِهِ، وقد ٱنعكسَ ذلكَ جليًّا على فَهْمِ النصوصِ وتفسيرِها.

– إنَّ القرآنَ الكريمَ هو الكتابُ السماويُّ الخالِدُ، الذي ختمَ اللهُ به الشرائِعَ السابِقَةَ، وتعهَّدَ بصيانَتِهِ وحفظِهِ من التحريفِ وإنِ ٱختلفَ المسلمونَ في عقائِدِهِمْ، وقَدْ أكَّد ذلكَ العقلُ والنقلُ من خلالِ أدلتِهِما الصريحَةِ الواضِحَةِ، وقد أشارَ السيِّدُ "الشهرستانيُّ" إلى أهمِّها في كلماتِهِ.

– حاولَتِ الدراسَةُ تأكيدَ بيانِ مُرادِ السيِّدِ "الشهرستانيِّ" وتوضيحَه في بعضِ الموضوعاتِ متجاوزةً بعضَ قواعِدَ التحقيقِ المعهودَةِ؛ لأهميةِ ما تَمَّ طَرْحُهُ موافقَةً أو مخالَفَةً، من خلالِ التعليقِ والبيانِ ليكونَ الأمرُ جليًّا للباحثينَ، من خلالِ عَرْضِ آراءِ الآخرينَ مقابِلَ رأيِهِ، وفيهِ فائدةٌ كبيرةٌ.

**نتائج البحث وتوصيات:**

**وأهم النتائج التي توصل إليها الباحث فهي:**

**– أهميةُ دراسَةِ آراءِ علمائِنا الأعلامِ الذينَ جمعوا وأجادوا واْجتهــدوا في علــومٍ متعددةٍ لها أثرٌ في فَهْمِ النَّصِّ القرآنِيِّ، ولا سيَّما علومُ الكلامِ، والأصولِ، والعربيةِ، وهذا ما رأيناهُ جليًّا في منهجِ السيِّدِ "الشهرستانِيِّ" عندَ محاكمَتِهِ لأقوالِ الــسابقينَ ومناقشتِها، وعَرْضِهِ للرواياتِ الشريفةِ.**

**– إنَّ السيِّدَ "الشهرستانِيَّ" يُعَدُّ من علمائِنا الروَّادِ في تفسيرِ النصِّ القرآنِيِّ تفــسيرًا يجمعُ بين الموروثِ والعلومِ الحديثَةِ، وهذا ما يلمسُهُ الباحِثُ في مباحِثَ متعددةٍ، ومنها آراؤُهُ في المحكمِ والمتشابِهِ، وكيفيةِ فهمِ المتشابِهِ، وحكمتِهِ.**

**– إنَّ السيِّدَ "الشهرستانِيَّ" قد ٱنفردَ من بينِ علماءِ المــسلمينَ المتــأخرينَ بنفــيِ المنسوخِ في القرآنِ الكريمِ، ولم يكنْ ذلك تقليدًا أو تأثُّرًا ببعضِ العلماءِ القدماءِ، بل بَعْدَ دِقَّةٍ وتمحيصٍ للآياتِ المباركَةِ، وإنْ كانَ الباحِثُ لا يوافِقُهُ في كُلِّ آرائِهِ، ولكن تبقى الريادَةُ لَهُ في فتحِ البابِ أمامَ الآخرينَ في المناقشةِ والبحثِ، وقد رأينا بعده مَنْ يقولُ مثل رأيِهِ.**

**– إنَّ الإحاطةَ بالعلومِ العقليةِ والنقليةِ واضحةٌ في منهجِ السيدِ "الــشهرستانِيِّ" في تعاملِهِ مع آياتِ القرآنِ الكريمِ، وهذا ما كانَ منه في العلومِ الثلاثَةِ الأولى للأطروحةِ: صيانة القرآن، والنسخ، والمحكم والمتشابه، فضلاً عــن الــشجاعةِ والــرأيِ في التصريحِ.**

– إنَّ الشخصيَّةَ الإصلاحيَّةَ للسيدِ "الشهرستانيِّ" كانت ظاهرةً جليَّةً في تعاملِهِ مع علومِ القرآنِ الكريمِ المختلفِة، ومحاولةِ ٱستنطاقِها لأداءِ الرسالةِ الإصلاحيَّةِ العامَّةِ للقرآنِ الكريمِ في المجتمعِ، وكانَ ذلكَ في مواردَ متعددةٍ.

– لقد كانَ السيدُ "الشهرستانيُّ" في رؤاهُ وكتاباتِهِ عن علومِ القرآنِ الكريمِ، الناقِدَ تارَةً للجامدينَ على ظواهِرِ اللفظِ، والناصِرَ والمدافِعَ عن القرآنِ عقيدة وتفسيرًا وبيانًا، وكان ذلك جليًّا في مباحِثِ العقيدةِ، وتحدي القرآنِ وإعجازِهِ لخصومِهِ.

– أهميةُ تسخيرِ جميعِ العلومِ في فهمِ النصِّ القرآنيِّ من جوانبِهِ المتعددةِ، ومن أهمها علمِ الأصولِ في دراسته للألفاظ وأنواعها، من حيثِ التخصيصِ والعامِّ، والمُقَيَّدِ والمُطْلَقِ وغيرِها، وأثر ذلك في مباحثِ القرآنِ عامَّةً، ومبحثِ الناسخِ والمنسوخِ خاصَّة، وكانَ للسيدِ "الشهرستانيِّ" إبداعاتٌ علميةٌ فيهِ.

ومن أهم التوصيات التي يوصي بها الباحث:

– ضرورةُ تهذيبِ الموسوعاتِ الحديثيةِ من الرواياتِ التي تُسِيءُ إلى كتابِ اللهِ تعالى بالقولِ بتحريفِهِ، تصريحًا أو تلويحًا، مثل التي وردَت عن كبارِ الصحابةِ، وعدمِ البحثِ عن مبرراتٍ ومسوغاتٍ لتلكَ الأحاديثِ لتقديسِ قائلِيها، فإنَّ القرآنَ أعظمُ قدسيَّةً.

– إنَّ فِهْمَ القرآنِ الكريمِ وتفسيرَهُ وبيانَهُ لا يكونُ إلا من خلالِ علومٍ متعددةٍ، وأهمِّها علومِ العقيدةِ الإسلاميةِ، ويجبُ عدمُ فسحِ المجالِ بترويجِ ونشرِ بحوثِ ودراساتِ الذين يخالفونَ القواعِدَ العامَّةَ من خلالِ الإشارةِ إلى تلكِ البحوثِ والدراساتِ ورفضِ نشرِها بين الباحثينَ؛ للحفاظِ على قدسيةِ القرآنِ الكريمِ من التحريفِ المعنويِّ له، ونشوءِ فِرَقٍ منحرفةٍ تكفيريَّةٍ ضالَّةٍ.

– ضرورةُ تكثيفِ الدراساتِ البلاغيةِ الأوليَّةِ في القرآنِ الكـــريمِ لطلبـــةِ المرحلـــةِ المتوسطةِ والإعداديةِ؛ لما في ذلك مَن إدامَةِ خلودِ النصِّ القرآنِيِّ ببلاغتِـــهِ، وروعَـــةِ أسلوبِهِ وبيانِهِ، وإنشاءِ جيلٍ يتذوَّقُ اللفظةَ القرآنيةَ، ويعيشُ أجواءَها، ولكننـــا نـــرى ضعفًا كبيرًا واضحًا في هذا الجانبِ.

– أهميةُ إقامةِ المؤتمراتِ العلميَّةِ التخصصيَّةِ الدقيقةِ في علومِ القرآنِ الكريمِ، دونَ المؤتمراتِ العامةِ في القرآنِ الكريمِ؛ للإحاطَةِ التفصيليَّةِ في كُلِّ علمٍ من علومِهِ، وما في ذلكَ من ثراءٍ للدراساتِ القرآنيَّةِ، فضلاً عن الموسوعيَّةِ فيها.

– أهميَّةُ اعتناءِ المراكزِ البحثيَّةِ والجامعاتِ العلميةِ بتوجيهِ طلبتِها وباحثيها لنـــشرِ آثارِ علمائِنا المخطوطةِ بالدراسةِ والتحقيقِ؛ لإحياءِ تلكَ العقولِ؛ ولتكونَ زادًا علميًّا للباحثينَ والدارسينَ، لئلا تبقى جهودَهُمْ الفكريةُ العظيمةُ أسيرةَ قراطيسَ صفراءَ عند ذويهم، ولعلها تُفْقَدُ يومًا، فتكونَ الخسارةُ أكبرَ.

# ثبت المصادر والمراجع

## ثبت قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

*** المخطوطات:**

١. الشهرستاني، هبة الدين: الإجازة السادسة، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٢. ـــــــــــ: أوراق مخطوطة ملحقة بكتاب حديث مع الـدعاة، (الكاظميـة، مكتبة الجوادين العامة).

٣. ـــــــــــ: أوراق مخطوطة مع مجموعة رسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٤. ـــــــــــ: بدون عنوان، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٥. ـــــــــــ: بندريات، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٦. ـــــــــــ: التفسير المحيط، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٧. ـــــــــــ: تنزيه التنزيل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٨. ـــــــــــ: جمهرة العلوم القرآنية، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٩. ـــــــــــ: الحائريات، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة: ١٦٣).

١٠. ـــــــــــ: الحواصل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة: ١٦٣).

١١. ـــــــــــ: خير الدلائل في أجوبة المسائل، (الكاظمية، مكتبـة الجـوادين العامة).

١٢. ـــــــــــ: الدلائل والمسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

١٣. ـــــــــــ: رؤوس الأقلام، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

١٤. ـــــــــــ: رؤوس الدروس، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

١٥. ـــــــــــ: الرسائل والمسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

١٦. ـــــــــــ: الرسالة العرشية، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

١٧. ـــــــــــ: السبع المثاني، (الكاظمية مكتبة الجوادين العامة).

١٨. ـــــــــــ: سرج في ظلمات الحياة، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

١٩. ـــــــــــ: صدف اللآلىء في نسب آل أبي المعالي، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٢٠. ـــــــــــ: صفوة المعارف، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٢١. ـــــــــــ: الفوائد الطوسية، (مكتبة الجوادين العامة، الكاظمية).

٢٢. ـــــــــــ: فوائد هبة الدين، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة)

٢٣. ـــــــــــ: القرآن إمام الكل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٢٤. ـــــــــــ: مختارات هبة الدين، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٢٥. ـــــــــــ: مخزن الدلائل في أجوبة المسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٢٦. ـــــــــــ: مذكرات النشريات، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٢٧. ـــــــــــ: المسودات القرآنية، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٢٨. ـــــــــــ: معجم الفقيه، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٢٩. ـــــــــــ: مهمات، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٣٠. ـــــــــــ: نتائج الحلوم، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

*** المطبوعات:**

(حرف الهمزة)


٣١. الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود (ت١٢٧٠هـ/١٧٩٢م): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت).

٣٢. آل ياسين، محمد حسن (الشيخ) (ت١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م): نصوص الردة في تاريخ الطبري نقد وتحليل، (مكتبة النهضة، بغداد، ط٢، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م).

٣٣. الإبراهيم، موسى إبراهيم: بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، (دار عمار، عمان، ط٣، ١٤١٦هـ١٩٩٦م).

٣٤. ٱبن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥، د.ط).

٣٥. أحمد بن حنبل: مسند أحمد (ت٢٤١هـ/٨٥٥م) وبهامشه منتخب كنز العمال، (دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت).

٣٦. أحمد مطلوب (الدكتور): بحوث بلاغية، (المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤١٧هـ١٩٩٦م، د.ط).

٣٧. الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت٢١٥هـ/٨٣٠م): معاني القرآن، تح: الدكتورة هدى محمود قراعة، (مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م).

٣٨. آبن إدريس، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٥٩٨هـ/١٢٠١): موسوعة آبن إدريس الحلي / إكمال النقصان من تفسير منتخب التبيان، تح وتق: السيد محمد مهدي الخرسان، (الناشر: العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، ط٢، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م).

٣٩. الأشتياني، محمد حسن بن جعفر: بحر الفوائد في شرح الفرائد (١٣١٩هـ/١٩٠١م)، تح: محمد حسن الموسوي، (مط سليمان زاده، قم، د.ط، د.ت).

٤٠. الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٣٢٤هـ/٩٣٩م): الإبانة عن أصول الديانة: تق وتح وتع: الدكتورة فوقية حسين محمود، (مط التقدم، مصر، ط١، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م).

٤١. الأشعري القمي، أبو خلف سعد بن عبد الله (ت٣٠١هـ/٩١٣م): كتاب المقالات والفِرق، تص وتع: الدكتور محمد جواد مشكور (مط حيدري، طهران، ١٩٦٣م، د.ط).

٤٢. آبن أبي الإصبع، أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م): بديع القرآن، تح: حفني محمد شرف، (نهضة مصر، د.ط، د.ت، د.م).

٤٣. الأصبهاني، موفق الدين أبو القاسم إسماعيل بن محمد (ت٥٣٥هـ/١١٤٠م): دلائل النبوة، تح: محمد محمد الحداد، (دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ).

٤٤. الأطرقجي، واجدة مجيد: التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، (منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، ١٩٧٨م، د.ط، د.مط).

٤٥. امرىء القيس، حُنْدُج بن حُجْر (ت٥٦٥م): ديوان امرىء القيس، تص: مصطفى عبد الشافي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م).

٤٦. الأميني، عبد الحسين أحمد (الشيخ) (ت١٣٩٠هـ/١٩٧٠م): الغدير في الكتاب والسنة والأدب، (دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت).

٤٧. الأنصاري، مرتضى (الشيخ) (ت١٢٨١هـ/١٨٦٤م): فرائد الأصول، تح: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأنصاري، (شريعت، قم، ط٢، ١٤٢٤هـ).

٤٨. الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت٧٥٦هـ/١٣٥٥م): المواقف، تح: د. عبد الرحمن عميرة، (دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م).

(حرف الباء)

٤٩. الباقلاني: ، أبو بكر محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ/١٠١٣م): إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، (دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت).

٥٠. ـــــــ: الانتصار للقرآن، تح: د. محمد عصام القضاة، (الناشر: دار الفتح، عمان، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م).

٥١. ـــــــــ: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تح: عماد الدين أحمد حيدر، (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م).

٥٢. البحراني، كمال الدين ميثم بن علي (ت٦٧٩هـ/١٢٨٠م): أصول البلاغة، تح: الدكتور عبد القادر حسين، (دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، د.م).

٥٣. ـــــــــ: شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب "عليه السلام"، تص وتع: مير جلال الدين الحسيني الأرموي، (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، د.ط، د.مط، د.ت).

٥٤. البحراني، هاشم (السيد) (ت١١٠٧هـ/١٦٩٦م)، البرهان في تفسير القرآن، تح و تع: لجنة من العلماء والمحققين الأصوليين، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م).

٥٥. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م): صحيح البخاري، (دار الفكر، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، د.ط، د.م).

٥٦. أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ/١١٨١م)، عبد الرحمن بن محمد: الإنصاف في مسائل الخلاف، (دار الفكر، دمشق، د.ط، د.ت).

٥٧. البروجوردي: مرتضى (الشيخ) (ت١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، مستند العروة الوثقى، (العلمية، قم، ط١، ١٤١٤هـ).

٥٨. البغا و مستو، مصطفى ديب ومحيي الدين ديب: الواضح في علوم القرآن، (دار الكلم الطيب، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م).

٥٩. البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م): الفَرْقُ بين الفِرَق، تع: الشيخ إبراهيم رمضان، (دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م).

٦٠. البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م): الناسخ والمنسوخ، تح: الدكتور حلمي كامل أسعد، (دار العدوي، عمان، د.ط، د.ت).

٦١. البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م): فتوح البلدان، تع: رضوان محمد رضوان، (المطبعة المصرية، مصر، ط١، ١٣٥٠هـ ١٩٣٢م).

٦٢. البلاغي، محمد جواد (ت١٣٥٢هـ/١٩٣٣م): آلاء الرحمن في تفسير القرآن، (مط العرفان، صيدا، ١٣٤١هـ ١٩٣٣م).

٦٣. ـــــــ: التوحيد والتثليث، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م).

٦٤. ـــــــ: الرحلة المدرسية، (دار الزهراء، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م).

٦٥. البهادلي، محمد باقر: السيد هبة الدين الحسيني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية، (مط شركة الحسام، بغداد، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م).

(حرف التاء)

٦٦. التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر (ت٧٩٢هـ/١٣٩٠م): المطوَّل، تح: د. عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م).

٦٧. التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت٤٠٠هـ/١٠٠٩م): الإمتاع والمؤانسة، (المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ).

٦٨. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ/١٣٢٨م): شرح العقيدة الأصفهانية، تح: إبراهيم سعيداي، (مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ).

٦٩. ـــــــ: التدمرية، تح: الدكتور محمد بن عودة السعودي، (مكتبة العبيكان، الرياض، ط٦، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م).

(حرف الثاء)

٧٠. الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت٤٢٩هـ/١٠٣٨م): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م).

(حرف الجيم)

٧١. جَبُّور، عبد النور (الدكتور): المعجم الأدبي، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م).

٧٢. الجبوري، يحيى: شعر هُدْبَة بن الخَشرم العُذري، (دار القلم، الكويت، ط٢، ١٤٠٦هـ١١٩٨٦م).

٧٣. جديدي نزاد، محمد رضا: معجم مصطلحات الرجال والدراية، إشراف: محمد كاظم رحمان ستايش، (مط دار الحديث، قم، ط٢، ١٤٢٤هـ).

٧٤. الجُدَيْع، عبد الله بن يوسف: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، (الناشر: مركز البحوث الإسلامية، بريطانيا، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م).

٧٥. الجرجاني، عبد القاهر (ت٤٧١هـ/١٠٧٨م): أسرار البلاغة، تع: محمود محمد شاكر، (مط المدني، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩١م).

٧٦. ـــــــ: دلائل الإعجاز، تح: د. محمد التنجي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م).

٧٧. الجرمي، إبراهيم محمد: معجم علوم القرآن، (دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م).

٧٨. جرير بن عطية (ت١١٤هـ/٧٣٢م): ديوان جرير، تع: كرم البستاني، (دار بيروت، بيروت، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م).

٧٩. الجريسي، محمد مكي نصر (ت١٣٢٢هـ/١٩٠٤م): نهاية القول المفيد في تجويد القرآن المجيد، تص: عبد الله محمود محمد عمر، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م).

٨٠. الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي (ت٣٧٠هـ/٩٨٠م): أحكام القرآن، ضبط: عبد السلام محمد علي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م).

٨١. جعفريان، رسول: أكذوبة تحريف القرآن بين السنة والشيعة، (مط سبهر، طهران، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م).

٨٢. الجلالي، محمد حسين: دراسة حول القرآن الكريم، تح: علي النجيدي الإحسائي، (دار المحجة البيضاء، بيروت، ط٢، ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م).

٨٣. ٱبن أبي جمهور الإحسائي، محمد بن علي بن إبراهيم (ت٨٨٠هـ/١٤٧٥م): عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، تح: آقا مجتبى العراقي، تق: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، (ط١، قم، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، د.مط).

٨٤. ٱبن جِنِّي، أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ/١٠٠٢م): الخصائص، تح: محمد علي النجار، (عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت).

٨٥. ـــــــ: سر صناعة الإعراب، تح: د. حسن الهنداوي، (دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٥م).

٨٦. ـــــــ: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، (الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، د.ط).

٨٧. ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م): زاد المسير في علم التفسير، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م).

٨٨. ـــــــ: المدهش، تص و تع: الدكتور مروان قباني، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م).

٨٩. ـــــــ: نواسخ القرآن، تح ودراسة: د. محمد أشرف علي، (ط٢، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م، د.مط، د.م).

٩٠. الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ/١٠٠٣م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م).

(حرف الحاء)

٩١. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٨هـ/١٦٥٧م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح و تع: محمد شرف الدين، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، ط.مط).

٩٢. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م): المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، تح: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، (دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت).

٩٣. حبنَّكة الميداني: عبد الرحمن حسن: البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، (دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م).

٩٤. الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ/١٦٩٣م): تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تح: مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث، (مط مهر، الناشر: مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٤هـ).

٩٥. ابن حازم الهمذاني، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان (ت٥٨٤هـ/١١٨٩م): الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار، (مط دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط٢، ١٣٥٩هـ).

٩٦. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م): المحلى في الفقه، تح: الشيخ أحمد محمد شاكر، (دار الفكر، د.ط، د.مط، د.ت).

٩٧. ـــــــ: الناسخ والمنسوخ، تح: الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م).

٩٨. الحسني، عبد الستار: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني حياته ونشاطه العلمي والاجتماعي، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤٢٩هـ).

٩٩. الحكيم، محسن (السيد) (ت١٣٩١هـ/١٩٧١): حقائق الأصول، (ط٥، الغدير، قم، ١٤٠٨هـ).

١٠٠. الحكيم، محمد باقر (السيد) (ت١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م): علوم القرآن، (دار التعارف، بيروت، ط٥، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م).

١٠١. الحكيم، محمد تقي (السيد) (ت١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م): الأصول العامة للفقه المقارن، (الناشر بيك فدك، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، د.م).

١٠٢. الحلو، محمد علي: التحريف والمحرفون، (مط برهان، قم، ط١، ١٤٢٦هـ).

١٠٣. الحمد، غانم قدوري (الدكتور): محاضرات في علوم القرآن، (دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م).

١٠٤. الحموي، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله: خزانة الأدب (ت٨٣٧هـ/١٤٣٣م)، تح: عصام شعيتو، (دار الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م).

١٠٥. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم الأدباء، (عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ط، د.ت).

١٠٦. ـــــــ: معجم البلدان، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، د.ط).

١٠٧. الحميري، يزيد بن مفرِّغ (ت٦٩هـ/٦٨٨م): ديوان يزيد بن مفرِّغ، تح: الدكتور عبد القدوس أبو صالح، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م).

١٠٨. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م): تفسير البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد و الشيخ علي معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م).

(حرف الخاء)

١٠٩. الخراساني، محمد كاظم (الشيخ) (ت١٣٢٨هـ/١٩١٠م): كفاية الأصول، تح: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، (ط١، مهر، ١٤٠٩هـ، قم).

١١٠. الخطاب: رجاء حسين (الدكتورة): عبد الرحمن النقيب حياته الخاصة وآراؤه السياسية وعلاقته بمعاصريه، (المكتبة العالمية، بغداد، ط١، د.ت).

١١١. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد إبراهيم (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م): بيان إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح و تع: محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام، (دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م).

١١٢. الخطيب التبريزي: شرح ديوان عنترة بن شداد، تق: مجيد طراد، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م).

١١٣. الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م): الإيضاح في علوم البلاغة، وضع حاشيته: إبراهيم شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٢م).

١١٤. الخطيب، عبد اللطيف: معجم القراءات، (دار سعد الدين، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م).

١١٥. الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت٩٧٧هـ/١٠٦٩م): ريحانة الألِبَّا وزهرة الحياة الدنيا، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، (مط عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٨٦هـ ١٩٦٧م، د.م).

١١٦. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: الدكتور إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧١م).

١١٧. الخليلي، جعفر (ت١٤٠٥هـ/١٩٨٥م): موسوعة العتبات المقدسة / قسم الكاظمين "بيوتات الكاظمية للدكتور حسين علي محفوظ"، (دار التعارف، بيروت، ط١، ١٩٦٧م).

١١٨. الخوئي، أبو القاسم بن علي أكبر (السيد) (ت١٤١٣هـ/١٩٩٢م): البيان في تفسير القرآن، (مط العمال المركزية، بغداد، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م، د.ط).

١١٩. الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد (ت٥٦٨هـ/١١٧٢م): المناقب، تح: الشيخ مالك المحمودي، (مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط٢، ١٤١١هـ).

(حرف الدال)

١٢٠. الدارابي، علي الموسوي: النص الخالد لم ولن يحرف أبدا، إشراف: العلامة محمد واعظ زاده الخراساني، (مط العتبة الرضوية المقدسة، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ط١، ١٤٣٣هـ).

١٢١. ـــــــ: نصوص في علوم القرآن، (مؤسسة الطباعة للأستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ط١، ١٤٢٢هـ).

١٢٢. الدرويش: محيي الدين: إعراب القرآن وبيانه، (سليمان زاده، قم، ط٢، ١٤٢٨هـ).

(حرف الذال)

١٢٣. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عـثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م).

(حرف الراء)

١٢٤. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م): المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمـي، (دار إحيـاء الـتراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م).

١٢٥. رحمت الله الهندي، رحمت الله بن خليل الرحمن (ت١٣٠٨هـ/١٨٩١م): إظهار الحق، دراسة وتح وتع: الدكتور محمد أحمد محمـد ملكـاوي، (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والـدعوة والإرشـاد، السعودية، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م).

١٢٦. رضا مؤدب (الدكتور): إعجاز القرآن، تعريب: قاسم البيـضاني، (مـط أميران، قم، ط١، ١٤٣٠هـ).

١٢٧. الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (ت٣٨٦هـ/٩٩٦م): النُّكت في إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح و تـع: محمـد خلـف الله والدكتور محمد زغلول سلام، (دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م).

١٢٨. الرهيمي، علاء حسين، مجلة العلم النجفية، (مط الاعـتماد، قـم، ط١، ٢٠٠٧م).

(حرف الزاي)

١٢٩. الزبيدي، عمرو بن معدي كرب: شعر عمرو بن معدي، جمعه ونسقه: مطاع الطرابيشي، (مجمع اللغة العربية بدمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م).

١٣٠. الزبيدي، محمد بن محمد (ت١٢٠٥هـ/١٧٩١م)، تاج العروس، تح: علي شيري، (دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م).

١٣١. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت٣١١هـ/٩٢٣م): إعراب القرآن، تح: إبراهيم الأبياري، القسم الأول، (دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ط، د.ت).

١٣٢. ـــــــ: معاني القرآن وإعرابه، تع: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، (دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م).

١٣٣. الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (٣٣٧هـ/٩٢٩م): كتاب حروف المعاني، تح: د. علي توفيق الحمد، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م).

١٣٤. زرزور، عدنان محمد (الدكتور): علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م).

١٣٥. الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت١٣٦٧هـ/١٩٤٨م): مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زمرلي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

١٣٦. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ/١٣٩٢م): البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، د.ط).

١٣٧. الزِّرِكْلي، خير الدين بن محمود (ت١٣٩٦هـ/١٩٧٦م): الأعلام، (دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م).

١٣٨. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الكشاف)، تح: عبد الرزاق المهدي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٢١هـ ٢٠٠١م).

١٣٩. الزنجاني، أبو عبد الله بن نصر الله (ت١٣٦٠هـ/١٩٤٠م): تاريخ القرآن، تق: أحد أمين، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م).

١٤٠. الزيات، أحمد وآخرون: المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية في مصر.

١٤١. الزيدي: گاصد ياسر و ٱبتهال گاصد: علوم القرآن والتفسير، (النماء، بغداد، ط١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م).

١٤٢. زين العابدين، علي بن الحسين (الإمام): الصحيفة السجادية، تق: محمد باقر الصدر، (مط رسول، قم، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م).

١٤٣. الزين، سميح عاطف: الأمثال والمثل والتمثيل والمثلات في القرآن الكريم، (دار الكتاب المصري، مصر، ط٢، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م).

(حرف السين)

١٤٤. السامرائي، إبراهيم (الدكتور): من وحي القرآن، (مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م).

١٤٥. السبحاني، جعفر (الشيخ): الأمثال في القرآن، (مط أعتماد، قم، ط١، ١٤٢٠هـ).

١٤٦. ـــــــ: بحوث في الملل والنحل، (مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ط١، ١٤٢٧هـ).

١٤٧. ـــــــ: جعفر: المناهج التفسيرية في علوم القرآن، (دار الولاء، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م).

١٤٨. السبزواري، حسن السيادتي (ت١٣٨٥هـ/١٩٦٥م): وسيلة الوصول إلى حقائق الأصول، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط١، ١٤١٩هـ)

١٤٩. السبزواري، عبد الأعلى بن علي (السيد) (ت١٤١٤هـ/١٩٩٣م): مواهب الرحمن في تفسير القرآن (مط الديواني، بغداد، د.ط، د.ت).

١٥٠. السبكي، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م): مجاز القرآن، تح: د. مصطفى محمد حسين الذهبي، تق: أحمد زكي يماني، (مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، د.ط).

١٥١. السجستاني، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث (ت٣١٦هـ/٩٢٨م): كتاب المصاحف، تح: الدكتور محب الدين عبد السبحان واعظ، (دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م).

١٥٢. السجستاني، محمد بن عزيز (ت٣٣٠هـ/٩٤١م): غريب القرآن، تص وتع: لجنة من العلماء، (مط محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م، د.ط).

١٥٣. السدوسي، أبو الخاطب قتادة بن دعامة (ت١١٧هـ/٧٣٥م): الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى، تح: د. حاتم صالح الضامن، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ١٩٨٨م).

١٥٤. السرخسي: أبو بكر محمد بن أحمد (ت٤٩٠هـ/١٠٩٧): أصول السرخسي، تح: أبو الوفاء الأفغاني، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م).

١٥٥. السعيدي النجفي، محمد جواد: بحوث حول علوم القرآن الكريم، تق: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، (مط الآداب، النجف، د.ط، د.ت).

١٥٦. السكاكي، يوسف بن أبي بكر (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م): مفتاح العلوم: تع: نعيم زرزور، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ١٩٨٧م).

١٥٧. السلامي، عمار عبد الأمير (الدكتور): بنائية الصورة القرآنية، (الناشر: العتبة العلوية المقدسة – الرسائل الجامعية (٨)، د.ط، د.مط، د.ت).

١٥٨. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت٧٥٦هـ/١٣٥٥م): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: الدكتور أحمد محمد الخياط، (دار القلم، بيروت، د.ط، د.ت).

١٥٩. آبن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد (ت٤٦٦هـ/١٠٧٣م): سر الفصاحة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ١٩٨٢م).

١٦٠. السيد خضر (الدكتور): الفواصل القرآنية –دراسة بلاغية–، كلية المعلمين بالرياض.

١٦١. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م): الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مط العصرية، بيروت، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، د.ط).

١٦٢. ـــــــ: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تح: الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، (القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م، د.م).

١٦٣. ـــــــ: طبقات المفسرين، تح: علي محمد عمر، (مط الحضارة العربية، فجالة، ط١، ١٣٩٦هـ١٩٧٦م).

١٦٤. ـــــــ: معترك الأقران في إعجاز القرآن، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ١٩٨٨م).

(حرف الشين)

١٦٥. الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ/٨١٩م): الأم، (دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م).

١٦٦. شرف، حفني محمد (الدكتور): إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، (١٣٩٠هـ ١٩٧٠م، د.مط، د.م، د.ط).

١٦٧. الشريف الجرجاني، علي بن محمد (ت٨١٦هـ/١٤١٣م): التعريفات، (الخيرية، مصر، ط١، ١٣٠٦هـ).

١٦٨. الشريف الرضي، محمد بن الحسين (ت٤٠٦هـ/١٠١٥م): تلخيص البيان في مجازات القرآن، (مط المعارف، بغداد، ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م، د.ط).

١٦٩. ـــــــ: حقائق التأويل في متشابه التنزيل، شرح: العلامة محمد رضا آل كاشف الغطاء، (دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م).

١٧٠. ـــــــ: نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، (مط الاستقامة، مصر، د.ط، د.ت).

١٧١. الشريف المرتضى علي بن الحسين (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م): الآيات الناسخة والمنسوخة، تح: علي جهاد الحساني، (مؤسسة البلاغ، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠م).

١٧٢. ـــــــ: أمالي السيد المرتضى، تص: محمد بدر الدين النعساني الحلبي، (الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ط١، ١٤٠٣هـ، د.مط).

١٧٣. ـــــــ: الذريعة إلى أصول الشيعة، (دانشكاه، طهران، ١٣٤٦ش، د.ط).

١٧٤. ـــــــ: رسائل الشريف المرتضى (المجموعة الأولى / جوابات المسائل الرازية)، تق: السيد أحمد الحسيني، (مط سيد الشهداء، قم، ١٤٠٥هـ، د.ط).

١٧٥. ـــــــ: تنزيه الأنبياء، (دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م).

١٧٦. ـــــــ: من رسائل الشريف المرتضى (مجموعة في فنون من علم الكلام)، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، (مط دار الكفيل، كربلاء، الناشر: العتبة الكاظمية المقدسة، ط٢، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م).

١٧٧. ـــــــ: رسالة المحكم والمتشابه، تح و تق: السيد عبد الحسين الغريفي (مط الأستانة الرضوية، مشهد، ط٢، ١٤٣٢هـ).

١٧٨. ـــــــ: الموضح عن جهة إعجاز القرآن (الصرفة)، تح: محمد رضا الأنصاري القمي، (مط الأستانة الرضوية، مشهد، ط٢، ١٤٣٢هـ).

١٧٩. الشريفي، محمود: أسطورة التحريف دراسة في مسألة التحريف عند الشيعة والسنة، إشراف: الشيخ محمد هادي معرفة، (د.مط، د.م، د.ط، د.ت).

١٨٠. ٱبن شهاب الزهري، أبو بكر محمد بن مسلم (ت١٤٢هـ/٧٥٩م): الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تح: مصطفى محمود الأزهري، (دار ٱبن القيم، السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨).

١٨١. ٱبن شهر آشوب، محمد بن علي (ت٥٨٨هـ/١١٩٢): متشابه القرآن ومختلفه، تق: السيد هبة الدين الشهرستاني، (مط أمير، قم، ط٣، ١٤١٩هـ).

١٨٢. ـــــــ: مناقب آل أبي طالب، تص: لجنة من أساتذة النجف، (مط الحيدرية، النجف، ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م، د.ط).

١٨٣. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): الملل والنحل، تص و تع: أحمد فهمي محمد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م).

١٨٤. الشهرستاني، محمد علي (الدكتور) (ت١٤٣٢هـ/٢٠١١م): مدخل إلى علم الفقه، (دار النصر، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م).

١٨٥. الشهرستاني، هبة الدين (السيد) (ت١٣٨٦هـ/١٩٦٧م): حلال مشكلات، (مط النجاح، بغداد، ١٣٧٣هـ، د.ط).

١٨٦. ـــــــ: المعجزة الخالدة، (مط الميناء، بغداد، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، د.ط).

١٨٧. ـــــــ: الهيأة والإسلام، تق: السيد أحمد الحسيني، (الآداب، النجف، ١٣٨١هـ ١٩٦١م، د.ط).

١٨٨. ـــــــ: معركة الشعيبة "أسرار الخيبة من فتح الشعيبة ١٩١٤-١٩١٥"، تح: الأستاذ الدكتور علاء حسين الرهيمي والدكتور إسماعيل الجابري، (الناشر: مؤسسة السيد الشهرستاني للطباعة والنشر، قم، ط٢، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م، د.مط).

١٨٩. ـــــــ: نهضة الحسين، (مط النعمان، النجف، ١٩٥٨م، د.ط).

١٩٠. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي (ت٩٦٥هـ/١٥٥٨م): الرعاية في علم الدراية، تح و تع: عبد الحسين محمد علي البقال، (مط بهمن، قم، ط٢، ١٤٠٨هـ).

١٩١. الشيرازي، ناصر مكارم: الأخلاق في القرآن، (مؤسسة أم أبيها، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م).

١٩٢. ـــــــ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م).

(حرف الصاد)

١٩٣. الصالح، صبحي (الدكتور): مباحث في علوم القرآن، (دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٧٧م).

١٩٤. الصدر، محمد باقر (السيد) (ت١٤٠٠هـ/١٩٨٠م): المدرسة القرآنية، تح: لجنة التحقيق للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، (شريعت، قم، ط٣، ١٤٢٦هـ).

١٩٥. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي (الشيخ) (ت٣٨١هـ/٩٩١م): الاعتقادات، تح: عصام عبد السيد، (دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ).

١٩٦. ـــــــ: معاني الأخبار، تص: علي أكبر الغفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٣٧٩هـ، د.ط).

١٩٧. ـــــــ: من لا يحضره الفقيه، تص و تع: علي أكبر الغفاري، (الناشر: جماعة المدرسين، قم، ط٢، د.مط، د.ت).

١٩٨. الصغير، محمد حسين (الدكتور): أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م).

١٩٩. ـــــــ: المستشرقون والدراسات القرآنية، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م).

٢٠٠. ـــــــ: نظرات معاصرة في القرآن الكريم، (دار المؤرخ العربي، بيروت، د.ط، د.ت).

٢٠١. صفوت، أحمد زكي: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، (المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، د.ت).

(حرف الضاد)

٢٠٢. الضامن، حاتم صالح (الدكتور): عشرة شعراء مُقِلُّون، (الناشر: جامعة بغداد، بغداد، ١٤١١هـ ١٩٩٠م، د.ت).

٢٠٣. ضومط، جبر (ت١٣٤٨هـ/١٩٣٠م): الخواطر الحسان في المعاني والبيان، (مط الهلال، مصر، ١٨٩٦م، د.ط).

(حرف الطاء)

٢٠٤. ابن طاووس، علي بن موسى (ت٦٦٤هـ/١٢٦٦م): الملهوف على قتلى الطفوف، تح و تق: الشيخ فارس الحسون، (مط أسوة، قم، ط٤، ١٤٢٥هـ).

٢٠٥. الطباطبائي، علي (السيد) (ت١٢٣١هـ/١٨١٦م): رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل، تح: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤٢٢هـ).

٢٠٦. الطباطبائي، محمد حسين بن محمد (السيد) (ت١٤٠٣هـ/١٩٨٢م): الميزان في تفسير القرآن، تص: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ١٩٩٧م).

٢٠٧. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (الشيخ) (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): مجمع البيان في تفسير القرآن، تح: لجنة من العلماء والمحققين، تق: السيد محسن الأمين العاملي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

٢٠٨. الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): الاحتجاج، تع: السيد محمد باقر الخرسان، (دار النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ١٩٦٦م، د.ط).

٢٠٩. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٩٢م): جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، تح و تع: محمود محمد شاكر، (دار ٱبن الجوزي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م).

٢١٠. ـــــــ: تاريخ الأمم والملوك، (مط الاستقامة، القاهرة، ١٣٥٧هـ١٩٣٩م، د.ط).

٢١١. طبل، حسن: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، د.ط).

٢١٢. الطريحي، فخر الدين بن محمد علي (ت١٠٨٥هـ/١٦٧٤م): مجمع البحرين ومطلع النيرين، تح: السيد أحمد الحسيني (الناشر: مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ط٢، ١٤٠٨هـ).

٢١٣. الطهراني، محمد محسن (الشيخ آغا بزرك) (ت١٣٨٩هـ/١٩٦٩م): الذريعة إلى تصانيف الشيعة، تح: علي نقي منزوي، (مط الآداب، النجف، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م).

٢١٤. ـــــــ: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، (دار الأضواء، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).

٢١٥. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (الشيخ) (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م): الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، (مط الخيام، قم، ١٤٠٠هـ، د.ط).

٢١٦. ـــــــ: تهذيب الأحكام، تص وتع: علي أكبر الغفاري، (مكتبة الصدوق، طهران، ط١، ١٤١٨هـ).

٢١٧. ـــــــ: التبيان في تفسير القرآن، تح و تص: أحمد حبيب قصير العاملي، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ).

٢١٨. ـــــــ: الخلاف، تح: جماعة من المحققين في مؤسسة النشر الإسلامي، (مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم، ١٤٠٧هـ، د.ط).

٢١٩. ـــــــــ: العدة في أصول الفقه، تح: محمد رضا الأنصاري القمي، (ستارة، قم، ط١، ١٤١٧هـ).

٢٢٠. آبن طيفور، أبو الفضل بن أبي طاهر (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م): بلاغات النساء، (مكتبة بصيرتي، قم، د.ط، د.مط).

(حرف العين)

٢٢١. العاتي، إبراهيم (الدكتور): آفاق التجديد الإسلامي "أعلام وتيارات"، (دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م).

٢٢٢. العاملي، جعفر مرتضى: حقائق هامة عن القرآن الكريم، (مط مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، د.ت).

٢٢٣. العاملي، حسن محمد مكي: الإلهيات (محاضرات الشيخ جعفر السبحاني)، (مؤسسة الإمام الصادق "عليه السلام"، قم، ط٦، ١٤٢٦هـ).

٢٢٤. أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ/٨٢٥م): مجاز القرآن، تع: الدكتور محمد فؤاد سزكين، (مط دار غريب، مصر، ١٩٨٨م، د.ط).

٢٢٥. آبن العتائقي الحلي، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م): الناسخ والمنسوخ، دراسة وتح: الدكتور ثامر كاظم الخفاجي، (مط ستاره، قم، ط١، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م).

٢٢٦. آبن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م): أحكام القرآن، تح: علي محمد البجاوي، (مط عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢، د.م).

٢٢٧. العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي (٦٦٠هـ/١٢٦٢م): مجاز القرآن، تح: د. مصطفى محمد حسين الذهبي، تق: أحمد زكي يماني، (مؤسسة الفرقان للتراث، لندن، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، د.ط).

٢٢٨. العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله (ت٣٨٢هـ/٩٩٢م): المصون في الأدب، تح: عبد السلام محمد هارون، (مط حكومة الكويت، الكويت، ط٢، ١٩٨٤م).

٢٢٩. العسكري، مرتضى بن محمد إسماعيل: القرآن الكريم وروايات المدرستين، (إيران، ط٣، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، د.مط).

٢٣٠. العسكري، نجم الدين: حديث الثقلين، (مط الآداب، النجف الأشرف، ط٤، د.ت).

٢٣١. العطار، داود (الدكتور) (ت١٤٠٣هـ/١٩٨٣م): موجز علوم القرآن، (مط الزهراء، بغداد، ط١، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م).

٢٣٢. العكبري، أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين (ت٦١٦هـ/١٢١٩م): إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، (مط أمير، الناشر: مؤسسة الصادق، ط٣، د.ت).

٢٣٣. ـــــــ: التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البجاوي، (عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٦م، د.ط).

٢٣٤. العكيلي، عهود عبد الواحد (الدكتورة): السور المدنية دراسة بلاغية وأسلوبية، (دار الفكر، عمَّان، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م).

٢٣٥. العلامة الحلي، الحسن بن يوسف (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م): تذكرة الفقهاء، تح: مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث، (مهر، قم، ط١، ١٤١٤هـ).

٢٣٦. ـــــــ: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تق و تع: الشيخ جعفر السبحاني، (مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ط٢، قم، ١٣٨٢هـ ش).

٢٣٧. ـــــــ: كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، تح: حسين الدركاهي، (دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٣).

٢٣٨. علقمة بن عبدة (ت٦٠٣م): شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل، تق: الدكتور حنا نصر الحتي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م).

٢٣٩. العلوي، محمد مهدي (ت١٣٥٠هـ/١٩٣٠م): نابغة العراق أو هبة الدين الشهرستاني، تص: حسين هاشم، (مط الآداب، بغداد، ١٩٢٩م، د.ط).

٢٤٠. العلوي، يحيى بن حمزة (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م): الطراز، (مط المقتطف، مصر، ١٣٢٢هـ ١٩١٤م).

٢٤١. عمر بن أبي ربيعة: ديوان عمر بن أبي ربيعة، (دار القلم، بيروت، د.ط، د.ت).

٢٤٢. عمرو بن كلثوم: ديوان عمرو بن كلثوم: جمع وشرح وتح: الدكتور إميل بديع يعقوب، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١م).

٢٤٣. عتر، نور الدين (الدكتور): علوم القرآن الكريم، (الصباح، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م).

٢٤٤. العهد القديم: سفر الخروج، (دار الكتاب المقدس، ١٩٨٠م، د.ط، د.م).

٢٤٥. العياشي، أبو النضر محمد بن مسعود (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م)، تفسير العياشي، تص و تع: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، (المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، د.ط، د.ت).

(حرف الغين)

٢٤٦. الغروي، محمد (السيد): فقه السنة وفقه الشيعة، (دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م).

٢٤٧. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ/١١١١م): المستصفى في علم الأصول، تص: محمد عبد السلام عبد الشافي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، د.ط).

٢٤٨. الغفاري: عبد الرسول: المحكم والمتشابه، (مط زلال كوثر، الناشر: مركز المصطفى "ص" العالمي للترجمة والنشر، قم، ط١، ١٤٣١هـ).

٢٤٩. ـــــــ: النسخ بين المفسرين والأصوليين، (مط زلال كوثر، الناشر: مركز المصطفى "ص" العالمي للترجمة والنشر، قم، ط١، ١٤٣١هـ).

(حرف الفاء)

٢٥٠. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن (ت٣٩٥هـ/١٠٠٥م): معجم مقاييس اللغة، اعتنى به: الدكتور محمد عوض مرعب والآنسة فاطمة محمد أصلان، (مط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، د.ط).

٢٥١. الفاضل الهندي: بهاء الدين محمد بن الحسن (ت١١٣٧هـ/١٧٢٥م): كشف اللثام عن قواعد الأحكام، تح: مؤسسة النشر الإسلامي، (مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٦هـ، د.م).

٢٥٢. فتح الله، أحمد (الدكتور): معجم ألفاظ الفقه الجعفري، (مط المدوخل، الدمام، ط١، ١٤١٥هـ١٩٩٥م).

٢٥٣. أبو الفتوح الرازي، حسين بن علي (ت٥٥٢هـ/١١٥٧م): روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، تص: الدكتور محمدد جعفر ياحقي والدكتور محمد مهدي ناصح (المكتبة الرضوية، مشهد، ١٤٠٨هـ، د.ط).

٢٥٤. الفحام، عباس علي (الدكتور): الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون، (مط الفجر، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ٢٠١٠م).

٢٥٥. الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م): التفسير الكبير، تص: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ٢٠٠١م).

٢٥٦. ـــــــ: المحصول في علم الأصول، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م).

٢٥٧. فدا، هيفاء عثمان (الدكتورة): زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، (دار القاهرة، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م).

٢٥٨. الفَرَّاء، يحيى بن زياد (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م): معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، (مط أمير، الناشر: ناصر خسرو، ط١، قم، د.ت).

٢٥٩. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ/٧٨٦م): العين، تح: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، تص: أسعد الطيّب (مط أسوة، قم، ط٢، ١٤٢٥هـ).

٢٦٠. الفرزدق، همام بن غالب (ت١١٤هـ/٧٣٣م): ديوان الفرزدق، شرح وضبط و تق: علي فاعور، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م)

٢٦١. الفضلي، عبد الهادي (الدكتور) (ت١٤٣٤هـ/٢٠١٣م): أصول الحديث، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م).

٢٦٢. الفيض الكاشاني، محمد محسن (ت١٠٩١هـ/١٦٨٠م): التفسير الصافي، تص و تع و تق: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢).

(حرف القاف)

٢٦٣. القاضي عياض، أبو الفضل (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م): الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م، د.ط).

٢٦٤. آبن قتيبة الدينوري، محمد بن عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٩٩م): تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، (دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

٢٦٥. ـــــــ: الشعر والشعراء، والشعراء، تح: أحمد محمود شاكر، (دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت).

٢٦٦. آبن قدامة: عبد الله بن محمد: ذم التأويل، تح: بدر بن عبد الله البندر، (دار الفتح، الشارقة، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، د.م).

٢٦٧. القطَّان، منَّاع: مباحث في علوم القرآن، (الناشر: مكتبة وهبة، مصر، ط١١، ٢٠٠٠م).

٢٦٨. القلقشندي: أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تح: د. يوسف علي طويل، (دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م).

٢٦٩. قلقيلة، عبده عبد العزيز: البلاغة الاصطلاحية، (دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م).

٢٧٠. القمي، أبو القاسم (ت١٣٤٨هـ/١٩٢٩م): قوانين الأصول، (طبعة حجرية، د.ط، د.م، د.ت).

٢٧١. القمي، علي بن إبراهيم (ت٣٢٩هـ/٩٤٠م): تفسير القمي، تص وتع وتق: السيد طيب الموسوي الجزائري، (دار الكتاب، قم، ط٣، ١٤٠٤هـ).

٢٧٢. القيرواني، الحسن بن رشيق (٤٦٣هـ/١٠٧١م): العمدة في صناعة الشعر ونقده، تص: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، (مط السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٥هـ ١٩٠٧م).

٢٧٣. قيس بن الملوح: ديوان قيس، دراسة و تع: يسرى عبد الغني، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م).

٢٧٤. القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ/١٠٤٥م): الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، تح: الدكتور أحمد حسن فرحات، (دار المنارة، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م).

٢٧٥. ـــــــــ: مشكل إعراب القرآن، تح: د. حاتم صالح الضامن، (مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤٠٥هـ).

٢٧٦. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب (ت٧٥١هـ/١٣٥٠م): الأمثال في القرآن الكريم، تح: إبراهيم بن محمد، (مكتبة الصحابة، طنطا، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م).

(حرف الكاف)

٢٧٧. كاشف الغطاء، محمد حسين (ت١٣٧٣هـ/١٩٥٤م): أصل الشيعة وأصولها، تح: علاء آل جعفر، (ستاره، قم، ط١، ١٤١٥هـ).

٢٧٨. الكاظمي، عماد: فهرس مخطوطات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، (مكتبة الجوادين العامة، الكاظمية، ط١، ٢٠١٠م).

٢٧٩. كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، (مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت).

٢٨٠. الكرباسي، محمد جعفر بن إبراهيم (الشيخ): إعراب القرآن، (دار الهلال، بيروت، ٢٠١٠م، د.ط).

٢٨١. الكعبي، علي موسى: سلامة القرآن من التحريف، (ستارة، قم، الناشر: مركز الرسالة، ط٢، ١٤٢٦هـ).

٢٨٢. الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ/٩٤٠م): الكافي، تص و تع: علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ).

(حرف اللام)

٢٨٣. لاشين، عبد الفتاح (الدكتور): البيان في ضوء أساليب القرآن، (دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ١٩٨٨م).

(حرف الميم)

٢٨٤. ٱبن ماجة القزويني، محمد بن يزيد (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م): سنن ٱبن ماجه، تح و تع: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت).

٢٨٥. ماسنيون ومصطفى عبد الرزاق: التصوف، (دار الكتاب للبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٤م).

٢٨٦. مالك: أنس (ت ١٧٩هـ/٧٩٥م):الموطأ، تص و تع: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م).

٢٨٧. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، أعلام النبوة، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م).

٢٨٨. المُبَرَّد: أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م): المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، (القاهرة، ط٣، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، د.م).

٢٨٩. المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ/١٦٩٩م): بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).

٢٩٠. المحقق الحلي، نجم الدين أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م): شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، تع: السيد صادق الشيرازي، (دار القارىء، بيروت، ط١١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م).

٢٩١. ـــــــــ: معارج الأصول، تح: محمد حسين الرضوي، (مط سيد الشهداء "عليه السلام"، الناشر: مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" للطباعة والنشر، قم، ط١، ١٤٠٣هـ).

٢٩٢. محمد أبو سليمان، صابر حسن: مورد الضمآن في علوم القرآن، (الدار السلفية، الهند، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م).

٢٩٣. محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م): تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (دار المنار، مصر، ط٣، ١٣٦٧هـ).

٢٩٤. محمد هادي معرفة (الشيخ) (ت١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م): التمهيد في علوم القرآن، (مط ستاره، الناشر: مؤسسة التمهيد، قم، ط٢، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٩م).

٢٩٥. المراغي أحمد مصطفى (ت١٣٧١هـ/١٩٥٢م): تفسير المراغي، (مط مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م).

٢٩٦. المرزوقي، أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م): شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تع: غريد الشيخ، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٢م).

٢٩٧. المرعشي النجفي، شهاب الدين (السيد) (ت١٤١١هـ/١٩٩٠م): القول الفاصل في الرد على مدعي التحريف، تح: محمد رضا جديدي نزاد، (مط ستاره، قم، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م).

٢٩٨. المرعشي، محمود: المسلسلات في إجازات السيد شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي، (مط حافظ، قم، ١٤١٦هـ، د.ط).

٢٩٩. مسلم النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ/٨٧٥م): الجامع الصحيح، (دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت).

٣٠٠. مصطفى مسلم: مباحث في إعجاز القرآن، (دار المسلم، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م).

٣٠١. المظفر، محمد رضا (الشيخ) (ت١٣٨٨هـ/١٩٦٨م): أصول الفقه، (دار النعمان، النجف، ط٢، ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م).

٣٠٢. ـــــــــ: المنطق، (مط النعمان، النجف، ط٤، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م).

٣٠٣. ٱبن المعتز، أبو العباس عبد الله (ت٢٩٦هـ/٩٠٨م) كتاب البديع، تع: إغناطيوس كراتشقوفسكي، (دار المسيرة، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م).

٣٠٤. المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله (ت٤٤٩هـ/١٠٥٧م)، ديوان سقط الزند، (دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م، د.ط).

٣٠٥. ٱبن معصوم المدني، علي صدر الدين (ت١١٢٠هـ/١٧٠٨م): أنوار الربيع في أنواع البديع، تح: شاكر هادي شكر، (مط النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م).

٣٠٦. المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ) (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م): أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، تع: الشيخ فضل الله الزنجاني، (مط رضائي، تبريز، ط٢، ١٣٧١هـ).

٣٠٧. ـــــــــ: تصحيح الاعتقاد، تح و تق: السيد هبة الدين الشهرستاني، تص و تع: عباس قلي، (مط رضائي، تبريز، ط٢، ١٣٧١هـ).

٣٠٨. ـــــــــ: مصنفات الشيخ المفيد / المسائل السرورية، تح: صائب عبد الحميد، (مط مهر، قم، ط١، ١٤١٣هـ).

٣٠٩. مقاتل بن سليمان: تفسير مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ/٧٦٧م)، دراسة و تح: الدكتور عبد الله محمود شحاته، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م).

٣١٠. ٱبن المقفع، عبد الله (ت١٤٢هـ/٧٥٩م): كليلة ودمنة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م).

٣١١. ٱبن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرَّم (ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، (مط الميرية ببولاق، مصر، ط١، ١٣٠١هـ).

٣١٢. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت٥١٨هـ/١١٢٤م): مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت).

٣١٣. مير محمدي، أبو الفضل: بحوث في تأريخ القرآن الكريم وعلومه، (دار التعارف، بيروت، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، د.ط).

٣١٤. الميلاني، علي بن نور الدين الحسيني (السيد): استخراج المرام من ٱستقصاء الإفحام، (مط وفا، قم، ط٢، ١٤٣٢هـ).

٣١٥. ـــــــــ: التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف، (مط ظهور، قم، ط٣، ١٤٢٦هـ).

٣١٦. ـــــــــ: حديث الثقلين، (الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، قم، ط١، ١٤٢١هـ).

(حرف النون)

٣١٧. ابن ناقيا البغدادي، أبو القاسم عبد الله بن محمد (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م): الجمان في تشبيهات القرآن، تح: الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي، (دار الجمهورية، بغداد، ١٣٨٧هـ ١٩٦٨م، د.ط).

٣١٨. النجفي، محمد حسن (ت١٢٦٦هـ/١٨٥٠م): جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، تص وتح وتع: محمود القوجاني، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٢، ١٣٦٣ش).

٣١٩. النحاس، أبو جعفر محمد بن أحمد بن إسماعيل (ت٣٣٨هـ/٩٤٩م): إعراب القرآن، (دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م).

٣٢٠. ـــــــــ: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، (المكتبة العلامية، مصر، د.ط، ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م).

٣٢١. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت٤٣٨هـ/١٠٤٦م): الفهرست، (دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، د.ط).

٣٢٢. النراقي، أحمد بن محمد مهدي (ت١٢٤٤هـ/١٨٢٨م): مستند الشيعة في أحكام الشريعة، تح: مؤسسة آل البيت "عليهم السلام"، (مط ستارة، قم، ط١، ١٤١٥هـ).

٣٢٣. النراقي، محمد مهدي (١٢٠٩هـ/١٧٩٤م): جامع السعادات، تص و تـع: السيد محمد كلانتر، تق: الشيخ محمد رضـا المظفـر، (مـط الآداب، النجف، ط٤، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م).

٣٢٤. النوري، حسين (الميرزا) (ت١٣٢٠هـ/١٩٠٢م): فـصل الخطـاب في تحريف الكتاب، (طهران، ١٢٩٨هـ، د.م، د.ط).

٣٢٥. النووي، أبو زكريا يحيى بـن شرف (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م): شرح صـحيح مسلم، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، د.ط).

٣٢٦. النيسابوري، أبو عبد الرحمن إسماعيل بـن أحمـد (ت٤٣١هـ/١٠٣٩م): وجوه القرآن، تح وتع: د. نجف عرشي، (مؤسسة الطباعـة في الأسـتانة الرضوية، مشهد، ط٢، ١٤٣٢هـ).

(حرف الهاء)

٣٢٧. الهذلي، أبو ذؤيب: ديوان الهذليين (أبي ذؤيب و ساعدة بن جؤية)، تـح: أحمد الزين و محمود ابو الوفا، (دار القومية للطباعة والنـشر، القـاهرة، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م، د.ط).

٣٢٨. آبن هشام الأنصاري، أبـو محمـد عبـد الله جمـال الـدين بـن يوسـف (ت٧٦١هـ/١٣٦٠م): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، (مط المدني، القاهرة، د.ط، د.ت).

٣٢٩. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بـن سـهل (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م): كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، (مـط محمـود بـك، الأسـتانة، ط١، ١٣٢٠هـ).

٣٣٠. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ١٩٨٨م، د.ط).

(حرف الياء)

٣٣١. اليزدي، محمد باقر: وسيلة الوسائل في شرح الرسائل، (طبعة حجرية، د.ط، د.م، د.ت).

٣٣٢. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت بعد٢٩٢هـ/٩٠٥م): تاريخ اليعقوبي، (شريعت، قم، ط١، ١٤٢٥هـ).

* الرسائل الجامعية:

٣٣٣. الجبوري، محمد عباس نعمان: تأويل المتشابه عند المفسرين، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الكوفة، كلية الفقه، ٢٠٠٨م).

٣٣٤. الغزالي، شعيب بن أحمد: مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، (أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ).

٣٣٥. حيدر هادي أحمد: البحث البلاغي في تفسير الميزان، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية / كلية التربية، ٢٠٠٧م).

٣٣٦. الفرطوسي، سعد وحيد عيسى: متشابه القرآن الكريم في كتاب حقائق التأويل للشريف الرضي دراسة لغوية دلالية، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة / كلية الآداب، ٢٠١٠م).

٣٣٧. الشمري، رباح صعصع عنان: جمع القرآن الكريم عند المستشرقين –جون جلكريست إنموذجًا–، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الكوفة / كلية الفقه ٢٠١٤م).

٣٣٨. عماد موسى محمود، السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني وجهـــوده في علوم القرآن –القراءات القرآنية دراسة وتحقيق–، (رسالة ماجستير غـــير منشورة، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، لندن فرع العراق، ٢٠١٢م).

٣٣٩. المسعودي، محمد عبد حسن درويش: مَثَل ومِثْل وكاف التشبيه في القرآن الكريم دراسة لغوية، (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية / كلية التربية، ٢٠٠٥م).

* البحوث غير المنشورة:

٣٤٠. الكاظمي، عماد: الجهود العلمية للسيد الشريف المرتضى في علوم القرآن، المؤتمر العلمي الدولي السادس في العتبة الكاظمية المقدسة، غير منشور (١٤٣٥هـ ٢٠١٥م).

* الدوريات

مجلة المرشد السنة الثالثة، العدد الأول، بغداد، ١٣٤٦هـ ١٩٢٨م.

*** المواقع الإلكترونية**

- www.almaany.com
- www.almaany.com quran
- www.forunm.brg٨.com

## الفهرس


| | |
|---|---|
| المقدمة | ٧ |
| التمهيد | ١٩ |
| – أولاً: نبذة موجزة عن سيرة السيد الشهرستاني | ٢١ |
| – ثانيًا: علوم القرآن ونشأتها | ٣١ |
| الباب الأول / الدراسة | ٣٥ |
| * الفصل الأول: صيانة القرآن من التحريف | ٣٩ |
| المبحث الأول: تعريف التحريف والأقوال الواردة فيه | ٤١ |
| المبحث الثاني: الأدلة النقلية والعقلية في إثبات عدم تحريف القرآن | ٥٣ |
| الأدلة النقلية | ٥٣ |
| – أولاً: القرآن الكريم | ٥٣ |
| – ثانيًا: السنة الشريفة | ٥٧ |
| الأدلة العقلية | ٦٠ |
| المبحث الثالث: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في صيانة القرآن من التحريف | ٦٣ |
| * الفصل الثاني: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم | ٦٩ |
| المبحث الأول: تعريف النسخ وشروطه | ٧٠ |
| المبحث الثاني: العلاقة بين النسخ والبداء | ٨٠ |
| المبحث الثالث: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في النسخ | ٨٥ |
| * الفصل الثالث: المحكم والمتشابه في القرآن الكريم | ٩١ |
| المبحث الأول: تعريف المحكم والمتشابه وحكمة تقسيم آيات القرآن عليهما | ٩٣ |
| المبحث الثاني: العلاقة بين الراسخين في العلم وتأويل القرآن | ١٠١ |

المطلب الأول: العلاقة بين التأويل والتفسير ١٠٢
المطلب الثاني: هل يعلم الراسخون في العلم تأويل القرآن، ومَنْ هم الراسخون ١٠٤
المبحث الثالث: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في المحكم والمتشابه ١١٤
* الفصل الرابع: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ١١٩
المبحث الأول: تعريف الإعجاز القرآني ومراحل تحديه ١٢٥
المبحث الثاني: موضوعات في البلاغة القرآنية ١٣٩
المطلب الأول: علم المعاني ١٤٠
- أولاً: الإيجاز ١٤٠
- ثانيًا: الالتفات ١٤٣
المطلب الثاني: علم البيان ١٤٧
- أولاً: التشبيه ١٤٧
- ثانيًا: المجاز ١٥٢
- ثالثًا: الاستعارة ١٥٥
- رابعًا: الكناية ١٥٩
المطلب الثالث: علم البديع / المحسنات المعنوية ١٦١
- أولاً: المقابلة ١٦١
- ثانيًا: المشاكلة ١٦٢
- ثالثًا: المبالغة ١٦٣
المحسنات اللفظية ١٦٦
- أولاً: الجناس ١٦٦

| | |
|---|---|
| – ثانيًا: السجع | ١٦٧ |
| المبحث الثالث: رأي السيد الشهرستاني في الإعجاز القرآني | ١٧٠ |
| الباب الثاني / التحقيق | ١٧٥ |
| * الفصل الأول: صيانة القرآن من التحريف | ١٧٩ |
| المبحث الأول: معنى التحريف | ١٨٠ |
| المبحث الثاني: أدلة صيانة القرآن من التحريف | ١٨٢ |
| * الفصل الثاني: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم | ٢٢٧ |
| المبحث الأول: تعريف النسخ | ٢٢٩ |
| المبحث الثاني: شروط النسخ | ٢٣٢ |
| المبحث الثالث: الآيات التي يُستدل بها على النسخ وتفسيرها | ٢٣٧ |
| المبحث الرابع: أدلة القائلين بالنسخ | ٢٤٦ |
| المبحث الخامس: أدلة نفي النسخ | ٢٥٢ |
| المبحث السادس: العلاقة بين النسخ والبداء | ٢٦٥ |
| * الفصل الثالث: المحكم والمتشابه في القرآن الكريم | ٢٧١ |
| المبحث الأول: تعريف المحكم والمتشابه وترجيح السيد الشهرستاني | ٢٧٢ |
| المبحث الثاني: تفسير آية المحكم والمتشابه | ٢٨١ |
| المبحث الثالث: الوجوه المعتبرة لاشتمال القرآن على المحكم والمتشابه | ٢٩٢ |
| المبحث الرابع: حكمة المتشابه في القرآن الكريم وأهميته | ٢٩٧ |
| المبحث الخامس: الآيات المتشابهة التي ذكرها السيد الشهرستاني | ٣٠٨ |
| المبحث السادس: آيات التجسيم وأثرها في العقيدة الإسلامية | ٣١٩ |
| * الفصل الرابع: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم | ٣٢٩ |

| | |
|---|---|
| المبحث الأول: تحدي القرآن الكريم وإعجازه | ٣٣١ |
| المبحث الثاني: علم المعاني | ٣٤٦ |
| – أولاً: الإيجاز | ٣٤٦ |
| – ثانيًا: الالتفات | ٣٥١ |
| المبحث الثالث: علم البيان | ٣٧٠ |
| – أولاً: التشبيه | ٣٧٠ |
| – ثانيًا: الاستعارة | ٤٣٥ |
| – ثالثًا: المجاز | ٤٣٨ |
| – رابعًا: الكناية | ٤٤٥ |
| المبحث الرابع: علم البديع | ٤٦٤ |
| المطلب الأول / المحسنات المعنوية | ٤٦٤ |
| – أولاً: المشاكلة والمقابلة | ٤٦٤ |
| – ثانيًا: المبالغة | ٤٦٩ |
| المطلب الثاني / المحسنات اللفظية | ٤٨٤ |
| – أولاً: الجناس | ٤٨٤ |
| – ثانيًا: السجع | ٤٨٤ |
| الخاتمة | ٤٨٨ |
| ثبت قائمة المصادر والمراجع | ٤٩٤ |
| الفهرس | ٥٣٩ |
| الملحق | ٥٤٣ |

# الملحق

## صور لبعض مخطوطات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني التي أعتمدتها الدراسة

(١)

- المخطوط: المسودات القرآنية
- عدد الأوراق: ٣٤٠ ورقة
- عدد الأسطر: ٢٠ سطر
- الطول: ٢١ ونصف سم
- العرض: ١٣ سم
- أوله: في سورة الفرقان ٥٢ ولقد صرفنا بينهم ليذكروا ....
- آخره: سؤال عن قوله تعالى (ولو كانَ مِنْ عندِ غيرِ اللهِ لوجدوا فيه أختلافًا كثيرًا).

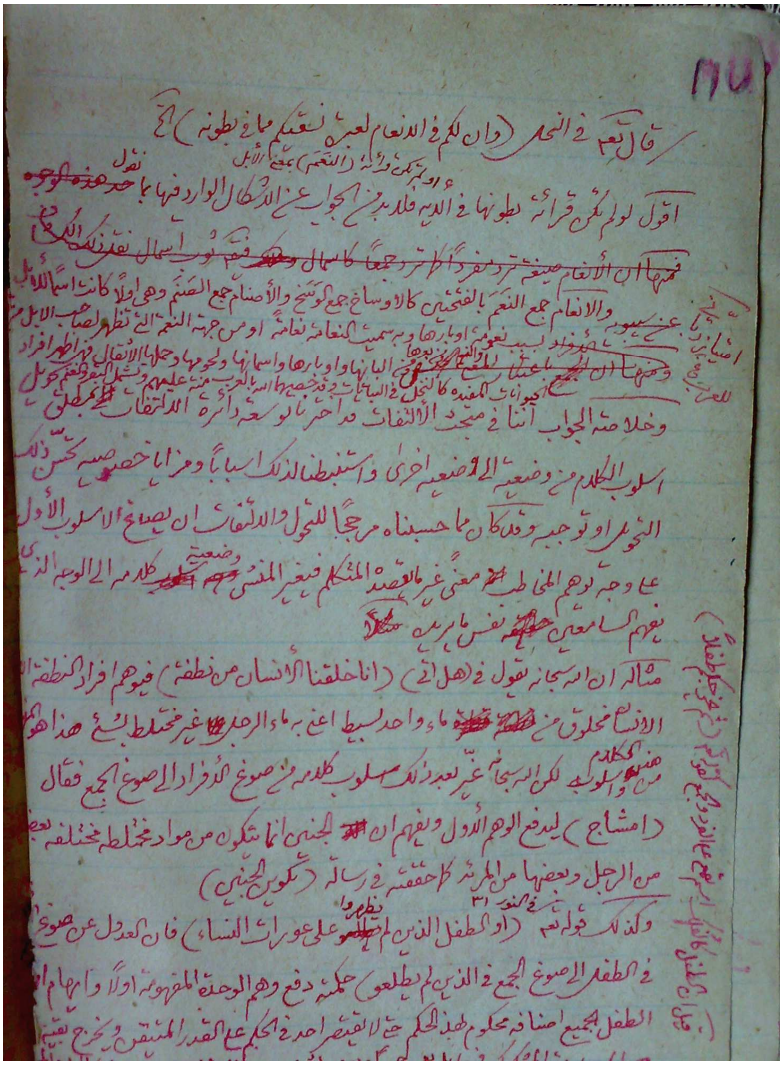

(٢)

- المخطوط: جمهرة العلوم القرآنية
- عدد الأوراق: ٢٤١ ورقة
- عدد الأسطر: ٢٨ سطر
- الطول: ٣٣ ونصف سم
- العرض: ٢١ ونصف سم
- أوله: بعد الفهرست تمهيد البحث عنوان حول فقه القرآن بعد الحمد عن فقه المذهب ....
- آخره: وأما شياطين الجن أي المؤثرات المستورة التي لا تبصر ....

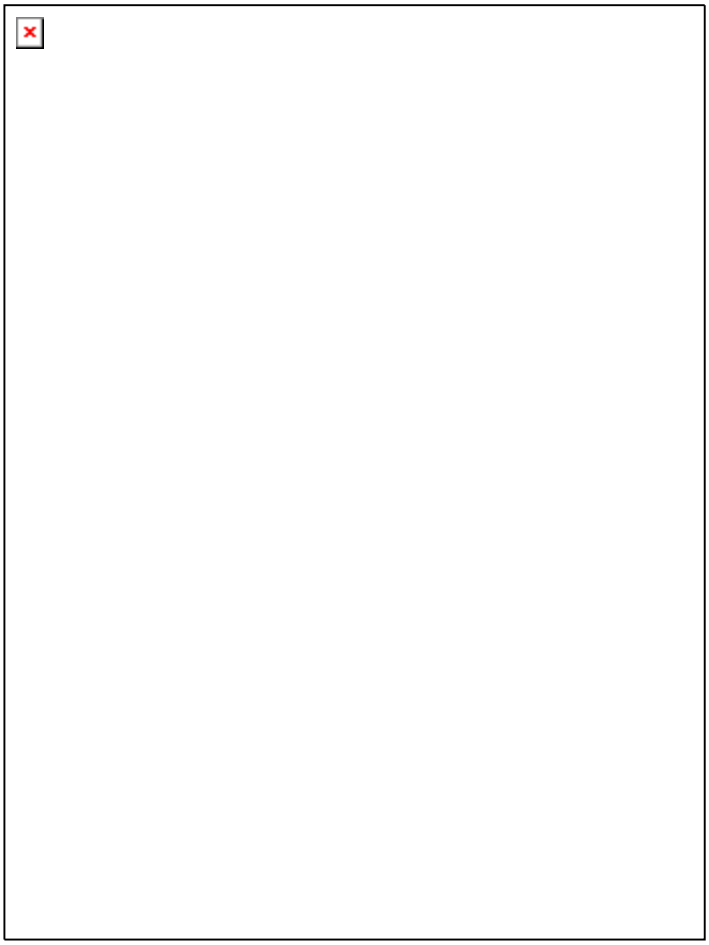

(٣)

- المخطوط: تنزيه التنزيل.
- عدد الأوراق: ٩٥ ورقة
- عدد الأسطر: ٢٠ سطر
- الطول: ١٩٫٥ سم
- العرض: ١٩٫٥ سم
- أوله: بعد الفهرس، المحاضرة الأولى في الإعجاز القرآني، ألقيت محاضرتي في تفسير فاتحة الكتاب ....
- آخره: وهذه النظريات العالية التي حدت بنا أنْ نجعل الجذبات الروحية ملاك الإعجاز ....

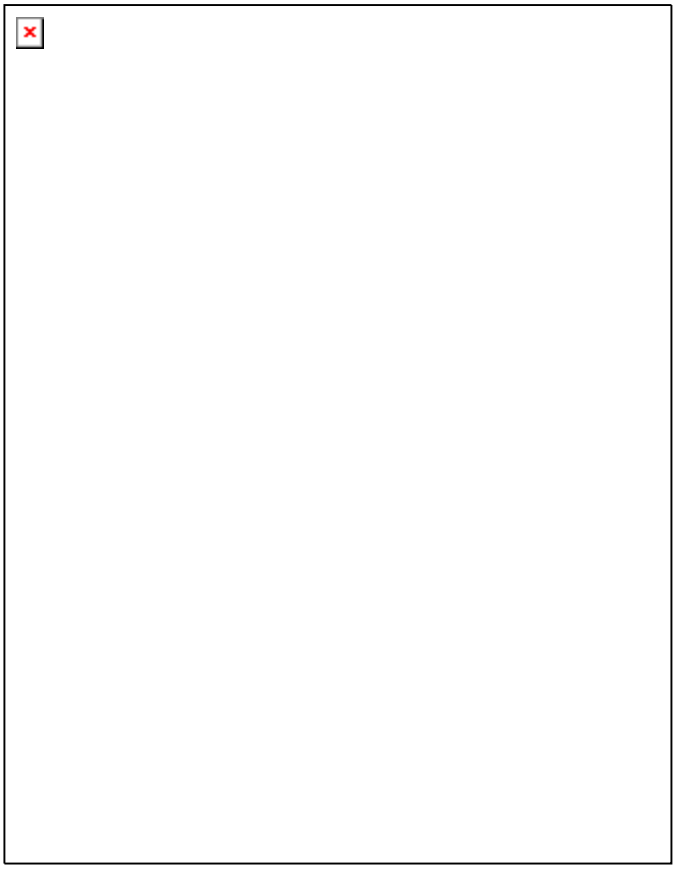

(٤)

- المخطوط: فوائد هبة الدين
- عدد الأوراق: ٣١٥ ورقة
- عدد الأسطر: ١٦ سطر
- الطول: ٢١ سم
- العرض: ١٣ ونصف سم
- أوله: بعد الفهرس، (بين القديم والجديد) دبَّ الخلاف بين القديم والجديد دبيبه في بلادنا ....
- آخره: (نزول هل أتى في علي) إنَّ نزول "هل أتى" في علي أشهر من (قفا نبكي)، وله قصة مشهورة ....

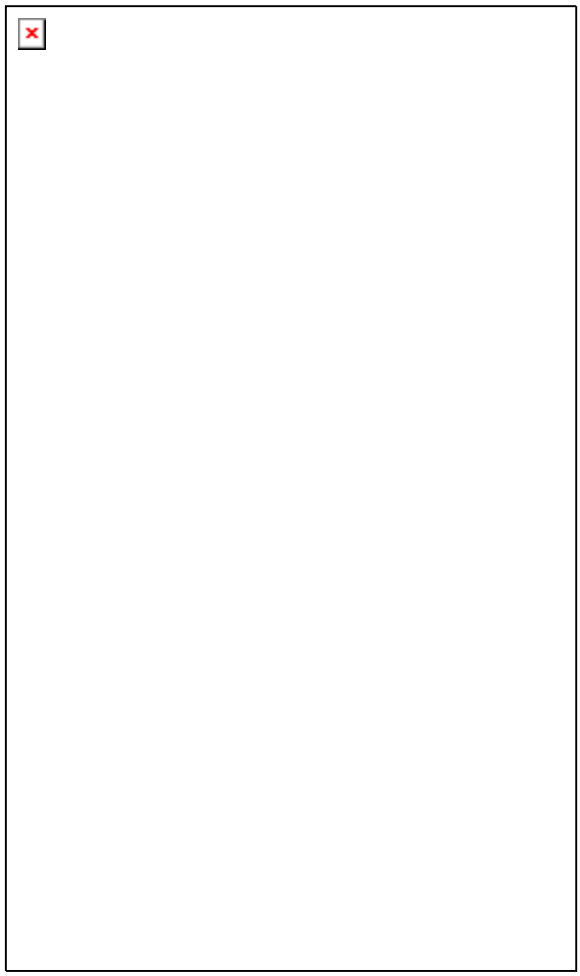

(٥)

- المخطوط: سرج في ظلمات الحياة
- عدد الأوراق: ١٣٤ ورقة
- عدد الأسطر: ١٨ سطر
- الطول: ١٦ سم
- العرض: ١٠ سم
- أوله: قال الفاضل الأديب السيد محمد طاهر السعيد الموسوي ....
- آخره: وفي هذا المقام يتمسك بإطلاق الكلام بل نتوجه إلى ما يعينه ....

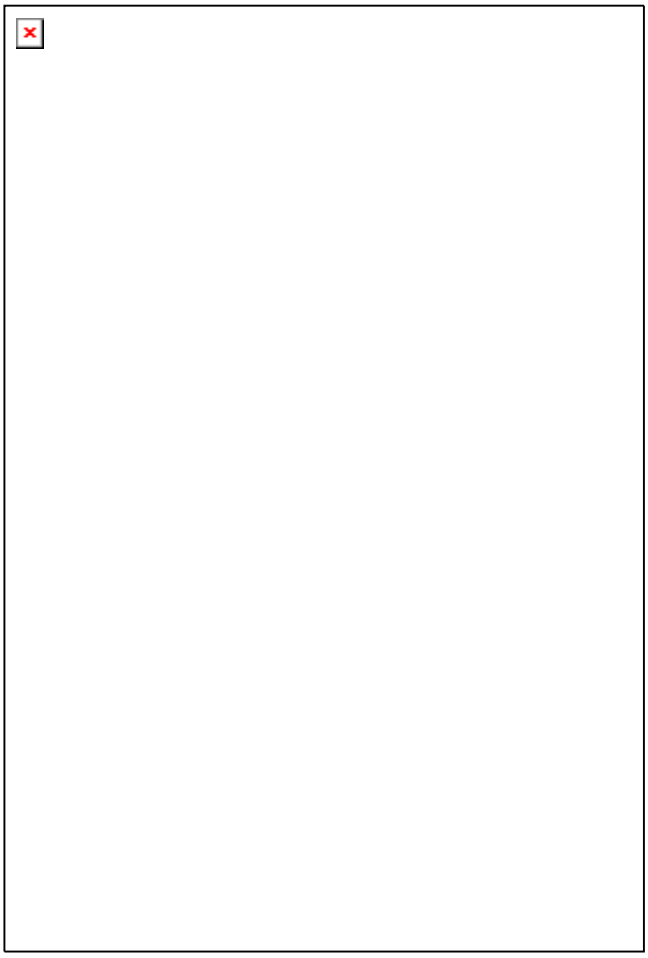

(٦)

- المخطوط: القرآن إمام الكل
- عدد الأوراق: ١٣٠ ورقة
- عدد الأسطر: ١٥ سطر
- الطول: ١٧ ونصف سم
- العرض: ١٥ سم
- أوله: أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ليس أدنى غلو أو مبالغة في نعت القرآن ....
- آخره: المعاد ودلائل ثبوته دلت آيات كثيرة على المعاد والدينونة.

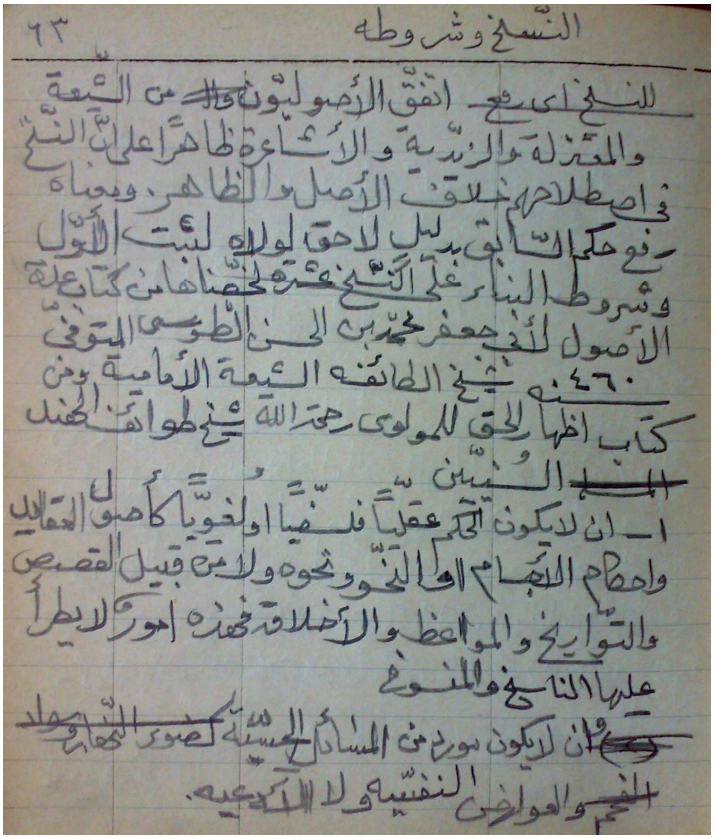

٦٣ النسخ وشروطه

النسخ اى رفع اتفق الأصوليون والـ من الشيعة والمعتزلة والزيدية والأشاعرة ظاهرا على ان النسخ في اصطلاحهم خلاف الأصل والظاهر ومعناه رفع حكم السابق بدليل لاحق لولاه لثبت الأول وشروط النسخ على النسخ عشرة لخصناها من كتاب عدة الأصول للشيخ جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ شيخ الطائفة الشيعة الامامية ومن كتاب اظهار الحق للمولوى رحمة الله شيخ طوائف الهند

الـ النسخ

١ـ ان لا يكون الحكم عقليا فلسفيا او لغويا كاصول العقايد واحكام الاجسام او النحو ونحوه ولا من قبيل القصص والتواريخ والمواعظ والاخلاق فهذه امور لا يطرأ عليها الناسخ والمنسوخ

ـ ان لا يكون مورد من المسائل الحسنة كصوم النهار وحد الفجر والعوارض النفسية ولا التكوينية.

(٧)

- المخطوط: الحواصل
- عدد الأوراق: ٣٢٠ ورقة
- عدد الأسطر: ٢٠ سطر
- الطول: ٢٠٥ سم
- العرض: ١٦ سم
- أوله: طالب من الدكتور شفائي دستوره في حفظ صحتي، تجديد نظـام مكتبـة الجوادين ....
- آخره: ويكاد يكون الإمام علي الوحيد يوم ذاك الذي أوصى لولديه وحاشيته بنقله من مسجده في الكوفة إثر مقتله إلى ظاهر الغري في جنح الليل؛ ليدفن في محـل بعيد عن أنظاره وأعدائه ....

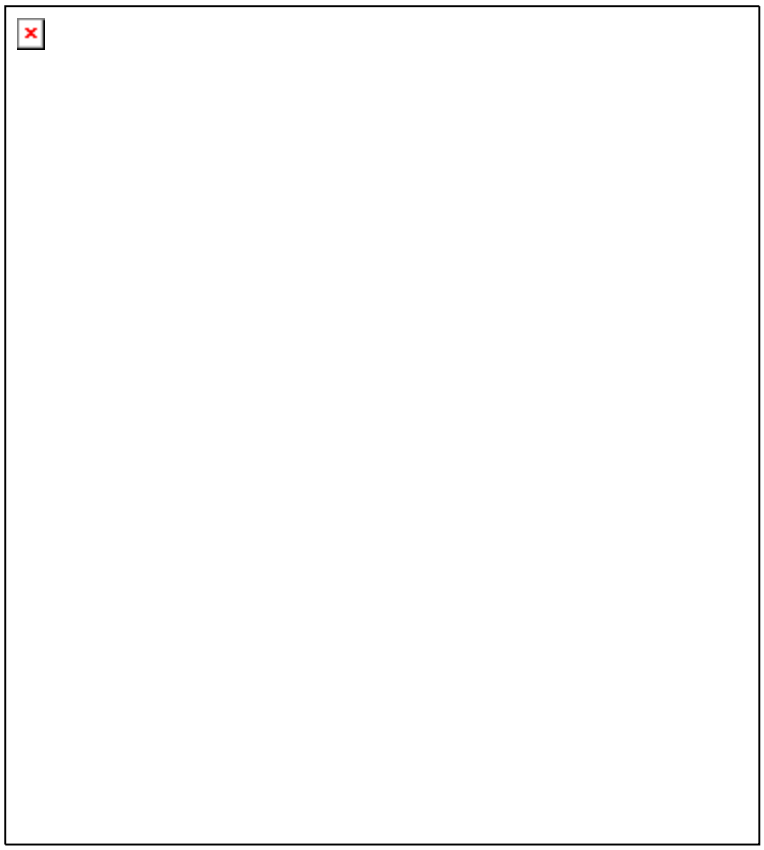

Sayyed Shihristani mentioned being classified as Mutashabih, and finally, the sixth sub-section discusses the verses of incarnation and their impacts on the Islamic creed.
Section (٤) which falls into three sub-sections, explains the rhetoric miracle in the Holy Quran. In the first sub-section, a light was shed on semantics, in the second, on Bayan (part of rhetoric), in the third, on Badie (part of rhetoric).
The researcher arrived at multiple results included in the conclusion, the most important of which is the fact that the scholars of Ahlul-Bayt school of thought devoted a great attention to the Quranic science in teaching and writing, in view of the significance of that in Quran, the eternal Islamic miracle, and its impact on the Islamic creed, and being the source of Islamic rulings. This attention will be clearly manifested throughout the pages of this thesis which attempted to shed an interesting light on part of it.
Finally, the researcher thinks that a great responsibility should be undertaken to revive the legacy of our eminent scholars for our benefit to enrich the Islamic library with more of these scientific and intellectual works, especially the Quranic library which is in need of more of the same.
I hope that this study, though humble, will be a contribution to the revival of the legacy of our nation, after I spared no effort in critically collecting the data from thousands of papers and slips and compiling the information in a specialized study to be a good material for researchers. It was an attempt to rescue those treasures from loss or damage.
I sincerely ask the Almighty to help us in this respect and reward us if we do well or forgive us if we fail.

a relation between "Rasikhoon" (those who are firmly grounded in knowledge) and "Ta'weel" (interpretation). The third sub-section reviews the standpoint of Sayyed Hibatuddin towards Muhkam & Mutashabih.

Section (٤) which falls into three sub-sections, covers the rhetorical miracle of the Holy Quran. The first Sub-section provides a definition for the Quranic miracle and stages of challenge. The second one reviews some subjects on the Quranic rhetoric and the third explains the views of Sayyed Hibatuddin on the Quranic miracle.

Chapter (II) which is divided into four sections, is dedicated for recension.

Section (١) deals with the preservation of Quran against tampering in two sub-sections; the first one defines what "tampering" refers to and the second provides evidence on the non-tampering of Quran.

Section (٢) which studies Nasikh & Mansookh in Quran, is divided into six sub-sections; the first is a definition of Nash, the second states the conditions of Nash, the third provides and explains the verses offering evidence on Nash, the fourth reviews the proofs of those who support Nash, the fifth reviews the counter-proofs available on the non-existence of Nash and finally the sixth sub-section develops a relation between Naskh and Bidaa.

Section (٣) deals with Muhkam & Mutashabih in Holy Quran in six sub-sections; the first defines Muhkam & Mutashabih and the preponderance of Sayyed Al-Shihristani, the second provides an explanation for the verse of Muhkam & Mutashabih, the third discusses the reflections considered for the inclusion of Muhkam & Mutashabih in the Quran, the fourth gives an account on the significance and wisdom behind the inclusion of Muhkam & Mutashabih in Quran, the fifth reviews the verses that

my search for his manuscripts, word by word, to choose all that is concerned with the Quranic science. The subjects are opulently enriched with knowledge in terms of material and argument. Earlier opinions of scholars have been discussed and new multiple ones introduced to understand the Quranic text through the same text, on the one hand. On the other hand, the effort was made through other sciences applied to understand the text and arrive at significant results, relevant to the position and holiness of the Quran.

The thesis requires to be divided into two chapters. The first chapter deals with the study, while the second with recension, so that the manuscriptal material would be scientifically and academically documented, in the boot the first is a brief biography on Sayyed Hibatuddin Al-Shihristani, the second deals with the preservation of the Holy Quran against any tampering. Here section

Chapter (١) was further divided into three sub-sections; the first defines what tampering is and what was said about it, the second sub-section provides rational and traditional evidences on the preservation of the Holy Quran against tampering; and the third sub-section introduces the views of Sayyed Hibatuddin on the preservation of the Quran against tampering.

Section (٢) was titled “Nasikh & Mansookh (the abrogating & abrogated verses) in Quran. This section is divided into three sub-sections; the first considers “abrogation” and its conditions, the second studies the relation between Naskh & Bidaa, and the third Hibatuddin’s viewpoint on Nash.

Section (٣) discusses Muhkam & Mutashabih (decisive and allegorical verses). The section falls into three sub-sections; the first defines Muhkam & Mutashabih and considers the significance of dividing the Quranic verses under those two categories. The second sub-section is an attempt to establish

*contains lights of guidance, wisdom and a pathway to knowledge*".

Muslims used to learn the teachings, legislation and rulings of Quran, when revealed, through the Prophet (SAAW) and his companions; and that formed the cornerstone of the Quranic education, and then educational seminars followed and spread. Later, writings on a number of its subjects began to disseminate dealing with different sciences of the Quran in brief and in detail.

Sayyed Hibatuddin Al-Husseini Al-Shihristani was one of the late pioneers who wrote on Quranic science. However, unfortunately, most of his writings are still manuscripts and dispersed on thousands of yellow pages that were written decades ago. For the preparation of my PhD thesis, I considered the idea of collecting, studying and critically editing all that he wrote on Quranic science in an attempt to revive the legacy of one of our eminent scholars, and enrich the Islamic library with his works, for it will certainly be a service in the way of Allah's Book and a work that will serve students and scholars of Quranic science. With this contribution, I intended to resurrect those works lying idle in the old stores and rescue them from loss or extinction; a fate that many other works experienced due to the vicissitudes of time or the attacks of spiteful opponents.

The thesis considers four significant topics; immunity of the Holy Quran from tampering, Nasikh & Mansookh (the abrogating and abrogated verses), Muhkam & Mutashabih (decisive and allegorical verses), and the rhetorical miracle of the Holy Quran. These topics are introduced now after we succeeded, with Allah's help, to consider in my Master's Degree dissertation, the legacy of Sayyed Al-Shihristani in the Quranic readings in forms of study and recension.

Therefore, everything documented herein is the outcome of

**In the name of Allah, the Most Beneficent, the Most Merciful**

Praise be to Allah who taught to write with the pen, and taught man what he knew not; and peace and blessing be on His honorable prophet, and his infallible progeny, the masters of nations.

The Holy Quran is, indeed, the eternal miracle, the source of Islamic legislation, and the most perfect social system ever designed for the welfare and prosperity of mankind if it ever committed itself to it, and followed the infallible Divine Teachings contained therein in order to maintain its human nature and attain its perfection, as the Almighty Allah says: "*Surely this Quran guides to that which is most upright and gives good news to the believers who do good that they shall have a great reward*" (Israa: ٠٩).

Therefore, muslims provided a great deal of care to the Quran in terms of recitation, memorization, studying, teaching, commenting and interpretation, in view of the numerous fields of involved knowledge that can greatly contribute to human enlightenment in general and Islamic education in particular. The importance of such attention lies in the fact that it is the prime resource of Islamic knowledge in creed and jurisprudence.

So many traditions were reported on the virtues of learning and teaching the Holy Quran. The Holy Prophet (SAAW) said: "*Stick to the Quran! It is an interceder that its intercession will be accepted, and an unimpeachable witness. He who places it in front (as a leader) shall be led to Paradise and he who leaves it behind shall be led to the Hellfire. It is the sign that guides to the best path, a book of every detail, explanation, and piece of information. It*

# Sayyid Hibatuddin Al-Husseini Al-Shihristani
# (D. ١٣٨٦ AH/١٩٦٧)And
# His Efforts in the Quranic Science

**Sheikh Dr.**

**Imad Al-Kadhimi**

١٤٣٧ AH ٢٠١٦